



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد خيضر-بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية



# المتعلقات النحوية ودورها في بناء الخطاب دراسة تداولية في ديوان "أغنية للوطن في زمن الفجعة" لـ "محمد بن رقطان"

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية تخصص:  
اللسانيات واللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور:  
عمّار شلواي

إعداد الطالبة  
وهيبة بوشليق

## أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	ملاوي الأمين	أستاذ	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	رئيسا
02	عمّار شلواي	أستاذ	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مشرقا ومقررا
03	باديس لهويل	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مناقشا
04	جودي مرداسي	أستاذ	جامعة الحاج لخضر-باتنة-	مناقشا
05	عب الكريم بن محمد	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعرييج-	مناقشا
06	محمد بن صالح	أستاذ	جامعة محمد بوضياف المسيلمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وعرّفان

أثّقّدّم بخالص الشكر وجمال العرفان، إلى الأستاذ الدكتور المشرف القدير "عمار شلواي" على نصائحه الرشيدة وتوجيهاته القيمة التي لم يبخل بها عليّ رغبة منه في إنجاز البحث على أحسن صورة، وأكمل وجهه، فجزاه الله خير الجزاء، وجعله ذخرا للعلم وطالبه.

كما أتقدم بالشكر الوافر والجميل لأعضاء لجنة المناقشة الذين تجشّموا الصّعب في قراءة هذا البحث، فجزاهم الله خيرا وجعل هذا العمل ذخرا لهم.

والشكر موصول أيضا إلى الدكتور القدير عبد العزيز بوشلّالّق والدكتورة دخية فطيمة على التصويبات اللغوية لهذا البحث، والشكر موصول أيضا إلى الدكتور رضا زلاقي وأعضاء مكتبة الهداية، وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

## قائمة المختصرات

م: الميلادى

ص: الصفحة

د.ت: دون تاريخ

د. م: دون مكان

د. ن: دون ناشر

تر: ترجمة

تق: تقديم

تح: تحقيق

ط: الطبعة

ج: الجزء

مج: المجلد

ع: عدد

مقدمة

بسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، أَمَا بَعْدُ:

الخطابُ الشَّعْرِيُّ هُوَ مُنْتَجَجٌ جَمَالِيٌّ إِبْدَاعِيٌّ قَائِمٌ عَلَى عِدَّةِ رِكَائِزٍ؛ مِنْهَا الْإِمْكَانَاتُ اللَّغْوِيَّةُ، بِمَكْنُونَاتِهَا الدَّلَالِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَقَوَانِينِهَا النَّابِعَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّظَامِ اللَّغْوِيِّ، وَنَقْصِدُ هُنَا الْمَعْطِيَّاتِ النَّحْوِيَّةِ، وَالصَّرْفِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ، وَالْمَعْجَمِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ، فَهِيَ قَاعِدَةٌ أُسَاسِيَّةٌ تَقُومُ عَلَيْهَا إِبْدَاعَاتُ الشَّاعِرِ الْاِخْتِيَارِيَّةُ.

الوَحْدَاتُ اللَّغْوِيَّةُ الَّتِي تُبْنَى الْخَطَابُ هِيَ أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ وَحُرُوفٌ فِي صَوْرِهَا الْاِسْتِعْمَالِيَّةِ الْكَثِيرَةِ، وَالْقَائِمَةُ أُسَاسًا عَلَى مَفْهُومِ الْجُمْلَةِ، فَهِيَ بِنَيْتِهَا الْأُسَاسِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي تُشَكِّلُ مِنْهَا بَاقِي الْبُنْيَاتِ الْمُتَتَالِيَّةِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ عِلَاقَةِ مَعْنَوِيَّةِ ذَاتِ فَائِدَةٍ وَقَصْدٍ، قَائِمَةٌ بَيْنَ عِنَصْرَيْنِ أُسَاسِيَيْنِ هُمَا: "المسند والمسند إليه"، وَبِفِعْلِ الْعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْإِنْتِاجِيَّةِ الْقَائِمَةِ أُسَاسًا عَلَى عَامِلِ الْاِخْتِيَارِ الْإِبْدَاعِيِّ لَدَى كُلِّ مُنْتَجَجٍ، مِمَّا يَتِيحُهُ لَهُ النَّظَامُ اللَّغْوِيُّ، مِنْ جِهَةٍ، وَقَدْرَتِهِ الْإِبْدَاعِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ، فَإِنَّ صُورَ الْجُمْلَةِ الْأُسَاسِيَّةِ تَتَجَاوَزُ تِلْكَ الثَّنَائِيَّةَ الْبَسِيطَةَ لِتَرْتَقِيَ رَقِيًّا ذَوْقًا مَبْدَعِيًّا، فَتَخْضَعُ لَهُ فِي عَمَلِيَّةِ الْاِمْتِدَادِ وَالتَّوَسُّعِ، تَعْبِيرًا عَنِ مَزِيدٍ مِنَ الْمَعَانِي أَوْ الدَّلَالَاتِ، أَوْ يَبْقِيهَا كَمَا هِيَ بِحَسَبِ مَا يَتَقَضَى الشِّيَاقُ.

تَتَوَلَّدُ الْعِلَاقَاتُ وَتَتَعَدَّدُ، مُتَجَاوِزَةً الْعِلَاقَةَ الْإِسْنَادِيَّةَ إِلَى عِلَاقَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ أُخْرَى لَا تَتَّمَايِزُ فِيهَا بَيْنَهَا إِلَّا بِقَوَانِينِ الصَّنْعَةِ النَّحْوِيَّةِ الْإِعْرَابِيَّةِ، فَكُلُّ عِلَاقَةٍ تَعْبَّرُ عَنِ وَظِيفَةِ إِعْرَابِيَّةٍ تُؤَدِّيهَا بِفِعْلِ اِتِّلَافِ عِنَاصِرِ الْكَلِمِ فِيهَا بَيْنَهَا، فَعِلَاقَةُ التَّعْدِيَّةِ تُنْتِجُ عَنِ وَظِيفَةِ "المفعول به"، وَالغَائِيَّةِ عَنِ وَظِيفَةِ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ، وَالْإِضَافَةِ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَعَ الْمُضَافِ، وَالتَّبَعِيَّةِ عَنِ عِلَاقَةِ التَّابِعِ بِالْمَتَّبِعِ... الخ

يُطْلَقُ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ عَلَى هَذِهِ الْوِظَائِفِ الْإِعْرَابِيَّةِ الْمَكْمَلَةُ لِلْعِلَاقَةِ الْإِسْنَادِيَّةِ (فِعْلٌ + فَاعِلٌ أَوْ مَبْتَدَأٌ + خَبْرٌ)، مِصْطَلَحُ "المتعلق" أَوْ "المتَّمِّم"، أَوْ "المكَّمَل" وَفِي "عِلْمِ الْبَلَاغَةِ"، يُطْلَقُ مِصْطَلَحُ "قِيُودِ الْإِسْنَادِ" أَوْ "مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ"، وَتَتَغَيَّرُ "التَّسْمِيَّاتُ مَا بَيْنَ الْقَدِيمِ وَ"الحديث"، وَتُظْهَرُ أَهْمِيَّتُهَا فِي لَعْبِهَا دَوْرَ الْمَخْصَّصِ وَالْمَقْيَّدِ لِلْعِلَاقَةِ الْإِسْنَادِيَّةِ، لِذَا فَهِيَ عِنَاصِرٌ لَغْوِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ فِي بِنْيَةِ التَّرْكِيبِ، إِنَّهَا تُحَدِّدُ الْمَعَانِي بَعْدَمَا تُكُونُ مُطْلَقَةً، أَوْ عَامَّةً،

أو غير واضحة، كما أنّها تضيف معاني جديدة في المواقف الخطابية وفق ما يقتضيه المقام، فهي إذا أداة للتوسّع في التعبير عن المعاني والأغراض النفسية المختلفة.

المتعلّقات النحويّة موضوع بلاغيّ نحويّ، فقد تناول البلاغيّون بابا خاصّا هو باب **متعلّقات الفعل**، وأحواله، بعد تفصيلهم في ذكر أحوال كلّ من المسند إليه والمسند وأما النحويّون فلا يخفى علينا تناولهم المتعلّقات النحويّة في أبواب منفصلة بعد ذكرهم لأحكام العناصر الأساسيّة، المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، وسمّوا العناصر الزائدة في تركيب الجملة العربية "بالفضلة"، وتوسّعوا كثيرا بدءاً من "سيبويه" في ذكر الأحكام النحويّة المتعلّقة بها، وكيفية ورودها في الاستعمال.

أحوال المتعلّقات النحويّة أثناء الاستعمال خاضعة لعامل المقام، وهذا النوع من الموضوعات وغيره، يحتاج إلى منهج سياقيّ يخوّل لنا الوقوف عندها، ونتوسم فيه المعول الذي يمكننا من تفكيك الشّفرات اللّغوية التي تُحتجّب وراءها مقاصد منتجي الخطاب ومساراتها التّأويلية، وعلى رأس تلك المناهج المنهج التّداولي؛ فهو منهج يمتلك آليات القراءة الواعية للشّفرات اللّغوية المشكّلة للخطاب، وعلى رأسها الخطاب الشّعري، وقد جاء المنهج التّداولي ليسدّ النقص في تناول المنتج التّواصل في جوانبه الاستعمالية الكثيرة، وأبعادها السياقية.

تقع المتعلّقات النحويّة عربيّاً في ظلّ معطيات المنهج التّداولي في دائرة العناصر المكوّنة للمحتوى القضيوي والمكّملة للمعنى الذي يؤدّيه الفعل (Verb) عند إلقاء القول\*، إذ أنّ لتلك العناصر دوراً مهماً في إتمام المعنى العام بل قد تلعب دور الفعل الكلامي في حدّ ذاته، وتكون حاملة للقوّة الإنجازيّة (القوّة المتضمّنة في القول)، كما أنّها تُعدّ عنصراً إحصائياً إلى المراجع التي تبنى بها الخطابات.

انطلاقاً ممّا سبق، يتبيّن لنا أنّ للدّرس التّداوليّ علاقة وطيدة بالدّرس النحويّ، وهي ربط تراكيب الجملة بواقعها أثناء الاستعمال، ودور كل عنصر من عناصرها في تبيان

\* - مصطلح "جملة إلقاء القول" استعمله جاك موشر وأن ريبول في كتابهما: القاموس الموسوعي للتداولية.

الإفادة وتحقيقها، وحاجة المقام إلى توظيف عنصر بدل عنصر آخر، بل حاجته إلى استعمال تأدية ظاهرة خاصة لعنصر ما بدل تأديته في صورة أخرى غير الصورة التي يتطلبها المقام.

وللوقوف على حقيقة الاستعمال الفعلي للمتعلقات النحوية في الخطاب، ونخص بالذكر-الخطاب الشعري-وأیضا معرفة مظاهرها التداولية في هذا النوع من الخطابات، ارتأينا أن نختار هذا البحث الأكاديمي المعنون بـ: "المتعلقات النحوية ودورها في بناء الخطاب، دراسة تداولية في ديوان "أغنية للوطن في زمن الفجيرة لـ"محمد بن رقطان".

ولعل من الأسباب الأخرى التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو نقص الدراسات التداولية التي يدور موضوعها حول العلاقات المعنوية المكملة للعلاقة الإسنادية. واختيارنا لمؤونة شعرية جزائرية معاصرة، كان بدافع اكتشاف اللغة الشعرية عند محمد بن رقطان وكيفية توظيفه للمتعلقات النحوية في بناء خطابه.

وهدفنا من هذه الدراسة هو الكشف عن أهمية المتعلقات النحوية في الإفادة التداولية في الخطاب اللغوي بصفة عامة، والخطاب الشعري بصفة خاصة، فالنص الشعري لا يمكن له أن يستغني عن العناصر المكملة للعملية الإسنادية، فهي تساهم في بناء المعاني المتنوعة للصورة الشعرية حقيقة أم مجازا، كما أنها تفيد في إقامة الإيقاع الموسيقي.

تضمن بحثنا إشكالية رئيسية وهي:

- ما هي أهم المظاهر التداولية للمتعلقات النحوية، وكيف تساهم بذلك في بناء

الخطاب الشعري؟

واندرج تحتها جملة من الإشكاليات الجزئية:

1- هل المتعلقات النحوية عناصر ضرورية أو غير ضرورية في تحقيق الإفادة

والأغراض الكلامية؟

2- متى يمكن أن تكون المتعلقات النحوية عناصر أساسية لا يمكن الاستغناء عنها؟



3- هل يمكن أن تحتلّ المتعلّقات النحويّة دور الفعل الكلامي؟ أو تساهم في تحقيق الفعل المتضمّن في القول والفعل التّأثيري؟

4- هل الأداءات المتنوّعة للمتعلّقات النحوية تساهم في إنجاز الفعل الحجاجي الإقناعي، وماهي أهم تلك الأداءات؟

5- الإحالة التّداولية هي إحالة تؤدّيها العناصر اللّغوية المكوّنة للقضيّة التي تحتويها جملة إلقاء القول، فهل تساهم المتعلّقات النحويّة في هذه الوظيفة؟

6- النّصّ الشعريّ هو بناء خاصّ، غالباً ما تكون أهدافه حجاجية إقناعية، وهو في حدّ ذاته حدث كلاميّ وفعل تداوليّ حجاجيّ، فكيف تساهم المتعلّقات النحويّة في إقامة حججه وبناء أفعاله التّداوليّة، وإحالاته المتنوّعة؟

7- ما مدى مساهمة المتعلّقات النحويّة في بناء الأفضية الذهنيّة لدى المُتلقّي والمتلقّي؟

أما الدّراسات السّابقة التي احتوت إشارات وتنبهات تخص المظاهر التداولية للعناصر المكّملة نذكر منها دراسة مسعود صحراوي في كتابه "الأفعال الكلامية عند العرب"، ولم تتعدّ الدّراسات الأكاديميّة التي رجعنا إليها والتي طبقت المنهج التّداولي دراسة أفعال الكلام والحجاج. ومن تلك الدراسات: "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة" لخالد ميلاد، وأيضاً "الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية" لأمال المغامسي.

أما من حيث طبعة المصادر والمراجع المستخدمة، فمنها التراثية وعلى رأسها الكتاب لـ"سيبويه"، و"الخصائص" لابن جنّي، وأيضاً مصادر أصوليّة، كـ"المستصفى" لـ"أبي حامد الغزالي"، وأيضاً كتب بلاغية غنيّة عن التّعريف، كـ"مفتاح العلوم" لـ"السّكاكي" وشرحه لـ"الخطيب القزويني"، و"دلائل الإعجاز" لـ"عبد القاهر الجرجاني" وغيرها.

أما المراجع الحديثة فهي كثيرة ومتنوّعة، منها النحوية والبلاغية، واللّسانيّة التي تخصّصت في البحث التّداوليّ ككتاب "الإنشاء في العربية بين التّركيب والدلالة، دراسة نحويّة تداوليّة"، لخالد ميلاد، وكتاب "الحجاج في الحديث النبوي" دراسة تداوليّة "لأمال المغامسي"، وكتاب "القاموس الموسوعي للتداولية" لـ"جاك موشر وأن ريبول"، وقد أفدنا منه

كثيرا في العملية النظرية والتطبيقية، لكل فصول البحث، وأيضا مؤلفات أحمد المتوكل، خاصة: "الخطاب وخصائص اللغة العربية"، وكتاب قيّم للمرحوم "عبد الرحمن الحاج صالح"، والذي قرّب لنا كثيرا العلاقة بين التداوليات العربية التراثية والتداوليات الغربية، والموسوم بـ: "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية". ومؤلفات "تمام حسّان" القيمة: كاللغة العربية معناها ومبناها.

أمّا عن الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز البحث هو صعوبة الإمساك بالإجراءات التداولية في تحليل صور المتعلّقات النّحوية في النّص الشعريّ، وذلك نظرا لتسّعّب هذه الصّور.

اعتمدنا في الدّراسة التي بين أيدينا على المنهج الوصفيّ والمنهج التحليليّ، فالأوّل اعتمده في وصف المفاهيم الأساسية الخاصة بالدّرس التداوليّ، وكذا الظواهر النّحوية والبلاغية، والثّاني اعتمده في الدّراسة النّحوية والتداولية لتلك الظواهر في القول الشعريّ.

أمّا من حيث خطة العمل المتبّعة، فقد قُسم البحث إلى ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** فهو فصل نظريّ، معنون بـ: مفاهيم أساسية للتداولية والمتعلّقات النّحوية؛ بدأناه بإحاطة تاريخية للمنهج التداولي، ثم أهم المفاهيم التي أقيم عليها هذا المنهج، كنظرية أفعال الكلام، والقصدية والإشارات والسياق، ثم تطرّقنا إلى عقد مقارنة بين هذه المفاهيم، والمفاهيم المشابهة لها في التراث اللغوي العربي، ثم تطرّقنا إلى مصطلح المتعلّقات النّحوية قديما وحديثا، وأيضا طبيعة المتعلّقات النّحوية في ظل نظرية العامل والتعليق وأيضا في ظل اللسانيات الحديثة، كبعض النظريات الدلالية ونظرية النحو الوظيفي.

أمّا **الفصل الثّاني**، فكان موسوما بـ: تداولية العلاقة بين المتعلّقات النّحوية والفعل الكلامي في المدوّنة، تطرّقنا فيه إلى تداولية العلاقة بين الأفعال الكلامية التقريريّة المخصصة بعلاقات المفعولية، بدءا بعلاقة التعديّة، مع الفعل الإثباتي، والتأكيدي، والمنفي، وأهم الأغراض التأثيرية والموضوعات التي تضمنتها، بعد ذلك تناولنا الأفعال الإنشائية

وعلاقتها التداولية بالمفعولات، كفعل الاستفهام والأمر، والنداء، والأفعال الإفصاحية، ثم علاقة الأفعال الكلامية تداوليا بالعلاقات المعنوية الأخرى، كالتبعية والإضافة والجار والمجرور، والجزء الأخير تطرقنا إلى تداولية الظواهر الأسلوبية التي قد ترد عليها المتعلقات النحوية، وعدّها التداوليون أفعالاً تداولية، كظاهرة الحذف والتقديم والتأخير، فهي تمس مباشرة علاقة الفعل الكلامي بالمتعلقات النحوية خاصة المفعول به، وخرجنا بخلاصة للفصل.

أمّا الفصل الثالث، ف جاء موسوماً ب: **تداولية الإحالة بالمتعلقات النحوية في الديوان**، حيث بدأناه بتعريف الإحالة في ظل النظريات التداولية، كنظرية النحو الوظيفي ونظرية "جون سيرل"، ونظرية الفضاءات الذهنية والعوالم الممكنة، ثم تطرقنا إلى الجانب التطبيقي في قصائد الديوان، حيث تناولنا الإحالة بالمتعلقات النحوية المعرفة بالإحالة بالمفاعيل وغيرها، ثم تناولنا المتعلقات النحوية المنكرة ووظيفتها الإحالية، بعد ذلك عرّجنا إلى بعض إجراءات "نظرية الأفضية الذهنية" وتطبيقها على الديوان، لأنها نظرية اختصت بالإحالة التداولية، وفصلنا في إحالتها على الماضي، وإحالتها على الواقع، وإحالتها على المستقبل، وأيضاً على الجانب التخيلي في الديوان، مبينين مساهمة المتعلقات في بناء تلك الأفضية وختّمنا الفصل بخلاصة لكل ما جاء فيه. ثم **خاتمة شاملة** للبحث ككلّ تضمنت أهم النتائج. وفي هذا المقام، لا يفوتني أن أتقدّم بجميل العرفان وخالص الشكر إلى كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد، وعلى رأسهم أستاذي الكريم، المشرف على إنجاز هذا البحث، والذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته الرشيدة، رغم ظروفه الصحية الصعبة، والشكر الجزيل موصول للجنة المناقشة التي حملت على عاتقها مسؤولية قراءة صفحات هذا البحث لتصلح ما به من اعوجاج.

# الفصل الأول

الإطار النظري: مفاهيم أساسية للتداولية  
والمتعلقات النحوية

**أولاً:** التداولية (الذرائعية)

**ثانياً:** أهم مفاهيم التداولية

**ثالثاً:** مقارنة للمفاهيم التداولية في التراث اللغوي العربي

**رابعاً:** مفهوم الخطاب

**خامساً:** التداولية وتطور نظريات الخطاب

**سادساً:** المتعلقات النحوية والتعدد المصطلحي

**سابعاً:** المتعلقات النحوية في ظلّ نظرية العامل والتعليق

**ثامناً:** المتعلقات النحوية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة

## أولاً: التداولية (Pragmatics)\*

لقد تحدّث كثيرٌ حول المفهوم اللغوي للتداولية، وسالت الأقلام العربية والغربية في هذا المجال، مما دفعنا لنتجاوز التطرق إلى ذلك، حيث اكتفينا بمعرفة الأصول الفكرية التي انبثق عنها هذا المصطلح، خاصة في الوسط اللساني الغربي.

### 1-الأصول الفكرية:

يُجمع الباحثون على أسبقية الفلسفة في تناول الجذور الممهّدة للبحث التداولي، ففي بداياته «لم يكن للفكر الذريعي إذا جاز التعبير، أيّ علاقة بالفكر اللساني، بما أنّه ينتمي إلى سلسلة من الأسئلة الفلسفية، هي في الأساس أسئلة فلسفية، وحتى لو أن المطاف انتهى بالذرائعيات، في حالات عديدة، إلى الدّوبان أو التّماهي مع الدّراسات اللسانية، فإنّ منشأها هو فلسفة اللّغة»<sup>1</sup>، لا سيما فلسفة اللّغة العادية\* بزعامة لودفيك فنتشتغاين (Ludwig wettgensteine)، فنظريّة أفعال الكلام مثلاً، والتي هي أول مفهوم تداوليّ انبثق إلى الوجود، نابع من هذه الفلسفة الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللّغة.<sup>2</sup>

---

\* - كان الفضل في وضع مصطلح التداولية للفيلسوف "طه عبد الرحمن" منذ سنة 1970م، ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، مقدمة الكتاب، ص: 28. ويطلق عليه هشام إ. عبد الله خليفة "علم الفعليّات" في كتابه: نظرية الفعل الكلامي Speech Act بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2007، ص: 26. وترجم المصطلح إلى العربية متعدّدة: الذرائعية، النفعية، التداولية، التداوليات، الذرائعيات، الفعليّات وهو يقابل المصطلح الإنجليزي Pragmatics والفرنسي Pragmatique.

1- ماري أن بافو، جورج إلياسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النّحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص: 349.

\*\* - فلسفة اللغة العادية فرع من فروع الفلسفة التحليلية بزعامة "فريجة"، وهذا التيار هو في صميم البحث التداولي"، ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 1429هـ-2008م، ص: 21، 32.

2- ينظر: مسعود صحراوي: (م س)، ص: 26، 34. وخليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 50، 51.

## 2-التداولية واللسانيات:

\*الإدماج: التداولية في الأصل حقل فلسفي، أما التداولية اللسانية فاستقلت عنها فيما بعد، و«تحتفظ الذرائعيات، سواء كانت مستقلة (فلسفة اللغة العادية) أم مدمجة\* (الذرائعيات اللسانية)، بهوية خاصة، رغم كل شيء، وتوجهاتها مخالفة للسانيات المستمدة من "الدروس" لسوسور، فالذرائعيات لم تبدأ في التكيف التدريجي مع اللسانيات إلا بعد مناقشتين تاريخيتين (بنفيسيت/ أوستين)، (ديكرو/سيرل)»<sup>1</sup>، فقد بين "ديكرو" انطلاقاً من آراء "دي سوسير" في الفصل بين "اللغة والكلام"، المجال الحقيقي لدراسة استخدام واستعمال اللغة ألا وهو "التداولية"، محدداً إياها بعملها على وصف الاستعمال اللغوي القائم على إنشاء الصيغ أو التراكمب والمتخاطبين الذين يهدفون إلى استعمالها فيما بينهم. بينما دعا إلى إبعاد كل من الدلالة والتركيب في جانبهما التجريدي عن البعد الاستعمالي<sup>2</sup>؛ وعليه فلسانيات التلفظ والتداولية تتفقان على أن الكلام أساس تحليل الخطاب، وقد أعاد فعلاً أعلامهما الاعتبار لقضية الاستعمال الفعلي للكلام «مما سمح بمعالجة اللغة على أساس أنها نشاط كلامي يتبنّ تداولي جديد».<sup>3</sup>

\*- تداولية مُدمجة: في مقابل تداولية جذرية، هو تيار تداولي، ممثله "أوزفالد ديكرو" (Oswald Ducrot)، وهو يعني التداولية المدمجة في اللسانيات (الجانب الدلالي)، وممارساتها الإجرائية تمسّ النظرية الحجاجية، وهي تدافع عن أطروحتين:

أ- تصوّر لا وصفي للغة، أي أن اللغة تبليغ أعمالا لغوية (الأمر والوعد والتمني والإخبار والحجاج)، فهي لاتصف حالة أشياء (أفعال تمثيلية). ب- أطروحة الحالة الانعكاسية (الإحالة الذاتية)، ويقصد بها: "إن معنى قول ما هو إلا صورة من عملية إلقاءه". ينظر: جاك موشلر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2010، ص:35. وأيضا صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية-دمشق، ط1، 2011، ص: 30، 31.

1- ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص: 252.  
2- Oswald Ducrot / Tzvetan Todorov :dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éditions du Seuil , 1<sup>re</sup> publication ,1972 ,Paris, p:423.(partie: Langage et action).

3- حمو الحاج ذهبيّة: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية، في إشكالية التحوّل والتطور، سلسلة التداوليات وتحليل الخطاب، إشراف وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحمن، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1435هـ-2014م، ص: 157.

### 3- في تحديد المصطلح (الموضوع والمفهوم):

في الوسط الغربي تتعدّد التسميات، «وينبغي تمييز الرهانات الاصطلاحية بطريقة تسمح بتحديد الطيف النظري للذريعات بصورة أكثر صرامة»<sup>1</sup>، فهناك "ذريعات فلسفية"، وهي لا علاقة لها بالدرس اللساني، وهناك "ذريعات لسانية"، وهو مصطلح يحيل «إلى مجموع النظريات المعدة انطلاقاً من إدماج التصورات والمنظورات التي تشتغل بها فلسفة اللغة العادية، وتخصّص تعبير "ذريعات اللغة" للإحالة إلى مجموع النماذج ذات الطابع الذريعي التي موضوعها دراسة مختلف مظاهر اللغة غير اللفظية (الأنساق الثقافية بكونها أنساق تواصل مدمجة أساساً)»<sup>2</sup>. إذا فالنظرية التداولية تمسّ مجالات تطبيقها أنساق التواصل اللغوية في مظاهرها غير اللغوية، أي أنّها نظرية في التواصل، ومعنى خطاب ما لا يتحدّد من المنظور التداولي إلا بالنظر إليه من الناحية السياقية، لذا فالسياق، وما يحوي من إحالات متنوّعة؛ هو المحور الأساس في تحديد مفهوم التداولية.

«غالبا ما تعرّف التداوليات بعلم السياق»<sup>3</sup>، ولا يظهر دور السياق إلا بالأداء الفعلي للكلام\* يعني الاستعمال المادي والمحسوس للغة، وهذا هو الفرق الجوهرى بينها وبين اللسانيات البنيوية، إذ نقول عن قضية ما إنّها تداولية «إن كانت لا تتعلّق ببنية اللغة، وإنّما تتعلّق باستعمالها»<sup>4</sup>، ومجال التداولية «وإن كان يتعلّق بصفة أساسية باستعمال اللغة، فإنّه يرتبط بقضايا ليست لغوية بالمعنى الضيق للكلمة، مثل قضايا الاستدلال والاستعمال التقريبي والاستعارات والفهم المرتبط بالسياق وقوانين الخطاب... الخ»<sup>5</sup>، ونفهم من هذا الكلام أنّ مجال استعمال اللغة هو مجال واسع، له مظاهر متعدّدة، ممّا أدّى إلى تعدّد مجال

1- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 352.

2- المرجع نفسه، ص: 353. وللتوسّع ينظر أيضا: James Slotta :Pragmatics, October 2018, [http:// www.researchgate.net/puplication/328529101-pragmatics](http://www.researchgate.net/puplication/328529101-pragmatics).

3- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 353.

\*- هناك جمل، إذا لم نرجع إلى السياق الذي قيلت فيه لا يتحدّد معناها، مثل: "زيارة الأقارب مكلفة".

4- جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 12.

5- نفسه.

التداولية في حد ذاتها، «إذ يمكن القول بوجود تداوليات، تداولية اللسانيين، وتداولية البلاغيين، وتداولية المناطق والفلاسفة... الخ»<sup>1</sup>، وأدى هذا التنوع إلى وجوه متعددة، عرفت

بها التداولية بناء على ما اقترحه ليفينسون (Levinson.S.C) في كتابه Pragmatics<sup>2</sup>:

**التعريف الأول:** مادام التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين الكلمات، والدلالة بحث في المعنى وما يعكسه من أشياء (لموسة أو مجردة)، فإن التداولية دراسة للاستعمال اللغوي Language Usage الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

**التعريف الثاني:** التداولية دراسة للمبادئ التي توهّلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم.

**التعريف الثالث:** دراسة للغة في إطارها الوظيفي أو من وجهتها الوظيفية Functional Perspective وهذا يعني شرح وفهم البيانات اللغوية بالاعتماد على علل واستدلالات غير لغوية Nonlinguistics.

**التعريف الرابع:** التداولية جزء من الإنجاز Part of performance (بمفهوم تشكوميكي) وهذا ما ذهب إليه كاتز (Katz-fodoi) حيث اعتبر النظرية التداولية، أو نظرية الانتقاء التركيبي Theory of Setting Sélection تتعلق بدراسة الجمل الصحيحة في سياقاتها.

**التعريف الخامس:** التداولية دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة.

**التعريف السادس:** التداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمّى بأفعال اللغة Speech Acts.

**التعريف السابع:** التداولية دراسة كل مظاهر المعنى Aspects of Meaning من غير فصلها عن نظرية الدلالة، إلا أن الدلالة محدودة في عنصر شروط الصدق Thruthitions في حين تتناول التداولية التعبيرات التي لا تعلّل بشروط الصدق (الملفوظات الإنشائية، عليها مقامية إنجازية).

1- إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2006، ص: 263.

2- ينظر المرجع نفسه، ص: 263، 264.



تعني التداولية أيضا في القاموس الموسوعي للغة الفرنسية ( *dictionnaire encyclopédique de la Française* ): «ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية»<sup>1</sup> وطبيعة هذا المستوى اللساني الخاص كما أسلفنا الذكر، يتجاوز الجانب الشكلي للغة (البنوي)، ولا يقف عند الدلالة الظاهرية والحرفية للغة، «بل إنّ بعضا مما يعين على التأويل، وتوجيه حرفية اللغة إلى غير وجهتها، هو من غير جنسها بالأساس، كمظاهر الضجيج وتعبيرات الوجه، وأوضاع الجسد، وحركات الأيدي ( *Communication non Verbale* )، ومحتويات الوعائين الزماني والمكاني، مما له كبير الأثر في الإيحاء والفهم، وكلها عوامل، متى أسيء استغلالها، ترتب عليه تشويه المقاصد، وإعاقة الوصول إلى لبّ نتاج الدلالة الحقّة، التي هي وليدة علاقة العلامات بمستعملها، بوصفهم أحياء عاقلة، ذوي أبعاد متعدّدة»<sup>2</sup>، ونجاح المتكلم في تبليغ مقاصده يعني نجاح العملية التواصلية، وأنه يتمتع بما يسمى بالقدرة التبليغية ( *Compétence communication* ) والقدرة التبليغية هي محط اهتمام الحقل التداولي، إذ يطلق عليها «لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية»<sup>3</sup>.

وهذا ليس معناه أن التداولية تهمل أو تلغي في إجراءاتها التحليلية مستويات اللغة الأخرى نهائيا، فالملكة التبليغية لا تتحقّق عند الفرد إلاّ إذا كان يتمتع بملكة لسانية\*\* والتمثّلة في معرفة قوانين وقواعد بنية اللغة، فمستويات اللغة كما هو معلوم تعمل متضافرة

1- ينظر: سعودي نوري: في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلم، الجزائر، ط1، 2009، ص: 18.

2- المرجع نفسه، ص: 19.

\*- الملكة التبليغية من المقولات المهمة التي جاءت بها اللسانيات الوظيفية، وهي تعني أن يكون متكلم اللغة قادر على التبليغ وفق المواقف الخطابية المتنوعة، أي يحقّق فيها قاعدة «لكل مقام مقال»، وهي لا تتحقّق إلا بوجود الملكة اللسانية ويرى مسعود صحراوي أن مفهوم الملكة التبليغية استطاع أن يسد ولو جزئيا النقص الذي اتّصفت به البنيوية فيما يتعلق بإهمالها لوظيفة اللغة التواصلية.

3- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص: 01.

\*\* - الملكة اللسانية: معرفة المتكلم بقواعد اللغة، حيث يحقّق السّلامة اللغوية أثناء النطق.

في تحديد المعنى، والتداولية لا تقتصر على دراسة جانب محدد من هذه المستويات «بل من الممكن أن تستوعبها جميعا»<sup>1</sup> على حد تعبير (Verschueren, Jef)، ودليل ذلك تلك العلاقة التي تربطها بعلوم اللغة، ونقاط الاشتراك، كعلم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وتحليل الخطاب، علم النحو والبلاغة.<sup>2</sup>

والتداولية في دراستها للمعنى، تعتمد على آلية التأويل، انطلاقا من علاقة اللغة بالواقع أو العالم الذي تمثله، وكيف تمثله؟، سواء أكان النص مكتوبا أو شفهيًا، وهي تلتقي في العملية التأويلية مع علم السميولوجيا والهيرمينوطيقا، اللذين ينظران إلى النص على أنه مجموعة من الرموز والعلامات، تحتاج إلى فك شفراتها وتأويلها، و «الظاهرة التأويلية تحمل في ذاتها الحوار الأصيل ذي البنية: سؤال/ جواب، فعندما يطرح النص نفسه كموضوع للتأويل فهو يطرح سؤالاً على المؤول، وبهذا المعنى، فالتأويل يحتوي دائما على إحالة مهمة للسؤال المطروح على أحدهم، وفهم النص هو فهم هذا السؤال، وهو ما ينتج الأفق التأويلي».<sup>3</sup>

#### 4- البراكماتيك في رأي عبد الرحمن الحاج صالح:

يرى "عبد الرحمن الحاج صالح" «أن الكثير من العلماء الغربيين يجعلون البراكماتيك ميدانا قائما بنفسه، ومن ثم جعلوه دراسة علمية تقابل التراكيب والدلالة»<sup>4</sup>، منطلقين في ذلك من ثلاثية موريس وبيرس، ولعبد الرحمن الحاج صالح رأي مخالف لهذا التقسيم انطلاقا من الثنائية العربية وضع واستعمال.<sup>5</sup>

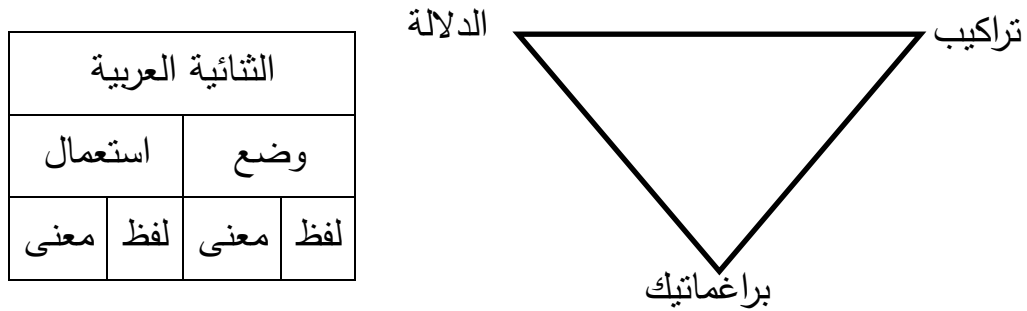
1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 10.  
2- التداولية في علاقتها بالعلوم اللغوية: ينظر أحمد نحلة: (م س)، ص: 15، 16 وبوجادي خليفة: (م س)، ص: 123-134، ونواري سعودي (م س)، ص: 21 وما بعدها، وفي علاقتها بالنحو والبلاغة، ينظر صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية: (م س)، صفحات متفرقة من الكتاب.

نقلا عن: عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهيرمينوطيقا 3-Gadamarvevite et methode, op.cit, p: 393  
العربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الفارابي، لبنان، ط1، 1428هـ - 2007م، ص: 33.

4- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب (3)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، (د.ط)، 2012، ص: 215.

5- المرجع نفسه، ص: 216.

الثلاثية الغربية



«فتركيب/دلالة/استعمال (لفظ/معنى/استعمال) يقابلها عند قدماء النحاة ثنائية، ركانها معها وضع اللغة واستعماله لفظا ومعنى: فلا ينفرد اللفظ والمعنى بل يوجدان ضرورة في كل من الوضع والاستعمال، ولا يوجدان إلا فيهما، فهناك لفظ وضعي خالص ومعنى وضعي خالص وإن كان كلاهما مجردا، كما أن هناك لفظا خطابيا ومعنى خطابيا ومعنى خطابيا بتحول الوضعي منهما إلى ما هو عليه في الاستعمال ولا بد أن يصاب بتغيير حتى ولو جاء على أصله)، وليس هناك تقابل بين اللفظ والمعنى من جهة وبينهما وبين الاستعمال من جهة أخرى كما هو واقع في الثلاثية الغربية»<sup>1</sup>، ودي سوسير لما جاء بثنائية (اللغة والكلام)، وخصّص اللغة كموضوع للسانيات، جعلها قائمة على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبية والمعجمي، كلّها مجتمعة تكوّن النظام اللغوي في جانبه الوضعي الاصطلاحي، أما موضوع الكلام فهو موضوع لسانيات الكلام أو التلّفظ التي قال بها "بنفنيست" فهي الأداء الفعلي، الملموس للغة في مقابل جانبها التجريدي، وبديهي أن يكون استعمال اللغة قائما على تلك المستويات، والكيفية التي تؤدّي بها خاضعة لأحوال الخطاب من تغير في القاعدة والمعنى أو ورودها على الأصل، و«وجود اللغة رهين بوجود الكلام من ناحية الإنجاز»<sup>2</sup>. والقاعدة الثلاثية الغربية التي تتحدّد في موقعية البراغماتيك بالمقابل مع المستويات اللغوية الأخرى، هناك من خالفها في اللسانيات الغربية، وقد ذكر "عبد الرحمن الحاج صالح" لسانيين فرنسيين، هما: إميل بنفنيست (E. Benveniste) وجان كانيويان (Jean Gagnepain).

1- المرجع السابق: ص: 215.

2- حمو الحاج ذهبية: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، ص: 153.

توصّل "جان كانيوبان" إلى الفصل بين الوضعيّ وبين الاستعمالي، وأنّ لكل منهما قوانينه واضطراباته الخاصّة به، ونظريته قريبة جداً من الرّؤية العربية، وهو يسمّى Sémiologique ما يسميه "بنفينيسيت" "Sémiotique" أي الدّلالة التي هي صادرة من وضع اللّغة، وسميت الدّلالة الوضعيّة، وهي تقابل الدّلالة التي يسمّيها هذان العالمان: "Sémantique" ككلّ دلالة غير لفظيّة، أي غير وضعيّة، وهي في التّخاطب تتجاوز القرائن، وكلّ ما يحيط بالخطاب أو يدخل فيه من الدّلائل<sup>1</sup> و«قد يعرف كل اللّسانيين الغربيين أهمية ما تقوم به دلالة الحال، وكلّ الدلائل الخارجة عن الدلالة الوضعيّة اللفظية إلا أنّ أكثرهم كان يلتبس عليهم الأمر وخاصّة البنيويين، فيتجاهلون ولا يبالون بالفرق»<sup>2</sup>.

### ثانياً: أهم مفاهيم التداولية

علم التداولية هو علم يدرس اللغة أثناء استعمالها، أي كلّ ما يتّصل وله علاقة بالأداء الفعلي للكلام، بعيداً عن كلّ ما ينتمي إلى اللّغة في جانبه التّجريدي، أي أنّه «يشمل ما نعنيه حين نتكلّم عن المعنى أو المغزى "الفعلي" للكلام تمييزاً عن المعنى اللّغوي الوضعي الذي هو موضوع علم الدلالة»<sup>3</sup>، وعليه فالمفاهيم والمبادئ التي قام عليها هذا العلم مرتبطة بالسياق وبمقاصد المتكلّم وتلويحاته ومن أبرزها:

#### 1- نظرية أفعال الكلام:

يجمع الباحثون على أنّ نظرية أفعال الكلام هي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللّسانيات التداولية، وهي في الأصل قضية فلسفيّة ممثّلة في سلسلة من «المحاضرات الشهيرة التي ألقاها الفيلسوف اللّغوي الإنجليزي (أوستن) في جامعة (هارفرد) الأمريكيّة في عام 1955، والتي اشتهرت باسم (محاضرات وليم جيمس) ثم نشرت عام 1962 بعد وفاة (أوستن) من قبل أحد طلابه (أيرمسن Urmson) على شكل كتاب بعنوان: "كيف نفعل

1- عبد الرحمن الحاج صالح: (م س)، ص: 218.

2- نفسه.

3- هشام إ. عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، لبنان، ط1، 2007، ص: 26.

الأشياء بالكلمات "How to do things with words" <sup>1</sup>، وهذه الفكرة عند "أوستين"، جذورها ضاربة إلى سنة 1939، إذ كانت له محاضرات بعنوان: "الكلمات والأفعال" "Words and deeds" <sup>2</sup>، ومصطلح "أفعال الكلام" \* كما هو معلوم، ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Speech acts)، ويرى الباحث "العايشي أدراوي"، أن مصلح الفعل هنا، لا نقصد به "الصيغة بمعناها الصرفي والنحوي أي (Veuo)، وإنما الفعل بمعنى "الحدث" (ActLaction)، ولفهم معنى الفعل كما يقدمه "أوستين"، ينبغي علينا استحضار باب إنجاز الفعل الإداري، والمعروف بمصطلح القرار الإداري. <sup>3</sup>

تتطلق نظرية فعل الكلام عند "أوستين"، من أن اللغة «ليست مجرد وسيلة للوصف والإخبار، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه» <sup>4</sup>، أي للأفعال الكلامية دور في إقامة حدث اجتماعي معين، كالتهنئة، أو التحية، أو النهي، أو اللون... الخ <sup>5</sup>، وهذه الفكرة مستوحاة من "لودفيك فنتشتاين" (L. Wittgenstein) الذي يرى أن اللغة قد تستخدم لوصف العالم من حولنا إلا أن هناك حشدا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم، كالأمر، الاستفهام، الشكر، اللعن، التحية والدعاء... الخ، وأطلق عليها ألعاب اللغة. <sup>6</sup>

لم ينفرد "أوستين" وحده بفكرة الأعمال اللغوية، فقد شاطره الفكرة "ريناتش" (Reinach)، في طرحه لموضوع "الأعمال الاجتماعية"، وكل واحد منهما يلح «على ضرورة إقامة حد

1- المرجع السابق، ص: 39.

2- نفسه، ص: 39، 40.

\*- يذكر الباحثون مصطلحات أخرى لنظرية "الفعل الكلامي" منها: نظرية الحدث الكلامي، نظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية.

3- العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1432هـ-2011م، ص: 73.

4- المرجع نفسه، ص: 77.

5- فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص: 26.

6- محمود أحمد نحلة، (م س)، ص: 60.

فاصل بين الأقوال التي يمكن أن تستند إليها قيمة صدقية والأقوال التي لا يمكنها ذلك، إلا أن بينهما فروقا»<sup>1</sup>.

كما قدّم "غردينار" (Gardiner) عددا من الملاحظات التي مهّدت لنظرية "أوستين"، واستبقت بعض أفكار "غرايبن"<sup>2</sup>.

مرّت النظرية الأوستينية بمرحلتين: «تتعلّق المرحلة الأولى بالتمييز بين الإثباتات التي تحقّق عملا والإثباتات التي تصف واقعا، وفي المرحلة الثانية تصبح الإثباتات التي تصف واقعا، حالة خاصّة (جدا) من الإثباتات التي تحقّق عملا»<sup>3</sup>، وهدف أوستين من هذا التقسيم والتفريق هو أن يشكّك في المسلّمة القائلة بأنّ الجمل الخبرية دائما إمّا صادقة أو كاذبة، أي الطابع الوصفي للغة، وهو ما أسماه "الوهم الوصفي"<sup>4</sup>، وذلك بعدما لاحظ أن هناك أقوالا أو ملفوظات حتى الإثباتية (الخبرية، الوصفية) منها لا نستطيع الحكم عليها بأنّها صادقة أو كاذبة<sup>5</sup>، وذلك لأنّها لا تصف واقعا وإنّما تعمل على تغييره<sup>6</sup>، إنّها ملفوظات تسمح بإنجاز فعل<sup>7</sup>.

وقد حدّد لها أوستين مميزات<sup>8</sup>:

أ- لا تصف شيئا فهي إذن لا صادقة ولا كاذبة.

ب- توافق إنجاز عمل.

1- جاك موشر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 46.

2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص: 56.

4- ينظر إلى: ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س) ص: 354، وجاك موشر، آن ريبول: أ- القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 56. ب- التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمّد الشيباني، المنظّمة العربيّة للترجمة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص: 30، واستعمل جون سيرل مصطلح "الأغلوطة الخبرية" في كتابه "الأعمال اللغوية".

5- جاك موشر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 56.

6- آن ريبول، جاك موشر: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص: 30.

7- ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 355، وهشام إ. عبد الله الخليفة: (م س)، ص: 40.

8- جاك موشر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 57.

وقد أطلق عليها مصطلح "إنشائية" ولها ترجمات أخرى: إنجازية، أدائية ومثل لها بعدة أمثلة منها:

أ- نعم أقبل (في صيغة الزواج).

ب- أسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث.

ج- أراهنك على عشرة دنانير بأن السماء ستمطر.

وتحقق صفة الإنجازية مرتبط بالمقام، أي الموقف الخطابي الملائم، وما يخضع له من قواعد وشروط ضرورية ومشاركة ومعلومة من قبل أفراد الجماعة الواحدة.

ونجاح أفعال الكلام يمثل عدد من القيود:<sup>1</sup>

**1- اللسانية:** استعمال صيغ بعينه.

**2- المجتمعية:** المتكلمون ينبغي أن تسند لهم السلطة أو الوضع الذي تتطلبه الحالة، في زمان وكان مناسبين.

**3- النفسية:** الاستعداد العقلي للمتكلمين ينبغي أن يكون مطابقا لنمط الالتزامات المتعاقد عليها، والقيود النفسي هنا يعني القصديّة، أي البعد القصدي للتواصل، أي «نية إنجاز الفعل»<sup>2</sup> وهو ما تحدّد توفيق أو إخفاق الفعل الكلامي المنجز.

وتخصيص "أوستين" لبعض الصيغ المعجمية الخاصة بالوعد، والتدشين، والزواج.... لتعبّر عن الفعل الكلامي لا يعني أن الخاصية الإنجازية «خاصية معجمية جوهرية، ولكنها خاصية كامنة تتوقّف على ظروف الخطاب»<sup>3</sup>، فمن الصيغ المعجمية ما يحقق الإنجازية، ومنها ما لا يحقق. ولذلك فإنه «لا يكفي استخدام الكلمات التي تُنتج عملا نطقيا تنفيذيا للعمل المطلوب إنجازه، فمن الضروري السياق المناسب»<sup>4</sup>.

1- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي، (م س)، ص: 355، 356.

2- ينظر العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص: 86، وقد بسط كل من جاك موشر وأن ريبول قضية الفعل الكلامي وعلاقتها بالمشاعر والأفكار والنوايا بالتفصيل والتمثيل، كما طرحها أوستين في قاموسهما: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 57-59.

3- ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 357.

4-Les actes de langage, <http://psydoc-fr.broca.inserm.fr/linguistique/actes.html> (Psydoc-France).

وبالنظر إلى القوة "الإنجازية" لفعل الكلام، ومن خلال مجموعة من النماذج والأمثلة، قسم "أوستين" الملفوظات الإنجازية إلى تصريحية\* (فعل كلامي مباشر)، وملفوظات إنجازية ابتدائية (فعل كلامي غير مباشر)، ومن التعديلات التي أجراها أوستين في مرحلة ثانية من البحث، هو وضعه فرضية جديدة تبين تلك السيرورة المعقدة للفعل الكلامي، إذ جعله مكوناً من ثلاثة أفعال، يقوم بها المتلفظ عند النطق بأية جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة، وهذه الأفعال هي:<sup>1</sup>

1- فعل القول (Locutoire): يتمثل في فعل إحالة (المقول بما هو مقول)، أي النطق بجملة لها معنى وإشارة محددة.

2- الفعل الإنجازي: يرتبط بما أنجز عندما نقول ما نقول، والذي أنجز هو الذي يحدد القيمة (العمل المتضمن في القول) التي تعطى للكلام، لأنه يكشف عن قصد المتكلم، كأن يعد، يُخبر الخبر، يحجب، ينذر... الخ.

3- الفعل التأثيري (عمل التأثير بالقول) (Perlocutoire): وهو الذي نحققه بواسطة قولنا شيئاً ما، ويتبين ذلك من خلال الأثر (effet) الذي يحدثه الكلام لدى المخاطب.

ونفهم من هذا التفريع للفعل الكلامي هو السعي الجاد لـ"أوستين" في محاولته لوضع الحدود الضابطة بين ما هو إنشائي (إنجازي)، وما هو وصفي (خبري، إثباتي)، فإذا كان الفرع الأول يمثل ما هو وصفي (فعل القول)، فإن الفرع الثاني يمثل ما هو إنشائي، مع ملاحظة أوستين أن «المتكلم في الإثباتات يحقق عملاً متضمناً في القول مثلما يحقق ذلك

\*- الملفوظات الإنجازية التصريحية المباشرة، فعلها ظاهر: أمر، حضّ، دعاء، نهي بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم، والملفوظات الإنجازية غير الصريحة، الضمنية وغير المباشرة، فعلها غير ظاهر، مثل: "الاجتهاد مفيد"، تحمل أمراً أو حقاً ونصحاء...، ينظر خليفة بوجادي، (م س)، ص: 96.

1- تتعدّد الترجمات لهذه المكونات الثلاثة، وهنا اعتمدنا عدّة مراجع منها المترجمة إلى العربية، أو العربية بالأصل، وهي: جاك موشلر وأن ريبول: القاموس الموسوعي، ص: 65، ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 359، أن ريبول، جاك موشلر: التداولية اليوم، ص: 32، هشام إ. عبد الله خليفة: (م س)، ص: 79، 80، العياشي أدراوي (م س)، ص: 86، خليفة بوجادي: (م س)، ص: 96، 97، مسعود صحراوي: (م س)، ص: من 55 إلى 57، محمود أحمد نحلة: (م س)، ص: 68.



حين يحدّر أو يصرّح<sup>1</sup> وفي هذه الحالة دائماً نرجع إلى ظروف الخطاب، فهي وحدها الكفيلة بتحديد ما ينتمي إلى فعل القول، أو ما ينتمي إلى العمل المضمّن في القول، وللتّمييز أكثر بين العمل القولّي، والمتضمّن في القول، فقد جعل أوستين القوى الإنجازية المتضمّنة في القول (أي الإنشائية)، خمسة أقسام<sup>2</sup>:

أ. صنف الحكميّات (الإقرارية) (Verdictifs): وهو يوافق أفعالاً مثل: برأ، أدان، أصدر، صنّف، قيّم... الخ.

ب. صنف الممارسيّات (التمرّسية) (escercitifs): أمر، قاد، أوصى، عفا... الخ.

ج. الوعديات (التكليف) (Comessifs): وهي تلزم المتكلّم بتبني موقف ما، مثل: وعد، نذر، ضمن، راهن، أقسم... الخ.

د. صنف السلوكيات (Comporatifs): الذي يستلزم موقفاً أو رد فعل بإزاء سلوك الآخرين أو وضعيّتهم، ويوافق أفعالاً، مثل: اعتذر، شكر، شجب، نقد، تحدّى... الخ.

هـ. صنف التّبيينات: (العرضيّة التّقديميّة) (Escpositifs): يستعمل هذا الصنف في أعمال عرض، ويوافق أفعالاً مثل: أثبت، نفى، سلّم، لاحظ... الخ.

إن نظريّة أفعال الكلام عند "أوستين" هي بمثابة مشروع برنامج، وهذا ما نفهمه من خلال التطورات التي عرفتها النظريّة، وقد استأنف هذا البرنامج بعد "أوستين" مع تلميذه ج. ر سيرل (J.R. Searle)، وأعاد بناء النظريّة، خاصّة فيما يتعلّق بتصنيف الفعل الكلامي\*.

ضمّت نظريّة "سيرل" جانبين؛ جانب يتعلّق بفحص شروط نجاح العمل اللّغويّ، ومثاله المميّز "الوعد"، وجانب يتعلّق بتصنيفيّة الأعمال اللّغوية<sup>3</sup>، والفعل الكلاميّ عنده كيّان بوجهين، يضمّ محتوى قضويّاً (Propositionnel)، وقوّة قضويّة، يبرزها أو لا يبرزها واسم للقوّة

1- جاك موشر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية، ص: 66.

2- ينظر نفسه؛ وينظر أيضاً: ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 360.

\*- عرض سيرل برنامجه في كتابه "الأفعال اللّغوية" بحث في فلسفة اللغة الذي صدر بالإنجليزية عام 1969 بالإنجليزية  
Speech and، وترجم إلى الفرنسية 1972.

3- جاك موشر، آن ريبول: (م س)، ص: 67.

اللاعبارية (أي المتضمنة في القول)<sup>1</sup>، وعملية التصنيف عند سيرل دعمها بمجموعة من الأمثلة، داعيا تخيل ظروف خطابية مناسبة، وهذه الأمثلة هي:<sup>2</sup>

1. يدخن زيد كثيرا.

2. هل يدخن زيد كثيرا.

3. زيد، دخن كثيرا.

4. عسى أن يدخن زيد كثيرا.

وحسب "سيرل"، فالمتكلم من خلال هذه الأمثلة، ينجز عملا لغويًا، إضافة إلى أنه يحيل على شيء ويعينه، وهو زيد، وهو حين يُلقى أيّ واحدة من الجمل الأربع السابقة الذكر، إنّما يُنجز فعليًا وعلى الأقلّ ثلاثة أصناف مختلفة من الأعمال:<sup>3</sup>

أ. يقول كلمات (صرافم، جملا).

ب. يحيل على شيء، ويحمل شيئًا على شيء.

ج. يثبت، يستفهم، يأمر، يعد... الخ.

وأنواع الأعمال المنجزة من خلال ما سبق، سماها "سيرل" على التوالي:<sup>4</sup>

أ. قول كلمات: إنجاز أعمال قولية.

ب. الإحالة والحمل: إنجاز أعمال قضوية.

ج. الإثبات والاستفهام والأمر والوعد: إنجاز أعمال مضمّنة في القول.

نلاحظ هنا أنّه لم يهتم بما أسماه أوستين عمل التأثير بالقول، لأنّه في نظره هو جزء من العمل المتضمّن في القول، وأضاف ما يسمّى بالعمل القضوي، وتطرّق إلى الفعل

1- ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س)، ص361، ومصطلح القوة اللاعبارية هو نفسه القوة المتضمنة في الفعل أي الفعل الإنجازي.

2- جون ر. سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشباني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015، ص: 48.

3- المرجع السابق، ص: 50.

4- نفسه.

اللغوي في القول غير المباشر ونستنتج من العمل المتضمن، ويتفق الباحثون على أن سيرل أعاد تصنيف أنواع القوى المتضمنة في القول كما يأتي:<sup>1</sup>

1. الإقرايات (الإخباريات): أكد، لاحظ...الخ.
2. التوجيهيات (أمر، نصح).
3. الوعديات: (الالتزاميات): وعد، أقسم...الخ.
4. التعبيريات: (هنا، شكر...الخ).
5. التصريحيات: (أصدر مرسوما، افتتح جلسة...الخ).

لقد توسّع "سيرل" كثيرا في بسط أفكاره المتعلقة بنظرية الأعمال اللغوية نظريا وتطبيقيا، ومنها قضية الإحالة، بوصفها عملا لغويا، وبنية الأعمال المضمنة في القول، خاصة الوعد، وشروط نجاحه، ومظاهر وأسباب إخفاقه، كالوعد غير الصادقة، وأرسي القواعد المتعلقة باستعمال الأسلوب المؤثر على القوة المضمنة في القول، بالتمثيل والشرح والمفصل، والشروط الضرورية لعملية الإحالة، وما يتعلّق بها من مبادئ كمبدأ التعيين، وأيضا قضية الحمل، وقواعده، والفصل فيه إذا كان عملا لغويا أو لا، وغيرها من الموضوعات، لا يتّسع المجال لذكرها هنا.<sup>2</sup>

ونشير هنا إلى أنّ مساهمة "سيرل" في تطوير برنامج نظرية الأعمال اللغوية، لا ينفرد به وحده، بل بالاشتراك مع "فاندر فكن" (Vander Veken)، فكان عملهما «أول محاولة

---

1- ينظر ماري أن بافو، جورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 362 ومحمود أحمد نحلة: (م س)، ص: 78-80، وهشام إ. عبد الله الخليفة: (م س)، ص: 125، 126، وطالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص: من 30-33 وكلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1425هـ-2005م، ص: 132. وخالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ص: 405-508.

2- للتفصيل في هذه الموضوعات التي تطرق إليها سيرل، ينظر إلى كتابه: الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة من خلال فصول ومباحث الكتاب في النسخة العربية.

متكاملة لعرض النظرية بصياغة رمزية تستفيد من نتائج المنطق الحديث»<sup>1</sup>، وبيّن ذلك كتابهما المشترك "Foundations of Illocutionary Logic"، والصادر سنة 1983م.

تصنيفية سيرل للأعمال اللغوية تعرّضت للنقد، وإعادة النظر من قبل أنصار التداولية العرفانية، "د. سبيربر" (D. Sperber) و"د. ويسلون" (D. Wilson)، من خلال نظرية المناسبة ونقدهما تعلق بثلاث نقاط مختلفة هي:<sup>2</sup>

أ. طابعها المناهض لشروط الصدق.

ب. الافتراض القائل بأنّ لتصنيف الأعمال اللغوية دورا في تأويل الأقوال.

ج. الطابع الوضعي للأعمال اللغوية في النظرية الكلاسيكية.

فالعالمان "سبيربر" و"ويسلون"، يشكّكان في الفرضية القائلة بأن تأويل قول ما هو تحديد العمل المتضمّن في القول المتحقّق، فهذه فرضية لم يتم تبريرها بصفة مستقلة أبداً، وهي لا تصدق على جميع الأفعال الكلامية<sup>3</sup>، وتصنيف الأفعال الكلامية في نظرية المناسبة يقوم على ثلاث مجموعات:<sup>4</sup>

أ- أعمال يجب أن يعيّنهما في آن واحد المتكلم والمخاطب حتى تتحقّق، ويمكن تسميتها "مؤسسية أو ذات طابع مؤسسي، وهي توافق أعمالاً من قبل التعميد وإعلان الحرب والرهان، بل نجد أعمالاً أكثر استعمالاً في حياتنا اليومية، مثل: الوعد.

ب- الأعمال غير المؤسسية، مثل الإخبار والاقتراح والنفي والتّحذير... الخ.

وأعمال المجموعة الأولى ليست من صلاحيات اللسانيات التداولية، إنما هي تابع لدراسة المؤسسات، وأعمال المجموعة الثانية هي من صلاحيات اللسانيات والتداولية، لأنّها لا تتطلّب تعييناً.

1- طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، (م س)، ص: 13.

2- جاك موشر، أن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 77.

3- المرجع السابق، ص: 79.

4- المرجع نفسه، ص: 80.

ج- هذه المجموعة الثالثة لها قيمة خاصة جدًا في التداولية، وهي تختزل التصنيفات الخمسة للقوى المتضمنة في القول إلى ثلاثة أعمال لغوية فقط، وهي<sup>1</sup>: قال إن (Dire que) (الجمل التصريحية)، وأمر ب (dire de) وهي جملة الأمر، واستخبر عن (demander si)، وهي الاستفهام.

وتواصلت الانتقادات الموجهة لنظرية الأفعال الكلامية فيما يتعلق بكيفية التصنيف، ومنها النقد التوليدي، من قبل: ج. روس (J. Ros) وج. لاکوف (G. Lakoff) (1976)، إضافة إلى و.ج. ليكان (W.G. Lycan) (1984) وغيرهم.<sup>2</sup>

2- الاستلزام الحوارية (الفعل اللغوي غير المباشر):

سبق وأن تحدثنا عن قضية الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في تصنيفات سيرل في ذلك، إذ أن من أنواع الملفوظات الإنجازية ما هو صريح، ومنها ما هو ضمني يأتي في قالب لغوي معناه المؤول غير ما يعبر عنه هذا القالب من الناحية الشكلية، كأن تكون العبارة وصفية إخبارية، ولكن ظروف الخطاب تحيل إلى أن المتكلم يقصد إنجاز فعل لا مجرد إخبار، أو تكون في صيغة الاستفهام والمتكلم يقصد أمرا أو التماسا، مثل: هل تساعدني في إتمام هذا العمل؟، فالعبارة استفهامية، ولكن تأويلها الدلالي أن المتكلم يقصد أمرا يفيد الالتماس.

و"سيرل" في نظرية الفعل الكلامي تحدث عن قضية المعنى والخلفية المعرفية، والفرق بين المعنى الحرفي لعبارة ما، والمعنى الناتج عن التأويل من وجهة نظر ذريعية، فهو يشكك في صلاحية مفهوم المعنى الحرفي، وقدرات الخلفية عنده هي التي تسهل السيرورة التأويلية.<sup>3</sup>

ولتوضيح فكرة العمل اللغوي غير المباشر عند "سيرل" نستند إلى المثال الذي ذكره كل من آن ربول، وجاك موشر في كتابهما: "التداولية اليوم"، إذ يقولان: «فنحن نجد إلى

1- ينظر ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 365، وجاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 80.

2- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 365.

3- ينظر المرجع السابق، ص: 363، 365.

جانب صيغ الأمر الخالصة والبسيطة صيغا من الالتماس التي يتم التعبير عنها بصورة غير مباشرة»، إذ لا نقول: «ناولني الملح من فضلك؟»، ومن المسلم به في هذه الحالة أن جملة «هل تستطيع أن تناولني الملح؟» مرفقة ب: «من فضلك» أو غير مرفقة بها، ليست متكافئة من جهة الدلالة اللغوية التواضعية مع جملة «ناولني الملح» أو «أمرك بأن تناولني الملح»، فكل واحدة من هذه الجمل محكومة بقواعد مختلفة، وإذا عدنا إلى ما يقوله "سيرل" في شأن التعرف إلى مقاصد القائل، فإنَّ مَنْ يقول: «هل تستطيع أن تناولني الملح؟»، لا يقصد هل بإمكاننا أن نناوله الملح، بل يقصد أن نناوله الملح، إنّما ينوي تحقيق هذا المقصد بتعريفنا إياه بواسطة القواعد التواضعية المتحكّمة بتأويل جملة: «هل تستطيع أن تناولني الملح».<sup>1</sup>

وفي نظر "سيرل" أنّ المتكلم «لا ينجز عملا لغويًا واحدًا بل اثنين: عملاً أوليًا يتمثل في الالتماس الذي ينجز بواسطة عمل ثانويّ هو السؤال»<sup>2</sup>، وهو هنا يستند في عملية التأويل إلى مبدأ الدلالة التواضعية، والمعلومات المحصلة ذات الصلة بالمعرفة المشتركة، وأضاف بعد ذلك "مبدأ التعاون" الذي استعاره من "غرايس"، ومع ذلك بقيت الحاجة ماسة إلى البحث عن معيّنات، وأدوات تساعد على التأويل.

والفيلسوف "غرايس" (H.P.Grice)، واحد من المؤسّسين لنظريّة تداوليّة تخصّ الفعل اللّغوي غير المباشر، وقد أطلق عليه مصطلح "الاستلزام الحواري" بالمعنى الذي شرحناه سابقاً في تأويل جملة "هل تناولني الملح"، ويطلق على نظريته اسم نظرية "المُحادثة" (Conversatotion).

مفهوم الاستلزام الحواري ظهر مع نظرية "قرايس"، فقد «حاول أن يضع نحوًا قائمًا على أسس تداوليّة للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسّسة لعمليّة التّخاطب، فهو يؤكّد أنّ التّأويل الدّلالي للعبارات في اللغات الطبيعيّة أمر متعذّر إذا نظر فيه فقط إلى الشّكل الظّاهري لهذه العبارات».<sup>3</sup>

1- أن ريبول وجاك موشر: التداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، ص: 58.

2- المرجع السابق، ص: 59.

3- العياشي أدراوي: (م س)، ص: 17، 18.

وقد مثل لها غرايس بحوار بين الأستاذين أ و ب.<sup>1</sup>

- الأستاذ (أ): هل الطالب ج مستعدّ لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

- الأستاذ (ب): إنّ الطالب ج لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف "غرايس" أننا إذا تحمّلنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدلّ على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم، فمعناها الحرفي أنّ الطالب ج من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أنّ الطالب المذكور ليس مستعداً لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة.

ويقصد بالمعنى الحرفي: حمل المعنى على مقتضى الظاهر، المعنى الدلالي العام والبسيط دلالة ومعجماً، والمعنى المستلزم، أي المتضمّن في الكلام، غير الظاهر.

ونقطة البدء في نظرية غرايس هي محاولة وقوفه عند الفروقات بين المعنيين، ف: «النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّة إيضاح الاختلاف بين ما يقال /Wat is said/ وما يقصد wat is meant»<sup>2</sup>، «فإن تعني شيئاً ما لشخص ما هو بمثابة إقامة علاقة قصديّة» وأطلق غرايس على المعنى المقصود "المعنى غير الطبيعي" وهو عكس المعنى الطبيعي الذي «نسنده عادة إلى علاقات سببية مألوفة في الطبيعة: فالعاصفة ستكون علامة على سوء الأحوال الجوية، إن هذا النمط من المعنى يوافق تصوّر القرينة (indice) الذي حدّده بيرس (Peirce)، أما المعنى غير الطبيعي، فهو المعنى الذي نتوصّل إليه بواسطة القرينة المباشرة أو الصريحة، وهي التي تسمح للأخر باستنتاج القصد الذي نريد إبلاغه إيّاه كوضع نقطة مبدئية في اختبار نهائيّ تساوي رسوباً، وعموماً أفعال التّواصل التي هدفها المعلن هو جعل المتلقّي يتعرّف القصد الكامن وراء عملنا على إبلاغه قصدنا، وحدها تؤكّد مبدأ المعنى غير الطبيعي»<sup>3</sup>.

1- مسعود صحراوي: (م س)، ص: 45.

2- محمود أحمد نحلة: (م س)، ص: 33.

3- ماري أن بافو، وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 366، 367.

ويُتضح مشروع "قرايس" المتعلق أساساً بنظريته المؤسسة على الطابع القصدي للتواصل، في نظرية المحادثة (Conversation)، والتي حاول من خلالها أن يؤسس قواعد خاصة بظاهرة الاستلزام الحوارية، فأشار إلى ثلاث نقاط مهمة هي:<sup>1</sup>

أ. معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع.  
ب. المقام الذي تتجز فيه الجملة، ج. مبدأ التعاون (Coopération) وهذه النقاط هي محاور لنظرية المحادثة، والملاحظ عليها أنها في صميم البحث التداولي (الملفوظ والمتلفظ، متكلم ومستمع ومقام ومبدأ التعاون بين المتحدثين)، وبالاستئناس إلى تلك المحاور يمكن أن نحدد المعاني التي يتضمنها الخطاب.

ويقوم مبدأ التعاون على: «أن يكون إسهامك في المحادثة موافقاً لما هو مطلوب منك، في المرحلة التي وصلتها هذه الأخيرة، بموجب الهدف أو الاتجاه المقبول للتبادل الكلامي الذي أنت منخرط فيه».<sup>2</sup>

واقترح قرايس هذا المبدأ كحلّ يصف ويحلّ به العملية الخطابية سواء أ في حال التزامها بقواعد مبدأ التعاون أم في حال عدم التزامها، «فلسانيات الخطاب لم يعد الأمر معها يعني بوضع نظريات عامة لعملية الخطاب، وإنما انصبّ الاهتمام على العملية في حدّ ذاتها، ومن ثم طرحت جملة من الأسئلة من مثل: هل الخطاب عملية تبنى على قواعد؟ ثم ما نوعية هذه القواعد؟ وما مصير عملية الخطاب (أو التخاطب) إذا لم يتم الالتزام بالقواعد المذكورة؟»<sup>3</sup> في كنف هذه التساؤلات اقترح قرايس مبدأ التعاون الذي يقوم عنده على مجموعة من المبادئ والقواعد هي:<sup>4</sup>

1- العياشي أدراوي: (م س)، ص: 18.

2- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 368.

3- العياشي أدراوي: (م س)، ص: 17.

4- ينظر المرجع نفسه، ص: 99، 100، وماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 369، 370. ومسعود

صحراوي: (م س)، ص: 46، 47. ومحمود أحمد نحلة: (م س)، ص: 34-36 وهشام إ. عبد الله الخليفة: (م س)، ص:

161، 162 وأن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، ص: 270.



1- مبدأ الكم (القدر) (Quantité): اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف (Qualité): ونصّها: لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة (الملاءمة) (Pertinence): اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع أو "لتكن مشاركتك ملائمة".

مبدأ الطريقة (Modalité): التي تنصّ على الوضوح في الكلام وتنتفّرع إلى ثلاث قواعد فرعية: ابتعد عن اللبس، وتحرّر الإيجاز، وتحرّر الترتيب.

هذه هي المبادئ التي يتحقّق بها التعاون بين المتكلّم والمخاطب، وصولاً إلى حوار مثمر، إذ بتطبيقها في العملية الخطابية واحترامها دون خلل، يحصل التفاهم، والفهم المباشر، والمعنى يكون واضحاً، دون ملابسات أو إلتواءات، أمّا في حالة إذا ما حدث اختلال أو خرق لقاعدة من هذه القواعد، فإنّ المعنى يخرج من معناه الظاهر إلى معنى غير ظاهر، أي من فعل لغويّ مباشر إلى فعل لغويّ غير مباشر.

«ولا ينبغي أن يفهم من تلك المسلّمات أن "قرايس" أراد أن يخلق خطاباً مثاليّاً أو قانوناً جبريّاً، يؤدّي الحياض عنه إلى فشل العملية الخطابية، أي عملية الفهم والإفهام، بل إنّه من العسير، وغير البديهيّ أن يتمّ كلّ أداء فعليّ للكلام على ذلك النحو المثاليّ؛ باتّباع تلك المسلّمات».

وعليه نرجع إلى النقطة السابقة التي قلنا: إنّ هدف "قرايس" من وضع هذه القواعد هو إيجاد تفسير لظاهرة الاستلزام الخطابية (ظاهرة تحمل عدة مهمات: بلاغية وأسلوبية ودلالية و تداولية)، والمهمّة التداولية هي التي تهّمنا هنا «فتلك المبادئ التي تشير إلى القاعدة التعاونية تقدم في دراسات الخطاب وصفاً مضيئاً لكيفية حصول المستمعين (أو القراء) على المعلومات من التلقّظ»<sup>1</sup> وليس أيّ معلومة، وإنّما المعلومة المقصودة،

1- عزّة شبل محمد: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م، ص: 31.

والاستدلال عليها للوصول إلى التأويل الصحيح، فنظرية "قرايس" جاءت لتفسّر، وتؤسّس قواعد ومبادئ لمسألة دلالية تداولية حيّرت اللغويين، وهي: «كيف يتسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول فعلا (أي أكثر مما نعبر عنه حرفيا بالمعنى التقليدي المتعارف عليه للتعبير اللغوية المنطوقة)»<sup>1</sup>، وعليه فهي تقترح «نمذجة لآليات الاستدلال التي تميز اللغة الطبيعية»<sup>2</sup>، والنمذجة المقصودة هنا (القواعد) تتعلق بالملفوظ سواء أ كان في هيئة الفعل اللغوي المباشر أم غير المباشر، والهدف من كلّ ذلك في جميع وضعيات التّواصل هو نجاح العملية، ونجاحها قد يتطلّب نوعا من المجازفة، ممّا يخضعها لاحتمالية المعنى، إذ أن «الطّابع الاحتمالي للأهميّة التي يوليها لها كلّ واحد، هو الذي يجعلنا نعرف قيمتها التنظيميّة، إذ أنّ مجال استعمالها كبير، فالاستعارة (métaphore)، ونفي الضّد (litote)، والسّخرية (iranier) كلّها تأثيرات خطابية ناتجة عن خرق جزئي لا واع أو متعمّد لهذه القواعد»<sup>3</sup>، ومن مظاهر الخرق لقواعد التّعاون، فتخرّج من المعنى الظّاهر المباشر إلى معنى غير ظاهر، أي يستلزم من سياق الكلام في اللّغة العربيّة، بعض ما ذكره العياشي أدراوي:<sup>4</sup>

فمثلا عند خرق قاعدة الورد والملاءمة، يسأل (أ): ألا تعتقد أنّ فلانة عجوز شريرة؟، يجيب (ب): [ينوع من الاضطراب]: الطّقس جميل اليوم، أليس كذلك؟، فتفسير جواب (ب)، هو إنكار لاقتراح (أ) وتلميح له على أنّه ارتكب زلّة لسان، وفي سياق آخر، قد يقتضي الجواب، إثارة انتباه (أ) مثلا إلى وجود أحد أقارب "العجوز".

ونشير هنا إلى أن ظاهرة خرق قواعد التّعاون (الاستلزام الحواري) كثيرة تحدث يوميا بين المتخاطبين: «فالمتمكّم قد يخالف (Violate) إحدى القواعد سرّاً وبهدوء، كما في حالة الكذب أو عدم توفيره المعلومات الكافية أو ذات الصّلة، المتوافرة لديه، وهو قد يستغل

1- هشام إ. عبد الله خليفة: (م س)، ص: 159.

2- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 370.

3- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4- ينظر العياشي أدراوي: (م س)، ص: 114 وما بعدها، ذكر الباحث أمثلة كثيرة عن كيفية خرق قواعد التعاون كلها، وخروج المعنى إلى غير ظاهره.

القواعد أو يستخف بها (Flout)، أي يتقصّد وبصورة علنية أن لا يطيعها وفي هذه الحالة، يتولد تلوّيح متعمّد...»<sup>1</sup>.

ولا يُتوصّل إلى المعنى المستلزم إلاّ باعتماد مبدأ الاستدلال، والعلاقة القائمة بين الجملة المنطوقة والاستلزام الحواري لها، تسمّى استدلالاً تداولياً غير برهانيّ، وهو أحد المظاهر الإجرائية\* للتأويل التداولي، فهو لم ينقدح من الأشكال اللغوية للجملة ودلالاتها فحسب، وإنما أثارته أيضا معلومات لغوية وغير لغوية تتعلّق بالسياق.<sup>2</sup>

وفي ختام هذا الموضوع نشير إلى أنّ نظرية الاستلزام الحواري (بما فيها الفعل الكلامي غير المباشر) بحث فيها دارسون آخرون كـ(ليتس) (جيفري ليتس)، وكلّ من (باخ وهارنيس)، و(كازدر) و(سادوك) (Sadock)، و (كوردن وليكوف) (Gordan & Lakoff) وغيرهم. ولعلّ أهمّ مبدأ تداولي، بل هو الأساس الإجرائي الذي تقوم عليه كل المفاهيم التداولية، بما فيها نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري، وهو مبدأ "السياق".

### 3-السياق:

في محادثتنا اليومية نتلفّظ بملفوظات يحيط بها كثير من اللبس، أو عند النّظر إليها بمعزل عن المقام الذي قيلت فيه، قد تحتل أكثر من معنى، وهذا سيؤثر على نجاح العملية التبليغيّة، ويحول دون إبلاغ المقاصد، لأن السّامع سيطلب التّوضيح أكثر، أو يتجاهل ما سمع، كما في المثال التالي: يقول (أ): "زيارة الأقارب مكلفة"، فيلتبس الأمر عند (ب)، ولا يفهم أنّها مكلفة عندما نزورهم أم عند زيارتهم لنا، في هذه الحالة، سيستعين السامع (ب) بالمقام الذي تمّ فيه إنشاء هذا الملفوظ، وهو أن "أ" سيزور أم سيزار، حتى يفكّ اللبس، ولهذا كان للسياق أهمية كبرى في الوقوف على معاني الملفوظات، وتأويلها تأويلا صحيحا.

1- هشام إ. عبد الله الخليفة: (م س)، ص: 162.

\*- التأويل التداولي لا يقوم على الاستدلال فقط وإنما أيضا ما هو مرتبط باللسان، أي مستقر لغويا، ولا نحتاج إلى الاستدلال للوقوف على المعنى المقصود، وإنما سياق الكلام والحال.

2- للتوسّع في قضية الاستدلال اللغوي ينظر جاك موشرلو أن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، صفحات متفرقة من الكتاب.

\*- أصل هذا المثال بلا شرح ولا تحليل يعود إلى محمّد حماسة اللطيف في كتابه من الأنماط التحويلية.

دراسة السياق، استقطبت اهتمام جلّ الدارسين قديماً وحديثاً، وأكثر ما يتجلى الاهتمام في البحث اللغوي العربي القديم، أما الدراسات الغربية الحديثة، فقد أغفلت مدارس اللسانيات البنيوية مسألة السياق، لأنها عُتبت بالجانب الشكليّ للسان فقط، هذا إذا استثنينا آراء العالم "فيرث" (Firth) زعيم المدرسة الاجتماعية الإنجليزية الذي حثّ على دور "سياق الموقف" في تحديد المعنى، متأثراً بعالم الاجتماع "مالينوفسكي" القائل بسياق الموقف، والسياق الثقافي، وتأكيداً على أهمية العودة إلى الخلفية الثقافية للنصوص، وضرورة العلم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب لأيّ رسالة كلامية (كما حدث فعلاً).<sup>1</sup>

ومع تطوّر البحث اللساني، من لسانيات الجملة، إلى لسانيات النصّ والتلفظ إلى التداولية؛ تواصلت الدراسات المتعلقة بالسياق، فلسانيات النصّ ولسانيات الخطاب وتحليل الخطاب والتداولية، هي ميادين لسانية تهتم بالأداء الفعلي والواقعي والحي للكلام، إذ أنّها تؤكد على أهمية السياق أو المقام في التحليل الدلالي والسّمائي والتداولي للخطابات، أي لا يمكننا الوقوف عند المعنى المقصود، وتبليغ الرسالة كما ينبغي بمعزل عن السياق، والبحث التداولي خاصة جميع إجراءاته التحليلية ومفاهيمه تقوم على السياق، فهو «علم استعمال اللغة».

ولأهمية السياق، وتعدّد مستويات المتخاطبين وأغراضهم، فقد حدّدت التداولية مستويات مختلفة للسياق:<sup>2</sup>

- **السياق الظرفي:** وهو يوافق المحيط المادي المباشر للفاعلين (الفضاء، الزمان، طبيعة التواصل وبنيته).
- **السياق الوضعي:** يتوافق مع المحيط الثقافي للخطاب، وبصفته هذه فهو يحدّد معايير للصحة (هناك تعابير ينظر إليها باعتبارها تعابير عادية في ثقافة معينة، ويتبين أنها

1- ينظر عزة شبل محمد: علم لغة النص، (م س)، ص: 3.

2- ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: (م س)، ص: 353، 354.

غير لائقة في ثقافة أخرى)، وهو يعمل كمصفوفة أجناس وفقا للتطبيقات التي يحددها.

• **السياق التفاعلي:** يحدّد صور الخطاب ونسق العلامات المصاحبة له (دورية الكلام، حركات).

• **السياق المعرفي (أو التضميني) (Présuppositionnel):** يشمل مجموعة المعتقدات والقيم المشتركة بين المتكلمين، إما قبلها (ما قبل البناء) أو بعديا (البناء).

السياق يدلنا على المؤثرات التي تدخلت لبناء مقاصد المتخاطبين وتتبعها بالضرورة كيفية بناء الخطاب المتمثلة في مجموع الأدلة اللغوية المنظومة في صور كلامية متنوعة لتتلاءم وتلك المقاصد، وعليه، فالسياق والقصدية مكّونان متلازمان في صنع الحدث الكلامي، وعليهما مدار العملية التّواصلية برمتها في أنظمتها اللغوية وغير اللغوية. ولذلك خصّ البحث التداولي مفهوم القصدية باهتمام خاصّ، إن لم نقل هي غايته الكبرى.

#### 4- القصدية:

لم يكن مفهوم القصدية مفهوما ذا أهمية في الدراسات اللسانية الحديثة (المدارس البنيوية)، وتبلوره كمقولة لغوية كان في لسانيات النصّ، فهو معيار من معايير التحليل اللغوي فيها، وشرط من شروط تحديد النصّية\* التي تجمع بين الدراسة الشكلية للنصوص (البنية) وتحليل وظيفتها، والقصدية تنتمي إلى دائرة الإجراءات\*\* التي تقف عند تحديد وظيفة النصّ، ومدى تأثيره على المتلقّي، ومدى نجاح مقاصده، بل إن القصدية عند أ. أو. جروسه (E.W. Grob) هي وظيفة النصّ المتمثلة في وصف «قصد التّواصل لدى الباحث المعبر عنه بوسائل محدّدة وسارية عرفيا، أي مقدّرة بشكل ملزم في جماعة التّواصل، وكما يقال حول توجيهه (إرشاد) من الباحث إلى المتلقّي، على نحو ينبغي أن يفهم ذلك الأخير

\*- شروط النصّية أو معاييرها حددها علماء النصّ في سبعة معايير، كما هو الحال عند روبرت دي بوجراند De Beaugrande السبّك والالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلامية.

\*\* - من معايير النصّية التي تحلّل وظيفة النصّ دون بنيتها الشكلية: القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، والإعلامية، فهذه المعايير تتعلق أساسا بموقف منتج النصّ، وبمستقبله.

النص إجمالاً، مثلاً بوصفه نصّاً إبلاغياً أو بوصفه نصّاً استثنائياً»<sup>1</sup>، وتعد وظيفة النصّ «توجيهها للمستقبل حول صيغة الفهم التي أرادها المرسل للنصّ المعين»<sup>2</sup>.

يرى "كلاوس برينكر" (Klaus Brinker) أن مفهوم وظيفة النصّ يطابق المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامي للفعل الإنجازي<sup>3</sup>؛ وعلى الرغم من رأي كلاوس في أن هناك علاقة بين القصدية المحددة بوظيفة النصّ، وبين الوظيفة التي يؤديها الفعل الكلامي، إلا أنه في واقع الأمر هناك فرق بين قصدية لسانيات النصّ، والقصدية كمفهوم تداولي، فالأولى تعني «موقف منشئ النصّ من كون صورة ما في صور اللغة قصد بها أن تكون نصّاً يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل النصّ وسيلة Instrument من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغيّر للتغاضي (Tolerance) في مجال القصد، حيث يظلّ القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام»<sup>4</sup>.

أما من الناحية التداولية، فيتحدّد مفهوم القصدية بمدى نجاح الفعل الكلامي، (خاصة غير المباشر)، والحالات الذهنيّة المصاحبة له، وهي قضية عميقة عولجت ضمن نظرية القصدية كنظرية فلسفية ذات بعد تداولي، وهو ما قام به الفيلسوف "سيرل" في كتابه "القصدية"، بحث في فلسفة اللّغة (Intentionality, an Essay in the Philosophy of Mind)، ويهدف هذا الكتاب كما صرّح صاحبه «إلى تطوير نظريّة القصدية»<sup>5</sup>.

1- كلاوس برينكر: التحليل اللّغوي للنصّ، (م س)، ص: 122.

2- نفسه.

3- نفسه.

4- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ط، 1998، ص: 103.

5- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2009، مقدمة الكتاب.

ومن القضايا التي عالجها، قصدية الحالات الذهنية\*، وعلاقتها بقصدية الأفعال اللغوية، وهل هي نفسها أم لا؟، وفي صدد هذا قدّم كيفية اشتغال قصدية الأعمال اللغوية ليفسّر قصدية الحالات الذهنية<sup>1</sup> والمشروع الرئيسي لسيرل من وراء تناوله لمشكلات اللغة الفلسفية، هو تبيان «أن فلسفة اللغة فرع من فلسفة العقل، وتعدّ قدرة أفعال الكلام على تقديم الموضوعات وحالات الأشياء في العالم امتداداً لقدرات العقل (المخ) البيولوجية في ربط الكائن العضوي بالعالم، عن طريق مجموعة من الحالات العقلية كالاقتصاد والرغبة، والفعل والإدراك»<sup>2</sup>.

تتجلى "القصدية" في الدرس التداولي في الفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر، وهو الفعل المتضمّن في القول، الذي يتضمّن المعنى المقصود من هذه الرسالة الكلامية، ويعبر عن حالة ذهنية، قصد المتكلم إيصالها للسامع، كالوعد والتهديد والاستفهام والأمر، السخرية والتفجّع والتحذير والإغراء والندبة... الخ، أي أغراض نفسية تكون مختلجة في صدر المتكلم. «وقد عزّف سيرل القصدية في علاقتها بالذهن، وبحالة الأشياء في الكون، وبالقصد والإدراك؛ ففي علاقتها بالذهن، لأنّها مكوّن من مكوّناته، وفي علاقتها بحالة الأشياء، فهي الخاصة التي بمقتضاها تكون الحالات الذهنية، والأحداث الذهنية قادرة على تمثيل حالة الأشياء في الكون، كالاتقاد، الخوف، الرغبة، الأمل... الخ، وفي علاقتها بالإدراك، وليست القصدية هي الإدراك، إذ أنّ هناك حالات قابلة لأن تدرك، لكنها ليست قصدية، مثل الإحساس الفجئي (...). وتوجد حالات لا يمكن إدراكها، مثال يمكن أن تكون لنا مجموعة من الاعتقادات التي لا نفكر فيها.

\* - فكرة الحالة الذهنية، هي فكرة فلسفية، وهي محور مباحث العلوم المعرفية، يمارسها العقل البشري، وحاولوا تطبيقها في برنامج الذكاء الاصطناعي (يتعلق الأمر بالرجل الآلي، وكيفية جعله يفكر)، من خلال توضيح اشتغال العقل الدماغي، وبيان كيف أن العقل البشري خصوصاً يكتسب معارف ويطوّرها، ويستعملها اعتماداً، من جملة ما يعتمد على الحالة الذهنية، فموضوع الحالة الذهنية إذ تشترك فيه التداولية مع علوم أخرى خاصة المعرفية (للتوضيح أكثر ولمعرفة كيفية اشتغال الحالة الذهنية في الدماغ، ينظر آن ربول و جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، مقدّمة الكتاب.

1- سنية غربالي: العلاقة بين الأعمال اللغوية والحالات الذهنية، أعمال ندوة "الدلالة، النظريات والتطبيقات"، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، وحدة البحث (المصطلح الدلالي)، تونس، 2015، ص: 506.

2- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص: مقدّمة الكتاب.

وفي علاقتها بالقصد؛ يعتبر "سيرل" أن القصد ليس سوى صورة من صور القصدية، والقصد عند الفلاسفة يطلق على اتجاه الذهن نحو موضوع معين، ويسمّون إدراكه المباشر لهذا الموضوع بـ "القصد الأول"، والتفكير في هذا الإدراك "القصد الثاني".<sup>1</sup>

إذا كان "سيرل" ركّز في نظرية القصدية على الجانب التّظيري، فإن "غرايس" وسّع من مجال تطبيقاتها على ظاهرة الاستلزام الحواري، فهي شرط من شروط التّداول اللّغوي في نظرية المحادثة، ومبدأ تقوم عليه جميع تحولات الفعل اللّغوي، ومراحل الاستدلالية. إنّ نتيجة الاستدلال اللّغوي في النهاية مرتبطة بقصدية المتكلم، إن أراد نهياً أو أمراً أو استفهاماً أو تعجباً أو لوما... الخ، أي متى أراد غير ما يقول؛ ويظهر الجانب الإجرائي للقصدية أكثر، ونقترب من معالمه بوضوح، عند تطبيق قاعدة التّعاون، سواء في احترامها أو في حالة خرقها والخروج عنها، مثلما وضّحناه سابقاً، في كيفية تطبيق هذه القواعد.

واعتبر غرايس القصدية «من الخصائص الأساسية للخطاب، فكل حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم تعاون بين المتحاورين، ويفهم كل منهما الآخر»<sup>2</sup>، «فالأليات التأويلية التي يستخدمها المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه، تقوم على فرضية تبنى على مقاصده»<sup>3</sup>.

والقصد عند غرايس كما قلنا سابقاً حاضر في مرحلة التّحليل الاستدلالي للفعل

الكلامي غير المباشر، وهو عنده كل مركب لذا فقد عمد إلى تفرّيعه:<sup>4</sup>

**القصد الأول:** قصد المتكلم إبلاغ المخاطب محتوى دلالياً معيناً.

**القصد الثاني:** قصده أن يتعرّف المخاطب على القصد الأول.

**القصد الثالث:** قصده أن يبلغ المخاطب أن القصد الأول يتحقق بتعرّف المخاطب

على القصد الثاني.

1- سنية الغريالي: العلاقة بين الأعمال اللّغوية، والحالات الذهنية، ص: 508.

2- العياشي أدراوي: (م س)، ص: 101.

3- نفسه.

4- المرجع نفسه، ص: 102.



نستنتج مما سبق أن هناك فرقا بين القصدية في علم النص، والمرتبطة أساسا بقصد منتج النص من تحقيق السبك والحبك، والقصدية في التداولية، التي تعني مدى نجاح المتكلم في إيصال رسالته، من خلال نجاح الفعل الإنجازي غير المباشر، أي الاستلزام الحوارية، حيث يظهر السعي الحقيقي في تتبع القصد المحقق فعلا عند المتكلم من إنجاز متلفظ ما، والتغيير الذي يمكن أن يحدثه في مواقف المتلقين.

### 5-الإشارات:

للقوف عند معنى هذا المصطلح التداولي يستدعي الأمر ربطه بموضوع السياق فهو الإطار الذي تنتج فيه العبارات المتضمنة إحالات إلى العناصر الخارجية، والتي شاركت في إنتاجها، ولتوضيح الفكرة، فقد استعان "محمود أحمد نحلة" بأمثلة توضيحية، ومنها:<sup>1</sup>

"سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنهم ليسوا هنا الآن".

إنّ قراءة هذه العبارة بمعزل عن المقام، نجد لها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها على السياق، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه، وهذه العناصر هي: واو الجماعة وضمير جمع الغائبين "هم" واسم الإشارة هذا وظرفا الزمان غدا والآن وظرف المكان "هنا"، ولا يتضح معنى الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر.<sup>2</sup>

ومن أهم العلوم اللغوية التي عالجت إشكالية "الإشارات"، علم الدلالة المقامي (Situational Semantics)، الذي هدفه الأساسي هو إدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي<sup>3</sup>، فهو نقطة اشتراك بين التداولية، وهذا العلم الدلالي.

قسّم العلماء الإشارات إلى أنواع حسب العنصر الذي تحيل إليه في الخارج، والذي من شأنه فكّ الإبهام وتوضيح الدلالة؛ فمنها الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية وإشارات الخطاب والإشارات الاجتماعية.<sup>1</sup>

1- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 16.

2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص: 17.

## 6- الافتضاء (الافتراض المسبق) (Présupposition):

موضوع الافتضاء، هو موضوع في الضمّنيات، يندرج في إطار دراسة الدلالة الضمنية، وهو اليوم أحد المباحث التداولية، ويعود مفهومه في الأصل إلى نقاش فلسفي حول قيمة الصدق، وما تثيره الإحالة من مشاكل عند الحساب الدلالي للأخبار<sup>2</sup>، والافتضاء هو نوع من الاستلزام بما أنّ الاستلزام يحيل إلى معنى ضمني، وهو أيضا نوع من الاستدلال، بما أنّ الجمل المنطوقة يتوصّل فيها إلى المعنى الضمني، عن طريق الاستدلال كما في المثال الآتي<sup>3</sup>:

ما عندي إلا الخبز ← تحيل إلى:

- ليس لدي أصناف أخرى من المأكولات.
- ليس لدي ما يشرب.
- عندي الخبز ولا شيء آخر غير الخبز.

ومفهوم الافتضاء يختلف بحسب مجال دراسته، بالاستناد إلى ما ذكرته "ريم الهمامي"، فهناك مفهوم الافتضاء من الناحية الدلالية المنطقية أو الافتضاء من الناحية التداولية، فمن حيث الجانب المنطقي الدلالي، بسطت الباحثة نظرة المناطق\* إلى الافتضاء، وبيّنت كيف أنّ الإحالة هي الإجراء التطبيقي له، من خلال جملة من "الشواهد" (القضايا المنطقية)، وذلك بمعونة الاستدلال، وكيف أنّ الإحالة إما إثباتا أو نفيًا المفاد منها الوقوف عند مدى قيمة صدق الأخبار<sup>4</sup> ويفرّق علماء المنطق بين الافتضاء الدلالي والاستلزام الدلالي، «الافتضاء في التصوّر المنطقي أو الشكلائي، هو علاقة دلالية شبيهة بالاستلزام

1- ينظر المرجع نفسه، ص: 17-26.

2- ريم الهمامي: الافتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، يناير 2013، بيروت، لبنان، مقدمة الكتاب.

3- المرجع نفسه، مقدمة الكتاب، (هذا المثال ذكرته، ريم الهمامي).

\*- من المناطق الذين تناولوا قضية الافتضاء: العالمان "فريغة" و "راسل"، وقد ذكرت الباحثة آراءهم بإسهاب وإجراءاتهم المنطقية للافتضاء.

4- ينظر ريم الهمامي، (م س)، ص: 28-35.

الدلالي، ولكنها مختلفة عنها»<sup>1</sup>، ولا نريد أن نتعمق هنا، في أدلة التفريق بينهما، لأن ذلك يستند إلى طرح قضايا منطقية، ليس هذا مقامها.

أما مفهوم الاقتضاء من الناحية التداولية، فمنطلق تحديده كان مع "ستراوسن" (Strawson) في معارضته الشديدة لنظرية الأوصاف المحددة لـ"رسل"، وتوصل "ستراوسن" من خلال طرحه المناهض إلى أن الاقتضاءات تكوّن شروطا لاستعمال القول<sup>2</sup>، وأنّ للمتكلّم دورا في تحديد ما هو مقتضى في الملفوظ، وقد تحوّل الاقتضاء بموجب هذا الطرح من علاقة دلالية بين القضايا إلى علاقة تداولية بين الأقوال، مما أدى إلى ظهور توجّهين اثنين دون أن يقصي أحدهما الآخر:<sup>3</sup>

- نظرية تجعل من الاقتضاء مجموعة الاعتقادات الخلفية المشتركة بين المتخاطبين.
- نظرية تجعل من الاقتضاءات مجموعة من القواعد والشروط المحقّقة لانسجام الخطاب واتّساقه.

ويعدّ العالم "ستالنيكار" (Stalanker) ممثلا نموذجيا للاقتضاء التداولي، والمؤسس على أعمال غرايس، إذ يحدّد عنده الاقتضاء باعتبار المقامات التي ينجز فيها الإثبات، وهي مقامات تتضمّن المواقف القضوية، ومقاصد كل من المتكلّم ومخاطبه، أي الاعتقادات الخلفية، وإذا كانت التقاليد الدلالية والمنطقية تعد الاقتضاءات ظواهر لغوية، فإنّ الاقتضاء عند "ستالنيكار" «هو استعداد لغوي» لدى المتكلّم لاستعمال اللّغة<sup>4</sup>، أي له بعد نفسي واجتماعي.

ومصطلح الاقتضاء عند كل من "سبرير" و "ولسون" يندرج ضمن ما يسمّى بـ"المعرفة المشتركة"، وهي ضرورية لتحديد السّياق، وما ينتمي إليه<sup>5</sup>، وهذا يقود إلى أنّ للاقتضاء بعدا عرفانياً أيضا.

1- جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية: (م س)، ص: 241.

2- المرجع نفسه، ص: 240.

3- ينظر المرجع نفسه، ص: 249، وينظر أيضا: ريم الهامي: الاقتضاء، وانسجام الخطاب، (م س) ص: 35.

4- ينظر جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 249، 250.

5- المرجع نفسه، ص: 251-254.

أما "ديكرو" (Ducrot)، فقد وسَّع من مجال الاقتضاء، ليشمل جميع أنواع الفعل الكلامي، وجعله أحد قواعد الانسجام الخطابي، فهو عنده ليس شرطاً لاستعمال قول فقط، أو شرط مضمون، بل هو شرط يتصل بالإطار المفروض على الخطاب، وكل عمل متضمن في القول هو إنجاز عمل اقتضاء، وظيفته ضبط الإطار اللاحق للخطاب، وهذا الإنجاز خاضع للشروط الخطابية، وهي شروط جديدة، قدمها "ديكرو"، وفيها طرق اكتشاف الاقتضاء، فديكرو، يستند إلى مقياس النفي والاستفهام، ففي نظره أن هاتين البنيتين التركيبيتين تحافظان على المحتوى القضويّ مثل: لم يقلع ج عن التدخين/ هل أقعل ج عن التدخين؟ والمحتوى القضوي: كان ج يدخن سابقاً.<sup>1</sup>

### ثالثاً: مقارنة للمفاهيم التداولية في التراث اللغوي العربي

تدرس التداولية أساساً لغة التواصل، أي علاقة العلامة بمستعملها، والعلامة اللغوية لا تتبين قيمتها إلا بالأداء الفعلي للكلام، من خلال ما تحمله من شحنات دلالية تبعاً لظروف الخطاب التي تحيط بالمتكلم، فمثل هذه الأفكار وغيرها وجدت في الفكر النحوي العربي القديم، ويؤكد هذه الفكرة "عبد الرحمن الحاج صالح" في قوله: «أما الجانب الاستعمالي (البركماتيكي) والخطابي الذي أدخله "بيرس" و"موريس" في دراسة الغربيين للأدلة، فهو يدخل عند النحاة الأوليين، خاصة، في كل ما يقولونه عن المخاطب، وحال الخطاب، وأفعال المتكلم بكلامه ودور الأدلة المبهمة، وغير ذلك مما تخصّ عملية التخاطب بالدرجة الأولى، فلا يستغني النحوي مثل "سيبويه" عن ذكر ما يقوم به المتخاطبان من أفعال أثناء التخاطب، وكذلك ما توسَّع فيه من ذلك البلاغيون في ميدان النظم من إفادة مختلف التراكيب لمختلف النكت في مواضع وسياقات معينة، وميدان المجاز والاستعارة والكناية، وغيرها، ورأينا الأصوليين (يقصد في مباحث سابقة من الكتاب) قاموا بدور مهم في هذا الميدان، وربما لم تنتج أية أمة فيما مضى ما أنتجه هؤلاء العلماء في ميدان التفسير اللغوي

1- المرجع نفسه، ص: 255.

لمثل النص القرآني والحديث الشريف، وما ضبطوه من الضوابط الدلالية والدلالية العقلية لفهم معاني النص القرآني، والاستنباط بالتالي للأغراض والأحكام»<sup>1</sup>.

ويؤكد الفكرة نفسها، الباحث "محمد سويرتي" وهي أسبقية العرب لمعرفة أصول الاتجاه التداولي، حيث يقول: «إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي، قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماء، رؤية، واتجاهها أمريكا وأوروبا، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة»<sup>2</sup>.

فمن خلال القولين السابقين وكثير من الدراسات الأخرى، نستنتج أن مصادر التداولية في التراث اللغوي العربي متعددة، شملت النحو والبلاغة وعلم الأصول والتفسير والخطابة والنقد... الخ.

يبقى الإشكال المطروح في قراءة التراث، واستنتاج ما يزخر به من مقومات اللسانيات الحديثة ممثلًا في صعوبة الإمساك بفكر عربي أصيل معاصر بالموازاة مع الفكر الغربي الذي هو إنتاج مستمر ومتواصل، إذ أننا في الدرجة الدنيا «التي ليس لنا فيها فكر عربي معاصر، مع أن تراثنا (...) يمدنا بالخامة الولود التي يمكن أن نتخذ منها محورا لموقف عربي أصيل إزاء القضايا الإنسانية الكبرى المطروحة على الألسنة والأقلام، ومع ذلك ترانا أحد رجلين، إما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكراً عربياً معاصراً»<sup>3</sup>.

ولعل وراء هذا التذبذب في محاولة التأصيل العربي للعلوم اللسانية، أسباباً عدة، وعلى رأسها قضية المصطلح، فمفتاح العلوم مصطلحاتها، إذ الملاحظ أن هناك تشتتاً بين اللغويين العرب في ضبط القاموس الموسوعي المصطلحي الخاص بهذا النوع من العلوم، إضافة إلى التشتت في ترجمة المفاهيم والأفكار، والتفرد في تجربة تأسيس نظريات عربية.

1- عبد الرحمن الحاج صالح: (م س)، ص: 214.

2- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، مج28، يناير/مارس، 2000، ص: 30.

3- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط9، 1993، ص: 254.

تعدّ محاولات التأسيس الجادة للنظريات العربية الأصيلة بالاتكاء على مقومات التراث الغنية، تجارب محمودة، وتحتاج إلى من يأخذها بعين الاعتبار، وهي وإن لم ترق إلى مصاف تجاوز الحدود الجغرافية، والتأثير في الآخر إلا أنها تشكّل بداية الإعلان عن إمكانية اللحاق بركب المعاصرة، التي تفاجئنا في كل مرة بالجديد، على المستوى النظري والتطبيقي، إنّ تلك التجارب العربية الجادة، هي لبنات مهمّة في مرحلة التأسيس، فالفكر العلمي والتوجه اللساني واحد منه، يحتاج إلى مراحل زمنيّة، حتّى ينمو ويكبر، ويصل مرحلة التأثير والتجاوز، وهذا من مسلمات تطوّر العلوم، «وليس حظّ الفرد من كل مشروع متعاضم إلا حظ الجزء النزير من الكل المتشامخ»<sup>1</sup>، وهذا ينطبق كل الانطباق على ذلك الكل المتشامخ الذي بناه أسلافنا، وقد كان مساهمة حضارية قيّمة يشهد لها التاريخ.

إنّ الفكر في مرحلة نشوئه، ونموّه - كما قلنا سابقا- يستند إلى التراث «فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب»<sup>2</sup>.

والمنهج التداولي مفهوماً أم مبادئاً أم إجراء، هو واحد من المناهج التي رُصدت لها ممارسات تراثية عربية واسعة، وفق مقاربات المتخصّصين، وهذه الممارسات كانت الملهم لهم في محاولة التأسيس لنظرية عربية تداولية قائمة على أنقاض نظريات عربية ضاربة جذورها في عمق التراث، كنظرية أفعال الكلام، ونظرية المقاصد، ونظرية التخاطب أو الوضع والاستعمال. والممارسات التداولية في التراث العربي كان ميدانها واسعاً، إذ شملت علوم البلاغة والنحو والأصول والتفسير والخطابة والنقد... الخ، وانصبّت تلك الممارسات اللسانية على قضية استعمال اللغة، وأهميّة أدائها لوظيفتها التواصلية التبليغيّة على أكمل وجه، وإبراز كل الإمكانيات التي تزخر بها اللغة العربيّة، ومدى قدرة المتكلّم على استغلالها تأثيراً في السّامع، بل أكثر من ذلك، إنّ سعي إلى العمل على تغيير مواقفه، ونواياه، وأحاسيسه ومشاعره، سواء أكان المستعمل نصّاً قرآنياً أم شعريّاً أم خطابياً أم خطاباً عادياً،

1- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، د.ت، د.ط، بداية الكتاب (استهلال).

2- المرجع نفسه، ص: 12.

ومما زاد من اهتمام العلماء القدامى بالرسالة الكلامية- مهما كان نوعها- هو ميزة العربية في حد ذاتها، التي هي لغة بيان وبلاغة، تنقل الموقف الخطابي سواء أكان بسيطاً أو لحظة تاريخية مهمّة، وكأنّه حيّ مشاهدٌ أمام الناظر.

لم يركّز العلماء في المواقف الخطابية على الرسالة الكلامية فقط أي "النص"، وإنما جميع عناصر الخطاب كانت حاضرة في دراساتهم اللسانية، وأبدوا إزاءها ملاحظات والتفاتات قيّمة، أهلت تلك الملاحظات العميقة، وليست السطحية لأن تؤسّس في شكل نظريات، استطاع المحدثون بفضل عمق اطلاعهم إخراجها إلى الوجود.

### 1-مقاربة بوجادي خليفة:

رصد الباحث خليفة بوجادي فيما يتعلّق بتداوليات عناصر الخطاب ثلاثة أشكال مسّت المتكلم والسامع والخطاب أي النص، مدمجا الحديث عن السياق (مقتضى الحال) في تداولية الخطاب، وفصل تداولية البلاغة عن تداولية النحو\*، مع أنّهما يتفقان، ويشترطان في الأعلام المؤسّسة وأدى هذا إلى تداخل مظاهر التداولية بين العلمين، سواء تعلّق الأمر بعناصر الخطاب، أو البنية اللغوية له، والتداخل يظهر جلياً خاصّة بين علم النحو وعلم المعاني.

تتمثّل الأشكال الثلاثة فيما يأتي:<sup>1</sup>

أ-تداولية المتكلم: إنّ الدرس اللغوي العربي منذ بداياته أولى اهتماماً بعناصر الخطاب، بما فيها المتكلم، فهو المنتج للخطاب، والمتحكّم في شكل بنائه، على جميع المستويات اللغوية، والمتحكّم فيما يضمّر من معان، ومقاصد، وتقع عليه مسؤولية العلم بأحوال الخطاب، والدراية بأقدار السامعين ومنازلهم، وقد ذكر خليفة بوجادي جملة من القضايا التي تتصلّ بالمتكلم بلاغياً ونحوياً، وفق جملة من الالتفاتات والإشارات التي تخصّ علماء البلاغة والنحو، وتتحدّد في إطار كيفية استعمال المتكلم للغة، نذكر منها:

\*- ركّز الباحث حديثه على علمي النحو والبلاغة، وأدرج بعض ملاحظات الأصوليين ضمن تداولية البلاغة، لكن الممارسة التراثية التداولية أوسع من ذلك بكثير.

1- ينظر خليفة بوجادي: (م س)، ص: من 163 إلى نهاية الكتاب.

- إشارة البلاغيين والنحاة إلى الحال المشاهدة المصاحبة للمتكلم، والتي لها أثر في تحديد القصد، وقد سماها ابن جنّي «الأحوال الشاهدة بالمقصود، الحالفة على ما في النفوس».
- إسناد البلاغيين والنحاة أفعالاً للمتكلم: كتعريفهم للسائل والمستفهم، والأمر... الخ، وتغيّره من وضع إلى وضع نابع من ظروف الخطاب.
- التعريف المشهور للخبر بأنه القول المحتمل للصدق والكذب، وهو في هذه الحالة يسند إلى المتكلم.
- قضية القصد في التراث اللغوي لها بعد تداولي، لأنها ترتبط بنية المتكلم، والمعنى الحقيقي الذي يقصده من وراء الخطاب، وقضية القصدية لنا فيها تفصيل في صفحات لاحقة إن شاء الله.
- تحقيق ما يسمّى بالبلاغة والفصاحة أمر راجع إلى المتكلم، حتّى أمر التمييز بينهما؛ ننسب إلى المتكلم، فنقول: شاعر فصيح أو بليغ وشروط تحقق الفصاحة أمر مرتبط باستعمال اللغة، ويرى "خليفة بوجادي" أن هذه الشروط لا تختلف عما اقترحه غرابيس من قواعد.
- الحقيقة والمجاز، وما ارتبط بهما من أحوال:
  1. مطابقة الواقع واعتقاده.
  2. مطابقة الواقع دون اعتقاده.
  3. مطابقة الاعتقاد دون الواقع.
  4. ما لا يطابق واحد منهما.
- من مظاهر اهتمام النحاة بأمر المتكلم، واستعماله للغة، إسناد الرفع والنصب والجرّ إليه وأمر التفريق بين القول والكلام والجملة والكلم، وأيضاً شرط القصد في التفريق بين الكلام والجملة، وكلّها أمور تنسب إلى المتكلم.



**ب- تداولية المخاطب:** يحظى السّامع بأهميته في العملية الإبلّغية، لا تقلّ عن أهمية المتكلّم، فهو الذي من أجله ينشأ الخطاب، وإليه توجه الرّسالة، وتراعى أحواله في ذلك من بناء التراكيب، سواء أكان حاضرا في الأعيان أم في الأذهان.

وقد عرض الباحث بوجادي خليفة جملة من القضايا التي عولجت في التراث اللغوي العربي، وتمثّل فيها المستمع المحور الأساس، ولها صلة وثيقة بالاستعمال الفعلي للغة وتستدعي حضور جميع عناصر الخطاب بما فيها السياق:

- قضية تعريف الكلام، وفائدة الخبر أو الإفادة، فتحقّق الفائدة من الكلام أو الخبر متوقّفة على السّامع من حيث مدى فهمه، ومدى استفادته.
- أضرب الخبر: فتحديد العلماء لأضرب الخبر المشهورة وأنواعها كان موقف السّامع من المعلومة معيارا أساسيا في تحديد أضرب الخبر: الابتدائي والطّبي والإنكاري.
- أساليب استمالة السّامع التي يلجأ إليها المتكلّم، كالتأدّب في الكلام.
- الأساليب البلاغية التي يعترّيها الحذف، ويبقى المعنى قائما معلوما، فمن مسوّغات هذا الأسلوب، أن يكون المخاطب على علم بأمر المحذوف، إضافة إلى ظروف الخطاب المحيطة بكل من الملقّي والمتلقّي، إضافة إلى أساليب أخرى كأسلوب الالتفات، الذي يمارس من أجل جلب التفات السامع وانتباهه، وأسلوب مخالفة حال المخاطب، وقد سمّاه عبد القاهر الجرجاني "المغالطة".

**ج- تداولية الخطاب:** تناول الباحث "خليفة بوجادي" جملة من القضايا التي تتعلّق بالخطاب (الرّسالة)، حيث رصد مظاهرها التداولية في التراث البلاغي والنحوي، ومنها قضية استعمال المصطلح نفسه والمفهوم الذي حمله، والشّروط التي تحقّق هذا المفهوم، كالشروط البيانية والأسلوبية، ومن القضايا التي هي في صميم الدّرس التّداولي، وتتعلّق بالخطاب خاصّة، قضية "مقتضى الحال"، وارتباطها بالمقولة البلاغية: "كلّ مقام مقال"، وتحدّث كثيرا البلاغيون عن هذه القضية، وهي من شروط تحقّق البلاغة عندهم، وبقي تأثيرها متواصلا عبر المراحل الزمنية لتطوّر البلاغة، وأعيد طرحه بقوة في الدّرس التّداولي اللّساني العربي

الحديث، ومفاد هذه القاعدة، هو أن تكون تأليفات المتكلم مطابقة لما يقتضيه الحال والمقام، حتى تحصل إفادة المخاطب، ومقامات الكلام في العربية متعددة، كالتعريف، والتكثير، والاستفهام، والأمر، والإنكار، والتأكيد، والإثبات... الخ، وتقارب في معناها أفعال الكلام التي جاء بها "أوستين" و "سيرل"، وآخرون.

ومن مظاهر التداولية أيضا، والمتعلقة بالرسالة الكلامية أن يخرج الكلام من مقتضى الظاهر إلى خلافه، وله ظواهر عدة في اللغة العربية، وفي الدرس النحوي، رصد "خليفة بوجادي" ظواهر عدة، كأساليب التقديم والتأخير، والحذف، وتنوع أساليب أخرى تخضع للسياق، كالفرق في التعبير بين الجملتين الفعلية والاسمية، وقضية تقسيم "سيبويه" للكلام إلى خمسة أنواع بالنظر إلى مدى مطابقته للواقع من عدمها، وغيرها من الظواهر.

## 2- عرض مقاربات أخرى:

للتفصيل في مظاهر التداولية في التراث اللغوي العربي نورد المفاهيم الآتية حسب مجالات تناولها عند العلماء من نحاة وبلاغيين وعلماء أصول:

أ- **الخبر والإنشاء (نظرية أفعال الكلام):** أثبت العديد من الباحثين اللغويين العرب أن قضية الخبر والإنشاء المبسوطه بإسهاب عند علماء العرب القدامى، سواء أكانوا أصوليين أم بلاغيين أم نحاة أم علماء تفسير ومنطق وكلام، تقارب إلى حد بعيد، إن لم نقل هي نفسها -نظرية الكلام عند الغربيين.<sup>1</sup>

1- الدراسات التي اطلعنا عليها، وتثبت هذه الفكرة هي:

- بنعيسى إزبيط: الاستفهام في لغة العرب (دراسة تداولية)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، سنة 1987-1988، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1987-1988م.
- خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، (م س).
- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (م س).
- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، (م س).
- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، (م س).
- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، (م س).
- العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، (م س).
- أ. هشام عبد الله خليفة: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. (م س).

أشار "مسعود صحراوي" إلى أنّ من أراد أن يدرس الظاهرة عليه أن يتتبع فروعها وتطبيقاتها في عدد من مؤلفات العلماء الذين أسسوا لهذه النظرية في تراثنا أو الذين عمّقوا البحث فيها، وقد سرد قائمة لهؤلاء العلماء، من أمثال: سيبويه (ت180هـ) والفارابي (ت338هـ) والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي (ت415هـ)، وابن سينا (ت428هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ونجم الدين الكاتبي القزويني (ت493هـ)، والسكاكي (ت626هـ)، وسيف الدين الأمدي (ت631هـ) وشهاب الدين القرافي (ت684هـ)، ورضي الدين الاستربادي (ت686هـ) ومحمّد بن علي الجرجاني (ت729هـ)، والخطيب القزويني (ت739هـ) والشّريف علي بن محمد الجرجاني (ت816هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت792هـ)، وشراح مختصره<sup>1</sup>، وقائمة البلاغيين والأصوليين، وغيرهم، ممّن بحثوا في ظاهرة الخبر والإنشاء بالتفصيل، ونحن في هذه الدراسة سنقتفي أثر الباحثين الذين تطرّقوا إليهم، كـ "خالد ميلاد" و"مسعود صحراوي" و"هاشم الطبطبائي" و"هشام خليفة"، نظرا لتناولهم الظاهرة من المنظور التداولي بالتفصيل، وقد حاولنا التلخيص قدر المستطاع لتشعب المادة العلمية وضخامتها في الموضوع المطروق.

من حيث التفكير الذي كان سائدا في الفلسفة والمنطق الغربي، بالحكم على جميع أنواع التراكيب بـ "الخبري"، "الوصفي"، انتقد "أوستين" هذا الحكم، ونعته بـ "الوهم الوصفي"، اقتصر المناطقة العرب أيضا، في دائرة تحليلهم على التركيب الخبري فقط، واستبعدوا المركّبات غير الخبرية إلى مجال البلاغة، وهذا ما أشار إليه "ابن سينا"، في قوله: «هو وحده النافع في العلوم»، وهذا يدل على عدم اهتمامهم بالمجال التداولي، وهي نقطة اختلاف مهمة تبين أن المناطقة، كانوا يفرّقون بين الخبر والإنشاء على غرار ما كان سائدا عند باقي علماء العربية.

- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، (م س). وآخرون....

1 - مسعود صحراوي، (م س)، ص: 75، 76.

\* - تناول هذا الباحث نظرية أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي، ومقارنته بما يقابله عند علماء الغرب، ونتائج بحثه وملاحظاته كانت جدّ دقيقة.

ومن حيث استعمال "مصطلح الإنشاء" و"الخبر"، ومقارنتهما اصطلاحياً، بمصطلح "الفعل الكلامي" أو "الإنجازي"، فالإنشاء لغة، كما جاء في لسان العرب لابن منظور هو: «أنشأه الله: خلقه، (...)، ونشأ السحاب نشأً ونشوءاً: ارتفع وبدا (...)»، وأنشأ السحاب يمشط: بدأ، وأنشأ داراً بدأ بناءها (...)، وأنشأ يحكي حديثاً: جعل... وفلان ينشئ الأحاديث أي يضعها...»<sup>1</sup>.

نلاحظ من الناحية اللغوية، أن مصطلح "الإنشاء"، هو مصطلح جدّ مناسب للدلالة على الإنجازية بالمفهوم الغربي، فعموماً يعني الخلق والإيجاد والإحداث، وقد ترجم مصطلح الإنجازية عند بعض الباحثين بـ "الإنشائية"، وعلّق هشام خليفة<sup>2</sup> قائلاً: «وفكرة أن اللغة هي وسيلة للفعل والإنجاز، وليست للإخبار والوصف فقط تكاد تكون مقارنة باستخدام مصطلح "الإنشاء" أو "الإيقاع"، لأنّ مثل هذين المصطلحين ينمّان عن إدراك لكون الكلام نوعاً من الفعل أو الإنجاز»<sup>2</sup>، وهذان المصطلحان استعملهما الأصوليون، ثمّ جاء البلاغيون، فاستعاروا مصطلح "الإنشاء"، ومصطلح الإيقاع يحمل معنى الإنجازية أيضاً، ويُنسب استعماله إلى الأصوليين<sup>3</sup> وهو يعني (أوقع فلان الشيء أي جعله يقع (أو يحصل)).

أمّا من حيث استعمالها للدلالة على التّفريق بين الأسلوب الخبري وغير الخبري، فقد أشار الباحثون إلى أن "السّكاكي" لم يستعمل مصطلح "الإنشاء"، أما اللّاحقون كـ "الخطيب القزويني" وغيره استعملوا مصطلح الإنشاء.

قسّم "السّكاكي" الكلام إلى طلب وخبر، ومصطلح الطلب كان يعبر به عن مفهوم الإنشاء، إلّا أنّه لم يعرفهما لأنّه ذهب مذهب الفرقة التي تغنيهما عن التّعريف، فالفرق بينهما

1 - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، د ط، مادة (نشأ)، مج 1/170 وما بعدها.

2 - هشام. إ. عبد الله خليفة، (م س)، ص: 229.

3 - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، (م س)، صفحات متفرقة.

وخالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، صفحات متفرقة.

وهشام. إ. عبد الله خليفة، (م س)، ص: 236.

ومسعود صحراوي، (م س)، صفحات متفرقة.

بيّن، هو قبول أو عدم قبول الصدق والكذب<sup>1</sup>، فمثلا يقول عن الطلب: «فلأن كلّ أحد يتمنى، ويستفهم، ويأمر، وينهى، وينادي يوجد كلّ ذلك في موضع نفسه عن علم...»<sup>2</sup>.

كل اللّاحقين "للسّكاكي" و"القزويني" ومن تلاهما استعملوا مصطلح الإنشاء ومن هؤلاء رضي "الدين الاسترابادي" الذي صرّح أن الجملة غير الخبرية، إمّا إنشائية، نحو: بعث وطلّقت، أو طلبية، كالأمر والنّهي والاستفهام والتمني، وفيها نظير لتقسيم "سيرل" فالإنشائيات تقابلها الإيقاعات، والطلبية تقابل الأموريات.<sup>3</sup>

التّمييز بين الخبر والإنشاء عند العلماء القدامى كان تبعا لمجموعة من المعايير اختلفت من فترة زمنية إلى أخرى ومن عالم إلى آخر، لعلّ أول هذه المعايير، معيار الصدق والكذب وهو معيار يقارب كما قلنا سابقا ما كان سائدا في الفلسفة اللّغوية الغربية المعاصرة لأوستين، ونستدلّ بالرأي السابق لـ "أبي يعقوب السّكاكي"، وبرأي "نجم الدين الكاتبي القزويني" الذي يقول: «والكلام التامّ إذا احتتمل الصدق والكذب فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء»<sup>4</sup>.

هناك علماء طرحوا معيارا آخر وهو بحسب مطابقة النسبة الخارجية، منهم "محمد بن علي الجرجاني"، "الخطيب القزويني"، "التفتازاني"، "محمد بن عرفة الدسوقي"، "بهاء الدين السبكي"، "جلال الدين السيوطي"، ويؤكد ذلك قول "الخطيب القزويني": «ووجه الحصر: أن الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر والثاني الإنشاء»<sup>5</sup>، ويقول "سعد الدين التفتازاني": «فالكلام (إن كان لنسبته خارجا) في أحد الأزمنة الثلاثة أي يكون بين الطرفين في الخارج نسبة ثبوتية أو

1- ينظر أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م، ص:164، 165.

2- المصدر نفسه، ص:165.

3- طالب سيد هاشم الطبطبائي: (م س)، ص:48.

4- نجم الدين الكاتبي القزويني، الشّمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص:206.

5- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص:24.

سلبية (تطابقه)، أي تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين، (أو لا تطابقه)، بأن يكون أحدهما ثبوتياً والآخر سلبياً (فخبر)، أي فالكلام خبر، (و إلا) أي وإن لم يكن نسبته خارج كذلك، (فإنشاء)<sup>1</sup>.

بناء على استحداث هذا المعيار، فإن مفهوم الخبر تكون فيه النسبة الكلامية (الخطاب) لها حقيقة مرجعية في الواقع يتم وصفها صدقا أو كذبا، أما الإنشاء فليس له تلك الحقيقة المرجعية في الواقع الخارجي عن اللغة (النسبة الخارجية)<sup>2</sup>.

واقفتى "الدسوقي" أثر "سعد التفتازاني" في تبيان أن إخضاع الخطاب لمعيار النسبة الخارجية يطرح بعض الإشكالات مدعماً حكمه بالشواهد ومن هذه الإشكالات، التباين الزمني بين الملفوظ ونسبته الخارجية، كما لاحظ أن الأساليب الإنشائية، كجملة الاستفهام: "هل زيد قائم؟" والملفوظ "فم"، بهما نسبة خارجية، مثلهما مثل الخبر، فوافق صاحب المختصر في اقتراحه لمسألة القصد\*. فصار تعريف الخبر مبنياً على شرط: إن كان نسبته خارج تُقصد مطابقتها له، أو تُقصد عدم مطابقتها<sup>3</sup>، ومسألة "القصد"، مسألة تداولية تنبّه لها علماء العربية في مختلف قضايا البلاغة واللغة.

وهناك معيار آخر، وهو "إيجاد النسبة الخارجية"، وجاء ليفك الالتباس المتعلق بالنسبة الخارجية للإنشاء، فكيف تكون له نسبة خارجية، وهي غير موجودة قبل زمن التلفظ بالملفوظ الإنشائي؟، وحلّ هذا الإشكال نجده في قول "ابن يعقوب المغربي": «أن الكلام التام الذي يحسن السكوت عنه (...)، يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على تلك النسبة حصلت في الواقع... بين معنى المُسند إليه، فذلك الكلام خبر، وإن

1- سعد الدين التفتازاني: المطول على تلخيص المفتاح للقرويني، مطبعة بسنوي الحاج أفندي، القاهرة، مصر، جمادى الثاني، 1310هـ، ص:37.

2- مسعود صحراوي، (م س)، ص:90.

\*- نسب مسعود صحراوي مسألة القصد للدسوقي في شرحه للمختصر إلا أنه تبيّن لنا أنّ هذه المسألة قد طرحها صاحب المختصر (سعد الدين التفتازاني) في حدّ ذاته. وتوسع الدسوقي في شرحها.

3- حاشية الدسوقي على مختصر سعد التفتازاني لشرح التلخيص، تح: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، دط، دت، ج1/304 و305.

كان القصد منه الدلالة على أنّ اللفظ وُجِدَتْ به تلك النسبة فالكلام إنشاء»<sup>1</sup>، جعل للإنشاء بألفاظه المتعدّدة: استفهام، خبر، نداء، دعاء... الخ أثر وعامل في إيجاد النسبة الخارجيّة، أي أنّ الإنشاء يوجد أولاً عند النطق به (سابق للنسبة الخارجيّة، ومحدّد هذا السبق هو "القصد".

أما معيار "قصد المتكلم" بوصفه قرينة تمييزيّة أساسيّة، هو معيار أكثر وضوحاً من المعايير السّابقة، وابتعد عن التّحليلات المنطقيّة إلى التّحليل التداولي أكثر، وتبنّى هذا الرأي، العالم الأصولي: "إبراهيم الشّيرازي (ت476هـ)، ويصير ذلك جلياً في قوله: «يصير خبراً إذا انضمّ إلى اللفظ، قصد المتكلم الاختبار به»<sup>2</sup>، جعل الشّيرازي معيار القصد والغرض من الخطاب هو الفاصل، «فإذا كان غرضه "الإخبار" مع موافقة اللفظ إيّاه فهو "خبر" وإن كان غرضه غير الإخبار فالكلام "إنشاء"»<sup>3</sup>.

الفرق بين رأي الشّيرازي حول مسألة القصد، ومن سبقه أنّه جعل "القصد" بوصفه معياراً تمييزياً أساسياً يتكفّل وحده بالحكم على خبرية الجملة أو إنشائيّتها.<sup>4</sup> هناك معايير أخرى ذكرها "مسعود صحراوي" لكن ثانوية بالمقارنة مع المعايير الأخرى.

أمّا من حيث التّقسيمات التي قام بها العلماء القدامى، المتعلّقة بأنواع الأفعال الكلاميّة إنشاء وخبراً، فقد رصد الباحثون تقارباً، ملفتاً للانتباه بين تقسيماتهم وتقسيمات الغربيين خاصّة "أوستين" و"سيرل"، فقد جعل "أبو نصر الفارابي" المخاطبات قسمين: مجرد أقوال لا تؤدّي إلى وقوع فعل، كالتمني والتعجب، وأفعال تتمّ بالأقوال<sup>5</sup>، والفعل «الذي

1- ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، (شروح التلخيص)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج1/168.

2- أبو إسحاق إبراهيم الشّيرازي: شرح اللمع، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م، فصل 649، ص: 568.

3- مسعود صحراوي، (م س)، ص: 106.

4- المرجع نفسه.

5- ينظر: أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، سلسلة الفكر العربي والإسلامي، ط2، 1990، ص: 162 (باب حروف السؤال).

يُقْتَضَى به فعل شيء ما، فمنه نداء ومنه تضرع وطلبه وإذن ومنع ومنه حث وكف وأمر ونهي<sup>1</sup>، و يصرح "الفارابي" هنا بما أشار إليه "أوستين" و"سيرل" وغيرهم عن الأفعال الكلامية الإنجازية أنه يمكن أن ننجز أفعالا بالأقوال، وأعطى نماذج عن هذه الأفعال ومعنى "يُقْتَضَى به قولاً ما" أي مجرد الإخبار، أما "فعل شيء ما" أي إنجاز حدث، وتغيير في مواقف.

وفيما يخص استعمال مصطلح "القوة" في حديثه عن أحد أنواع القول، وهو النداء والسؤال، فقد رأى مسعود صحراوي، أنه أحد مظاهر التداولية وهي "القوة الإنجازية"، التي أطلق عليها أوستين مصطلح "الفعل الناتج عن القول" "Acte Perlocutionnaire"، أو "الفعل التأثيري"<sup>2</sup>.

وفي قول "ابن سينا" يصرح فيه بالإنجازية، ونوع من الأساليب التي تحققها، ويكون الغرض إنجاز فعل، قوله: «وإن أريد عمل من الأعمال وفعل من الأفعال غير الدلالة فهو "طلب"...»<sup>3</sup>، ويكون إما للدعاء أو المسألة أو الأمر أو النهي أو النداء، وهذه التقسيمات مرت علينا سالفاً عند "أوستين"، و"سيرل"، فاعتبار التمني والتعجب أخباراً عند "ابن سينا"، ومن قبله "الفارابي" يقابل ما "فعل سيرل" عندما ردّ بعض البوحيات إلى التقريريات.

ويذكر كل من "هاشم الطبّطبائي"، و"مسعود صحراوي" تقسيمات أخرى مفصلة لعلماء العربية، منها ما يتعلّق بالخبر ومنها ما يتعلّق بالإنشاء، ومنها تقسيمات الخبر إلى الابتدائي والطلبّي والإنكاري، وذلك وفق معايير التقسيم عند "سيرل"، فالفرق بين هذه الأنواع في درجة الشدّة في تحقيق الغرض المتضمّن في القول.

وهناك أساليب اختلف العلماء في تحديد خبريتها أو إنشائيتها، كالوعد: فالسيوطي صرح بأنها قسم من أقسام الخبر، وهو رأي "القاضي عبد الجبار" أيضاً، إلا أنّ "السبكي" و"السيوطي" أشارا إلى أن في كلام "ابن قتيبة" ما يوهم أنه إنشاء، وقضية الوعد والوعد،

1- نفسه. وللتوسع أكثر ينظر: ص: 162 وما بعدها.

2- مسعود صحراوي، (م س)، ص: 117.

3- ابن سينا: الشفاء، المنطق، العبارة، ج1/31، نقلاً عن مسعود صحراوي، (م س)، ص: 118.



والكذب والخلف من الأفعال الكلامية التي فصل فيها علماء العربية، من حيث تحديد مفهومها والفروق بينها.

وفيما يتعلّق بالإنشاء الطلبي، فكل من الأمر، والدعاء والالتماس، عند البلاغيين يختلف المعنى بينهما من حيث المنزلة بين الأمر والمأمور.

أمّا الأصوليون، فقد اختلفوا في تناول المسألة من حيث اشتراط الاستعلاء في الأمر مفرّقين بينه وبين العلوّ، ومن الناحية التداولية، فإن هذا الاختلاف هو من جهة الشروط المعدّة من حيث اعتبار العلوّ دون الاستعلاء، أو من تحقيق الغرض المتضمن في القول إذا اعتبرنا الاستعلاء دون العلوّ، أو كليهما، إذا اعتبرنا كلا من العلوّ والاستعلاء، ويلاحظ أن سيرل يشترط في تحقق الأمر الإداري أن يكون طلباً ناشئاً عن كل من العلوّ والاستعلاء.<sup>1</sup>

والفرق بين الأمر والنهي من الأمور التي خاض فيها البلاغيون والأصوليون، واندرجا ضمن الإنشائية أي الإنجازية، فكلاهما، ينشأ عنهما إنجاز فعل، فالأمر: طلب الفعل والنهي: طلب الكفّ عنه، والأمر أو الطلب يشمل مباحث الأمر والنهي في كتب الأصول لذا فقد أشبعه الأصوليون نقاشاً، فهذا الفعل الكلامي ذو أهمية بالغة عند الفقيه، ورجل القضاء لحاجتهم للتأكد من الأحكام والتكاليف الشرعية.

فرّق الأصوليون بين صيغ الأمر المختلفة، فهناك صيغ إنجازية غير صريحة، أو أوليّة فقط، مثل صيغة "فعل" وصيغ إنجازية صريحة مثل (أمرتكم كذا)، إذ أنّ صيغة "افعل" متعدّدة المعاني، بحسب السياق.<sup>2</sup>

لخصّ هشام عبد الله خليفة مصطلحات الفعل الكلامي حسب تقسيمات "أوستين" وما يقابلها عند كل من "ابن هشام" والمعتزلة في الجدول الآتي<sup>3</sup>:

1- ينظر الطبطبائي، (م س)، ص: 75، ومسعود صحراوي، (م س)، ص: 138، 139.

2- ينظر هشام عبد الله خليفة: (م س)، ص 262، 263 ومن 393-418، وقد عرض الباحث آراء عدة أصوليين وعلى رأسهم آراء المعتزلة التي ناقشها أبو حامد الغزالي، ورأي سيف الدين الأمدي، وعضد الدين الإيجي، وابن قيم الجوزية.

3- المرجع نفسه، ص: 414.

مصطلح (أوستين)	المصطلح الوارد في نص ابن هشام	مصطلح المعتزلة
1- فعل القول	التلفظ	إرادة الصيغة
	وجود اللفظ	إرادة إيجاد أو إحداث الصيغة
	إيجاد اللفظ	إرادة وجود اللفظ
2- الفعل الكلامي	وجود المعنى	إرادة الدلالة بالصيغة
(الفعل الكلامي)	إيجاد المعنى	(على الأمر مثلا)
	المدلول	مدلول الصيغة
3- الفعل بواسطة كلامي	الامتثال	إرادة الامتثال؟
(التأثير الكلامي)	(متعلق الفعل لا نفسه)	إرادة المأمورية؟
		إرادة الفعل؟

### -ألفاظ العقود والمعاهدات:

يطلق عليها بعض الباحثين "الإنجازيات العرفية، وذكرها "ابن هشام" بمصطلح "إنشاء"<sup>1</sup>، وكذلك "السكاكي" سابقا، وأسماها سيرل بـ «الإعلاقيات»<sup>2</sup>، وتمثل هذه الظاهرة أهم مظهر لـ "الأفعال المتضمنة في القول"، وأقوى نقطة يركز عليها في إثبات بحث العلماء العرب لظاهرة الأفعال الكلامية، وهي تمثل عند "أوستين" القول النموذجي الذي يحصل به فعل كلامي، أما باقي الأفعال المتضمنة في القول، توسع البحث فيها على يد "سيرل"<sup>3</sup>.

نشير هنا إلى أن "ابن هشام" و"السكاكي"، وغيرهما كان تناولهما لهذا النوع من الأفعال الكلامية (ألفاظ العقود) سطحيًا، أي لغرض تصنيفي فقط، أما من أولها العناية والاهتمام فهم علماء الفقه والأصول، لما تتعلق به من أحكام العقود من حيث الإنشاء والفسخ، كعقود البيع، والزواج، والاكْتتاب، والطلاق، والتسيير المؤسّساتي، مثل: زوّجتك ابنتي فلانة"، فيجيب الزوج: قبلتها زوجة لي، فبمجرد التلفظ بهذه الصيغ الخاصة تحدث العلاقة الزوجية بين الطرفين.

1- ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، ص: 21.

2- هشام خليفة، (م س)، ص: 214.

3- ينظر مسعود صحراوي، (م س)، ص: 157.

ومن علماء الأصول الذين عالجوا القضية "شهاب الدين القرافي" الذي حكم بإنشائية هذا النوع من الصيغ<sup>1</sup>، فالتلفظ بلفظ البيع مثلا، هو "إنشاء للبيع"، والتلفظ بلفظ الطلاق، هو إنشاء للطلاق، والتلفظ بلفظ الشهادة (في واقعة معينة، وبصيغة مخصوصة) هو إنشاء للشهادة.<sup>2</sup>

وهناك عرض قيم "لابن القيم الجوزية" في طرحه لآراء الحنابلة والشافعية في مسألة ألفاظ العقود والمعاهدات، وخلاصة تلك الآراء أن الحنفية قالوا بالمدخل الخبري، وأن اللغة هو هدفها الإخبار والوصف دائما، والمعنى الإنجازي للفعل في رأيهم لا يعود إلى الألفاظ والصيغ، وإنما إلى المعنى النفسي الحادث في الذهن، أما الشافعية فقد اعتبروا العقود إنشاء، وهي التي تنشئ الالتزام والتصرف الشرعي، وعرفيا معانيها إنجازية.<sup>3</sup>

ومن علماء الأصول الذين عالجوا قضية ألفاظ العقود من حيث هل هي إنشائية أم خبرية؟ الإمام "محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي" (ت1119هـ)، وشرح هذا الكتاب العلامة "عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري الهندي" (ت1225هـ)، وشرحه عنوانه: «فواتح الرّحمات»، وتناول أيضا القضية نفسها وبشيء من التفصيل ومن خلال التطرق لآراء الحنابلة التي عدّها المؤلف، والشارح بخبرية ألفاظ العقود، وآراء الشافعية بالردّ عليها من حيث المدخل الخبري لهذه الصيغ، وليست إنشائية.<sup>4</sup>

مما سبق، نستنتج أنّ علماء العربية عرفوا الإنجازية، أو نظرية الفعل الكلامي، وخلقوا تراثا ضخما في مناقشة هذه المسألة، تضمّن العديد من النقاط التي طرحها كل من "أوستين" و"سيرل" وآخرون، كتقسيمات الفعل الكلامي إلى المحتوى القضوي والفعل المتضمّن في القول، والفعل التأثيري، وأيضا التقسيمات المتنوّعة لأصناف أفعال الكلام بالنظر إلى صيغها، ومسائل أخرى أكثر توسّعا تتعلّق بأنواع الحكم الشرعي، وما ينتج عنه من أفعال كلامية، كالإباحة، والتحرّيم، والوعود، والكراهة... الخ.

1- المرجع نفسه، ص: 161.

2- المرجع نفسه، ص: 178.

3- هشام عبد الله خليفة، (م س)، ص: 283-293.

4- المرجع نفسه، ص: 293-295.

هذا فيما يتعلّق بالأفعال الكلامية المباشرة، إذ أنّ هناك أيضا تراثا لغويًا قيّمًا عالج مسألة الأفعال الكلامية غير المباشرة أو الاستلزام الحواري، المتمثّل في خروج المعنى عن مقتضى الظاهر، وسنعالج هذه المسألة في السّطور الآتية:

**ب-الاستلزام الحواري في الفكر اللّغوي العربي:** «عرّف اللغويّون العرب أفعال الكلام بنوعيتها المباشرة وغير المباشرة، وهم غالبا ما كانوا يستعملون مصطلح (معاني الكلام) للإشارة إلى (أفعال الكلام) بصورة عامة، لكنهم لم يتفقوا على مصطلح موحد لوصف ظاهرة أفعال الكلام غير المباشرة أو تسميتها، ففي بعض الأحيان ترد جزءا من الظاهرة التي يسمونها (الخروج على خلاف مقتضى الظاهر) وفي أحيان أخرى ترد تحت باب (مخالفة ظاهرة اللفظ معناه)، وأحيانا يعبرون عن ظاهرة اللامباشرة، كالاتي: "أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام، هو توبيخ، أو يأتي على لفظ الأمر وهو إباحة، وأحيانا يتحدّث البلاغيون عن "وضع الاستفهام" موضع "الإنكار"، أو "وضع" الأمر "موضع" التهديد، وأحيانا أخرى يتحدّثون عن "ما يختلف معناه واللفظ واحد" على مستوى الجملة المركّبة، وليس على مستوى الألفاظ المفردة، وهذه طرق مختلفة لوصف ظاهرة واحدة، ومن المصطلحات التي استعملها العرب للإشارة إلى أفعال الكلام غير المباشرة (التلويح)، و(التعريض) و(المجاز المركّب)»<sup>1</sup> ومن علماء البلاغة الذين تنبّهوا لظاهرة الاستلزام الحواري، "السكاكي"، في "مفتاح العلوم"، حيث يقول: «لقد سبق أن حقيقة الطلب حقيقة معلومة مستغنية، فلا نتكلم هناك وإنما نتكلم، في مقدّمة يستند عليها المقام، من بيان ما لا بدّ للطلب ومن تنوّعه، والتنبّيه على أبوابه في الكلام، وكيفية توليدها لما سوى أصلها».<sup>2</sup>

يلفت "السكاكي" الانتباه هنا إلى أنّ مفهوم الطلب خارج السّياق، لا يحتاج إلى توضيح فهو بيّن، وإنّما الذي يحتاج إلى الدّراسة والتّحليل، كيف يكون أثناء الاستعمال الفعلي في السّياق، إذ تنتج عنه تنوّعات مقامية لمختلف أساليبه، تولّد أغراضا ومعان كلامية شتى، هي على غير ما وضعت له في الأصل، أي مخالفة لمقتضى الظاهر.

1- هشام عبد الله الخليفة، (م س)، ص: 444، 445.

2- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 302.

ذكر في كتابه تلك التتوعات لأسلوب الأمر والنهي والاستفهام وغيرها، وسنكتفي في هذا المقام بمثال واحد نبين من خلاله إدراك البلاغيين لظاهرة الاستلزام الحواري، حيث يقول عن صيغ الأمر المختلفة، التي وُضعت في الأصل لتفيد الاستعلاء «ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشَّرط المذكور، أفادت الوجوب، وإلا لم تقد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام»<sup>1</sup>؛ والمقصود أن صيغ الأمر المتعددة، كـ "افعل" و"فعَل" والمصدر، ولام الأمر، قد تخرج عن غرضها الحقيقي إلى أغراض أخرى على غير ما وضعت له، وذلك تبعاً لما يقتضيه المقام.

عالج الظاهرة نفسها الأصوليون، حيث تناولوا المسائل التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر ليقصد به معان أخرى يستدعيها السياق، وعلى رأس تلك الأساليب، أسلوب الأمر والنهي، وقد ذكر "الإمام الغزالي" في كتابه "المستصفي في علم الأصول" معاني فرعية لصيغة فعل الأمر الأصلية "افعل"، ويخرج إلى تلك المعاني إذا امتنع إجراؤه على الأصل ومنها:

الوجوب: «أقم الصلاة» (لقمان 17)، والتدب «فكاتبوهم» (النور 33)، والإرشاد: «واستشهدوا» (البقرة 282)، والإباحة: «فاصطادوا» (المادة 2)، والتأديب، كقول ابن عباس: «كل مما يليك» والتهديد، «اعملوا ما شئتم» (فصلت 40... الخ.<sup>2</sup>

أما النهي، فإنه قد يخرج أيضاً إلى معانٍ فرعية، غير معناه الأصلي الذي عُرف به، كما جاء في تعريف الإمام "أبي حامد الغزالي": «القول المقتضي ترك الفعل»، ومن تلك المعاني المستلزمة:

- التَّحريم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. (سورة الإسراء، الآية 33).
- الكرامة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾. (سورة المائدة، الآية 87).

1- المرجع نفسه، ص: 318، 319.

2- أبي حامد الغزالي: المستصفي في علم الأصول، تح: حمزة حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، (د.ط)، ج 128/3،

- الإرشاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. (سورة المائدة، الآية 101).
- الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. (سورة آل عمران، الآية 08).

وغيرها من المعاني التي ذكرها الغزالي.<sup>1</sup>

تناول النحويون ظاهرة الاستلزام الحواري، فالسيوطي في كتابه "الإتقان" يقول عن أسلوب الاستفهام: «وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً...»<sup>2</sup>، ومصطلح المجاز هنا، لا يقصد به مجاز الألفاظ المفردة، وإنما المجاز المركب أي مجاز التركيب أو الجملة، وهو استعمال جملة استفهامية أو أمرية، مثلاً، للدلالة على غير ما وضعت له.<sup>3</sup>

ليس معنى استدلنا بملاحظات "السيوطي" أن هذه الظاهرة كانت غائبة عمّن سبقه، إذ عالجها "سيبويه" في "الكتاب" و"الفراء" في "معاني القرآن" و"المبرد" في "المقتضب" وغيرهم، ونشير هنا إلى أن أفعال الكلام كانت تستعمل بمصطلح "معاني الكلام"، و"ابن فارس" في كتابه "الصاحبي" وكذلك "الزمخشري" كان لديه وعي بظاهرة الاستلزام الحواري، وفي ذلك يقول شارح "المفصل": «اعلم أن الأمر طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى من دونه، قيل له أمر، وإن كان من النّظير إلى النّظير، قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء...»<sup>4</sup>.

وفي تعليقه على الآية الكريمة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (سورة البقرة، الآية 233)، أي يُرْضِعْنَ، بمعنى خرج الأسلوب الخبري إلى أسلوب الأمر.

نفهم من كل ما سبق أن ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة كانت حاضرة في أذهان اللغويين العرب، وملاحظاتهم، وتبعاً لتلك الملاحظات كان لهم وعي عميق بموضوع المقام والسياق (القرائن المقالية والحالية)، والأفعال الكلامية لا تصدر إلى بتوقّر المقام، فما هي النّظرة التداولية لموضوع المقام أو السياق في التراث اللغوي العربي؟

1- ينظر نفسه.

2- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق-بيروت، ط1، 1426هـ-2008م، ص: 576. واسترسل في طرح أشهر المعاني المجازية للاستفهام.

3- هشام.إ. عبد الله خليفة، (م س) ص: 445.

4- ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر ج58/7.

ج-المقام في التراث اللغوي العربي: نال هذا الموضوع حظاً عظيماً من الالتفات إليه في التراث اللغوي، ذلك أنّ الأداء الفعلي للكلام الممارس يومياً في الخطاب العادي أو ما يتضمّنه النصّ القرآني من أحكام تنظّم حياة المسلمين اليومية، وقصص وعبر للأمم الغابرة، وغيرها، وما يتضمّنه النصّ الشعري من تأريخ لحقب زمنيّة، ومواقف، وقصص، وغيرها، لا يمكن الوقوف عند الدلالات والأبعاد، والقيم، بمختلف مستوياتها التي تهدف إليها إلا بالنظر إلى المقام الذي قيلت فيه والسياق الذي وجدت فيه والعناصر المشاركة في إنتاجه وما يعرض لها من أحوال متنوّعة تناسب الموقف الكلامي، وقد اختصر البلاغيون أهميّة المقام في قولهم: «لكلّ مقام مقال» وفي حدود بلاغة الكلام عندهم، يقول "السعد التفتازاني" (ت791): «هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدّي به أصل المراد خصوصيّة ما، وهو مقتضى الحال، مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال... الخ»<sup>1</sup>.

تحدّث "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" عن الدلالات اللفظية وغير اللفظية<sup>2</sup>، وتحدّث "سيبويه" عن سياق الحال، وسماه "الخُلف"<sup>3</sup>، و"عبد القاهر الجرجاني" في عرضه لنظرية النظم تحدّث عن الفروق والوجوه المتعدّدة للتركيب وفقاً لما يقتضيه السياق، و"ابن جني" في الخصائص ووقفه عند بلاغة الحذف وغيرها من الظواهر اللغوية أكّد على أهميّة سياق الحال وأثره في إحداث نوع التركيب\*، وعموماً فإن علم المعاني، والذي عرفه "السكاكي" بأنه: «تتبع خواص التركيب»، ومن خلال عرض مسأله بيّن أن لا حديث عن معاني الكلام خارج السياق ومفسري القرآن الكريم وشراح الحديث، دراساتهم التفسيرية

1- سعد الدين التفتازاني: شروح التلخيص، ص: 122/1، 123.

2 - ينظر: أبو عثمان عمرو الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ- 1198م، ج76/1.

3 - ينظر: المتولي محمود المتولي عوض حجاز: مصطلح (الخُلف) في كتاب سيبويه، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الرابعة والثلاثون، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1435هـ-2014م، الرسالة 405، ص 20.

\* - سنتطرق إلى ملاحظات ابن جني في هذا الجانب في الفصل الثاني، مبحث الحذف.

خاضعة لمبدأ السّياق، وكذا أيضا علماء الأصول، وقد بيّنا جانبا من اهتماماتهم بسياق الحال والكلام من خلال مبحث نظرية أفعال الكلام، والاستلزام الحواري.

لا يكفي موضوع السّياق أو المقام وحده في الوقوف على معاني الكلام في التراث اللّغوي العربي، لأنّه يرتبط بالظروف الخارجية للخطاب فقط، فهناك عناصر أخرى تتعلّق بالمتكلم نالت حظّها من الدّراسة التداولية وهي مسألة "القصد" أو "القصدية"، فما هي مظاهرها في التراث اللّغوي العربي؟

د- القصدية في التّراث اللّغوي: من المسائل التي تدلّ على أن اللّغويين العرب عرفوا التداولية، وأن تحليلاتهم كانت ذات توجّه تداولي، "مسألة القصدية"، وهي مسألة تتعلّق بالمتكلم، من حيث مراده من الخطاب وأكثر ما طرحت هذه القضية في نظرية أفعال الكلام قديما وحديثا، فكلّ ما يصدر عن المتكلم من أمر ونهي ووعد ووعيد وإذن ومنع وحثّ وكفّ وتمنّ وتضرّع... الخ حتى وإن كان كذبا، فهو صادر عن "قصد"، ونستطيع أن نقول إنّ القصدية تتعلّق بالمعاني النفسية التي تختلج في صدر صاحبها، وهي فعل ذهني نفسي مصاحب لمختلف معاني الكلام، وأكثر ما تتبيّن لنا في تلك المعاني الفرعية التي تتفرّع عن معنى أصلي، كصيغة الأمر، التي قد تخرج إلى الالتماس أو الدّعاء أو غيرها... الخ، وللقصدية مظاهر لغوية وغير لغوية، أي مقالية وحالية فمن المظاهر اللّغوية، تلك الألفاظ الخاصّة بمعنى من المعاني النفسية والأغراض الكلامية التي يريد المتكلم أن يعبر عنها، أو يحدث موقفا، كفعل الوعد في "أعدك بكذا وكذا"، ومن المظاهر غير اللّغوية، الإشارات المصاحبة لفعل القول كاللّغيم الدّال على الوعيد والتهديد، ورفع اليد... الخ.

اعتدّ العلماء بمعيار القصد في تحديد الفروق بين الخبر والإنشاء كما رأينا سابقا وفي تحديد الأساليب الكلامية الخاصّة بالطلب والإنشاء، أي مختلف الأفعال الكلامية التي تصدر عن المتكلم، ف "إبراهيم الشّيرازي" (ت476هـ) وهو أحد الأصوليين اتّخذ القصد قرينة أساسية في التمييز بين الخبر والإنشاء بقوله: «يصير خبرا إذا انضمّ إلى اللفظ قصد المتكلم



الإخبار به»<sup>1</sup>، وتحدّث العلماء عن معايير أخرى للتقسيم والتفريق، منها مطابقة الكلام للواقع من اعتقاد المتكلم أنّه مطابق أو غير مطابق، وقد عدّ بعض الباحثين "مصطلح" "الاعتقاد" هو القصد والأمر مفصّل في كتبهم.<sup>2</sup>

ونظرية "المقاصد"، نظريّة واضحة المعالم في التّراث النّحوي والبلاغي والأصولي خاصّة، وأبعادها التداولية جديرة بالدراسة، حيث أكّد "محمود أحمد نحلة"، أن النّظرية المقامية العربية بعامة، تقوم على "عرفية الاستعمال" و "مقصد المتكلم" وعند الأصوليين كالإمام "أبي حامد الغزالي" و"الشاطبي" مثلاً، لا يمكن الوقوف عند مراد المتكلم إلا بمعرفة وضع اللغة، أي ما جرى به العرف، في استعمال اللّغة، فإذا صحّ له العرف بدا له المراد.<sup>3</sup>

#### رابعاً: مفهوم الخطاب

##### 1- تمهيد مصطلحي:

«يحتلّ مفهوم الخطاب موقعا محوريّا في جميع الأبحاث والدراسات التي تتدرج في مجالات تحليل النصوص، حيث برزت للوجود شعب دراسية في اللسانيات والفلسفة والأدب جعلت منه ركنا رئيسيا ضمن مقرّراتها، واتّخذته عناوين لفروع علمية مختلفة، وغدا كل مؤلف يتناول اللغة الإنسانية من جانبها التواصلية لابد أن يجعل أسّه الخطاب، وهدفه تحليله، وإن اختلف الدارسون في زاوية البحث: بين من يركز على نص الخطاب، وبين من يهتم بالمتخاطبين، وبين من يولي جل اهتمامه لمجال الخطاب، ومدى مطابقته لمقتضى الأحوال والمقامات».<sup>4</sup>

وفي ظل ذلك الاهتمام كانت تعالج مصطلحات أساسية، كالنص، والسياق ومفهوم الخطاب في حد ذاته، و«حاولت دراسات مختلفة أن تجيب عن سؤال العلاقة بين النص والسياق في الخطابات اللغوية المختلفة، وأثر الإطار الاجتماعي المحيط بالموقف الكلامي

1- إبراهيم الشيرازي: شرح اللّمع، ص: 568.

2- ينظر الطبطبائي: (م س)، ص: 52، ومسعود صحراوي، (م س)، في المحاور التي عالجت الموضوع.

3- ينظر محمود أحمد نحلة (م س)، ص: 92.

4- فؤاد بوعلي: الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2011،

في صياغة الرسالة اللغوية بكافة جوانبها، كما درست السياق اللغوي للنصوص وعلاقته بالسياقات المقامية المشكّلة لها، وتجلّى ذلك في سلسلة كبيرة من البحوث أثارها علماء الدرس اللغوي الحديث بدءاً بسوسير ومرورا بفيرث ومالينوفسكي، وسابير، وفان ديك وغيرهم<sup>1</sup>، لعل أهم ما يلاحظه القارئ في التحديدات التي يقدمها الدارسون، ونحن في هذا المقام لن نفتح دائرة الخلاف أو الاتفاق في تحديد مفهوم كل من النص والخطاب فهذا ليس مقامها، وسنتعامل مع المصطلح نظرياً أو تطبيقياً بأن كل خطاب في أصله "نص"، ما دام هناك نقطة اختلاف واحدة لبناء كل من الخطابات والنصوص، فكلاهما يندرج ضمن "البنية الكلية" أو "الأبنية الكبرى" التي تطلق على «الوحدات البنوية الشاملة للنص، ومن ثمّ فإنّ بوسعنا أن نطلق الأبنية الصغرى Micro-structure على أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينها وبين الأبنية النصية الكبرى والغرض الذي يعتمد عليه علم النص كمنطلق لتحديد ذلك هو أن متتاليات الجمل التي تمتلك أبنية كبرى هي وحدها التي تسمّى من الوجهة النظرية نصوصاً<sup>2</sup>، فالبنية الكبرى تتسم بطابع شمولي عام متحكّم في النسيج الكلي أو التوجّه الكلي للنص، أما البنية الصغرى فهي أضيق وأقل انتشاراً<sup>3</sup>.

يتّضح مفهوم الخطاب أكثر من خلال مجموعة من التعريفات الغربية والعربية التي

سنذكرها فيما يأتي:

## 2- مفهوم الخطاب في الدرس الغربي:

نبدأ بمفهوم هاريس الذي ينسب إليه ابتداءً عبارة "تحليل الخطاب" منذ 1952 (Discourse analysis)، وقصد بهذا التحليل «تتبع الملفوظ (المكتوب أو الشفهي) الذي نسميه خطاباً»، ويقصد به هنا بنية لغوية أكبر من الجملة<sup>4</sup>.

1- خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص: 07.

2 - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 164، ص: 236، 237.

3 - محمد عبد الباسط عيد: بلاغة الخطاب، قراءة في شعرية المديح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 2015، ص: 26.

4 - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: (م س)، ص: 260.

ثم شاع مصطلح "التلفظ" مع "بنفينيست" (1902-1976)، وقد توسّع مفهومه إلى أبعد من الجملة في كل من لسانيات النص والخطاب التي تتخذ النص والخطاب موضوعا لها ومن اللسانيين الذين عالجوا الوحدات الكبرى الفوق جمالية "ريكور" (Ricœur) في كتابه: (1986) (Du teste à l'action, essai d'herméneutique) وأيضا أعمال السيميائيين الأدبيين، ممثلة في فرنسا بـ"هودبين" (Houdebine)، و"كريستيفا" (Kristeva) و"بارت" (Barthes) و"جينيت" (Genette) و"غريماس" (Greimas) ومدرسته باريس، فكل هؤلاء اشتغلوا على النص، والسيميولوجيا عند كل من "غريز" (Grize) و"بوريل" (Borel)، واهتمت بالبعد النصي للنتاجات الشفوية، وأيضا الإجراءات التحليلية التي جاءت بها اللسانيات النصية، وأيضا دراسات "هاليداي" و"رقية حسن" في لسانيات الخطاب، ودعوتهما لدراسة ذلك "الكل الموحد" من خلال وصفهما للوقائع عبر الجمالية، وتحديد العبارات العلائقية، فالخطاب بالنسبة إليهما وحدة دلالية، وليس وحدة نحوية، والوحدة الدلالية تأخذ أبعادا تخص وحدة استعمال اللغة.<sup>1</sup>

ومن الغربيين الذين عالجوا قضية العلاقة بين النص والخطاب آدم (Adam) واختصرها في معادلة رياضية:<sup>2</sup>

الخطاب = النص + ظروف الإنتاج.

النص = الخطاب - ظروف الإنتاج.

إذا فكل خطاب نص وليس كل نص خطاب.

ويعرّف آدم (Adam)، الخطاب بقوله: «ملفوظا يتميز بخاصيات نصية، لكنّه يتميز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز في وضعية معينة (مشاركون، مؤسسات، موضع زمان)

...»<sup>3</sup>. *léments d'analyse tesctuelle, 1990, p23*

1- ينظر المرجع السابق، ص: 312-314.

2- المرجع نفسه، ص: 315.

3- نفسه.

### 3- مفهوم الخطاب في الدرس العربي:

أما مفهوم الخطاب عند العرب، فنبدأه بالمفهوم القرآني، فقد ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (سورة النبأ، الآية 37)، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (سورة ص، الآية 20)، ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾. (سورة ص، الآية 23).

فسر الطبري مصطلح "الخطاب" في سورة "النبأ" بمعنى "الكلام"<sup>1</sup>. وفي سورة "ص" بمعنى "علم القضاء"، وأيضاً إصابة القضاء والفهم فيه.<sup>2</sup>

وفي تفسير الزمخشري: «فمعنى فصل الخطاب البيّن من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والصواب والخطأ، وهو كلامه في القضايا والحكومات، وتدبير الملك والمشورات (...). ومعنى عزّني في الخطاب يريد: جاعني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أردّه به. وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل: أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً، أي؛ غالبني في الخطبة فغلبني...»<sup>3</sup>.

أما "عبد الرحمن الحاج صالح"، فقد تتبع استعمال كلمة خطاب عند الأصوليين والمتكلمين كالباقلاّني والقاضي عبد الجبار، وخرج بنتيجة مفادها، أن «للفظة كلام مجالا دلاليا واسعا، أما لفظة خطاب فأضيق منها، فللكلام مدلولات لا دخل للخطاب فيها مثل: قولهم: "كلام العرب أو العجم"، ومثل "الكلام المستغنى" (...). أما الخطاب فلا يكون إلا في

1- ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م، ج46/24.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ج49/20.

3 - أبو القاسم جار الله الزمخشري: الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، در المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ-2009م، ص: 921-923.

مخاطبة، وهذا اللفظ نفسه مصدر خاطب، فلا يتصور خطاب إلا في حالة مخاطبة مع مخاطب معيّن»<sup>1</sup>.

وهناك معنى آخر للخطاب يذكره عبد الرحمن الحاج صالح، وهو معنى المحاجة والجدل ومحاولة إقناع الغير، والهدف منه التأثير في المخاطب، وهو يتقاطع مع البلاغة بمفهومه العربي الأصيل، وهذا يفسر كثيرة استعمال الأصوليين والكلاميين لمصطلح "الخطاب" فخطاب الأصوليين والكلاميين قائم على أساس إقناع الآخر، والتأثير فيه بالحجة والبرهان.<sup>2</sup>

أما عند النحويين، فيستعملون كلمة كلام، «فهو جد معقول، فالكلام أعم بكثير، ويمكن أن تراعى فيه البنية والصياغة، بقطع النظر عن دوره في المخاطبة»<sup>3</sup>، وليس معنى هذا أنهم تجاهلوا الحيث عن ما يتعلّق بالخطاب والتخاطب، وإنّما أكثروا، خاصة النحاة القدامى، الحديث عن المتكلم، والمخاطب.<sup>4</sup>

ويعرّف "أبو البقاء الكفوي" في "الكليات" : «الخطاب: خاطبه: وهذا الخطاب له، لا خاطب معه والخطاب معه إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام (...). الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه...»<sup>5</sup>.

ويعرّف محمود عكاشة "الخطاب": القول الموجّه المقصود من المتكلم (أنا، نحن) إلى المتلقي المخاطب (أنت، أنتما، أنتم، أنتن)؛ لإفهامه قصده من الخطاب صريحا مباشرا، أو كناية، أو تعريضا، في سياق التخاطب التواصلي<sup>6</sup>، ونلاحظ هنا أن شرط الخطاب أن يكون هناك "متكلم وسامع" متحاوران.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح: (م س)، ص: 16.

2 - ينظر نفسه.

3 - نفسه.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح: (م س)، ص: 17.

5- أبو البقاء الكفوي: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت، دط، ص: 419. (نسخة إلكترونية).

6- محمود عكاشة: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2014، ص: 17.

ومصطلح الخطاب في سياقاته المفهومية عند علماء الأصول، والتفسير، والحديث يشير إلى أن هذا القول موجّه إلى المتهيّين لفهمه والمكفّين به، وأنه قول تفاعلي في حدث فعّال، وليس نصا مدوّنا وثابتا فقط، فالخطاب شكل لغوي في سياق تفاعلي أو تواصلية، فإن اجتزئ من سياقه التواصلي، صار نصا كنص الكتاب والأثر المدون.<sup>1</sup>

وما دام الخطاب شكلا لغويا يفرض سياقًا تواصلية، فإنه يفرض أن هناك عناصر لنجاح هذا التواصل، وهي: المتكلم والسامع، والسياق، والرسالة أي مضمون الخطاب، والقناة التي يتم بها.

### خامسا: التداولية وتطور نظريات الخطاب

هناك ارتباط وثيق بين التداولية المدمجة والنظريات الخطابية المختلفة، فتطور التداولية نابع من تطور هذه النظريات لما تتميز به من خصائص، فمن مميّزات التداولية المدمجة<sup>2</sup>:

أ. اللسان ليس شفرة بالمعنى الذي يقصده مهندسو الاتصال (شانون وويفر)، أي وضع لغاية توصيل المعلومات، بل إنّ النظام اللغوي وضع لغاية التواصل باعتبار أنّ معنى القول مرتبط ارتباطا وثيقا بعملية قوله.

ب. لا يمثل اللسان مجموعة من الإمكانيات النحوية فحسب، داخل الجملة إذ توجد شروط لغوية دقيقة تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها، ويسمى أهل الصناعة كلّ مقاربة للخطاب تضبط حسن ائتلاف المتتاليات من الجمل بالاعتماد على مجموعة من القواعد "بنيوية الخطاب المثالي".

ج. إن كانت التداولية مدمجة في الدلالة (أو في الشفرة اللغوية) اقتضى ذلك أنّ دراسة معنى قول يشتمل على جانبين: دلالة الجملة (لغويا)، ومعنى القول (المجال البلاغي أو التداولي)، والتّمييز بينهما ضروري. إنّ العلاقة بين الأقوال علاقة حاجية لا استنتاجية وفق قواعد حاجية.

1- المرجع نفسه، ص: 17، 18.

2- القاموس الموسوعي للتداولية، (م س)، ص 84، 85.

د. يعدّ إلقاء القول أي النشاط الذي يكون وراء إنتاج الأقوال بنية معقدة من أحداث الخطاب (instance de discours) ذات وظائف مختلفة، وأدى هذا إلى ظهور نظرية تداولية هي نظرية "قول متعدد الأصوات".

هـ. يندرج منوال التداولية المدمجة ضمن ابستمولوجيا المحاكاة (simulation)، ويقصد بذلك بناء منوال نظري م' مماثل للمنوال م الذي كان منطلق الأحداث الواقعية، ويهدف إلى إنتاج أحداث ح' مماثلة للأحداث ح الواقعية.

وعليه فالتداوليات المدمجة جاءت لتعيد الاعتبار للعلاقات الوثيقة بين البنية اللغوية والخطاب (لسان/كلام)، واستطاع "بنفنيست" أن يدحض مقولتي "إلقاء القول أو "الخطاب" المضيفتين لمجال اللسانيات بأنها محصورة في البنية اللسانية فقط دون الكلامية. وذلك من خلال تحليل "مقولة الشخص" و "كيفية اشتغال الأزمنة الفعلية" التي تعتمد في تحديد قرائنها على الربط بين مستويات القول وتوزيع الأزمنة الفعلية (مستوى الحكاية ومستوى الخطاب).<sup>1</sup>

الخطاب إذا هو موضوع للتداولية، وقد تطوّرت نظرية الخطاب التداولي ما بعد "تداوليات غرايس" ليدخل المكوّن البلاغي كموّن أساسي في التحليل التداولي على يد كل من شارل بيرلمان و أوزفالد ديكر، وتعدّ نشاطاتهم ممارسة علمية في صميم الدرس الدرائعي الذي يعطي للبلاغة دوراً مهماً في دراسة الخطاب، وتركّزت تلك النشاطات أكثر في ميدان الحجاج الذي هو أحد ميادين التداولية المهمة التي تربط اللغة بمستعملها، ونشير هنا إلى أنّ "ديكرو" دحض بعض أقوال كل من "أوستين" و "سيرل" في قضية تحديد مكوّنات الفعل الكلامي في جملة إلقاء القول، كالاستناد إلى مقتضى القول في تحديد جواب لسؤال ما، أمّا "الفعل التأثيري" فهو في صميم الدرس الحجاجي الذي عدّه البعض فعلاً حجاجياً.

حتّى يقف "ديكرو" على مهام "التداولية المدمجة" بدقّة ووضوح استند إلى مقولة "بنوية الخطاب المثالي" التي أشرنا إليها سابقاً، وتشتغل آليات المعنى فيه بمكوّنين "المكوّن اللساني" و "المكوّن البلاغي" هذا الأخير الذي يأخذ بعين الاعتبار وضعية "التلفّظ"، أمّا مقولة

1- ينظر المرجع السابق، ص: 87.

"الحجاج"، فقد تفرّق فيها إلى ما يسمّى بـ"السّلام الحجاجيّة"، وأعطى "ديكرو" أهميّة للضمّنات في دراسة المعنى، ومن مظاهرها معاني "المسكوت عنه"<sup>1</sup>. هناك مجالات تفرّعت عن التداولية، نذكر منها: التّداوليات العرفانيّة لسبيربر وويلسون\*، وأيضا التّداوليات الثقافيّة\*\* وتمثّلها مدرسة "بالو ألتو"، وهي تداوليات تلتبس أكثر بالسيّمانيات.

### سادسا: المتعلقات النحوية والتعدّد المصطلحي

هناك تعدّد مصطلحي يتعلّق بفئة من العناصر النحوية في الجملة العربيّة، وهي العناصر الزّائدة عن المسند والمسند إليه، أي التّانوية، وعند النّحاة يُطلق عليها مصطلح "الفضلة"، وعند البلاغيين "متعلقات الفعل"، أما عند المحدثين فتتعدّد التّسميات منها: المكمّلات، والمقيّدات، والمتمّمات، والمتعلقات، والمخصّصات، ويجدر بنا في هذا المقام أن نقف عند المصطلحين التّراثيين أوّلا اللذين هما: "الفضلة" و"المتعلّق"، وبعدها نعرّج إلى ما تناوله المحدثون.

#### 1- تعريف الفضلة:

أ- لغة: جاء في "لسان العرب" لـ "ابن منظور": «الفضّل والفضلة: البقيّة من الشّيء، وأفضل فلانٌ من الطّعام وغيره إذا ترك منه شيئا...»<sup>2</sup>، ومنه سمّي النّحاة العناصر التي تأتي بعد العلاقة الإسناديّة بـ"الفضلة"، وكأنّها تبقى زائدة عن الحاجة الضّرورية لإفادة الخبر في الجملة التّامة بذكر المسند والمسند إليه فقط. ويقابله مصطلح "العُدة" الذي يعني في

1- ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 88. والنظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص: 374 وما بعدها.

\* - للاطلاع على موضوع التّداولية العرفانيّة (نظرية الملاءمة relevance) ينظر:

Precis Dan Sperber, Deirdre Wilson: of Relevance: communication and cognition, BEHAVIORAL AND BRAIN SCIENCES, scientific journal, by Cambridge University Press, 1987, printed in the United States of America, n10,p697-754.

\*\* - للاطلاع أكثر على موضوع "التّداولية الثقافيّة" ينظر:

Istvan Kecskes and Jesús Romero-Trillo: Research Trends in Intercultural Pragmatics, Library of Congress, Deutsche Nationalbibliografie, Boston/Berlin, 2013.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (فضل)، مج 11/525.



اللغة: الدَّعْمُ، وما يُقام به، ويعتمدُ عليه، وما يُستقام عليه...<sup>1</sup>. ومصطلح "العمدة" يُطلق على العنصرين الأساسيين في الجملة، وهما المسند والمسند إليه، لأنَّهما بهما تستقيم وتحصل الفائدة دون الحاجة للعناصر الفضلة، كقولنا: (حضر الأستاذ، فاستقام الكلام، وطابت النفس).

ب- اصطلاحاً: عرّف مصطلح "الفضلة" عند النحاة بالتلازم مع تعريف مصطلح "العمدة" الذي عرّفوا به ما لا يُستغنى عنه في الكلام كالفاعل والمبتدأ، والفضلة ما يُمكن الاستغناء عنه أو حذفه في الكلام كالمفعول به وغيره<sup>2</sup>، وعليه، فالفضلة مصطلح يُطلق عند القدامى على المنصوبات الزائدة على المسند والمسند إليه، كالمفاعيل والحال والاستثناء والتمييز<sup>3</sup>، وأيضا المجرورات وما يلحقها.

وقولنا "الفضلة" زائدة لا يعني هذا أن لا معنى لها ولا أهميّة في إنتاج الخطاب، إنّما يُقصد بمعنى الفضلة أنّها زائدة على ركني الجملة الأساسيين، المسند والمسند إليه اللذين يستقيم بهما الكلام ويستقلّ، فللفضلة أهميّة كبيرة في أداء المعاني والتعبير عن الأغراض،

1- ينظر المصدر نفسه، مادة(عمد)، م3/ 303 وما بعدها.

2- ينظر إلى أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ-1994م، 116/3. وأبي بكر محمد بن سهل ابن السراج: الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، 75/1 والحسن بن عبد الله بن المرزبان أبي سعيد السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ج1/263. وشرح المفصل، ج2/39= وشرح ابن عقيل، تح: محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1996، ج1/260. ورضي الدين الاسترأبادي: شرح كافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفطي، سلسلة نشر الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1414هـ-1993م، م392/1.

3 - ينظر إلى:

أ-سيبويه: الكتاب، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، م1، ص: 68؛ وذكر مصطلح الفضلة هنا على لسان "السيرافي" في شرحه لكلام سيبويه، ذكره المعلق في حاشية الصفحة. «والمفعول كالفصلة في الكلام للاستغناء عنه» السيرافي.

ب-ابن يعيش: شرح المفصل، (م س)، 74/1 (نسخة الكترونية).

ج-الرضي الاسترأبادي: شرح كافية ابن الحاجب، 229/1، 232، 233، 343، 344.

د-ابن هشام: شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص: 223، 230، 233.

وإلا لماذا جعل لها النّحاة أبوابا مستقلة في كتب النحو وأسهبوا في شرح الأحكام المتعلقة بها؟؟ ولماذا أفرد لها البلاغيون مباحث خاصة في علم المعاني، وأشاروا إلى قيمتها البلاغية في التعبير عن الأغراض في باب "متعلقات الفعل"، ووقفوا عند خواصّ التراكيب المتعلقة بها كالحذف والتقديم والتأخير وبينوا أهمية ذلك في الشاهد القرآنيّ والشعريّ، والأمر نفسه عند علماء التفسير.

وضّح "ابن هشام" المقصود من "الفضلة" في شرحه لتعريف "الحال" وتعليقه على قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا نُبَاتٍ﴾ (سورة النساء، الآية 71) و﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (سورة لقمان، الآية 37)، و﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 60)، وقول الشاعر:

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مِنْ يَعِيشُ كَنَيْبَا      كَاسِفَا بِأَلِهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

قال "ابن هشام": «فإنّه لو أسقط (مَرَحًا) و (كَنَيْبَا) فسد المعنى، فَيَبْتَطُلُ كَوْنُ الْحَالِ فَضْلَةً (...) والمراد بالفضلة ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصحُّ الاستغناء عنه...»<sup>1</sup>.  
المتبّع لكتاب "سيبويه" في الأبواب المتعلقة بالعناصر المكملّة لا نجده يذكر مصطلح "الفضلة"، أو أنّ العناصر الزائدة على الإسناد يجب الاستغناء عنها في الكلام، بل نجده يشير إلى أهميّة هذه العناصر في أداء المعنى، والغرض، والمقاصد المتعدّدة من استعمالها، من خلال الوجوه المختلفة التي ترد عليها في التركيب العربي سواء احتفظت برتبتها الأصلية، أو طرأ عليها طارئ كالنقدّم والتأخير والحذف، أو أضيفت إليها عناصر أخرى، ومن ذلك قوله في باب "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول": «وذلك قولك: "ضرب عبد الله زيدا"... وانتصب زيداً لأنّه مفعول به تعدّى إليه فعل الفاعل»<sup>2</sup>، استطراد في شرح ظاهرة التقديم والتأخير: «ضرب زيدا عبد الله»، قائلاً: «كأنهم (أي العرب)، يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهّمّانهم ويعنيانهم»<sup>3</sup>.

1- ابن هشام: شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ص: 234.

2- سيبويه: الكتاب، 1/ 68.

3- نفسه.

ثم بيّن "سيبويه" كيف يتعدّى الفعل إلى اسم الحدّثان، وهو المفعول المطلق، وإلى ظرفي الزمان والمكان، واسمي الزّمان والمكان، وفي أبواب أخرى تحدّث عن الحال، والتّعدية إلى مفعولين وثلاثة مفاعيل، وسمّى أحد الأبواب «هذا باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر»<sup>1</sup>، أي يشير إلى ضرورة وجودهما معاً، وتحدّث في أبواب أخرى<sup>2</sup> عن الاستثناء، والتّمييز والبدل والتّعت والمضاف، وفصل في الأحكام النحوية التي تعتري هذه الظواهر اللغوية، وبيّن سنن العرب في كلامها فيما يتعلّق بتلك الظواهر، مستشهداً بالنص القرآني تارة، والشّعريّ تارة أخرى والخطاب العادي أيضاً.

ذُكر مصطلح "الفضلة" بعد "سيبويه" عند "أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد" (ت285هـ) في بعض المواضع، وقصد به ما زيد عن عناصر العلاقة الإسنادية، ومنها قوله: «والفعل المطلق يُستغنى فيه عن ذلك، فيكون المفعول فيه فضلة: كالحال والظرف والمصدر ونحو ذلك، ممّا إذا ذكرته زدّت في الفائدة، وإذا حذفته لم تُخلل بالكلام، لأنّك بحذفه مُستغنٍ...»<sup>3</sup>. ويقصد بذلك أنّ ذكر الفضلة لا تتطلّب العلاقة الإسنادية كي تؤدّي فائدتها الإخباريّة، وأنّما تُذكر لزيادة في تلك الفائدة مما قد يتطلّب الموقف الخطابيّ لغرض توضيح المعلومة للسّامع والتّفصيل فيها.

حافظ "أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج" (ت316هـ) على مصطلح "الفضلة"، ونجد ذلك في قوله: «والمفعولُ فضلة في الكلام كالذي تقدم»<sup>4</sup>، ومفهوم الفضلة عند "ابن جنّي" هو نفسه عند "المبرّد" في قوله: «وإنّما كلامنا على حذف ما يحذف، وهو مراد، فأما حذفه إذا لم يُرد فسائغ لا سؤال فيه، وذلك كقولنا: انطلق زيد، ألا ترى هذا كلاماً تامّاً، وإن لم تذكر معه شيئاً من الفضلات، مصدراً ولا ظرفاً، ولا حالاً، ولا مفعولاً له، ولا مفعولاً معه

1- المصدر نفسه، ص: 76.

2- ينظر المصدر نفسه، أغلب أبواب الجزأين الأول والثاني.

3- المبرّد: المقتضب، 3/116. ومواضع أخرى لمصطلح الفضلة، مثلاً: 3/121.

4- الأصول في النحو، 1/75.

ولا غيره، وذلك أنك لم تُردّ الزيادة في الفائدة بأكثر من الإخبار عنه بانطلاقه دون غيره»<sup>1</sup>، فابن جني ذكر أبواباً عديدة حُذفت فيها الفَصَلات، لكن دون أن يُطلق عليها مصطلح الفَصلة، كباب حذف الفاعل، وحذف التّعت وحذف المفعول به، وحذف الحال، وحذف المفعول به الثّاني وهذا في باب "شجاعة العربيّة"<sup>2</sup>، ولذلك حُذفت ليست لأتّها زائدة يجب الاستغناء عنها، وإتّما لعلم المخاطب بها مثلها مثل حذف المسند أو المسند إليه، وتحدّد بكونها "فضلة" في مفهوم ابن جني السابق عندما نريد الاكتفاء بإعلام المخاطب خبراً تنتهي فائدته عند المسند والمسند إليه، فحسب.

وهناك موضع آخر ذكر فيه "ابن جني" مصطلح "الفضلة"، سماه "باب في زيادة الحروف وحذفها"، وعنوان الموضوع: «لا تعمل الحروف في الفَصَلات»<sup>3</sup>.

أما "عبد القاهر الجرجاني" فانتقد الفريق الذي يتوهّم له أنّ ما زيد عن جزئيّ الجملة (المسند والمسند إليه) فهو زيادة في الفائدة، ويبيّن وجه الخطأ في حكمهم، «...أنهم أرادوا بذلك أنك تضمّ بما تزيده على جزئيّ الجملة فائدة أخرى، وينبني عليه أن ينقطع عن الجملة حتى يتصوّر أن يكون فائدة على حدة، وهو ما لا يعقل»<sup>4</sup>، وقد بين الاختلاف في المعنى بين جملة تكفي فيها بذكر المسند والمسند إليه فقط، وجملة تزيد فيها عناصر أخرى كالصفة والمفعول به قائلاً: «كقولك: "جاءني رجل ظريف"، مع قولك: "جاءني رجل"، في أنّك لست في ذلك كمن يضم معنى إلى معنى وفائدة إلى فائدة، ولكن كمن يريد هاهنا شيئاً وهناك شيئاً آخر، فإذا قلت: "ضربت زيداً"، كان المعنى غيره إذا قلت: "ضربت، ولم تزد زيداً"، وهكذا يكون الأمر أبداً، كلما زدت شيئاً، وجدت المعنى قد صار غير الذي كان...»<sup>5</sup>.

1- ابن جني: الخصائص: تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د.ب، د.ت، د.ط، ج2/257.

2- المصدر نفسه، ص: 243، وكل الموضوعات التي تدرج ضمن هذا الباب.

3- المصدر السابق، ص: 182.

4 - دلائل الإعجاز، ص: 533.

5- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط2، 1413هـ-1992م،

ص: 533، 534.

بقي مصطلح "الفضلة" شائعا في الدراسات النحوية المتأخرة كالشروح والمختصرات، والمنظومات الشعرية، كقول ابن مالك (672هـ):

وَحَذَفَ فَضْلَةَ أَجْزٍ، إِنْ لَمْ يَضِرْ كَحَذَفِ مَا سَبَقَ جَوَاباً أَوْ حُصِرَ.<sup>1</sup>

أما في الدرس اللغوي الحديث، فقد بيّن "حسين علي فرحات العقيلي" سبب الإعراض عن استعمال مصطلح "الفضلة" واستبداله بمصطلح "تكلمة"، وذلك بقرار من اللجنة المصرية لتسيير العلوم العربية في عام (1938م)، وذلك خوفا من الانصراف إلى المعنى اللغوي والذي بيّناه سابقا<sup>2</sup>، فمصطلح "الفضلة" لا يتناسب فعلياً وحقيقة المعاني النحوية التي تؤدّيها العناصر المكتملة، والمكتمة (من التكميم) للفائدة التي يتطلّبها المقام، ويكتفي بها السامع.

ومن المحدثين الذين احتجّوا على استعمال مصطلح "الفضلة" لدى القدماء مهدي المخزومي في "النحو العربي نقد وتوجيه"، وراح يعلّل سبب رفضه لهذا المصطلح الذي ينتقص من قيمة هذه العناصر المكتملة، مبرّرا أنّ لها دور مهمّ خاضع لمقتضى الحال ومصطلح "الفضلة" يبعد عنها هذه القيمة الاستعمالية، وقد فضل مصطلح متعلقات الفعل أو التكميلات، مع تحفظ على المصطلح الثاني، مبينا أن مصطلح "متعلقات الفعل" أكثر تلاؤما، لأن المنصوبات كلّها موضوعات يتعلّق معناها بالفعل غالبا.<sup>3</sup>

ومن النّحاة الذين استعملوا مصطلح "المتّمات" "محمد خير الحلواني"<sup>4</sup>، وآثر "علي أبو المكارم" مصطلح "المكّمات".<sup>5</sup>

1- جمال الدّين بن مالك: الألفية، شرح ابن عقيل: 260/1. وشرح ابن النّاطم، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، ص: 182. وشرح الأشموني على الألفية، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1375هـ-1955م، ج1/198. وحاشية الصبان على الأشموني، مطبعة السعادة، مصر، 1343هـ، ج2/78.

2- حسين علي فرحات العقيلي: الجملة العربية في دراسات المحدثين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2012، ص: 204، 205.

3- ينظر مهدي المخزومي: النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ-1986م، ص: 93-99.

4- محمد خير الحلواني: الواضح في النحو، دار المأمون للتراث، دمشق، ط6، 1421هـ-2000م، ص: 24. وأيضا كتابه النحو الميسر، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1997.

5- علي أبو المكارم: الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص: 151.

والملاحظ في استعمال اللغويين المحدثين، أن مصطلح "تكملة" لم يشع، وانصرف عن استعماله إلى مصطلحات أخرى، كـ "المكمّلات" و"المتّمّات"، والمتعلّقات، ولعل مصطلح المتعلقات أشهرها استعمالاً، وأبلغ في الدلالة حسب رأينا، ولذا يحسن بنا هنا الوقوف عنده، خاصة وأن له امتدادات في التراث العربي.

## 2- تعريف مصطلح المتعلقات:

أ- لغة: المتعلقات جمع للمتعلّق بصيغة جمع المؤنّث السّالم، مشتقة من الفعل "علّق"، وقد جاء في "لسان العرب" شرح كثير لمعاني "علّق"، ومنها: «علّق بالشّيء علّقا وعلّقه: نشبَ فيه (...)، وفي الحديث: فعلّقت الأعراب به أي نشبوا وتعلّقوا، وقيل طفّقوا، (...) وهو عالق به أي نشب فيه (...)، علّق بقلبه علاقةً (...) والعلاقة الهوى (...) والعلاقة: المعلق الذي يُعلّق به الإناء...»<sup>1</sup>، والملاحظ أنّ هناك علاقة بين التعريف اللغوي وبين المصطلح النحوي (المتعلّق)، إذ يحمل معاني التمسك والارتباط والاتصاق التي يوحي بها (علق).

ب- اصطلاحاً: المصطلح الشائع في كتب النحو التراثية والمعاجم المتخصصة في النحو هو "التعلّق"، وهو يعني: «حكم من أحكام حروف الجرّ والظروف وهو نوع من الارتباط المتمّ للمعنى، ينعقد بين ما يشبه الجملة من ظرف وجار ومجرور، وما قبلهما من أفعال أو ما يُشبهها»<sup>2</sup>، وهو أيضاً عبارة عن ارتباط معنويّ ناتج عن تعلّق الظروف والجار والمجرور بالفعل أو شبهه، فالظروف تدلّ على مكان حصول الحدث أو زمانه، كذلك حروف الجرّ تدلّ على معان مرتبطة بالفعل. و"المتعلّق" هو ما يلزم ارتباطه بالفعل أو

1- لسان العرب، مادة (علق)، مج10/261 وما بعدها.

2- محمّد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م، ص: 156.

شبهه، ويضيف معنى إليه، كالظرف والجار والمجرور<sup>1</sup>، أو يحصل ذلك الارتباط لتكلمة معنى الفعل، نحو: "ذهب زيدٌ إلى المدرسة" فالجار والمجرور متعلقان بـ"ذهب"<sup>2</sup>.  
مصطلح "التعلق" أو ما يكون من مشتقاته، كـ"مُعلِّق" في النحو التراثي لم يخرج عن إطار تعلق شبه الجملة بالفعل أو شبهه، أو التعلق بالخبر المحذوف وجوبا، وقد استعمل "سيبويه" مصطلح "مُعلِّق" في باب: "هذا بابٌ من الابتداء يُضمَر فيه ما بُني على الابتداء"، ويقصد به ما يتعلَّق بخبر "لولا" المحذوف وجوبا لكثرة الاستعمال ومواطن أخرى أيضا يُحذف الخبر فيها وجوبا<sup>3</sup>، وحافظ على هذا المصطلح من جاء بعده، كـ"المبرد" (ت285هـ) في "المقتضب"<sup>4</sup>، أمَّا كتب المتأخرين والشراح<sup>5</sup>، ففضل أصحابها مصطلح "متعلِّق" و"التعلق"، ومنهم ابن هشام الذي خصَّ بابا بأكمله لأحكام تعلق شبه الجملة من الجار والمجرور والظرف بالفعل<sup>6</sup>، ومنهم من عنى بـ"التعلق" تعلق الفعل بالمفعول به شرحا لمصطلح "الوقوف"<sup>7</sup>، أمَّا بالنسبة للعناصر الزائدة على المسند والمسند إليه فأطلق عليها مصطلح "الفضلة" تارة، وتارة أخرى تُخصَّص لها التسمية الإعرابية، كالمفعولات، والمجرورات، والمنصوبات... الخ.

ورد مصطلح "متعلِّق" و"التعلق" في كتب البلاغة التراثية (علم المعاني)، وذلك في باب: "أحوال متعلقات الفعل"، وقد عنى به البلاغيون بالدرجة الأولى "المفاعيل"، ومنهم من زاد عليها المفعولات الأخرى التي تتعلَّق بالفعل أو شبهه<sup>8</sup>.

- 1- محمّد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1432هـ-2011م، ص:215.
- 2- إميل بديع يعقوب: المعجم الوافي في النحو والصرف، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2011، 294/1.
- 3- ينظر الكتاب، 128/2.
- 4- ينظر المقتضب، 76/3.
- 5- ينظر شرح ابن عقيل، 132/1.
- 6- ينظر مغني اللبيب، ج2، ص: 573-592.
- 7- ينظر الاسترلابادي: شرح كافية ابن الحاجب، ج1/391. وحاشية الصبّان، ج2/69.
- 8- ينظر مفتاح العلوم، ص:224. والإيضاح في علوم البلاغة، ص: 88، 89. وتلخيص المفتاح، د.ط، د.ت، (نسخة إلكترونية صادرة عن مجلس المدينة العلمية غير كاملة المعلومات)، ص:60. ومطوّل سعد الدين التفتازاني على التلخيص

موضوع المتعلقات موضوع نحوي بلاغي، نحوي من حيث أنه نال حظاً واهتماماً في الدرس النحوي العربي القديم والحديث في إطار البحث في موضوع التركيب العربي بصفة عامة وموضوع الجملة بصفة خاصة، وبلاغي لأنه ينتمي إلى مباحث علم المعاني، الذي يدرس خواص التراكيب، والمتعلقات لها فاعلية في إنتاج هذا النوع من الاختيارات، بل إنّ النظم وأعلى درجات تكوّنه وتحققه قائمة على الذوق الراقي في بناء العلاقات النحوية القائمة بين معاني النحو.

فالمُتعلّقات هي أجزاء فعّالة في بناء الجملة، إضافة إلى عنصرها الأساسيين المسند والمُسند إليه، وفي انتلافها مع بعضها البعض، تنتج العلاقات، وتتولد معها المعاني، والبناء العلائقي بينها، ليس بناء اعتباطياً وفقاً لنتائج العملية التوصيفية التي قام بها العلماء والمؤسسة على منهج علمي وصفي موضوعي، وهي النتيجة نفسها التي توصل إليها علم اللغة الحديث، و«علماء اللغة المحدثين يهتمون بدراسة العلاقات الناشئة بشكل مطرد بين الصيغ الصرفية أو الكلمات التي تظهر بين تراكيب مختلفة، ودراسة نظام ترتيب الكلمات وتآلفها في الجمل»<sup>1</sup>.

إنّ ذلك التآلف المحكم القائم بين مكونات البنية اللغوية بجميع مستوياتها، يكشف لنا عن قصيدة العقل البشري في خلقه وإيجاده بغية تحقيق نظام تواصلٍ لأداء المقاصد والأغراض، فرضته الطبيعة البشرية المائلة والمجبولة على التواصل الاجتماعي، وروح الفضول والمغامرة، في تفسير علاقات أنظمة الكون الأخرى، «فالإنسان لاحظ منذ وجوده أن معاني الأشياء في الوجود من حوله ترتبط فيما بينها بعلاقات متسقة منتظمة لا يد له ولا للغة في إحداثها، وهي علاقات الارتباط المنطقي بين معاني الأشياء (...) فمن المفترض أن العلاقات المنطقية بين المعاني وُجدت في عقل الإنسان قبل وجود اللغة، وربما يبعث

---

للزرويني، ص: 191، وحاشية الدسوقي على مختصر سعد الدين، ص: 298-312 وما بعدها. (شرح باب أحوال متعلقات الفعل محذوف في هذه النسخة الالكترونية، أو أنه لم يكمل التأليف، إلا أنه أشار إلى المصطلح وشرحه في هذه الصفحات وغيرها).

1 - د. خليل عبد الله عجيبة: العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه، دراسة في التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 2015، ص: 23.



على قبول هذا الافتراض أن تلك العلاقات قائمة على مقولات العقل\* ولولا العقل ما وجدت لغة بشرية، وعلى هذا فمن المستبعد قيام لغة بشرية دون الاستعانة بتلك العلاقات، واتخاذها أساسا لعملية التفكير التي تنتج اللغة، وما كان توصل الإنسان لفكرة الرموز اللغوية ليعينه على تأسيس لغة لولا تلك العلاقات المنطقية التي تنتظم الرموز في سلكها حتى تتركب الجمل»<sup>1</sup>.

إذا فالعلاقات القائمة بين عناصر الجمل، خاضعة في منطقيتها بما تحيل عليه من علاقات منطقيّة في الخارج، كالسببية والفاعلية والمفعولية وعلاقات التمييز والعلاقة الجزئية والكلية، فعندما نقول مثلا: خلق الله الكون، فالعلاقة بين "خلق" و"الله" علاقة الفاعلية، وبين "خلق" و"الكون" المفعولية، وهما علاقتان متطابقتان مع ما تحيلان إليه في الخارج، فالجملة مقبولة دلاليًا وعقليًا، ونحويًا.

عندما نعود إلى مصطلح "المتعلقات": جمع، مفرده: "متعلق"، والتعلق لا يكون إلا وفق علاقات لها غايات وأداءات، والأمر نفسه في التركيب النحوي، سواء أ كان مركبا إسناديا أم ما يتعلق بالمركب الإسنادي من العناصر الأخرى، كالجار والمجرور، وأنواع المفاعيل والتوابع، والاستثناء، والتمييز والحال... الخ، فإذا كانت العلاقة التي تربط بين المسند والمسند إليه هي علاقة "الإسناد" التي هي علاقة معنوية أساسية، فإن «بقية العلاقات بيان لها»<sup>2</sup>، وقد عدّها "تمام حسان" إلى أربع علاقات معنوية أو سياقية، وهي: "التخصيص، النسبة التبعية، المخالفة"، وهي تتوزع إلى فروع عدّة شملت في مجملها ما يسمى "بالمتعلقات"، وفي حقيقة الأمر أن "تمام حسان" عالج الموضوع في إطار موسع شامل لما أسماه بـ"قرائن التعليق"، وما القرائن المعنوية المذكورة سابقا إلا جزء من قرائن

\* - يقصد بمقولات العقل هنا تلك التي حددها أرسطو، وقال بأن العقل البشري يفكر وفقها: الجوهر، الكم، المضاف، الكيف، الأين، متى، الوضع، الملّك، وأن يفعل، أن يفعل، وقد لاحظ الباحثون أن لهذه المقولات نظائرها في القواعد النحوية لأغلب اللغات. ينظر مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط1، 1997، ص: 74.

1 - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص: 73، 74.

2- المرجع السابق، ص: 161.

أخرى أطلق عليه مصطلح "القرائن اللفظية"، وهي: الإعراب، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، الأداة والتنغيم، وتضاف إليها "القرائن الحالية" أو المقامية<sup>1</sup>.

نلفت الانتباه هنا إلى أن "تمام حسّان" أراد أن يجد بديلا عن نظرية العامل التراثية فانطلق من نظرية تراثية أخرى هي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، القائمة أساسا على فكرة "التعليق"، وقد فهم تمام ما أراده "الجرجاني" وما يحمل المصطلح من غايات خطيرة غفل عنها من سبقه ومن جاء بعده ووسع توسيعا محمودا أدى به إلى تأسيس نظرية "تضافر قرائن التعليق"، ولكن بقيت فكرة "العامل" حاضرة مؤثرة بما يسمى "قرينة الإعراب" وقد عدت "قرينة لفظية" رغم أن في أصل وضعها جاءت للإبانة عن المعاني وهي الأساس في كشف العلاقات القائمة بين الفعل وما يتعلق به من متعلقات، من خلال العلامة الإعرابية، والوقوف عند العوامل المؤثرة في تغييرها على أواخر الكلمات، والسؤال الذي يطرح في هذا المقام: أيّ النظريتين أكثر إلهاما، وتفسيرا، وبيانا لطبيعة العلاقات التي تربط بين المركب الإسنادي ومتعلقاته، ويخص هنا "المركب الفعلي"؟ هل نظرية العامل أم نظرية التعليق؟

### سابعا: المتعلقات النحوية في ظلّ نظرية العامل والتعليق

#### 1- في ظلّ نظرية العامل:

واضع البذرة الأولى لفكرة العمل النحوي هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، ومؤسسها كنظرية هو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت170هـ) وتلميذه "سيبويه" وذلك وفقا للتّصوص الواردة في "الكتاب" وهي نظرية لتفسير العلاقات القائمة بين العناصر المكوّنة للجملة العربية، أو "الكلام"، فمن هذه العناصر ما هو عامل وما هو معمول، ومن العوامل ما هو لفظي، وما هو معنوي، وما هو ظاهر، وما هو مضمّر، والمعمولات فيها ما هو مرفوع، وما هو منصوب، وما هو مجرور ومجزوم، والعمل هو ذلك الأثر الذي يظهر

1- ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994، ص: 178 وما بعدها.

من تأثير العامل في المعمول، ويسمى إعراباً، وله علاقات وأمارات تبين الوظيفة التي يشغلها المعمول في الجملة، وهي العلامة الإعرابية، ولها أيضاً أحوال وصور.

نعود إلى مصطلح الوظيفة الذي نقصد به "الوظيفة النحوية"، وقد يتداخل مع مصطلحات أخرى كـ "الموقع"، أو "الموضع"، أو "المحل"، أو "المعنى النحوي"، وهي كلها اصطلاحات تحيل إلى علاقة التأثير والتأثر بين العامل والمعمول أي تأثير عناصر لغوية بعضها في بعض، أي لكلّ منها موقع، أو موضع، أو محل، أو عمل، أو معنى، أو وظيفة، وعلى هذا الأساس عرّف العمل النحوي بـ: «عمل العناصر اللغوية بعضها في بعض، لا على وجه الحقيقة، بل على وجه العلاقات المطردة الثابتة بينها في تلازمها، والقول بالعمل افتراض في التحليل الداخلي أعانهم على تفسير الكثير من الظواهر في الإعراب، وما يتعلّق به»<sup>1</sup>.

ولاحظ الباحث "المنصف عاشور" من خلال استقراء الكتاب لسببويه تواتر عبارات من قبيل «معناه وعمله»، الذي يقصد به المعنى النحوي، كالنصب والجرّ... الخ واستعمل مصطلح "الموضع" سبع مائة وخمسة وتسعين مرّة بالكتاب، وتحليل المسائل النحوية المتعلقة بذلك الاصطلاح تدل على عنايته بمعنى الموضع والمجرى، والمنزلة والموقع الذي تشغله المركبات النحوية في حالات الرفع والنصب والجرّ، وهو ما يدلّ بوضوح على تلك النظرية التي اشتمل عليها كتابه، هي: «نظرية العامل آلة المعاني النحوية»، وقد تمسك النحاة بعد سببويه بذلك المنوال النحوي الذي يجسّد للمعنى النحوي مفهوماً ثابتاً قائماً على أساس المعاني الإعرابية، كالفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها.<sup>2</sup>

من خلال الكلام السابق الممهّد لتفسير العلاقة القائمة بين المتعلقات والمتعلّق به، نخرج بنتيجة أن "المتعلقات النحوية هي معمولات تحتلّ مواقع إعرابية تربطها بعاملها

1 - نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نقلاً عن لطيف حاتم الزامل: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سببويه، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2014، ص: 26.

2 - المنصف عاشور: نظرية العامل ودراسة التركيب، أعمال ندوة "صناعة المعنى وتأويل النص" من 24 إلى 27 أبريل 1991، منشورات كلية الآداب بدمشق، 1992، ص: 56.

المُحدِّث لعلاماتها الإعرابية، تعلّقت بعاملها لتحديد وتقيّد وتخصّص المعنى الذي يقتضيه العامل، فتحصل الفائدة التي يقتضيها المقام أو السّياق؛ ففائدة الكلام في كثير من الأحيان لا تتمّ إلاّ بذكر أحد المتعلّقات، فالمقام يتطلّب التّقييد، والتّخصيص أكثر مما يتطلّب الإطلاق.

وفيما يلي حصر للمتعلّقات النّحوية مع بيان عملها أي موضعها أو موقعها أو محلّها الذي لا يتحدّد إلاّ باقترانها مع عاملها، ومعمولات أخرى.

-**المفاعيل:** تشغل وظيفة المفعولية، التي يتطلبها الفعل المتعدّي، أي يحتاجها، ويقتضيها ولهذا الاقتضاء وجوه وفروق في الاستعمال العربي، لذا فكثيرا ما نجد النّحاة واللّغويين يستعملون مصطلح "المفعولات"، وهو: «جمع مفعول، وهو اسم انتصب بعد ذكر الفعل والفاعل غير مبين لحال، ولا لنوع»<sup>1</sup>، والمفاعيل كما جاء في كتب النّحاة خمسة: المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول معه، والمفعول لأجله أو له، «ولفظ المفعول يتناولها جميعا، لاشتراكها في مطلق المفعولية»<sup>2</sup> والمفعول هو ما وقع عليه فعل الفاعل.

وحكم المفعولات هو النّصب، «والسبب في ذلك أن الفاعل لا يكون إلاّ واحدا، والرفع ثقيل، والمفعول يكون واحدا فأكثر، والنّصب خفيف، فجعلوا الثقيل للقليل، والخفيف للكثير قصدا للتعادل»<sup>3</sup>.

ذكر "ابن هشام" فيما يتعلّق بعدد المفعولات، أن الكوفيين أنقصوا المفعول له، وجعلوه من باب المفعول المطلق، كقولك «قعدت جلوسا»، وزاد "السّيرافي" مفعولا سادسا، وهو المفعول منه، نحو: قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [سورة الأعراف، الآية 155].<sup>4</sup>

1 - ياسين عبد الله نصيف: التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ط1، 2013، لبنان، ص: 17.

2 - ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، ج2/31.

3 - ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 200، 201.

4 - نفسه، ص: 201.

وصرح "سيبويه" أنّ المنصوبات من المعمولات، إضافة إلى ما كان منها مجرورا أو مرفوعا ومجزوما، وذلك في قوله: «وانما ذكرت ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل»<sup>1</sup>.

يأتي تفصيل هذا الكلام في بقية أبواب الكتاب خاصة الجزء الأول والثاني، ومنها باب: «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول»، وفي هذا الباب يذكر سيبويه كل أنواع المعمولات التي يتعدى إليها الفعل، ويقصد بمعنى التعدية "العمل"، يقول "السيرافي" في شرحه للكتاب، بصفة عامة، وشرح قول "سيبويه": «واعلم أنّ الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه»<sup>2</sup>، «يعني أنّ الفعل يعمل في مصدره، وإن كان لا يتعدى الفاعل، كقولنا: "قام زيد قياماً" والمصدر أصح المفعولات، لأنّ الفاعل يخرج من عدم، وصيغة الفعل تدلّ عليه، والأفعال كلها متعدية إليه عاملة فيه، والأشياء التي تشترك في تعدّي الأفعال إليها ستة: المصدر، وظرف الزمان، وظرف المكان، والحال، والمفعول معه، والمفعول له...»<sup>3</sup>.

هناك عوامل أخرى تعمل عمل الفعل في نصبها للمفعولات، ورفعها للفاعل وذلك في قول "سيبويه": «وما يعمل من أسماء الفاعلين، والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول...»<sup>4</sup>، وهنا يتحدث عن الوصف المشتق الذي يعمل عمل فعله.

يضاف إلى ذلك المفعول به في أساليب الإغراء والتحذير والاسم المنصوب على الاختصاص والمنادى وأسلوب التعجب<sup>5</sup>، فعامل نصبه هنا هو الفعل المحذوف وجوباً، أما

1 - سيبويه: الكتاب، ج1/41.

2 - المصدر السابق، ص: 68.

3- السيرافي: شرحه الكتاب على الهامش، (في هذه النسخة اعتمد المحقق على شرح السيرافي في هوامش الكتاب)، ينظر هامش الكتاب، ج1/ 68.

4- المصدر نفسه، ص: 66.

5 - الكلمات المنصوبة في هذه الأساليب، عند النحاة هي مفعول به، لأفعال محذوفة، مقدّرة، مثل: احذر في قولك: الأسد الأسد، المنادي أيضا في الأصل مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره: أنادي، ينظر: سيبويه: الكتاب، ج1/ 330، 331، 349، 350، ج2/240، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ينظر: موضوعات هذه الأساليب في محتويات

في أسلوب التعجب، فهو منصوب بفعل التعجب "أفعله"، مثل: "ما أجمل السماء!"  
والمستثنى عامل النصب فيه هو أداة الاستثناء "إلا"<sup>1</sup>، والمسألة فيها خلاف بين النحويين  
فهناك من يرى أنّ عامل النصب هو "الفعل يتوسّط" "إلا".<sup>2</sup>

-بقية المتعلقات: أمّا التمييز فعامل النصب فيه، هو العامل الذي قبله<sup>3</sup>، وذلك في  
النوع الذي ذكره "ابن عقيل" كقولنا: "طاب زيدٌ نفساً" وهو مذهب "سيبويه" و"المبرد"  
و"المازني".<sup>4</sup>

أمّا فيما يتعلّق بالمتعلقات المجرورة، فعامل الجرّ في الاسم المجرور هو "حروف  
الجرّ"، وعامل الجرّ في المضاف إليه مختلف فيه بين قائل: إنّه مجرور بحرف مقدّر، هو  
"اللام" أو "من" أو "في"، وهناك من قال: إنّه مجرور بـ "المضاف".<sup>5</sup>  
وهناك معمولات أخرى، كالتّوابع والبدل، اختلف فيها فيما يتعلّق بعاملها، فقالوا: إنّ  
"التّعت" عامله "المنعوت" والبدل عامله المبدل منه، وعطف التّسق عامله هو ما عمل في  
المعطوف عليه.

وللمتعلقات النحوية أحكام تتعلّق بمسألة ترتبها في الجملة العربية بالنظر إلى ما  
يجاورها من عوامل ومعمولات أخرى، وقد عرّف "تمام حسان" "الرتبة" بقوله: «يقال بحسب  
الرتبة إن أحد العنصرين وقع في حيّز العنصر الآخر إمّا حقيقة و إمّا حكماً، فإذا وقع أحد  
العنصرين في حيّز الآخر بحسب اللفظ في كلّ الأحوال فتلك رتبة محفوظة وإذا وقع في ذلك  
الحيّز حكماً أي بحسب الأصل، فالرتبة غير محفوظة أي يمكن أن تتخلف بحسب الدّواعي

---

الجزء الأول، وشرح الأشموني على الألفية، أيضاً موضوعات هذه الأبواب، وشرح الرّضي على كافية ابن الحاجب، وشرح  
قطر الندى وبلّ الصدي: موضوعات هذه الأساليب.

1 - شرح ابن عقيل، ج1/288.

2 - نفسه، وللتفصيل أكثر، ينظر: أبو البركات ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين عبد  
الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، 1380هـ-1961م، ج1/260-263.

3 - شرح ابن عقيل، ج1/319.

4 - نفسه.

5- المرجع نفسه، ص: 339.

الأسلوبية»<sup>1</sup>، والمقصود بالرتبة المحفوظة بأن «تكون للكلمة المعينة رتبة التقدّم الدائم أو التأخر الدائم عن صاحبها في الجملة أو التركيب، فتكون الرتبة بين هذه الكلمة وصاحبها رتبة محفوظة»<sup>2</sup> والرتبة غير المحفوظة أن يكون «الكلمة المعينة التقدّم أحيانا والتأخر أحيانا أخرى عن صاحبها»<sup>3</sup>، فالنوع الأول خاضع للوجوب، والنوع الثاني "للجواز"، وأحكام الوجوب والجواز المتعلقة بالتقديم والتأخير مبسطة في كتب النحاة وبإسهاب.

أكد حسين رفعت حسين أن «العامل النحوي له أثر كبير في المسائل التي تحفظ الرتبة»<sup>4</sup>، كالمضاف إليه الذي يجب أن يتأخر عن عامله "المضاف"، وحروف النصب والجرّ وهي عوامل لفظية يجب أن تتقدّم عن معمولاتها، وغيرها من العوامل اللفظية الأخرى. وفي علاقة العامل بمعموله ومعمول معموله من حيث التقديم والتأخير، أمور تضبط تلك العلاقة، كأصالة العامل من عدم أصالتها أي قوة عمله وضعفه، وأيضا العامل المتصرّف والجامد والعامل من حيث أنّه لفظي أو معنوي.<sup>5</sup>

تتضح أهمية نظرية العامل أكثر في تفسير الحركات الإعرابية لكثير من المعمولات المنصوبة التي لا تتضح طبيعة عملها، وأي موقع إعرابي تحتلّه، وأي عامل أحدث فيها حركة النصب، وهذه المعمولات تقع في جمل أصابها الحذف والإضمار، فتكون البنية العلائقية فيها غير واضحة، وقد استطاع "سيبويه" بإرشاد من أستاذه "الخليل" أن يعطي تفسيراً عقلياً منطقياً يتمشى والواقع اللغوي لهذا النوع من التراكيب حتى يستطيع متعلّم اللغة أن يهتدي إلى تحديد المواقع الإعرابية لهذا النوع من المعمولات ويكون اهتداؤه وفقاً للقاعدة الإعرابية أو القانون النحوي.

1- تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 1420هـ-2000م، ص:83.

2- حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، دراسة سياقية، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010، ص: 92.

3- نفسه.

4- المرجع السابق، ص:112.

5 - المرجع نفسه، ص: 112، 113.

تتحقق الفائدة من علم النحو حينها، وهو ما عبّر عنه الرضي الاسترابادي بقوله: «إنّ المقصود الأهم من علم النحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب»<sup>1</sup>.

ذكر "سيبويه" العديد من الأبواب، التي حصل في أنواعها التركيبية الإضمار منها: «هذا باب منه يُضمرون فيه الفعل لقبح الكلام إذا حُمِلَ آخِرُهُ على أوله»<sup>2</sup>، وذكر فيه تفسير جملة "مالك وزَيْدًا؟" أي: "ما شأنك وتناؤلك زَيْدًا؟".

«وهذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدّعاء»<sup>3</sup> مثل: حمداً وشكراً لا كفرًا... الخ، «فإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل، كأنك قلت: "أحمدُ الله حمداً"»<sup>4</sup>.

بقي أن نشير إلى أن اصطلاحات النّحاة للظواهر اللّغوية الحاصلة في الكلام العربي تحمل في طبيّاتها إحياءات إلى معنى العلائقية والعاملية، القائمة على التأثير والتأثر، لننظر إلى مصطلح "المفعول" الذي يدلّ على ما وقع عليه فعل الفاعل وهما سابقان زمنياً له وهذا المفعول قد يقع الفعل عليه أو فيه، أو معه، أو لأجله.

مصطلح المضاف والمضاف إليه يحمّلان معنى التّضام والتركيب أيضاً، ويحيلان إلى من قام بالإضافة، ومصطلح المعطوف والمعطوف عليه، والتّعت والمنعوت... الخ.

## 2- في ظلّ نظرية التعليق:

نظرية التّعلق لها نظامان: نظام تراثي وهو بالطّرح الذي طرحه "عبد القاهر الجرجاني" ونظام حديث نقصد به "نظرية تضافر قرائن التعليق" بالطّرح الذي طرحه "تمام حسان"، نحاول تناول المتعلّقات النّحوية في ظلّ نظرية النّظم، ورؤية تمام حسان لها في ظلّ نظريته الحديثة.

1 - رضى الدين الاسترابادي: شرح الكافية، ج7/1.

2 - سيبويه: الكتاب، ج368/1.

3 - المصدر السابق، ج382/1، هناك الكثير من الأبواب التي ذكرها سيبويه، ينظر الكتاب، ج371/1، 386، 414، 421.

4 - المرجع نفسه.



نظرية "التعليق" عند "عبد القاهر الجرجاني" هي نظرية في دراسة الجملة العربية بطرح يختلف عما سبقه من النحويين والبلاغيين، إنها دراسة تقوم على الاهتمام بالمعنى الذي غفل عن الاهتمام به من سبقه، إنها ثورة على تلك النظرة القاصرة لعلم النحو، وهي نظرة شكلية بحتة، تُخضع المخاطب للمعيارية ويتناول الباحثون بينهم مصطلحين مصطلح "النظم" و"التعليق" فباحث يتحدث عن "نظرية النظم"، وباحث آخر عن "نظرية التعليق" ونحن هنا لسنا في مقام تبيان الفروقات بينهما، إلا أننا نفهم أنّ التعليق جزء من نظرية النظم، وقد حدّد تمام حسان الفرق بين المصطلحات التي ذكرها الجرجاني، وهي أربعة مصطلحات: النظم و الترتيب و البناء و التعليق<sup>1</sup>، ولكل مصطلح معناه الذي قصده الجرجاني، إلا أن بتحققها في الخطاب يخدم بعضها البعض (هي في خدمة بعضها البعض).

«فأمّا النظم، فقد جعله عبد القاهر الجرجاني، أي أنّ النظم في معناه عند عبد القاهر هو تصوّر العلاقات النحوية بين الأبواب كتصوّر علاقة الإسناد بين المسند إليه»<sup>2</sup> وهو أيضا «نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة»<sup>3</sup>، نستنتج ذلك من قوله: «لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس»<sup>4</sup>، وفي قول آخر: «أنتك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالته، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل»<sup>5</sup>.

إذا كان مفهوم النظم يتحقق في النفس أولاً، وهو قائم على نظم المعاني قبل الألفاظ، فما هو التعليق؟

1 - ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 186.

2 - نفسه. ويقصد تمام حسان بمصطلح (تصوّر)، أي أن تلك العلاقات قائمة في ذهن المتكلم.

3 - المرجع نفسه، ص: 187.

4 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 49.

5 - نفسه.

التعليق هو الوجه المادي أو تحقق النظم في الأداء الفعلي للكلام، فإذا كان النظم يتم بالعقل والقلب، فالتعليق يجسد له في النص المنجز فعلا، ويتبين ذلك من خلال قول الجرجاني «أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب تلك»<sup>1</sup>، و«إذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحد منها بسبب من صاحبته، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر= أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه= أو تجيء باسم يعد تمام كلامك على أن يكن صفة أو حالا أو تمييزا... الخ»<sup>2</sup>، فالتعليق إذا قائم بين معاني النحو، كما نصّ على ذلك "الجرجاني" في أكثر من موضع، وهذه المعاني تشمل كل عناصر الجملة من مسند ومسند إليه إلى ما يتعلّق بهما أيضا من المتعلقات النحوية الأخرى، كالمفاعيل والتوابع... الخ، وهذه العلاقات التي تظهر في عناصر الجملة، أي التي تحكم تعلق الكلم فيما بينها هي الوجه المادي لتعالق معاني النحو في الذهن، وقد عرّفت الباحثة "سناء حميد البيّاتي" معاني النحو بقولها: «المعاني الذهنية التي تتولّد في فكر المتكلّم عند نظم الجمل تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم»<sup>3</sup>، ثم تأتي في نظرها مرحلة اختيار الكلمات المناسبة من بين المحشودة في الذهن، فيتم تحديد الكلمة المناسبة للتعبير عن المعنى الذهني أي النحوي.<sup>4</sup>

وقضية ترتيب المعاني في النفس أولا قبل النطق حتى تتجلّى في فروق ووجوه كثيرة أثناء الأداء الفعلي للكلام وفق قوانين التعليق التي تحدّث عنها الجرجاني، هذا دفع بالباحثين

1 - المصدر نفسه، ص: 55.

2- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

3- سناء حميد البيّاتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003، ص: 15.

4- نفسه، ص: 16.

إلى أن يعقدوا تشابها بين أفكاره وأفكار "تشومسكي" في مفهوم التوليد والتحويل<sup>1</sup>، حتى قال أحدهم: «إنّ عملية التعليق تنشأ في الجهاز العصبي المركزي لدى المتكلم من خلال تفاعل دلالات الألفاظ مع معاني النحو»<sup>2</sup>، فالتعليق عنده ما هو إلا الجانب النحوي للنظام اللغوي، فهو «الكفيل بعملية الارتباط والربط بين معاني الألفاظ وفق معاني النحو والكفاءة اللغوية الإنتاجية»<sup>3</sup>.

لا نريد أن نغفل من خلال هذه المتقدّمات عن "كيف تتموضع المتعلقات النحوية في ظلّ نظرية التعليق؟"، نفهم مما سبق من تحليلات عن مفهوم النظم والتعليق، أنّ المتعلقات النحوية هي معان نحوية بالمفهوم الذي طرحه الجرجاني، ومركزها هو الذهن أو العقل البشري، وهي متصورة ومدركة لدى المتكلم مثلها مثل باقي المعاني النحوية الأخرى، وعند إنتاج الكلام تتقلب وتتجسد في شكل ألفاظ منتقاة، حسب ما يناسب حال المتكلم والسّامع ووفق ما يقتضيه علم النحو، فتتفاعل وتتعلق تبعاً لقوانينه وأصوله التي تحكم تعالق الكلم فيما بينها، أي وفق عمليتي الربط والارتباط.\*

والمتعلقات النحوية وفق علاقات الارتباط التي ذكرها "مصطفى حميدة" هي: علاقة التعديّة والإضافة والملابسة والظرفية والتحديد والسببية والتمييز والوصفية والإبدال والتأكيد، وتتشكّل هذه العلاقات بائتلاف كلمة مع كلمة، دون واسطة، وهي بيان لعلاقة الإسناد، وتخصيص لها، مثل: رأيت الحقّ ساطعاً، فكلمتا "الحق" و "ساطعاً" تعلّقاً بالفعل "رأى"، بعلاقة التعديّة، وهي علاقة معنوية.

1- ينظر مثلاً: كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1421هـ-2001م، ص: 230 وما بعدها.

وأيضاً: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994، ص: 55، 56.

2- مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط، ص: 58.

3- نفسه.

\* - نستطيع القول أن: مفهوم الربط والارتباط هو نظرة حديثة جديدة لمفهوم التعليق عند الجرجاني وملاح الجدة نتبين في استغلال بعض مفاهيم وإصلاحات اللسانيات الحديثة، لتعميق الفكرة: ينظر مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط.

تشكّل العلاقات وفق واسطة لفظية، هو نظام الربط، مثل: «رأيتُ الطالب وهو يحمل كتاباً، فالحال جملة، "وهو يحمل كتاباً" تعلّقت بصاحبها "الطالب" بواو الحال وهي أحد الروابط اللفظية».

عندما ننظر إلى أفكار "عبد القاهر الجرجاني" من هذه الوجهة اللسانية الحديثة نجحف في حقّه، لأن طابعها شكليّ، حتى وإن تعمّقت في دراسة العلاقات القائمة بين المعاني النحوية التي أراد أن يقف عندها، ولعلّ من العدل قليلاً أن ننظر إلى أفكاره المتعلّقة بكيفية استعمال تلك المعاني في الخطاب أي في سياقاتها المتعدّدة أي في ضوء معطيات علم "استعمال اللّغة" والموسوم بـ "التداولية".

للمتعلّقات النحوية في ضوء نظرية التعليق بُعد تداولي، يتجلّى في وقوف صاحبها في "دلائل الإعجاز" على تلك الفروق والوجوه المتنوعة لتألف المعاني النحوية والخاضعة لاختيارات المتكلّم ووفق ما يتطلّبه المقام ولعلّ النصوص التي ذكرها كثيرة نعجز عن تناولها، إلا أننا سنشير إلى أهمّها، ومنها تأكّيده على أهمية العناصر الزائدة على علاقة الإسناد: «وجملة الأمر أنّه ما من كلام، كان فيه أمر زائد من مجرد إثبات المعنى للشّيء إلا كان الغرض الخاص من الكلام الذي يُقصد إليه، ويزجى القول فيه، فإذا قلت: (جاءني زيد راكباً) و (ما جاءني زيد راكباً) كنت قد وضعت كلامك لأن تثبت مجيئه راكباً أو تنفي ذلك...»، ففي هذا النصّ يذكر "عبد القاهر الجرجاني" "القصدية" في تخصيص الكلام بالمتعلّق بالمركب الإسنادي وهو الحال: "راكباً"، فحاجة المتكلّم إلى هذه الإضافات نابعة من قصديته في تبليغ معنى معيّن، وهذا الأمر من اهتمامات التداولية.

وقد كانت مسألة "القصد" متجلية في نصوص الجرجاني، كيف لا وهو في كتابه يهتم بعملية إنتاج الكلام لدى المتكلم وبين هو الأساس فيما يقصد من تأليف كلامية، «والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا السّامع»، فمثلاً يقول عن المفعول به: «فقد يذكر الفعل كثيراً والغرض منه ذكر المفعول مثاله: أتك تقول: (أضربت زيدا؟)، وأنت لا تتكر أن يكون كان من المخاطب ضرب وإنّما تتكر أن يكون وقع الضرب منه على (زيد) وأن يستجيز ذلك

أو يستطيعه»<sup>1</sup>، فالقصد هنا ذكر المفعول به، فهو بؤرة الكلام. وقولٌ للجرجاني عن الغرض من تقديم المفعول به في أسلوب الاستفهام، عبر فيه عن الغرض من ذلك لدى المتكلم وهو إنشاء فعل كلامي بواسطة ما يسمى في التداولية "بالاستلزام الحواري": «أعني أن تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت: "أزيدا تَضْرِبُ؟" كنت قد أنكرت أن يكون "زيدٌ" بمثابة أن يُضْرَبَ»<sup>2</sup> ولفظة "الإحالة" و"المنع" تحيل إلى فعل كلامي غير مباشر هو الإنكار، ومفاده إنشاء فعل كلامي مباشر: هو "منع ضرب زيد مرةً أخرى".

هناك عدّة إشارات للجرجاني تخصّ متعلقات الإسناد، وتحمل في طياتها معانٍ تداولية سنحاول الوقوف عندها في الجزء التطبيقي إن شاء الله.

والفرق الذي نسجّله بين نظرية العامل ونظرية التعليق أن نظرية التعليق وإن كان صاحبها لا ينكر العمل النحوي إلا أنه وجد البديل "بما يسمى بالتعلق" بدل العمل، فمثلا في قوله: «الاسم يتعلّق بالاسم بأن يكون خبرا عنه، أو حالا منه، أو تابعا له صفة أو تأكيدا، أو عطف، أو عطف بيان، أو بدلا، أو عطف بحرف، أو بأن يكون الأوّل مضافا إلى الثاني...»<sup>3</sup>، فالجرجاني في تفسير العلاقات القائمة بين المعاني النحوية، لم يفسرها وفق معطيات نظرية العامل، "هذا عامل وهذا معمول"، وإنما بفكرة التعلّق، وقد يلجأ إذا اضطرّ الأمر إلى تفسير علاقة ما بفكرة العامل، حيث يكمل قوله بـ: «أو بأن يكون الأوّل يعمل في الثاني عمل الفعل...»<sup>4</sup>.

ولعلّ محاولة تمام حسان أفضل المحاولات «لفهم النظام اللغوي للعربية، وأبعدها أثرا، ذلك لأنها أوّل دراسة في تاريخ النحو العربي كلّه تقيم منهجها على أساس فكرة "التعليق"،

1 - دلائل الإعجاز، ص: 157.

2 - المصدر نفسه، ص: 121.

3 - المصدر السابق، ص: 4.

4 - نفسه.

فحوّلت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثل في الإعراب القائم على فكرة العامل إلى منهج قرائن التعليق، الذي يضع المعنى في المقام الأول»<sup>1</sup>.

وقسم القرائن إلى عدّة أنواع\*، وما يهمننا هنا هو القرينة المقالية والمقامية، والمقالية التي قسمها إلى معنوية ولفظية، وتخصّ دراسة النظام اللغوي لجميع مستوياته: الصوّتي، الصّرفي، النّحوي، والمعجمي الدّلالي، أي أنها مستمدة من هذه المستويات وما يمكن أن توفّره من معطيات لبناء الجملة العربية، فهذه القرائن نابعة من جنس النظام اللّغوي نفسه. بيّن صاحب النظرية، أنّ هذه القرائن وسيلة الوصول إلى المعنى المحدد في قراءة نصّ ما في ظل ما قد يعترضه من لبس\*.

ما يهمننا هنا هو "القرائن المعنوية"، لأنّ المتعلقات النحوية تتدرج ضمنها، وبالتالي فهي مستمدة من النظام النحوي وهي عبارة عن علاقات سياقية تقيد في تحديد المعنى النحوي، كالفاعلية، والمفعولية مثلاً<sup>2</sup>، وقد عزّفتها نادية رمضان النّجار بقولها: «فهي التي ينتقل فيها الذهن من المبنى إلى المعنى معتمداً على الفهم»<sup>3</sup>، وهذا يتفق مع التعريف الاصطلاحي لمفهوم القرينة «أمرٌ يشير إلى المطلوب»<sup>4</sup>، وقد علّق لطيف حاتم الزامل بقوله: «أراد بالأمر الدليل بأنواعه: المعنوي واللفظي، والحالي، وبالمطلوب: القصد، وكأنه أراد بالقرينة الدليل الذي يوصل إلى القصد أو الغاية المرادة»<sup>5</sup> والقرائن المعنوية أدلّة موصلة

1 - مصطفى حميدة: (م س)، ص: 67.

\* - قسم تمام حسان القرائن إلى: قرائن مادية، وعقلية، وقرائن التعليق التي تخصّ النظام اللّغوي وهي القرائن المقالية والحالية (المقامية)، وشرح وبإسهاب أقسامها الفرعية، وبين أنه لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد لنص ما إلا بالاستناد إليها، ومن المعاني اللغوية لفظ القرينة: الربط والمماثلة والمصاحبة والملازمة والاقتران وفي الاصطلاح: «أمرٌ يشير إلى المطلوب» الشريف الجرجاني.

\* - معنى اللبس: «تعدّد احتمالات المعنى دون مرجّح، أي دون قرينة تعيّن أحد الاحتمالات دون سواه»، ينظر نادية رمضان النّجار: القرائن اللّغوية بين اللّغويين والأصوليين، ص: 463.

2 - ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 191.

3 - نادية رمضان النّجار: القرائن بين اللّغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2015، ص: 312.

4 - الشريف الجرجاني: التّعريفات، مكتبة BIBLIOTHECA REGIA MONACE NSIS، مكتبة الكترونية، ص: 182.

5 - لطيف حاتم الزامل: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه، ص: 15، 16.

إلى تحديد المعنى هذا ما أراده تمام حسان لكن بمعونة القرائن الأخرى، فبالقرينة المعنوية نعرف المعاني النحوية ونعرف أيها نختار لبناء جملة، إذ أنّ هناك: قرينة الإسناد وقرينة التخصيص وقرينة النسبة والتبعية والمخالفة وكلّ هذه القرائن مع الإسناد تتدرج تحتها ما يسمّى بالمتعلقات النحوية، فالتخصيص: «علاقة سياقية كبرى وإن شئت فقل: قرينة معنوية كبرى تتفرّع عنها قرائن معنوية أخص منها على النحو الآتي<sup>1</sup>:».

القرينة المعنوية	المعنى الذي تدل عليه
1-التعدية	المفعول به
2-الغائية	وهي تشمل المفعول لأجله والمضارع بعد اللام غائية العلة وغائية المدى) وكي والفاء ولن وإذن...الخ.
3-المعية	المفعول معه والمضارع بعد الواو
4-الظرفية:	المفعول فيه
5-التعديد والتوكيد	المفعول المطلق
6-الملايسة	الحال
7-التفسير	التّمييز
8-الإخراج	الاستثناء
9-المخالفة	الاختصاص وبعض المعاني

وقد علّل تمام حسان سبب إطلاق "مصطلح" التخصيص، بقوله: «لما لاحظته من أن كل ما تفرع عنها من القرائن قيود على علاقة الإسناد بمعنى أن هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص يعبر كل منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصّفة»<sup>2</sup>، وهي أيضا تلك «العلاقات النحوية الرابطة بين المعنى النحوي

1 - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:194.

2 - المرجع السابق، ص:195.

الحاصل من الإسناد التام، وما انتصب بعد هذا الإسناد من الأسماء، أو المصادر، أو الأفعال»<sup>1</sup>، وقد وضّحنا المنصوبات في صفحات سابقة.

أما فيما يخصّ شرح تلك العلاقات الفرعية (المعاني النحوية)، في ظل نظرية تضافر القرائن، سيكون في صفحات لاحقة.

«وأما النسبة فهي قرينة كبرى كال تخصيص وتدخل تحتها قرائن معنوية فرعية كما دخلت القرائن المعنوية المتعددة تحت عنوان التخصيص، والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد، أو ما وقع في نطاقها (...) وواضح أن معنى النسبة غير معنى التخصيص لأن معنى التخصيص تضيق ومعنى النسبة إحاق، والمعاني التي تدخل تحت عنوان النسبة وتتخذ قرائن في التحليل والإعراب وفي فهم النص بصورة عامة، هي ما نسميه معاني حروف الجرّ ومعها معنى الإضافة»<sup>2</sup>، ومصطلح النسبة الذي اختاره تمام حسّان استقاه (استلهمه) من التراث النحوي، حيث ذكر "الأشموني" في الشرح، طبيعة عمل حروف الجرّ، وهي: «تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتتسبها إليها، وهذه هو الفرق بين طبيعة قرائن التخصيص وقرائن النسبة، وخصّها بأنها من قرائن التعليق، لأن النحاة العرب أنفسهم سمّوا حروف الجرّ "أدوات تعليق"، لأنها هي والاسم المجرور يتعلقان بعلاقة الإسناد»<sup>3</sup>.

«وأما التبعيّة فهي أيضا قرينة معنوية عامّة يندرج تحتها أربع قرائن هي "التعت و"العطف"، و"التوكيد" و"الإبدال"، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة ثم إن أشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية، كما أن هناك قرينة أخرى توجد فيها جميعا هي الرتبة إذ رتبة التابع هي التأخر عن المتبوع دائما أيّا كان نوعهما»<sup>4</sup>.

1 - لطيف حاتم الزاملّي: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه، ص: 79.

2 - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 201.

3- المرجع نفسه، ص: 202.

4- المرجع نفسه، ص: 204.



نفهم ممّا سبق من التّوضيحات أنّ نظريّة تضافر القرائن هي استدلال<sup>1</sup> على المعنى النّحوي لا بل المعنى الدّلالي للجمل، والقرينة المعنويّة واحد من الأدلّة التي تتمّ بها هذه العمليّة، وهي لا تعمل وحدها وإنّما هناك قرائن لفظيّة أساسيّة صاحبها في الأغلب الأعم وهي: الرّتبة والعلامة الإعرابية، ويتّضح ذلك في المثال الآتي:

"خَرَجَ عَصَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْرِعًا إِلَى سَاحَةِ الْحُرِّيَةِ نُصْرَةً لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ الْمَظْلُومِينَ".

المتعلّقات النّحوية الموجودة في هذه الجملة التي تعلّقت بالمركّب الإسنادي (خَرَجَ عَصَامُ) هي: ظرف الزّمان.

يَوْمَ: من خلال الصّيغة هي ظرف زمان ومن حيث المعنى مفعول فيه، والعلامة الإعرابية هي الفتحة:

الْجُمُعَةِ: القرينة المعنوية هي النسبة، نسبت إليه طبيعة الظرف، والمعنى هو الإضافة والعلامة الجرّ، فهي مضاف إليه، والرّتبة التّأخّر.

مُسْرِعًا: العلامة: التّصّب، المعنى النّحوي: بينت حال وهيئة (عصام)، والرّتبة التّأخّر فهي: حال.

إلى سَاحَةِ: القرينة النسبة، نسب معنى الفعل وأضيف (الخروج) إلى السّاحة، وقرينة لفظية الأداة، والعلامة الجرّ، فهو جار ومجرور.

الْحُرِّيَةِ: قرينة النسبة، أضيف معنى الحرية إلى ساحة ليعيّنه ويحدّده.

نُصْرَةً: العلامة: التّصّب، المعنى هو قام من أجل فعل الخروج وسببه، فهو مفعول لأجله، والرّتبة: التّأخّر.

لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ: القرينة النسبة، نسبة معنى النصرة إليه، فهو جار ومجرور، وأيضا مسبوقا بالأداة.

الْمَظْلُومِينَ: معنى التبعية، والمطابقة والعلامة الإعرابية ومعنى الوصف فهو نعت.

1- ردة الله بن ردة: دلالة السيّاق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ، ص: 450.

التحليل السابق هو تحليل نحويّ فقط، فالقارئ المعنوية وأغلبها يشمل المتعلقات النحوية لا يكفي تحديدها للوقوف على المعاني التي يحملها النص، إذ أنّ هناك قرائن أخرى تتعلق بالمستوى الصوتي والصرفي، والمعجمي، وأيضا قرينة المقام، وتضافر كل هذه القرائن، في نظر تمام حسان هو تحليل وظيفيّ.

نظريّة "تضافر قرائن التعليق"، ليس فيها تأسيس للتحليل فقط، وإنما أيضا تأسيس لكيفية البناء. فإنتاج الكلام يخضع للقوانين نفسها التي تحملها معطيات المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والمقامي التي حاول "تمام حسان" الوقوف عند جزئياتها، بما في ذلك قوانين خاصة بالمتعلقات النحوية، وكلّ ذلك يفيد أيضا في تأسيس نظريات نحو النص.

### ثامنا: المتعلقات النحوية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة

«تنزع الدّراسات اللّسانية إلى التعامل مع مفاهيم الفاعل والمفعول و(المتعلقات) داخل ما أسماه لازار (Lazard، 1991) بـ "البنية التعلّقية"، فمصطلح الفاعل (Actant) يعرفه تتيار (Tesnière، 1976، 150)، الذي يعود له وضع المصطلح، على أنّه من الوحدات التي تعيّن الدّوات والأشياء التي تشارك في الحدث الذي يعبر عنه الفعل بشكل أو بآخر"، في حين تمثّل المتعلقات بالنسبة إلى تتيار العناصر الأساسية المشاركة (Participants) في الحدث الذي يطلبه الفعل مباشرة، وهي عنده ثلاثة: الفاعل والمفعول المباشر والمفعول غير المباشر، وفي مقابلها تقوم عناصر ثانوية لا تشترك في الحدث ولا تتعلق بالفعل، ولكنها تبين أحوال الحدث مكانا وزمانا وجهة ونعني بذلك الظروف (Circonstants) والهام في تصوّر تتيار أن الأفعال ليس لها القدرة نفسها على طلب العناصر المشتركة في الحدث»<sup>1</sup> وتقسيم "تتيار" لأنواع الأفعال كان حسب قدرتها على طلب المتعلقات وهو ما يقابل عندنا في العربية "التعدية"، وهذه الأنواع هي<sup>2</sup>:

1. أفعال لا تمتلك القدرة على طلب أي متعلق (Avalent).

1 - ريم الهامي: (م س)، ص: 350.

2- نفسه.

2. أفعال تطلب متعلّقين (Bivalents).
3. أفعال تطلب ثلاث متعلّقات (Trivalents).
4. أفعال تطلب متعلّق واحد (Monovalent)، وهي الأفعال اللازمة (Intransitifs).
5. وتوجد أفعال تطلب أربعة متعلّقات (Tétravalents).

وتشير الباحثة "ريم المهامي" إلى أنّ هذه المتعلّقات عند "تتيار" لها وظائف متعدّدة عند اقترانها بالفعل، لذا يمكن التّمييز بينها حسب تراتبها في الجملة<sup>1</sup>. والفرق الذي نسجله هنا بين النّحو الفرنسي والإنجليزي وبين النّحو العربي أنّ المتعلّق الأول هو الفاعل في النّحو اللاتيني أما الفاعل في النّحو العربي ليس متعلّقاً وإنما مسنداً إليه أي ركن أساسي، وبعدّ متعلّقاً في ظلّ نظرية التعليق أي بعلاقة الإسناد بينه وبين الفعل، أو الخبر عندما يكون جملة فعلية.

إن المصطلح الموازي لمصطلح المتعلّقات في اللسانيات الحديثة هو "مصطلح" الأدوار الدلالية، الذي يقوم مفهومه على «مفهوم الحدث، وما يرتبط به من موضوعات، ويبدو أنّ للخصائص الدلالية المعجمية للأفعال من جهة والخصائص المعجمية للأسماء من جهة أخرى دوراً أساسياً في تحديد ما يسند إليها من أدوار دلالية، وهو ما يعني أنّ دراسة الأدوار الدلالية تمثل محاولة لفهم العلاقة بين الفعل وما يقتضيه من مكونات وما تتضمنه تلك المكونات من سمات كالحركية أو السكون أو الإرادة أو الاستمرار...»<sup>2</sup>، واقترح "فيلمور" قائمة مغلقة من الحالات الإعرابية "الكونية" يقع توزيعها من عقدة الفعل في محلات الفواعل التي يقتضيهما الفعل.<sup>3</sup>

أمّا "جاكندوف" فقد تبنّى المنوال المحلي (Localiste) لـ "غروبر" (Gruber) ونحو الحالات (Case Grammar) لفيلمور مع توخي مقارنة تأويلية للدلالة، في إطار النّحو التحويلي، وقد اتّسمت قائمة الأدوار المحورية لدى "جاكندوف" في مرحلتها الأولى، بمركزية

1 - المرجع نفسه، ص: 352.

2 - المرجع السابق، ص: 352.

3 - ينظر المرجع نفسه، ص: 353.

المتحدّث عنه (Thème) وهو مركّب اسمي، يدرك على أنه كيان متنقّل مع أفعال الانتقال المجرّدة أو الملموسة مثل قولنا:

مثل: الضيُوفُ حضروا كلّهم، فالضيُوفُ هنا "متحدّث عنه".

ومن العلاقات المحورية الأخرى: الحلو (Localisation)، والمصدر (Source) والهدف (Goal)، والمنفّذ (Agent).<sup>1</sup>

الدّراسات التداولية التي تناولت موضوع المتعلقات النحوية، تناولته في إطار الحديث عن مكونات التركيب وتوصيفها تداولياً، ومن هذه النظريات نظرية الهولندي "سميون دك" المتبني للمنهج الوظيفي، ونستطيع التعرف على معطيات هذه النظرية من خلال ما قدّمه أحمد المتوكّل، الذي استطاع أن يبيّن المبادئ العامة التي تحكم رتبة المكونات داخل الجملة والمركّب الاسمي كليهما، وداخل النّص الكامل نفسه.

ومكوّنات الجملة عنده تؤدّي إلى أربع وظائف، وظيفتان داخليتان هما المحور والبؤرة ووظيفتان خارجيتان هما المبتدأ أو الذيل.

وقد مثّل لتوارد هذه الوظائف الأربع، بالجملة التالية:

أمّا خالد (مبتدأ)، فقد تزوّج (محور) أبوه (بؤرة)، هند (ذيل).

وعدّت هذه الوظائف الأربع وظائف تداولية، لأن السياق هو الذي يحدّد طبيعتها، والكفاية التداولية هي أحد أهم الأسس التي تقوم عليها النظرية الوظيفية، ومهمّتها تفسير نسق استعمال اللّغة، واستنباط الخصائص المرتبطة بهذا الاستعمال كالخصائص الصّرفية والتركيبية والتطريزية التي يحدّدها القصد (القوة الإنجازية)، والتي يحدّدها موقف المتكلّم من فحوى خطابه (الوجه).<sup>2</sup>

وفيما يلي تفصيل للوظائف التداولية الداخلية والخارجية.

أ- الوظائف الداخلية: هما المحور والبؤرة، والبؤرة تنقسم إلى ببؤرة جديدة وبؤرة مقابلة.

1 - ينظر المرجع نفسه، ص: 353-355.

2 - أحمد المتوكّل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م، ص: 64.

والوظيفة المحور هي الموضوع أو اللاحق المحيل على الذات التي تشكل محطّ الحديث في موقف تواصلية معين، ككلمة هند في قولنا:

-ماذا شربت هند؟

وبؤرة الجديد تسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة غير المتواجدة في مخزون المتكلم الذهني في موقف تواصلية معين.

مثل أحمد المتوكل بكلمة "فنجان قهوة" في المثال التالي:

شربت هند فنجان قهوة، وبؤرة الجديد هنا احتلت وظيفة إعرابية هي المفعول به، وهو أحد المتعلقات.

أمّا بؤرة المقابلة فتُسند إلى المكوّن الذي يحمل معلومة "تصحیحية" تعوّض معلومة في مخزون المخاطب يعتقد المتكلم أنها غير واردة. مثال قولنا:

-لقد شربت هند فنجان قهوة.

-لا بل، كأس شاي شربت هند.

أمّا الوظائف الخارجية، فإن وظيفة الذيل هي الوظيفة التي من الممكن أن تؤدي دور متعلق من المتعلقات كما في قولنا: قَابِلُ خَالِدٌ زَيْنَبُ الْيَوْمِ، بَلْ هِنْدًا. حيث يقوم الذيل بدور توضيح أو تصحيح معلومة من المعلومات الواردة داخل الجملة، ومن سماته الخارجية الأساسية، الفصل بينه، وبين الجملة بوقف مرموز إليه خطأً بفاصلة.

إلى جانب الوظائف التداولية التي حدّتها نظرية النحو الوظيفي، هناك أيضاً الوظائف الدلالية (منفّذ، متقبّل، مستفيد، أداة...)، ووظيفة المتقبّل، والمستفيد هي المرتبطة بالمتعلقات.

هناك أيضاً الوظائف التركيبية (الفاعل والمفعول) وفي اللغة العربية وظيفة المفعول هي التي تمثّل المتعلق النحوي.

من الدلائل التي تبين أن الخطاب نال حظّه في الدراسات الوظيفية تلك المراحل المتطورة في كل مرّة، والتي تحمل من التعمق في دراسة بنية الخطاب، ما يؤهلها لتكون

الرائدة في لسانيات الخطاب، وقد اقترح أحمد المتوكل (2003) بنية نموذجية للخطاب سماها "نحو الطبقات القالبية"\*، وهي تعديل لنظرية النموذج المعياري (ديك 1997)، ونموذج الطبقات عند رايكوف (1992)، مكوّن من ثلاث طبقات: طبقة وصفية تعلوها طبقة تسويرية تعلوها طبقة تأطيرية، وقد أضاف المتوكل طبقة رابعة هي الطبقة الوجهية ومثل لها بالترسيمة: [[وجه [تأطير]تسوير [وصف]رأس] وصف] تسوير [تأطير] وجه]].

وهذا التركيب يخصّ حمل الجملة (القضية)، والمركّب الاسمي فقط<sup>1</sup>، أمّا على مستوى "الخطاب" (جملة ونصًا كاملاً)، فقد اقترح المتوكل تسمية "بنية الخطاب النموذجية"، والتي تتكوّن من ثلاث مستويات: مستوى بلاغي، يتضمّن طبقة "المركز الإشاري"\* ونمط الخطاب\*\* وأسلوبه ومستوى علاقي يتضمّن طبقة "الاسترعاء" وطبقة "الإجاز" وطبقة "الوجه" ومستوى دلالي يتركز على "الطبقة التأطيرية" و"الطبقة التسويرية" و"الطبقة والوصفية"<sup>2</sup>.

ابتداءً من (2008) وبناءً على ما اقترحه (هنخفلد) و(ماكنزي)، تبين أنّ بنية الخطاب الثابتة لها ثوابت تتعلّق بمستويات أربع، مستوى علاقي، ومستوى تمثيلي، ومستوى صرفي-تركيبّي، ومستوى فونولوجي، يتضمّن كل منهما طبقات يعلو ويحكم بعضها بعضاً، وهذه الرؤية نفسها تبناها أحمد المتوكل<sup>3</sup>.

---

\* - تسعى نظرية النحو الوظيفي كغيرها من النظريات إلى صياغة نموذج قلبي لتحقيق الكفاية النمطية، القائمة على مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق أي تصلح لدراسة بنية اللغات الطبيعية، أي تراعي الخصائص البنوية للغة ما، وهذا ما يطلق عليه "اللسانيات التتميطية".

1 - أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 77.

\* - المركز الإشاري يقصد به في وظيفية المتوكل "المقام" أو "السياق المقامي" الذي يفترض وجود متكلم ومخاطب وزمان ومكان معينين، والمصطلح يعود إلى سيمون ديك (1997)، ينظر أحمد المتوكل: السياق موارد ومواده وأنماطه، توطئة لمكون سياقي مندمج، سلسلة التداوليات وتحليل الخطاب، ص: 602.

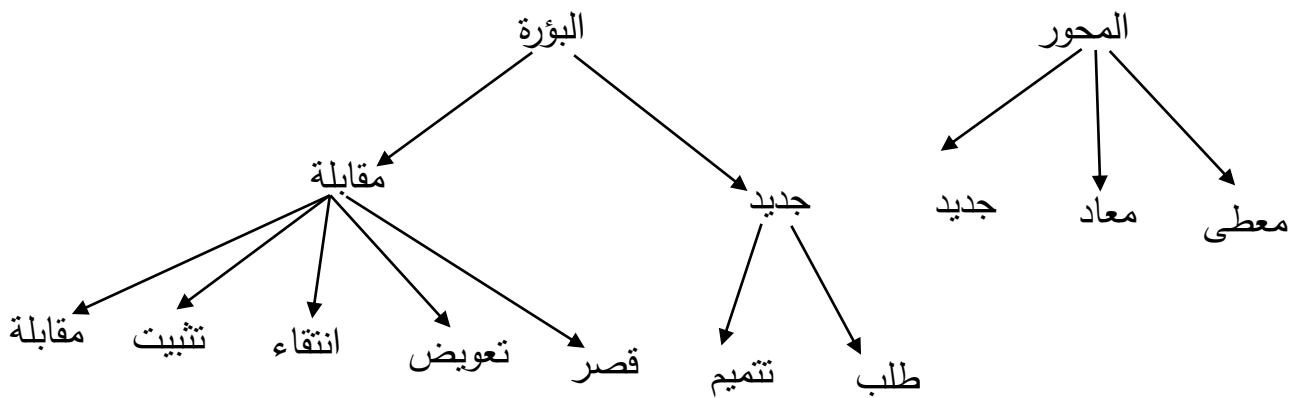
\*\* - من أنماط الخطاب: السردية، والوصفية، والحجاجي... الخ.

2 - أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 88.

3 - ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1431هـ-2010م، ص: 21.

أين تتموقع المتعلقات النحوية في ظلّ هذه الرؤية الجديدة؟ والإجابة أنّ ما يلاحظ على هذا المقترح هو تطوّر لما سبقه، فالمستوى العلاقيّ هو المستوى التداوليّ، والوظائف التداولية السابقة الذّكر (محور، بؤرة... الخ) وهي الوظائف التي قد تحتلّها بعض المتعلقات لم تُلغ في ظلّ هذه الرؤية، ووظيفتها التداولية لا تتعيّن إلاّ بالنظر إلى الطبقات التي يتكوّن منها المستوى العلاقيّ ومحتوياتها والعلاقة القائمة بينهما لأنّ هذه الطبقات هي عبارة عن تراكيب أي جملا يُنظر إليها نظرة تداولية، أي بنية خطابية، وحصر هذا المستوى في طبقتين كُبريين هما: "النقطة" و"الفعل الخطابي، والفعل الخطابي هو الوحدة الدّنيا للخطاب، ويتكوّن من قوّة إنجازية (خبر، استفهام، أمر...) ومؤشّري المتكلّم والمخاطب وفحوى خطابي، ويتضمّن الفحوى الخطابي فعلا إحاليّا، وفعلا حمليّا، ويتصدّر كلا من طبقة النقطة والفعل الخطابي والفحوى الخطابي مخصّص في حين تسند إلى الأفعال الإحالية والأفعال الحملية ووظائف تداولية (محور، بؤرة).<sup>1</sup>

الوظيفي تغيير بتوسيع العناصر التي قد تكون محورا أو بؤرة، ويظهر ذلك من المخطّطين التاليين:<sup>2</sup>



الوظائف الداخلية في نظرية النموذج المعياري (دك 1997)

1 - ينظر المرجع السابق، ص: 32.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 128، وينظر أيضا هشام فتح: الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي التماثل والاقتراض في مشروع المتوكّل، سلسلة التداوليات وتحليل الخطاب، ص: 748.

وفي نظرية "نحو الخطاب الوظيفي" (2008)، أعيد النظر في مكونات الجملة وفي إسناد الوظائف التداولية لها. "المحور والبؤرة"، وجعلت وظائف ثنائية ثلاثة بعدما كانت أحادية: المحور/التعليق، البؤرة/الهامش، المقابلة/التساوي.

ويشير "هنخلد" و"ماكنزي" إلى أن ما يؤثر في البنية الصرفية التركيبية والبنية التثغمية (التثغمية على وجه الخصوص) للعبارة اللغوية هو العنصر الأول من الثنائيات الثلاث أي (المحور والبؤرة والمقابلة)، أما الثنائيات الأخرى المقابلة فتأثيرها نادر جدا.<sup>1</sup>

وتطرح في نظرية النحو الوظيفي عبر المراحل التي مرت بها، مستويات أخرى تنتج بواسطتها البنية اللغوية، فمثلا في نظرية "النحو المعياري" أو "نحو الطبقات القالبي"، تتضافر مستويات لغوية كالمستوى الدلالي والمستوى الصرفي التركيبي والمستوى العلاقي الذي تحدثنا عنه سابقا، وفي "نحو الخطاب الوظيفي" نجد أن أربعة مستويات متظافرة في إنتاج الخطاب وفي تأويله، أي الكفاية\* التي يريد النحو الوظيفي تحقيقها، وهذه المستويات هي:

المستوى العلاقي: مستوى تداولي وبلاغي.

المستوى التمثيلي: الدلالي، طبقة عليا هي القضية وسفلى هي الواقعة.

المستوى الصرفي التركيبي: صرف ونحو.

المستوى الفونولوجي: يتضمن الخصائص الصوتية لبنية الخطاب على مستوى الجملة والمفردة، وهو يتكون من: طبقة اللفظة، وطبقة المركب التثغمي، وطبقة المركب الفونولوجي، وطبقة المفردة الفونولوجية.

يشير "أحمد المتوكل" أن العلاقة التي تربط بين هذه المستويات الأربعة في البنية الخطابية هي ليست علاقة تطابق، فمثلا تحقق الفعل الخطابي الذي هو أحد محتويات المستوى العلاقي، قد يتحقق في جملة، وقد يتحقق في مجرد مفردة.<sup>2</sup>

1- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 130.

\*- يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق ثلاث كفايات: التمثلية، والتداولية، والتفسيقية.

2 - ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 39.



التنغيم والتطريز الذي هو خاصية فنولوجية قد يساهم في تحقيق الوظيفة التداولية (البؤرة مثلا)، وقد يساهم في تحقيق فعل خطابي (استفهام، أمر، دعاء... الخ)، والفحوى الخطابي من الممكن أن يتضمن متعلقا من المتعلقات النحوية التي قد تشغل وظيفة المحور أو البؤرة.

فمثلا في قولنا: شايًا شربت؟!، فعلمة التعجب، هنا هي مكون فونولوجي (تطريزي) يحيل إلى فحوى خطابي يتضمن فعلا خطابيا هو "الإنكار"، وشايًا، وظيفتها التركيبية مفعولا به احتلّ وظيفة تداولية هي البؤرة.

والملاحظ على الدراسات اللسانية الحديثة هو خلؤها من فكرة العامل النحوي التي نجدها في التراث العربي، بما في ذلك نظرية النحو الوظيفي التي أسقط فيها أحمد المتوكل إجراءاتها على التركيب العربي، فقد ألغى نهائيا العامل النحوي في تبيان العلاقات القائمة بين الكلمات.

### خلاصة:

وفي ختام هذا الفصل، نحكم على ظهور المنهج التداولي بأنه جاء ليكمل النقائص التي عرفتھا المناهج التي سبقته، فاتحا باب التأويل للمعاني والمقاصد التي يزخر بها الخطاب الإنساني في أوجهه المتنوعة تتوع المقامات التي يُنتج فيها، وهذا الانفتاح في دراسة المعنى جعله يتصل بمناهج أخرى لسانية ونقدية لها هي الأخرى ميادينها النفسية والاجتماعية والثقافية والأيدولوجية، ولعلّ سبب هذا الانفتاح راجع إلى التطور الحاصل في مجالات التواصل الإنساني وتعمدها، فتواصلت الثقافات بين شعوب العالم وبنيت الجسور بينها، فازدادت الحاجة لفكّ شفرات التواصل، مما فرض تطور المناهج والأساليب الكفيلة بذلك. وليس بعيدا عن هذه الحاجة، أن نجد ما يماثلها في التراث العربي الذي يشهد مؤرخوه بانفتاح المجتمع العربي في العصور السابقة على الثقافات الأخرى التي احتاج أهلها لفكّ شفرات تواصلها مع الفرد العربي المسلم، فوجدت الفلسفة اللغوية والكلامية والتحليل اللغوي للمؤشرات اللغوية القرآنية والشعرية والعادية الصّانعة للحدث الإنساني ومواقفه المتنوعة، بل أبعد من ذلك، إذ تمّ الوقوف على ما يؤثّر منها في المخاطب فيغيّر عقيدته، ومواقفه وينظّم معاملته اليومية.

المؤشرات اللغوية التي يمكن أن تشكل شفرة كلامية كثيرة، ومنها العلاقات التي تُبنى بين الفعل الكلامي والعناصر المتممة للعلاقة الإسنادية أو ما يعرف "بالمتعلقات النحوية" وقد كانت ذات بال عند النحويين وفصلوا في أحكامها النحوية تفصيلا كثيرا، أمّا البلاغيون فتطرقوا لمظاهرها البلاغية، كما أنّ اللسانيات الحديثة لم تغفل عن تناولها وفق مناهجها المتنوعة. ومن هذه المناهج المنهج التداولي، فكيف نظر هذا المنهج إلى هذه العناصر؟، وهل العلاقات التي تشكّلها تحمل قوّة إنجازية وحجاجية تخدم الخطاب الإنساني؟ هذا ما سنتعرّف عليه في الفصلين الآتيين.

# الفصل الثاني

تداولية العلاقة بين المتعلّقات النّحويّة والفعل  
الكلامي في الديوان

**أولاً:** الفعل الكلاميّ الشعريّ بين الإمكانيّات اللّغوية والإمكانيّات الإبداعية

**ثانياً:** الأفعال الكلاميّة التّقريرية المخصّصة بعلاقات المفعوليّة وأبعادها

التداولية في الديوان

**ثالثاً:** الأفعال الكلامية الإنشائية المخصّصة بعلاقات المفعولية وأبعادها

التداولية

**رابعاً:** الأفعال الكلاميّة التّقريرية والإنشائية المخصّصة بالعلاقات النّحوية

الأخرى وأبعادها التداولية

**خامساً:** البعد التداولي لظاهرة الحذف وأثرها على علاقة المتعلّقات

النّحويّة بالفعل الكلاميّ

**سادساً:** تداولية التّقديم والتّأخير وأثرها على علاقة المتعلّقات النّحويّة

بالفعل الكلامي

أولاً: الفعل الكلامي الشعري\* بين الإمكانيات اللغوية والإمكانات الإبداعية

يبقى النص الشعري نصاً متميزاً من حيث القيمة الإنجازية التي يتمتع بها، إذ يمتلك من الآليات الإبداعية ما يجعله مؤثراً قوياً في نفوس المتلقين، وميزته الإبداعية تكمن في طواعية الآليات اللغوية لخصوصيته كنص شعري له بناء خاص، بغض النظر عن المواضيع التي يعالجها، فهو نص مؤثر اجتماعياً، وسياسياً، ووطنياً، ودينيًا... الخ، لكن درجة التأثير والإنجازية المنتظرة والمأمولة من منتجه تبقى رهينة لدى قدرتهم الإبداعية في مدى استغلال الإمكانيات اللغوية.

إبداعية انتقاء "الفعل الكلامي" المناسب للمقام، والملائم للمناسبة الدافعة لإنتاج النص الشعري، أحد الركائز الأساسية التي ينبغي على الشاعر مراعاتها حتى يؤدي الفعل الكلامي غرضه التداولي والحجاجي، فالسياق يبقى يفرض نفسه في جميع أنواع النصوص، وبه نستعين للكشف عن السمات التداولية والحجاجية المكونة للفعل الكلامي المتمثلة في الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، وبالسّياق أيضاً نتكّن من إجراء تداولي سليم للعناصر الإحالية المساهمة في بناء الفعل الكلامي من خلال ربطها بمراجعها في الواقع.

يمثل النص الشعري من المنظور التداولي حدثاً كلامياً، وفي هذا الصدد يبين جورج يول (George Yule) أنه «نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية واللغوية بطريقة تواضعية، تفضي إلى نتيجة ما، ويمكن أن يحتوي على فعل كلامي مركزي ولكن يمكن أيضاً أن يحتوي (الحدث الكلامي) على منطوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة، تبني الفعل المركزي»<sup>1</sup> الذي يتكوّن من سلسلة من الأفعال الكلامية تضافرت مع بعضها البعض في إنشائه.

\* - مصطلح الفعل الكلامي الشعري ذكرته الباحثة رحيمة شير في كتابها "تداولية النص الشعري"، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً.

1- ينظر: رحيمة شير تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016، ص:170.

هناك من يعتبر أن الحدث هو نفسه الفعل، إلا أن الحدث أوسع من الفعل لأنه يشمل الوقائع غير اللغوية المشهودة في العالم الخارجي.<sup>1</sup>

يتوفّر الحدث الكلامي على قوّة إنجازية تُحتجب «إلى حين وجود قارئ يكفل ظهور جزء من هذه القوّة، إنّ ظهور القارئ وفعله هو ما يسمّى بالفعل التّأثيري، وبهذا يصبح الحدث الكلامي الإبداعيّ، هو الفضاء الذي يتيح ظهور أهميّة الفعل التّأثيري في الحقل التّداوليّ، إذ أنّ ظهور قوّة الفعل الإنجازي متوقّفة على حدوث الفعل التّأثيري»<sup>2</sup>، أي ردود أفعال المتلقّين وموقفهم من الحدث الكلامي الذي يعالجه الأديب، وتحقّق مقاصد النصّ مرتبط أشدّ الارتباط بالقلب الإبداعي الذي تشكّل فيه، وعلى رأسها العناصر اللغوية، فهي العتبة الأولى التي يحتاجها المبدع في تشكيله، فتتمظهر في شبكة من العلاقات الخاضعة لقانون اللغة من جهة ومن جهة أخرى لقوانين الإبداع.

لازالت الدّراسات اللسانية والأدبية، تطلّ علينا في كلّ مرّة بالإجراءات التحليليّة المستجّدة في مجال دراسات الأعمال الأدبية، من خلال المقاربات اللغوية والنقدية والإبداعية التي من شأنها الكشف عن القوّة الإنجازية للنصوص، ومدى القوّة التّأثيرية الناتجة عنها، وكلا القوتان تتبّان عن مدى الطاقة التفاعلية بين المبدع والمتلقي، وهذه الطاقة تختلف قوّة وضعفا من نصّ إلى آخر، وهي التي تحكم مدى نجاح الفعل الكلامي المركزيّ من إخفاقه، وهذا بطبيعة الحال قائم على مدى نجاح الأفعال الكلامية الجزئية المكوّنة له.

القلب اللغوي مجتمع مع القلب الإبداعي وكيفية تشكّلها، هما وراء مدى تحقيق الفعل الكلامي المركزيّ مقاصده، لذا يوظّف الأدباء خاصة الشعراء، ملكاتهم المتنوّعة في صنع الصّورة الشعريّة، ويتدخّل بقوّة العنصر اللغوي بسِماتِهِ الاستعمالية ومختلف تمظهراته الاحتمالية لاحتواء المعنى والأغراض، إن على مستوى الحقيقة وإن على مستوى المجاز.

1- ينظر محمود عكاشة: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، (م س)، ص: 65. (تناول الباحث الفكرة بتوسّع).

2- رحيمة شيتير: تداولية النصّ الشعري، ص: 171.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

تبليغ المعاني والمقاصد، لا يقوم على عنصر دون الآخر، فالمقام قد يعطي وظيفة البؤرة والمركزية لعناصر حقها الهامشية من الناحية الوضعية، إلا أن الاستعمال لا يخصصها حقها، فيرفع مقامها، ويسلّط عليها ضوء القوة الإنجازية التأثيرية، ففي أسلوب الحذف مثلا، وهو فعل كلامي يحمل قوة إنجازية ما، قد تختفي العناصر المكونة الأساسية، كالمسند والمسند إليه لعدم الحاجة إليها، لأن المقام نزل بها إلى مستوى الهامشية، في مقابل ذلك تُذكر عناصر أخرى تتكفل وحدها ظاهرة بأداء المعنى والمقصد، وهي العناصر الثانوية من المنظور الوضعي للغة، كالمفاعيل والتوابع وغيرها من متممات الجملة التواصلية.

متممات الجملة، إذا هي عناصر مهمة من المنظور التواصل للغة، ومن المنظور الإبداعي في خلق النصوص، ومن المنظور الحجاجي للفعل الكلامي، لأنها أحد مكوناته في إنجاز الفعل القضوي، إن لم نقل أنها هي الحاملة للقوة المتضمنة في القول في كثير من الأحيان، ففي "أسلوب الأمر" وهو فعل كلامي ينتمي إلى مجموعة الأفعال الكلامية التوجيهية (الطلبية)، قد يؤدي الغرض في أسلوب الإغراء والتحذير بذكر المفعول به فقط مع مؤكده، كقولنا: "أخاك أخاك"، وقد ينوب المفعول المطلق عن فعله في أداء الطلب، كقولنا: "اجتهادا لا كسلا". فنلاحظ كيف أعطى المقام وظيفة المركزية لهذه المتممات.

فهذه نماذج على أثر واضح لدور المتممات في التواصل بأساليب بسيطة نتداولها يوميا، بينما لو نظرنا إليها بنظرة دقيقة فاحصة وهي تمثل جزئيات مهمة في بناء الصورة الشعرية للنص الشعري، لبدت أهميتها أكثر. وتطرح نفسها بقوة حتى في صنع المشهد الحجاجي والإيقاعي، لذا يجب مراعاة أهميتها.

في هذه المدونة التي بين أيدينا وهي ديوان "أغنيات للوطن في زمن الفجيعة" للشاعر محمد بن رقطان\*، سنبيّن في هذا الفصل الجانب الاستعمالي للمتممات النحوية أو

---

\* - هو شاعر جزائري، ولد في 1948م بقالمة، حفظ من القرآن الكريم، عمل في سلك التعليم، تقلد منصب مدير التربية لبعض الولايات، ناشط سياسي في حزب جبهة التحرير، عضو باتحاد الكتاب الجزائريين من 1975 إلى يومنا هذا، من دواوينه: ألحان من بلادي 1977، الأضواء الخالدة 1980، زفرات البوح 2004، له دراسة مخطوطة: الرؤية والفن في شعر محمد بلقاسم خمار، له العديد من المشاركات في الملتقيات الوطنية ونال عدة تكريمات، له نشاطات إذاعية.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

المتعلقات، من حيث علاقتها ببناء الفعل الكلامي في القصيدة، والمستويات التي تحتلها في سيرورة بنائه، ومدى مساهمتها في تشكيل الفعل المركزي أو الحدث الكلامي العام الذي من أجله أنشأ النص، وأيضا مدى حاجة الشاعر إليها في إنجاح الأفعال الكلامية المكونة لنصوصه، أي مدى مساهمتها في تفعيل الطاقة الإبداعية بينه وبين المتلقي.

أمّا بالنسبة لكيفية ورود المتعلقات النحوية في جملة "إلقاء القول" التي تحدت عنها كل من "أوستين" و"سيرل" في نظرية الأفعال الكلامية، فقد وجدنا أن هذه العناصر تتموقع في النوع الأول والنوع الثاني من الأفعال اللغوية الأربعة التي تتحقق عند إلقاء جملة (مكونات الفعل الكلامي)، وهما:

- عمل إلقاء القول الذي يقوم على التلقظ بالكلمات أو الجمل: ففي هذا النوع كثيرا ما تحتاج الجملة لإكمال دلالتها إلى المتعلقات والمكمّلات.

- العملان القضويان اللذان يوافقان الحمل والإحالة: فالمتعلقات النحوية تمثل عناصر إحالة ضرورية، والمحال إليه في صورته اللغوية قد يكون أحد المفاعيل، أو المضافات والمضاف إليه، كما أنه قد يكون إحالة إشارية: كالأزمنة والظروف والأسماء الموصولة والإشارة والضمائر، فتربط المحال إليه بالعالم الخارجي، وتحدد سياقاته المرافقة له.

أمّا العمل المتضمّن في القول والعمل التأثيري، فصياغتهما اللغوية مرتبطة أشدّ الارتباط بالصورة المعجمية للفعل في غالب الأحوال، لكن قد يوافق في العربية أن يرد المتعلق النحوي في جملة إلقاء القول ليؤدّي وظيفة العمل المتضمّن في القول والعمل التأثيري، ونعطي مثلا عن تقديم ما حقّه التأخير لغرض التخصيص الذي هو فعل تداولي خاضع للسياق، أو المصدر النائب عن فعله.

ومن الأدوار التداولية للمتعلقات النحوية في إنجاح إنجازية الفعل الكلامي هو مفهوم "التعليمات" الذي استعمل بعد أعمال "أوزوالد ديكر" لما أسماه "كلمات الخطاب"، وصورها اللغوية كثيرة، ومنها "الروابط" كأنواع الوصل والعبارات والظروف الخالية من الدلالة

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الإحالية، لأنها تتغير بحسب محيطها اللغوي<sup>1</sup>، بحيث تؤدي هذه الكلمات دورها التداولي وفق تعليمات مسؤولة عن إنتاج دلالة الجملة، ونلاحظ ذلك من خلال الأمثلة التالية:<sup>2</sup>

- ليس الطقس جميلا لكنّه رديء.

- ليس الطّقس جميلا ولكنّ المطر سيسقي الحقول.

- ليس الطّقس جميلا لكنني أرغب في فسحة.

ففي هذه الأمثلة كلمة واحدة (لكنّ) أحدثت تأثيرات معنوية مختلفة، ومن الإضافات الأساسية للتداولية اعتبار هذه التأثيرات نتيجة استعمالات وحدة معجمية بعينها، وليست نتيجة استعمالات لوحدات معجمية مختلفة.

الرّوابط التداولية أحد مظاهر إلقاء القول، وبإسقاط هذه الفكرة على اللّغة العربيّة نجد أنّ حروف الجرّ وحروف العطف بالنسبة للاسم المعطوف، وبعض الظروف الرّابطة، والأدوات المصدرية التي هي في تأويل مصدر متعلّق بالفعل نجدها تتعلّق بأعمال القول، بحيث تضيف معاني الفعل إلى المكملات، وتُشركها في أدائه وفق ما يقتضيه النظام اللّغوي أولاً ثمّ السّياق ثانياً. فجملة: " تيقّنت أنّك قادم " و " اتّصلت بك لكي أعلمك بأخر الأخبار "، لعب فيها الحرف المصدريّ دور الرّابط بين الجملة الإسنادية الأساسيّة المتضمّنة للفعل الكلاميّ التقريريّ والجملة الصّغرى المؤولة بمكمل، وعليه فهذه الأدوات استعّين بها لتتمّ معاني الأفعال الكلامية وتوصلها للعنصر التي هي بحاجة إليه، وهذا العنصر هو الآخر قد يعبر عن حدث متضمّن فعلا كلامياً ثانوياً دلالاته مرتبطة بالمستقبل.

1- ينظر: جاك موشلر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 27.

2- ينظر نفسه.



ثانياً: الأفعال الكلامية التقريرية المخصصة بعلاقات المفعولية وأبعادها التداولية

في الديوان

### 1- علاقة التعدية بين النحو والتداولية:

علاقة التعدية هي علاقة تنشأ بين الفعل المتعدّي والمفعول به، والأصل الدلالي لهذه العلاقة أنّ الفعل المتعدّي يفتقر في دلالاته إلى اسم يقع عليه، أمّا الفعل اللازم فلا يفتقر إلى ذلك<sup>1</sup>، لذا أطلق عليه النحاة مجموعة من المصطلحات تعبّر عن حاجته لبناء هذه العلاقة المعنوية، ومنها: المفتقر، المجاوز، الواقع، غير المكتفي، المتعدّي، غير القاصر، وهي مصطلحات تشير إلى قوّة الفعل في مجاوزة الفاعل إلى المفعول، وعبر عن هذه القوّة "ابن جنّي" في قوله: «ألا تراك تقول: ضرب زيدٌ عمراً فيُضَيّ الفعل بعد الفاعل إلى المفعول، فينصبه، لأنّ في الفعل قوّةً أفضت به إلى مباشرة الاسم... الخ»<sup>2</sup>.

أكثر ما يستعمل النحاة في الإشارة إلى علاقة الفعل بالمفعول به مصطلحي "التعدّي" و "الوقوع"، و: ذكر "سيبويه" في "الكتاب" قوله عن هذه العلاقة: «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله»، وذلك في قوله: «ضرب عبدُ الله زيداً»، ف "عبدُ الله" ارتفع ههنا كما ارتفع في "ذهب"، وشغلت "ضرب" به كما شغلت به "ذهب"، وانتصب "زيدٌ" لأنّه مفعولٌ به تعدّى إليه فعل الفاعل، فإنّ قدّمت المفعول، وأخّرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأوّل...»<sup>3</sup>، أي أنّ النصب هنا أثر لفظي ظاهر عن تلك العلاقة، وهو من سنن العرب في كلامها.

أمّا مصطلح "الوقوع"، فنمثّل له بقول "الرمخشري" في "المفصل": «الذي يقع عليه فعل الفاعل، في مثل قولك: ضرب زيدٌ عمراً، وبلغتُ البلدَ، وهو الفارق بين المتعدّي من الأفعال وغير المتعدّي، ويكون واحداً، فصاعداً إلى الثلاثة»<sup>4</sup>، وفي "شرح قطر الندى": «ما

1- مصطفى حميدة: نظام الرّبط والارتباط، ص: 166.

2- ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ-1993، ج1/124.

3- سيبويه: الكتاب، 1/68.

4- الرمخشري: المفصل في النحو، مخطوط (نسخة إلكترونية)، <https://upload.wikimedia.org>، ص: 10.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وَقَعَ عَلَيْهِ فَعْلُ الْفَاعِلِ»<sup>1</sup>، وقد نص على أن هذا التعريف لابن الحاجب رحمه الله، وقد فسّر المراد بالوقوع: «إِنَّمَا هُوَ تَعَلَّقَهُ بِمَا يَعْقِلُ بِهِ»<sup>2</sup> حتى يكف استشكال في قولنا: «مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَلَا تَضْرِبُ زَيْدًا».

الملاحظ أَنَّ مصطلح "التَّعْدِيَّة" عند "سيبويه" أوسع من مصطلح "الوقوع" عند النَّحَاة المتأخِّرين، ذلك أَنَّ "سيبويه" في نظره الفعل المتعدِّي لا يتعدَّى إِلَى المفعول به فقط، وَإِنَّمَا أَيضًا إِلَى المفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول لأجله... الخ، أمَّا مصطلح "الوقوع" فهو خاص بالمفعول به فقط، دون غيره من المفاعيل، فقريئة "التَّعْدِيَّة" إذا هي قريئة عامَّة، تتدرج ضمنها عدَّة قرائن أو علاقات معنوية أخرى «اقتضتها طبيعة الحدث ونوعه، لتكون قرائن معنوية مُقَيِّدَةً للإِسْنَاد وموجَّهة له نحو باب نحويٍّ معيَّن»<sup>3</sup>.

صرَّح "سيبويه" بمصطلحين آخرين في معنى التَّعْدِيَّة هما "الإيصال" و"الإضافة"، كما صرَّح "ابن يعيش" أنَّهما للتَّعْدِيَّة وسياق ذكرهما مرتبط بموضوع حروف الجر، التي يتعدَّى بواسطتها الفعل إلى مفعول به غير مباشر، ويكون ذلك مع أفعال معيَّنة ضعيفة عُرفًا واستعمالًا «فوجب تقويُّتها بالحروف الجارَّة، فيكون لفظه مجرورًا، وموضعُه نصبًا بأنَّه مفعول»<sup>4</sup>، وهذه الأفعال هي: اختارَ، استغفرَ، كَتَى وأَمَرَ... الخ، وفي ذلك يقول "سيبويه": «...وَإِنَّمَا فُصِّلَ هَذَا أَنَّهَا أَفْعَالٌ تَوْصَلُ بِحُرُوفِ الْإِضَافَةِ، فنقولُ: "اخترتُ فلانًا من الرِّجال"، و"سمَّيته بفلان" ... فلَمَّا حَذَفُوا حَرْفَ الْجَرِّ عَمِلَ الْفَعْلُ»<sup>5</sup>.

ونمَّثل لعلاقة التَّعْدِيَّة بالمخطط الآتي:

علاقة التَّعْدِيَّة

علاقة إسنادية

1- ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 201.

2 - نفسه.

3- لطيف حامد الزَّاملي: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه، ص: 81.

4- ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط1، د.ت، 65/7.

5- الكتاب، 72/1.

يذكر المفعول به في الجملة ليقيد الإسناد، والمقيّدات ذكرها لا يقل أهمية عن العناصر الأساسية، ففي كثير من الأحيان تكون هي البؤرة في الكلام، مثل: "شربتُ دوائي هذا الصّباح". فالمركب "هذا الصّباح"، هو العنصر الحامل للمعلومة الجديدة التي يجهلها السّامع، أي الفائدة. وهذا يقتضي أنّ السّامع على علم بشرب الدواء وليس على علم بوقت شربه، فلزمَ المقامُ أن نذكرَ الظرفَ الزماني الذي حدّث فيه الفعل.

من مميّزات المفعول به وأحكامه النحوية الخاصّة به "النّصب"، ويذكر النّحاة في تعليلهم لعلامة الرّفْع بالنّسبة للفاعل، وعلامة النّصب للمفعول به إلى أنّ حركة الرّفْع أنقل الحركات، والفاعل قليل الورد في الجملة، فالقليل يناسبه النّقل، ولما كان المفعول به كثير الدوران جلب إليه حركة النّصب<sup>1</sup>. وعلل "ابن يعيش" بقوله: «أنّ الفاعل إنّما اختصّ بالرّفْع لقوّته والمفعول بالنّصب لضّعفه»<sup>2</sup> ف«الفتحة علم المفعول به كغيره من المفاعيل، إذ أنّها قرينة لفظية على المفعول به بتضافرها مع القرائن المعنوية الأخرى كقرينة التّعديّة»<sup>3</sup>.

لما نتصفّح مدوّنة "أغنية للوطن في زمن الفجيرة"، نجد أنّ المفعول به ينتشر كثيرا على مستوى قصائد الديوان، ولعلّ هذه سمة تداولية أن يتّسم بحركة النّصب التي هي أخفّ الحركات، والخفيف يناسب ما كان كثير الانتشار.

تعدّدت الصّور التي جاء عليها المفعول به، فمرة يرد اسما ظاهرا، ومرة ضميرا متّصلا، ويرد جملة، ويرد مفردا، ويرد مذكورا ويرد محذوفاً، وذلك تبعا للموقف الكلامي الذي يستدعي صورة دون غيرها من الصّور، والمتحكّم في هذا التّعدد هو القوانين اللسانية والبلاغية والتداولية، فالقوانين اللسانية على رأسها المستوى النحوي والدّلالي، والقوانين البلاغية تدخلت في نوع الأسلوب الذي ورد عليه المفعول به كالتقديم والتأخير والحذف والذّكر.

1- ينظر ابن هشام: شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ص: 200، 201. وأبو الحسن الورّاق: علل النّحو، ص: 376.

2- ابن يعيش: شرح المفصل، مج1/75.

3- خديجة محمد الصافي: نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، دار السّلام، القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م، ص: 282.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أما الجانب التداولي، فقد أثر المفعول به في تحديد الغرض المقصود بالقول والغرض التأثيري بالنسبة للأفعال الكلامية، وعلاقة ذلك بكلّ من المتكلم والسّامع، والمقام المحيط بهما، ومختلف المظاهر التداولية الأخرى، كالقصدية والاستلزام الحوارية... الخ، وبعض الأساليب الأخرى ذات البعد التداولي كالتقديم والتأخير والحذف.

مثل المفعول به كثيرا من المحتويات القضيوية للأفعال الكلامية من حيث الغرض الكلامي من استعماله، وتضمّن أيضا الغرض المقصود من الفعل الكلامي أو ما يسمّى "بالقوة المتضمّنة"، وذلك أنّ أغلب الأفعال المذكورة (المستعلمة) في قصائد الديوان هي أفعال متعدية سواء على مستوى الجملة الفعلية الخبرية أو الفعلية الإنشائية، مضارعية كانت أو ماضوية أو أمرية، وذكر المفعول به كان ضروريا لإتمام فائدة الكلام، وهذا يعني أن الغرض المتضمّن في القول أو القوة الإنجازية لا تتحقّق من إنشاء العلاقة الإسنادية لوحدها، بل إنّ الفائدة والقصد لا يكتملان إلّا بالمفعول به.

أشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى هذه الأهمية في قوله: «حال الفعل مع المفعول الذي يتعدّى إليه، حاله مع الفاعل، وكما أنّك إذا قلت: "ضرب زيد"، فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له، لا أن تفيّد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق. كذلك إذا عدّيت الفعل إلى المفعول، فقلت: "ضرب زيد عمرا"، كان غرضك أن تفيّد التباس الضرب الواقع من الأوّل بالثاني، ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أنّ عمل الفعل فيهما إنّما كان من أجل أن يُعلم التباس المعنى الذي اشتقّ منه بهما».<sup>1</sup>

يقول "الخطيب القزويني": «حال الفعل مع المفعول، كحال مع الفاعل، فكما أنّك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك أن تفيّد وقوعه منه، لا أن تفيّد وجوده في نفسه فقط، كذلك إذا عدّيته إلى المفعول كان غرضك أن تفيّد وقوعه عليه، لا أن تفيّد وجوده في نفسه

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 153.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

فقط، فقد اجتمع الفاعل بالمفعول في أنّ عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه»<sup>1</sup>.

الفعل المتعدّي عند "الجرجاني" و"القزويني" معناه ليس قائماً بنفسه و الغرض الذي يؤديه والفائدة لا تتمّ ولا تحصل إلاّ بالمفعول به، كما أنّ الترتيب الحاصل بين معنى الفاعلية والمفعولية و ضرورة وجود القرينة اللغوية الدالة على التمايز بينهما - أيهما قام بالفعل وأيهما وقع عليه الفعل - هو من محصلات فائدة الكلام وفق ما يقتضيه العقل و العالم الخارجي، وهذا يبيّن أنّ علماء البلاغة كانوا على وعي كبير بمسألة البنية اللغوية وعلاقتها بالنسبة الخارجية للكلام وما هو حاصل في اعتقاد كلّ من المتكلّم والمخاطب ، وقيمة الصدق أو عدمها المرتبطة بهذا الاعتقاد.

يثبت كلام "الجرجاني" أنّ في كثير من المواقف الخطابية يكون ذكر المفعول به هو بؤرة الكلام، وهو العنصر الذي يحمل القوة الإنجازية أو القوة المتضمنة في القول، يقول الجرجاني: «فقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول، مثاله، أنك تقول: (أضربت زيداً؟) وأنت لا تتكر أن يكون كان من المخاطب ضرباً، وإنما تتكر أن يكون وقع الضرب منه على زيد...»<sup>2</sup>، وفي هذا شرح لموقف يكون فيه المتكلّم ينجز فعلا كلامياً غرضه الإنكار بغية التأثير على المخاطب حتّى يثبت صدق الخبر من عدمه، وهذا الفعل الكلامي يمثل فيه المفعول به عنصر البؤرة الكلامية والمثير الذي حرّك القضية، وعليه، فمن المنظور التداولي نستطيع أن نقول أنّ كلمة "زيداً" تحمل الشحنة الدلالية الأكثر قوة وجلبا للانتباه، وهو العنصر المحال عليه بقوة في هذا الحدث، خاصّة وأنّه معروف ومحدّد. بالوقوف على أنواع الأفعال الكلامية المتعدّية حسب تصنيف "سيرل" تكون: الأفعال تقريريّة (تمثيلية) وتوجيهية ووعدية وإيقاعية وبوحية (إفصاحية).

1- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 88.

2- دلائل الإعجاز، ص: 157.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

والملاحظ على مؤسسي نظرية الأفعال الكلامية تركيزهم على الصيغة المعجمية للفعل الكلامي، وشروط نجاحه، لكن لم يهتموا بدراسة العناصر المكونة لجملة "إلقاء القول"، وأثرها في إتمام إنشاء الفعل، والعلاقة التي تربطها بالفعل الكلامي، ومدى أثرها في تحديد الغرض المقصود من القول "المتضمن في القول، وهذا يزيد الدراسة صعوبة، لأن المنطلق (منطلقنا) في تحديد العلاقة بين الفعل الكلامي بأحد عناصره، هو منطلق نابع من جهود فردية، وهنا نعطي مثالا على الفعل المتعدّي إلى مفعولين، فهذان المفعولان، لا تتم فائدة الجملة بدونهما، بل القوة المتضمنة في القول هي في ذكرهما.

عالج "مسعود صحراوي" قضية الفائدة و"الإفادة" من المنظور التداولي، فهي لا تقتصر على النسبة الكلامية المكونة من مسند ومسند إليه فقط في إفادتها للخبر، وإنما أيضا للمكملات (الفضلات) دور في إتمام الفائدة الأساسية له، وقد عدّ ضرورة التقييد أو التخصيص بهذه المكملات، وحاجة الكلام إليها "فعلا تداوليا" سماه "فعل التخصيص"<sup>1</sup>، وهذا هو أحد مقاصد المتكلم من إلقاء القول، لأنّ القصد هو الأساس الأول في نشوء نظرية الفعل الكلامي عند "أوستين"، وغيره.

لذا تحدّث "أوستين" عن ما يسمّى بـ "نجاح الفعل الكلامي" أو "إخفاقه"، فهو في نظره يوصف بأنه "موفّق" أو "مخفق" وفق نوايا أو مشاعر أو أفكار<sup>2</sup> نابعة من قصدية المتكلم. وفي دراستنا للأفعال التقريرية، سننتبّع قصد الشاعر من استعماله الأفعال المتعدّية، أي التعدّية إلى المفعول به، وتحليل هذا النوع من الأفعال الكلامية، أي فعل التخصيص بالمفعول به، وفق الأغراض المتعدّدة له: "تقريري أو طلبي أو إفصاحي أو إلزامي... الخ. كما نشير إلى أنّه قد تجتمع عدّة أفعال كلامية في جملة إلقاء القول، كأن يكون تقريريا إثباتيا فقط أو تقريريا إثباتيا تأكديا، أو تقريريا للنفي أي نفي التخصيص.

1 - مسعود صحراوي: (م س)، ص: 22-24.

2 - آن ريبول وجاك موشلر: القاموس الموسوعي، ص: 57، 58.

2- الأفعال التقريرية المخصصة بعلاقات المفعولية لغرض الإثبات:

أ- أفعال تقريرية غرضها تمجيد الوطن: من الأفعال التقريرية المتعدية (المتخصصة)، وهي التي غلب استعمالها على قصائد الديوان، الفعل التقريري المتعدي الإثباتي لغرض التخصيص بالمفعول به، وقصد المتكلم من استعمال هذه الطائفة من الأفعال هو إثبات الحقائق والوقائع.  
ومنها قول الشاعر:

قَدَسْتُ فِيكَ عَقِيدَتِي وَعُرُوبَتِي      وَشَرَبْتُ حُبَّهُمَا الْعَظِيمَ مُطَهَّرًا.<sup>1</sup>

فالفعل " قَدَسْتُ"، فعل تقريري متعدّد (مخصّص)، إثباتي، أي غرضه إثبات الشاعر لحبه لوطنه، والهيّام به، والتّخصيص مفاده تقديس الرّموز الوطنيّة والإسلاميّة، كالعقيدة والانتماء العربي، ونلاحظ هنا، أنّ المفعول به مثلّ جزءا من محتوى قضوي مناسب لتلك المعاني، كلفظ "العقيدة"، "الحب"، "العروبة". وهي ألفاظ معجميّة منتقاة لتحيل إلى الموقف النفسيّ للشاعر اتّجاه هذه الرّموز، وبالتالي، فالأفعال التي تعلّقت بها تحدّد موقفا ينطلق من اعتقاد المتكلم إلى العالم الخارجي حسب رأي "سيرل". وما دام العالم الخارجي أو المرجع هو "الوطن" بكلّ مكوناته التي يقدها الشاعر، فغالبا ما تكون المشاعر المعبر عنها مشاعر صادقة، وقوله أيضا:

وَظَلَلْتُ أَنَّهُلُ مِنْ رَوَافِدِ مَجْدِهِ      حُبًّا تَأَبَّى أَنْ يَكُونَ الطَّيْعَ أ.2

أَرْسَلْتُ شِعْرِي فِي فَضَاهُ مُعْطَرًا      وَسَكَبْتُ فِيهِ جَوَى الضُّلُوعِ مُلَوَّعًا

وتتنطوي الأفعال الكلامية المثبتة المقررة لحبّ الشاعر لوطنه عن فعل كلامي غير مباشر، وهو الفعل الكلامي المتمثّل في ترسيخ هذا الحب في نفوس الشعب الجزائريّ.  
ونمثّل للفعل التقريري الإثباتي التأكيد والذّي غرضه إثبات وتأكيد تمجيد الوطن،  
قول الشاعر:

1- محمد بن رقطان: ديوان أغنية للوطن في زمن الفجيعة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 2004، ص: 05.

2- الديوان، ص: 07.

قَدَرُ الْجَزَائِرِ أَنْ تَصُونَ ثَوَابِتًا      صِيغَتْ بِأَثْمَنِ مَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى.<sup>1</sup>  
قَدَرُ الْجَزَائِرِ أَنْ تُعِيدَ لِأُمَّتِي      زَمَنَ الْعَطَاءِ وَأَنْ تُقَدِّمَ أَكْثَرًا

وقوله أيضا:

قَدَرُ الْجَزَائِرِ أَنْ تَظَلَّ عَلَى الْمَدَى      أَرْضَ النَّبُوغِ وَمُعْجَزَاتِ الْمُبْدِعِينَ.<sup>2</sup>

الفعل الكلامي الإثباتي، أطلق عليه "سيبويه" مصطلح "الواجب"، والذي معناه في اللغة "الثبوت"، وقد تحرى "خالد ميلاد" عن استعمال هذا المصطلح عند المتكلمين وأصول الفقه وعند "سيبويه"، والنقطة المشتركة بينهما، هو حصول المعنى أو الفعل في الوجود الخارجي<sup>3</sup>، وخرج بتعليق عن كل من معنى الواجب وغير الواجب قائلا: «إن الواجب وغير الواجب مفهومان، يمكن أن نجردهما على التوالي للإثبات وما يكون بمنزلة، وعدم الإثبات وما يكون بمنزلة، ونحن نفترض ذلك مبدئيا لأن الواجب أعم من الإثبات كما أن غير الواجب أعم من عدم الإثبات، وذلك لأن الواجب عند سيبويه يشمل من الكلام ما كان مثبتا ومؤكدا، وما كان واقعا ثابتا في الكون، وفي الاعتقاد، وما كان ثابتا واقعا في الاعتقاد، دون الكون الخارجي»<sup>4</sup>، ويفرق "عبد الرحمن الحاج صالح" بين الواجب وغير الواجب بناء على عملية استقرائية استعمال "سيبويه" للمصطلحين بقوله: «الواجب هو ما حصل علم للمتكلم أنه قد وقع أو لم يقع، وغير الواجب عكس ذلك»<sup>5</sup>، ومثل لهما بالرسم التالي:



1- الديوان، ص: 06.

2- الديوان. ص: 11.

3- ينظر: خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص: 66 وما بعدها.

4- المرجع السابق، ص: 68.

5- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص: 166.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وقد اختلف كل من خالد ميلاد، وعبد الرحمن الحاج صالح في قضية اعتبار "سيبويه" "النفي" غير واجب، ويرى "عبد الرحمن الحاج صالح" رأياً مخالفاً، ويحلل تحليلاً يناقض به تأكيد خالد ميلاد "أن النفي غير واجب"، واستدل في مخالفته، بقول السيرافي: «أما شبهها بالمبتدأ فلأنها نقيضة المبتدأ أو نفي له، والنفي يجري مجرى الإيجاب»<sup>1</sup>، «فالنفي هنا هو نظير الإيجاب بالنسبة للمبتدأ، وليس نظيراً لغير الواجب الذي يتصف به الأمر والاستفهام وغيرهما»<sup>2</sup>، وهو الإشكال الذي لم يوضّحه "خالد ميلاد"، وعدّ النفي غير واجب، وهو معنى لا يصحّ.

ب- أفعال تقريرية غرضها تقرير أحداث زمن العشرية السوداء: من الأفعال التقريرية (المتعدية) أي المخصّصة والمثبتة والتي تفيد الإيجاب، أي ثبوت وقوعها في الوجود وكيونيتها، في تصوّر المتكلّم واعتقاده، من جهة، وثبوتها في الكون الخارجي من جهة أخرى، من هذه الأفعال، ما يُثبت الوقائع والأحداث التي جرت زمن العشرية السوداء، وانتقاها الشاعر "متعدية" لإثبات طبيعة "الجاني" و "الضحية"، فالعلاقة بينهما: "واقع منه" و "واقع عليه"، ونمّثل بقول الشاعر:

كُلُّ الرَّجَالِ الْأَوْفِيَاءِ الْخَيْرِينَ <sup>3</sup>	نَسَجُوا الْمَكِيدَةَ فِي الظَّلَامِ وَهَمَّشُوا
رُوحَ التَّمَرْدِ فِي البَنَاتِ وَالبَيْنِ	نَشَرُوا التَّلَوْتَ فِي العُقُولِ وَشَجَّعُوا
كُلَّ الثَّوَابِتِ فِي عُيُونِ الطَّيِّبِينَ	خَدَعُوا الشَّبَابَةَ بِالوَعُودِ وَشَوَّهُوا
حَتَّى رَفَاةَ الخَالِدِينَ المَيِّتِينَ	لَمْ تَنْجُ مِنْ عَبَثِ الجِنَاةِ وَمَكْرِهِمْ

فالأفعال: نَسَجُوا، نَشَرُوا، خَدَعُوا، أفعال تقريرية خصّصت العلاقة الإسنادية بمفعول به، وأفادت هذه الأفعال ثبوت وقوع الخبر في الكون الخارجي، أي ثبوت وقوع هذه الأفعال على المفعول به، وتعلّقها به، وتخصيصها لهذه المفاعيل، وفي نظرية الأفعال الكلامية عند "سيرل"، تمثل الصورة اللغوية لهذه العلاقات النحوية، أجزاء من محتويات قضوية، والأفعال

1- الكتاب، 25/4.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: (م س)، ص: 167.

3- الديوان، ص: 9، 10.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

سابقة الذكر القوّة المتضمّنة لها هي الإثبات أي الإيجاب، وهو ثبوت وقوع الأفعال وتخصّصها، وهو الفعل اللّغوي المباشر، أي إثبات الخيانة التي تعرّض لها الوطن زمن العشرية السّوداء، أمّا الفعل اللّغوي غير المباشر، أي المستلزم، هو استنكار الشّاعر لهذه الجرائم، وتألّمه وتحسّره من الوضع الذي آلت إليه البلاد، فهو غيور على عرض بلاده، وفي هذا دعوة ضمنية، أي ما أسماه "سيرل": «عمل التّأثير بالقول» والغرض منه هو الإقناع والحمل عليه، فالشّاعر هنا يعمل على بثّ روح الوعي في نفوس القراء (المتلقي)، ودعوتهم للمشاركة في استنكار هذه الجرائم، والأفعال الشّنيعة، وفي هذا كلّه وصف لعلاقة الشّاعر بالأحداث الموجودة في الكون الخارجي.

وقد كثر في قصائد الديوان هذا الصّنف من الأفعال، الذي يصف به زمن العشريّة السّوداء، ويُنبت ما حدث فيها، فاحتاج إلى أفعال متعدّية تبيّن من وقع عليه فعل الضّرر، والمآسي، ومنها قول الشّاعر:

فَعَرَضُوا بِأَدْنَا      إِلَى الْمَصِيرِ الْمُرْعَدِ<sup>1</sup>  
وَأَحْرَقُوا رُمُوزَهَا      بِكُلِّ حِقْدٍ أَسْوَدِ

وقوله أيضا:

هَذَا يُمَثِّلُ بِالْأَجْسَادِ مِيتَةً      وَذَا يُبِيحُ اغْتِيَالَ الْفِكْرِ بِالزَّرْدِ

وفي أبيات أخرى مخاطبا ابن الجزائر ناصحا:

وَتَعَمَّدُوا أَنْ يَضْرِبُوكَ عَلَى الْقَفَا      حَتَّى تُصَدِّقَ مَا يُشَاعُ مِنَ الْجُودِ<sup>2</sup>  
نَشَرُوا بِأَرْضِكَ فِتْنَةَ دَمَوِيَّةَ      وَاسْتَدْرَجُوكَ إِلَى الْجَرِيمَةِ بِالْوَعُودِ  
الطَّالِعُونَ مِنَ الضَّلَالِ تَعَمَّدُوا      ضَرَبَ الْجَزَائِرِ فِي الْفَضَائِلِ وَالْعُهُودِ  
هَتَكُوا عَفَافَ الْمُسْلِمَاتِ وَمَارَسُوا      ذَبْحَ الرَّضِيعِ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ

وفي أبيات أخرى:

1- الديوان، ص: 14.

2- الديوان، ص: 19.

مَنْ مَزَّقُوا أُمَّتِي مَاتَتْ ضَمَائِرُهُمْ خَانُوا الشَّهِيدَ وَخَانُوا الشَّعْبَ وَالْبَدَا<sup>1</sup>

فالأفعال: تَعَمَّدُوا، نَشَرُوا، اسْتَدْرَجُوا، تَعَمَّدُوا ضَرْبَ الْجَزَائِرِ، هَتَكُوا عَفَافَ، مَزَّقُوا، هي أفعال تقريرية متعدية (مخصّصة) بالمفعول به، إثباتية، غرضها أو القوة المتضمنة في القول هو ثبوت وقوعها من الفاعل وعلى المفعول به: أَنْ يَضْرِبُوكَ، فِتْنَةَ دَمَوِيَّةً، ضَرْبَ الْجَزَائِرِ، عَفَافَ، أُمَّتِي.

استعمل الشاعر أيضا أفعالا متعدية واصفة ومثبتة للوضع الثقافي المتردي غرضها الحقيقي التحسّر، وإظهار التألم من هذا الوضع، وتضمنت فعلا كلاميا غير مباشر، وهو التأثير في نفسية المتلقي للمساهمة في تغيير الوضع، وكذا التعاطف مع الشاعر في موقفه، ومنها قوله:

الْعَرَبُ عَوْلَمَ أَرْضَنَا وَسَمَاءَنَا      مَنْ ذَا سَيُوقِفُ مَا يُضْحُ وَيَرْصُدُ<sup>2</sup>  
لَمْ تَبْقَ فِي زَمَنِ الْفَضَاءِ حَوَاجِرُ      تَحْمِي الشُّعُوبَ مِنَ الْغَزَاةِ وَتُنْجِدُ  
كُلَّ الشَّرَائِعِ وَالْمَرَاجِعِ لَمْ تَعُدْ      تَحْمِي الضَّعِيفَ إِذَا أَهِينُ وَتَعُضُدُ

استعمل الشاعر أيضا "المفعول فيه" كجزء من محتوى قضوي، يحدّد به الإطار الزمكاني للفعل الكلامي التقريري، ونشير هنا إلى أنّ السياق الزماني والمكاني مهمّ تحديده والتدقيق في وصفه، لأنّه معلم تاريخي لتأريخ الأحداث والوقائع، التي كثيرا ما تكون الباعث والدافع الحقيقي لكتابة التجربة الشعرية، سواء أكانت تجربة حزينة أم تجربة سعيدة، فنجد الشعراء دائما يدقّقون في وصف الزمن أو المكان الذي عايشوا فيه التجربة، ومنها قول الشاعر:

رَمَيْتُمُوهَا فِي الرَّدَى      قُبَيْلَ ذَلِكَ الْمَوْعِدِ<sup>3</sup>

1- الديوان، ص: 40.

2- الديوان، ص: 45.

3- الديوان، ص: 15.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

فالفعل التقريري "رميثموها" محدد بظرف زمني، "قُبيل"، وهو هنا عنصر من عناصر المحتوى القضوي، وساهم في الغرض التأثيري وهو تبيان ووصف الزمن الذي تم فيه الحدث، واستعماله بصيغة "التصغير" يوحي إلى الأثر النفسي ذي الطابع الحزين الذي تركه على نفسية الشاعر، وهو موعد دخول الجزائر زمن الانفلات الأمني، والفعل "رميثموها" متصل به ضمير جماعة الذكور للخطاب (مخاطبة)، وهو في الظاهر فعل كلامي مباشر تقرير تأكيدي، والفعل غير المباشر هو "التوبيخ" والدعوة إلى تصحيح الموقف، وإنقاذ البلاد من الانفلات.

استعمل الشاعر أيضا الظرف المكاني "نحو"، ليحدد به إطارا مكانياً يفيد في تبيين عناصر المحتوى القضوي، وهو محتوى مكاني غايته الغاية المكانية، للفعل الكلامي التقريري الإثباتي، في قول الشاعر:

تَرْكُوا الْجَزَائِرَ تَسْتَعِيثُ وَهَاجَرُوا نَحْوَ الْعَوَاصِمِ هَارِبِينَ مِنَ الدَّمَارِ<sup>1</sup>.

فالظرف "نحو"، خلق سياق مكاني غائي أفاد في إكمال الغرض التأثيري للفعلين "تركوا" و "هاجروا"، وهو إثبات خيانة الوطن ونهب أمواله والفرار بها نحو الخارج. ويواصل الشاعر عبر قصائد الديوان استغلال العنصر الزمني في تصوير أكثر تفصيلاً ودقة المشهد الدرامي لأزمة العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر، وهذا تحقيقاً للأغراض التأثيرية للأفعال التقريرية، كقول الشاعر:

جَنَى التَّعَصُّبُ وَالْحَمَقَى عَلَيْهَا ضُحَى وَبَدَّدَتْ فِتْنِ أُنْبَاءَهَا بَدَا؟<sup>2</sup>

فالمفعول فيه "ضُحَى" يبين أن المكيدة للوطن خُطِّطَ لها ليلاً، وديس الحقد للوطن ليلاً، حتى تم تنفيذه ضُحَى (أول النهار)، إشارة إلى سرعة التنفيذ، وعجلة الاستهداف في زرع الفتنة. فالمفعول فيه يدقق في الكيفية التي يتحقق بها الفعل القضوي حتى يتم النجاح في تحقيق الغرض التأثيري للفعل أو القوة المتضمنة في القول.

1- الديوان، ص: 28.

2- الديوان، ص: 38.

وبالنسبة للمفعول لأجله والغرض من استعماله في المقطوعات التي تتحدث عن أزمة العشرية السوداء، فقد ذكر ثلاث مرّات على مستوى قصائد الديوان، وذلك في قول الشاعر:

وَيُقَطِّعُ رَأْسَ الرَّضِيعِ انْتِقَامًا      كَمَا وَقَعَ الْجَزْمُ فِي كَرْبَلَاءَ.<sup>1</sup>

فالمفعول لأجله هنا "انتقاما" هو سبب لحدوث جريمة قتل الرضيع بقطع رؤوسهم، وهو أحد أبشع جرائم الإرهاب في الجزائر، فالمفعول لأجله يحمل قصدا وفعلا كلاميا ثانويا. ويقول الشاعر أيضا:

وَصَفَّقُوا فَرِحًا لِلْعُهْرِ      وَافْتَخَرُوا بِفِعْلِهِمْ وَأَبَاحُوا الْأَهْلَ وَالْوَدَاءَ.<sup>2</sup>

يصور الشاعر في هذا البيت صورة أخرى للخيانة الوطنية، ودقق بتصويرها أكثر، وتقريب الجانب السياقي لفعل الخيانة، بذكر المفعول لأجله "فرحًا" وذكر بعد التصفيق، وهو في ظاهرة يدل على الفرح والابتهاج إلا أن باطنه يدل على الخيانة، والفعل الكلامي غير المباشر هنا، هو الاستهزاء والسخرية، (فرحا للعهر).

ونستطيع أن نقول أن المفعول لأجله هو فعل كلامي آخر للفعل الكلامي الذي حدث من أجله، فكلاهما يدل على حدثين أي فعلين كلاميين تقريرين غرض الأول: وصفي تقريري إثباتي أو نفي، وقد خلت قصائد الديوان من الفعل الكلامي المنفي لمفعول لأجله، وأما الفعل الثاني فغرضه: توكيدي.

ج-أفعال تقريرية غرضها الافتخار بماضي الأجداد: واستعمل الشاعر أفعال تقريرية إثباتية لإنجازات الأجداد وإبداعاتهم، وغرضها المتضمن هو الفخر أي المعنى المستلزم، وسياق الافتخار هنا تطلب استعمال أفعال متعدية تثبت المنجز وهو: "الأجداد" والمنجز وهو: بطولاتهم وكل ما ساهم في تكوين حضارتهم. ومنها قول الشاعر:

جُدودنا أيُّها الأحباب قد تركوا      لنا تراثا يضمُّ الكون والأبدا.<sup>3</sup>

1- الديوان، ص: 30.

2- الديوان، ص: 41.

3- الديوان، ص: 37.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الغرض الحجاجي لهذه الأفعال، هو التأثير في المتلقي العربي والجزائري خاصّة، لغرض استنهاض الهمم للتمسك بالمبادئ والقيم السامية التي ميّزت الشخصية العربية الإسلامية الأصيلة ومكنتها من بناء حضارة عالمية عظيمة، فالأجدر بالإنسان العربي المعاصر أن يحافظ على تلك القيم وعلى تراث الأجداد، فهي الكفيلة ببناء وطن متحضّر لا تهدمه عواصف الفتن.

د- أفعال تقريرية غرضها إعجاب الشّاعر بالرموز الوطنية: واستعمل أفعالا تقريرية متعدية، تثبت تميّز مدينة "قسنطينة" بخصائص الثقافة، والعلم، والمعنى المستلزم هو إعجاب الشّاعر بالمدينة وفضائلها. وقد مثّل المفعول به جزءا من محتوى قضوي أي متعلقا بفعل قضوي.

استعمل الشّاعر أفعالا تقريرية تثبت مساهمات الرّئيس "عبد العزيز بوتفليقة" في إرساء الأمن في الوطن من خلال مشروع "الوثام الوطني"، وهي أفعال متعدية، مثّل فيها المفعول به المحتوى القضوي للفعل الكلامي، والذي يتضمّن غرض "المدح" للرئيس، والفعل الكلامي غير المباشر هو إعجاب الشاعر بالرئيس ومساهماته، والإشادة ببيعة الوثام الوطني، ومن هذه الأفعال، قول الشاعر:

حَتَّى تَقْدَمَ لِلسَّبَاقِ مُنَافِسٌ      وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ الْمَنَافِسَ أَمْجَدُ<sup>1</sup>  
فَتَحَتْ لَهُ بَعْدَ النَّجَاحِ ذِرَاعَهَا      وَأَتَتْ لَهَا بِجَلَالِهَا تَتَوَدَّدُ  
عِشْرُونَ عَامًا وَالْفَصَاحَةُ تَرْتَجِي      هَذَا الْخِطَابَ وَلَمْ يَتَّخِ لَهَا مَوْعِدُ

استعمل الشاعر أيضا، أفعالا تقريرية إثباتية تفيد الحثّ على طلب العلم، وتخليد مآثر الأعلام الوطنية، والفعل الكلامي غير المباشر، أو المستلزم أو عمل التأثير بالقول هو: شحذ الهمم وإيقاظها للنّهوض بالأمة، وغرس الوعي في نفوس بني الوطن، وتخليد الأعلام في النفوس حتى لا تحدث القطيعة، ومنها قول الشاعر:

1- الديوان، ص: 45.

بَادِيْسُ أَيْقَظُ أُمَّتِي مِنْ نَوْمِهَا      وَمَضَى بِهَا تَحْتَ الظَّلَامِ يُهْدِدُ<sup>1</sup>  
يَبْنِي النُّفُوسَ عَلَى الفُضِيلَةِ وَالتَّقَى      يَسْمُو بِهَا فَوْقَ الخِلَافِ وَيَصْعَدُ

وعن "محمد العيد آل خليفة" وصف، وأثبت قائلا:

أُنصَفْتُ فِي زَمَنِ الجُحُودِ جَزَائِرِي      وَفَضَحْتُ زَيْغَ التَّائِهِينَ عَقَائِدًا.<sup>2</sup>  
عَنَيْتَ فِي الفَرَحِ الجَمِيلِ وَفِي الأَسَى      وَعَزَفْتَ شَجْوَ الذِّكْرِيَّاتِ مَوَاجِدًا  
المَشْرِقُ العَرَبِيُّ صُغْتُ هُمُومَهُ      زَمَنَ الكِفَاحِ مَلَاحِمًا وَفَرَائِدًا  
والمَغْرِبُ العَمَلِاقُ عَشْتُ كِفَاحَهُ      كَلَّ الحَيَاةِ مُرَابِطًا وَمُجَالِدًا  
مُفْدِي وَأَنْتَ الخَالِدَانِ بِمَوْطِنِي      أَصْبَحْنَا بَيْنَ الرُّمُوزِ فَرَاقِدًا

فالأفعال متعدية: أنصفت، عنيت، زفت، صغت، عشت، أفعال تقريرية، جاءت لتخصص العلاقة الإسنادية التي فاعلها ضميراً متصلاً يعود على الشاعر محمد العيد آل خليفة بمفاعيل تتم فائدة الخبر التي غرضها الإشادة بخصاله ونضاله، وهذه المفاعيل هي: جزائري، صيغ التائمين، شجو الذكريات، هومه، كفاحه، وقد مثلت هذه المفاعيل محتويات قضوية تمت بها، وتخصصت العلاقة الإسنادية، وحملت معاني الإشادة بخصال وفضائل "محمد العيد آل خليفة".

هـ- أفعال تقريرية غرضها تمجيد ثورة نوفمبر: واستعمل الشاعر أفعالاً تقريرية تمجد

ثورة "نوفمبر" وتشيد بها هي أفعال متعدية إثباتية لوقائع ثورة "نوفمبر"، منها قول الشاعر:

وَأَعْلَنَاهَا ثُورَةَ كَالْقَضَاءِ      تُبِيدُ العُزْرَةَ وَتُلْتَهُمُ.<sup>3</sup>  
فَرَنْسَا تَجَاهَلَتْ مَهْدَ الأَسُودِ      وَأَرْضَ الجَزَائِرِ كَمْ تُوهِمُ  
وَهَا هُوَ ذَا المَارِدِ العَرَبِيِّ      تَجَافَى بِهِ لِيَلْكَ المُظْلِمُ  
فَرَاخَ يَدُكَ حُصُونِ الظَّلَامِ      وَيَغْرُوا الحُصُونَ وَيَقْتَحِمُ

1- الديوان، ص: 51.

2- الديوان، ص: 77.

3- الديوان، ص: 63.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

فالأفعال التقريرية: «أعلن، تبديد، تجاهلت، يدك، يغزو» أفعال متعدية ساهمت في إنجاز فعلا كلاميا هو الفعل القضوي، (التخصيص بالمفعول به)، حتى تتم فائدة الكلام، وهي إثبات وقوع هذه الأفعال من الفاعل وعلى المفعول به، فالفعل الكلامي المباشر في هذه الموضوعات النوفمبرية، هو الإشادة بمآثر الثورة، وبطولاتها، وإنجازاتها، والفعل الكلامي غير المباشر، والموجه إلى السامع، هو إيقاظ ضمير الشعب، واستنهاض هممه، من أجل تغيير وضع البلاد، كما نلمس ألم الشاعر، وتحسره على خيانة الثورة وأمانة الاستقلال والحرية التي تركها الشهداء.

وسرد الشاعر حقائق تتعلّق بالشعر الثوري والإشادة به في تخليد منجزات ثورة نوفمبر، فاستعمل أفعلا تقريرية وصفية مخصّصة بالمفعول به، ومنها قوله:

وَتَشْدُوا الرّوَابِي لَنَا قَسَمًا	وَيَصْنَدُخُ شَاعِرُنَا الْمُهْمَمُ <sup>1</sup>
(فِدَاءُ الْجَزَائِرِ رُوحِي وَمَالِي)	أَنَا يَا صَدِيقِي بِهَا مُغْرَمٌ!
(جَزَائِرُنَا يَا بِلَادَ الْجُدُودِ)	تَغْنَى بِهَا جُرْفُنَا الْأَعْظَمُ
وَأَبْدَعُ فِيهَا الشَّبُوكِي يَوْمًا	وَالْهَمَّةُ الْحُبُّ وَالْأَلَمُ
وَدَوَى صَدَاهَا عَلَى كُلِّ شِبْرٍ	وَلَحْنَهَا الْأَبْيَضُ الْأَفْخَمُ
هُوَ الشَّعْرُ دِيوَانُنَا السَّرْمَدِيُّ	يَجُوبُ الْقُرُونُ وَلَا يَقْدُمُ

فالأفعال التقريرية المتعدية المباشر هي الإشادة بالشعر الثوري، والإعجاب بأصحابه، ودورهم، في تخليد المآثر بالشعر، والفعل اللغوي غير المباشر هو إحياء هذه المآثر في نفوس المتلقين، والدعوة إلى التمسك بمبادئ ثورة نوفمبر وإرسائها في نفوس جيل ما بعد الثورة.

### 3- الأفعال التقريرية المخصّصة بعلاقات المفعولية لغرض التأكيد:

قضية زيادة أدوات التوكيد في الجملة العربية قضية نحوية بلاغية، عالجه علماء النحو والبلاغة، وحددوا أساليب كثيرة لهذا النوع من التراكيب، كالتوكيد بـ"إن" وأخواتها،

1- الديوان، ص: 65.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

والتوكيد بالحروف الزوائد، التوكيد بالتقديم والتأخير، وأساليب النفي والاستثناء، والتوكيد بالنون الثقيلة والخفيفة، والتوكيد بلام الابتداء، والتوكيد بزيادة ألفاظ كالتوكيد اللفظي والمعنوي، وغيرها من أساليب التوكيد.

ويذكر البلاغيون دواعيا للجوء إلى أسلوب التوكيد وطبيعة أسلوبه عندهم من حيث صورته، تتعلق بمضمون الأسلوب الخبري في حالة إلقاء الخبر للمتكلم، وذكروا مراتب حسب عدد المؤكّدات في الجملة الخبرية:<sup>1</sup>

-**الخبر الابتدائي:** وهو ما يلقى إلى مخاطب خالي الذهن عن مضمونه، وهذا الخبر يستغنى فيه عن مؤكّدات.

-**الخبر الطلبي:** وهو ما يلقى إلى مخاطب يتردد في تصديقه، وهذا الخبر يحسن توكيده، بمؤكّد واحد، يزيل هذا التردد.

-**الخبر الإنكاري:** وهو ما يوجه إلى مخاطب ينكره صراحة، ومن ثم يصبح من اللازم تأكّيده أكثر من مؤكّد، وبحسب درجة الإنكار.

يعدّ التأكيد في نظرية الأفعال الكلامية فعلا كلاميا ضمن الأفعال التقريرية، بل أحد الشّروط الضّرورية لتحديد القوة المتضمّنة في القول، إذ يؤكّد اتّجاه المطابقة من القول إلى العالم، وهذا ينطبق على الأفعال التقريرية، التي تتحقّق وتنجح في حالة تطابق المحتوى القضويّ مع حاصل مستقلّ في العالم الخارجي<sup>2</sup>، وعليه نستنتج أن فعل التأكيد، هو في الأصل فعل تقريريّ إثباتيّ، والتأكيد درجة من درجاته التي تتميز بالقوة في إثبات نجاح تطابق القضية المخبر عنها مع ما هو حاصل في العالم الخارجي، ولذا فإنّ الغرض الأساسي من الأفعال التقريرية حسب تعبير "سيرل" هو «تحمّل المتكلم مسؤولية صدق

1- ينظر مفتاح العلوم، ص: 170-175 وحسن طبل: علم المعاني في الموروث البلاغي: تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 2004، ص: 55. وابن عبد الله شعيب أحمد: بحوث منهجية في علوم اللغة العربية، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع EDIK، 2004، ص: 237-239. ومحمد أبو موسى: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1980، ص: 48، 49.

2- ينظر: خالد ميلاد: (م س)، ص: 503، 504

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

القضية المعبر عنها<sup>1</sup>، وهذا يتماشى مع نظرة أكثر عمقا في طرحهم، نظرا لتعدد الأغراض للأسلوب الخبري، والغرض هو القصد من إصدار هذا الحكم الخبري، ويتضمن حالات نفسية يعيشها المتكلم، هي القوة المقصودة في القول عند "سيرل"، ويذكر عند تفسير الفعل التقريري أنه يمثل حالة اعتقاد لدى المتكلم، أي أن الخبر مستقر في اعتقاده، ثابت في نفسه.

وقد أسهب كثيرا "خالد ميلاد" في شرح النظرية اللغوية العربية في تناولها لقضية الخبر والإنشاء، وما يتفرع عنهما من معان لا تعدّ، ولا تُحصَى، ففي نظره أن فعل الإثبات يختلف بمحدداته اللغوية عن النفي، كما أن لكلّ منهما درجات في الاعتقاد، وفي هذا يقول: «الإثبات درجات في الاعتقاد كما أن النفي درجات، والتوكيد درجات أيضا، سواء كان توكيدا للإثبات أو توكيدا للنفي، مستدلا بالتركيب العربية المتنوعة التي استند إليها القدماء في تحديد أنواع المؤكّدات، ودرجات التأكيد بحسب حال السّامع، من خلال وضعه في مقام التّخاير (الاستفهام)، فالمستفهم يختلف في اعتقاده وتصوّره للأحداث في العالم الخارجي من حال إلى حال، وكل حال يتطلب في جوابه أدوات خاصة<sup>2</sup>، ومثال ذلك: "فَعَلَ" يختلف عن "قَدْ فَعَلَ"، «وإذا قال: "قام زيد"، فإنّما يبتدئ إخبارا بقيامه لمن لم ينتظره، ولم يتوقّعه»<sup>3</sup>، وإذا قال: "قد قام زيد"، فإنّما يقوله لمن توقع قيامه أو لمن سأل عنه»<sup>4</sup>، و"لَمَّا" في الجواب نقيض "قد" عند قولنا: "هل قام زيد؟" أي: "لَمَّا يفعل" إذا نفيت وقوع الحدث، «و"لَمَّا يفعل" و"قد فَعَلَ"، إنّما هما لقوم ينتظرون شيئا»<sup>5</sup>.

ولقد عدّ "صالح خديش" أنّ وضعية الإخبار التي يقوم بها المتكلم لسامع لا ينتظر الخبر، ولا يتوقّعه (أي يجهله) عدّها تتدرج ضمن ما أطلق عليه "قرايس" مبدأ "التعاون"، وهذا النوع من الخبر هو الابتدائي<sup>6</sup>، والفعل المستعمل هو "التقرير".

1- المرجع السابق، ص: 505.

2- ينظر المرجع نفسه، ص: 79.

3- شرح السيرافي على الكتاب، (م س)، ج3/324.

4- نفسه.

5- سيبويه، الكتاب، 131/3.

6- صالح خديش: قضايا النفي والإثبات في العربية، مقارنة ملفوظية، أعمال ندوة النحو، 23-24 أبريل 2001، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001، ص: 69، 70.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

ويتحقق مبدأ "التعاون" أيضا في الخبر الطلبي، لأن السامع يكون مترددا في قبوله: «فهو يحمل منذ الوهلة الأولى مقصدية الاستفادة من المرسل، ويُعده معينا له»<sup>1</sup> ويظهر ذلك في الموقع الأخير من التركيب عند الاستخبار (الاستفهام) عن المعلومة، بحيث يشكل ذلك الموقع بؤرة الحديث.<sup>2</sup>

للتوكيد في اللغة العربية من حيث مقامات استعماله، نظرة تداولية، وللباحث "خالد ميلاد" نظرة معمقة في هذا الموضوع، منطلقا من آراء "سيبويه"، وفي هذا يقول: «إن ملاحظات سيبويه، بشأن معنوي "قد" و"لما"، وغيرها من الحروف التي تكون دليلا على حال المخاطب خصوصا والمقام عموما، قد أكدت لدينا حدسا سناوصل السعي إلى اختباره في كامل بحثنا يتمثل في العلاقة بين المتكلم والمخاطب في عمل القول، وما لها من أثر في تحديد ضروب القول من ناحية، وفي تغيير نوع العلاقة بين المتكلم والكون الخارجي الذي يحيل عليه المتكلم من ناحية ثانية، ومذهبنا بهذا التوجه يختلف عن مذهب البلاغيين إذ قصرنا نظرهم على اعتبار التوكيد انعكاسا لتردد المخاطب أو إنكاره لما يُخبر به (...). وملخص ما نذهب إليه أنه كلما ضعفت العلاقة بين المتكلم والمخاطب قويت العلاقة بين المتكلم والكون الخارجي وسيطرت الألفاظ المحيلة على الخارج في البنية المنجزة، وعلى العكس من ذلك كلما قويت العلاقة بين المتكلم والمخاطب وتوترت ضعفت العلاقة بين المتكلم والكون الخارجي، وسيطرت ألفاظ الاعتقاد غير الإحالية على البنية المنجزة».<sup>3</sup>

وهذا الضعف أو القوة سينعكس تأثيره على العناصر المكونة للتركيب، بما فيها "المتعلقات النحوية"، فكلما احتاجت هذه العلاقة للمؤكدات تأكد صدور الفعل من الفاعل ووقوعه على المفعول به، وزمن وقوعه، وغيرها من مرتبطات الفعل، وكلما قلت الحاجة للمؤكدات تبين ضعف درجة علم ومعرفة السامع بالخبر، أي صدوره من فاعل ووقوعه على

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- نفسه.

3- خالد ميلاد، (م س)، ص: 81.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

مفعول به، وتعلّقه بالمتعلقات الأخرى لتحقيق فائدة، أو بالأحرى المحتوى القضوي الإحالي للفعل الكلامي.

وفي قصائد الديوان، تضمّن الأسلوب الخبري للجمل الفعلية ذات الأفعال المتعدية أفعالاً تأكيدية، أي حققت قوى متضمنة في القول، غرضها التأكيد، أكدت حصول علاقة التعدية، أي التأكيد على حدوث محتوى قضوي، مثل المفعول به أحد عناصره اللغوية، ومن واسمات فعل التأكيد استعمال الشاعر حروفاً نصّ علماؤنا القدامى أنها لهذا الغرض، منها "قد"، وأفعال الشك واليقين التي تتعدى إلى مفعولين، أسلوب القصر.

وقد يحدث وأن يجتمع أكثر من مؤكدين، يحتاج إليهما المتكلم لتأكيد إثبات محتوى قضوي، يتوجّه به إلى سامع، متردد أو شكّ، أو يكذب قضية ما، وهذا ما نجده في قول الشاعر:

قَدْ عَلَّمْنَا مُنْذُ كُنَّا صَبِيَّةً      أَنْ الْمَبَادِيَّ لَا تَبَاعُ وَتُشْتَرَى<sup>1</sup>  
ذُرِّي أَحْذُرُ مِنْ يَكِيدُ      لِشَعْبِهَا وَيَظُنُّ أَنَّ شَبَابَهَا قَدْ غَيَّرَا

فالفعل علّمتنا فعل تقرير مخصّص مؤكّد بأداة التوكيد "قد"، فالشاعر أنجز فعلاً تقريرياً قوته المتضمنة في القول هي التأكيد. موجّه إلى مخاطب، على علم "بالخبر" أي المحتوى القضوي: فعل + فاعل + مفعول به، إلاّ أنّه في موقف غير المقتنع أو النّاكر للقيمة الدلالية التي يحويها الخبر، والمتعلّقة بعظم مبادئ ثورة نوفمبر، وعلى الأرجح، استعمال الشاعر التوكيد لإعادة تذكير المتلقّي الغافل، فهنا التوكيد أو الأسلوب الخبري الإنكاري قد لا يكون من دوافعه، دفع الإنكار، وإقامة الحجة على المنكر، وإنما، أيضاً المتغافل، يحتاج إلى الحجة في دفع غفلته، أو تردده، وهنا نلمس فعلاً كلامياً غير مباشر هو تذكير المتلقّي، ولفت انتباهه، خاصّة، وأنّ القصيدة أقيمت في 31 أكتوبر 1987م، أي في أيام الاحتفال بعيد الثورة.

1 - الديوان، ص:5.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

والمفعول به في هذا البيت جاء جملة مصدرية مصدرّة بـ "أن" المؤكّدة، وهذا فعل كلاميٌّ ثانٍ يفيد التّوكيد متمم للفعل الكلامي الأوّل "قد علّمتنا"، فقد اجتمع مؤكّدين قويين، وهذا يدلّ على عِظَمِ المكانة التي تحتلّها ثورة نوفمبر في نفس الشّاعر، وحرصه الكامل على التأثير في نفس المتلقّي لنقل الشّعور بالعظمة إليه.

وقد تحدّث نحائنا القدامى على المؤكّدات التي تدخل على الجملة الخبريّة فـ "قد" عندهم «مختصّة بالفعل المتصرّف الخبري المثبت المجرّد من جازم وناصب، وحرف تنفيس، وهي معه كالجزء، فلا تتفصل منه بشيء، اللهم إلا بالقسم».<sup>1</sup>

ولـ "قد" خمسة معان ذكرها النّحاة، منها ما هو مختصّ بالماضي، ومنها ما هو مختصّ بالمضارع فقط، ومنها ما هو مختصّ بهما معاً، «والحاصل أنّها تفيد مع الماضي ثلاثة معان: التّوقّع، والتّقريب، والتّحقيق، ومع المضارع أربعة معان: التّوقّع، والتّقليل، والتّحقيق، والتّكثير»<sup>2</sup>، ولـ "قد" معان أخرى توسّع فيها النّحاة، كالنّفْي، و"قد" التي ترد "اسمية".<sup>3</sup>

أما بالنّسبة للمؤكّدة "أنّ" فقد ألحقها بحكم "إنّ"، فهي مثلها، وفرع عنها، إلا أن هذه الأخيرة هي ومعمولها في تأويل مصدر<sup>4</sup>، وعليه فهي حرف يفيد التّوكيد، وينصب الاسم ويرفع الخبر، وقد ألحقها الرّمخشري بـ "إنما" في إفادة الحصر.<sup>5</sup>

ويكثر استعمال "أنّ" المصدرية بعد "ظنّ وأخواتها"، وفي هذه الحالة، إما تسدّ مسدّ مفعولها، كما في قولنا: "ظننّت أنّك قادمٌ" وقد تشغل أنّ وما دخلت عليه المفعول به الثّاني

1- ابن هشام: مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، تح: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط2، 1429هـ-2008م، 1/ 235.

2 - المرادي (الحسن بن القاسم): الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص: 259.

3 - ينظر: ابن هشام، (م س)، 1/ 234.

4 - المرجع نفسه.

5 - المرجع نفسه، 1/ 55، 56.

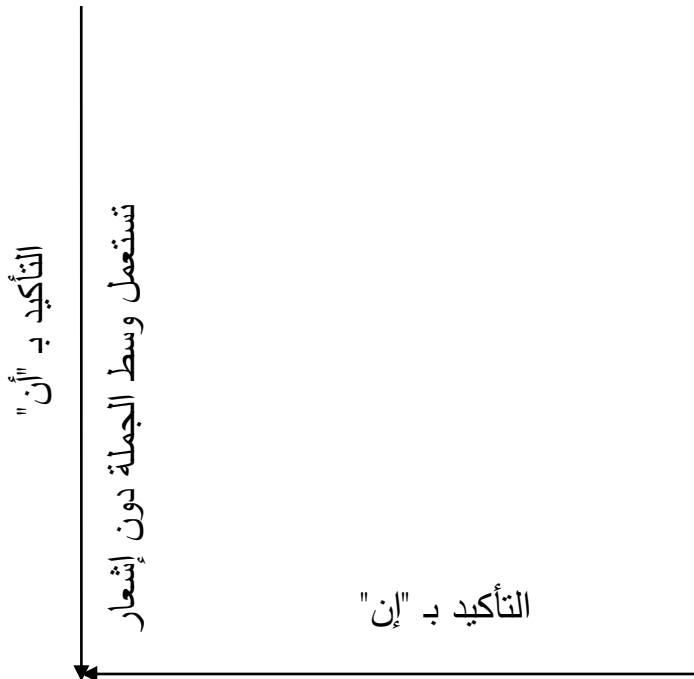
## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

فقط، كما في قول الشاعر السابق، ومن الناحية التداولية تساهم في إنشاء فعل كلامي، قوته المتضمنة هي "التأكيد"، أي تأكيد إثبات ما في نفس المتكلم.

إذا كان النحاة القدامى أطلقوا على "إنّ وأخواتها" الأحرف المشبهة بالفعل، من جهة التشابه في العمل، فكما يُنصّب المفعول به، تُنصّب إنّ وأخواتها الاسم، أمّا من الوجهة التداولية فهي تعمل عمل الفعل أيضا من حيث المعنى، «فإنّ» حرف عامل عمل الفعل بمنزلة أوكد<sup>1</sup>.

والفعل الكلامي نفسه يتحقق باستعمال أنّ، فكأنّ المتكلم يقول: «أؤكد وقوع هذا المفعول به، أو غيره من العناصر التي تشغلها أنّ».

ووظيفة أنّ في الكلام "التأخير"، وهذا هو الفرق بينها وبين إنّ التي لا تأتي إلا مبتدأ في اللفظ<sup>2</sup>، وعليه نستنتج أن المصدر المؤول الذي تشغله أنّ يأتي محتوى قضويا يتضمن حملا وإحالة، وبؤرة التأكيد تقع على العنصر الذي يشغله المصدر المؤول: مفعول به، فاعل، اسم مجرور، فمسار حركة أو اتجاه التأكيد لـ إنّ أفقي بينما مسار حركة أو اتجاه التأكيد لـ أنّ عمودي، ونمثل لذلك بالمخطط التالي:



نقطة انطلاق أفقية معلومة (بداية الجملة)

1- خالد ميلاد: (م س)، ص: 77.

2- سيبويه: الكتاب، 3/139.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

ومن الناحية التداولية، إذا استعمل المتكلم "إن"، فإنه يُعربُ عن عمل توكيد لكل الخبر الذي تتضمنه الجملة، أي تأكيد كلي، أما إذا استعمل "أن"، فإن عمل التوكيد يمس جزءاً من الخبر فقط.

نشير هنا إلى استعمال "أن" في جملة أفعال الظن واليقين، فمن المنظور التداولي عند "ديكرو أوزوالد" هي "أداة ربط" لإتمام إنجازية الفعل الكلامي، إذ أنها تربط بين قولين: الأول هو فعل الظن أو اليقين، والثاني هو الجملة المصدرية "أن وما بعدها". ونشير هنا، إلى التفاتة "عبد القاهر الجرجاني" لعلّة اللجوء إلى استعمال التوكيد بـ "إن"، وهي أن الحاجة إليه لا تخص ردّ ظن المخاطب فقط، وإنما أيضاً ردّ ظن المتكلم نفسه في بعض المواقف<sup>1</sup>.

احتاج الشاعر إلى عمل التوكيد في إثبات إعجابه وفخره بما صنعه الأجداد من بطولات، ومآثر عالمية، مستعينا بالموكّد "قد"، وذلك في قوله:

جُدُودُنَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ قَدْ تَرَكَوْا      لَنَا تَرَاثًا يَضُمُّ الْكَوْنَ وَالْأَبْدَا.<sup>2</sup>

فالفعل المتعدّي: "تركوا"، فعل تقريريّ إثباتيّ موكّد وقوعه من فاعله، وعلى مفعوله "تراثنا"، والفعل التأثيريّ الحجاجيّ الذي ينطوي عليه، هو إقناع القارئ بهذه المآثر، وإعادة إحيائها في نفسه بنقل الإعجاب منه وإليه.

استعان الشاعر بموكّدات في مدح الرئيس "بوتفليقة" الغرض منها إقناع القارئ بتأييد مشروع "الوئام الوطني"، في قوله:

حَتَّى تَقْدَمَ لِلسَّبَاقِ مُنَافِسٌ      وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ الْمُنَافِسَ أَمَجْدُ.<sup>3</sup>

أفاد الفعل الكلامي "تيقن" الإنجازية التقريرية اليقينية (الخبر الموكّد وقوعه)، وأطلق الشاعر هذا الحكم بعد ما تطابق اعتقاده مع العالم الخارجي (الواقع)، مما جعله يستعمل "المفعول به" في صيغة "جملة" سدّت مسدّ مفعولي "تيقن" مبتدئة بأداة التأكيد "أن" للتأكيد

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 327.

2- الديوان، ص: 37.

3- الديوان، ص: 45.

على صحة القضية المعبر عنها، لذا جاء هذا الشطر من البيت الشعري مشحونا بالمعاني الدلالية المؤكدة (القوة الإنجازية)، فقد تضمن فعلين تأكيديين أراد من خلالهما الشاعر أن يدفع عن نفسه الشك إلى اليقين، وينقل هذا التأكيد للقارئ حتى يكسب تأييده لموقفه، وينقله هو الآخر من حال الشك والتردد إلى حال اليقين، لأن مشروع الوئام الوطني يحتاج إلى استفتاء شعبي، وهذا الآخر يتطلب حملة للتوعية والتأييد، ومادام الشاعر في موقف يريد من خلاله أن يستميل القارئ ويقنعه تطلب منه هذا الموقف التعبير بأكثر من مؤكّد، وهذا هو الغرض الحجاجي.

#### 4- الأفعال التقريرية المخصصة لعلاقات المفعولية التي غرضها النفي:

سبق وأن بيّنا أن الإثبات هو الفعل الواجب عند "سيبويه"، ومن جاء بعده، وبيّنا مفهوم "الواجب"، ويقابله "غير الواجب" الذي يشمل عند "سيبويه": النفي، والجزاء، والأمر، والنهي، والاستفهام، وما يكون بمنزلة الأمر والنهي من أساليب أخرى، كالدعاء، والتّحذير، والتّحضيض، والعرض، والتّمني، والتّرجي، والتّشبيه.

وباستدراك اللبس الحاصل في جعل النفي غير واجب، كما عدّه "سيبويه"، استقصى "خالد ميلاد" من "الكتاب" دلائل تبين أن النفي في الأصل هو "واجب"، وهو نقيض الإثبات، من حيث انتفاء حصول الخبر، فقد عدّ "النفي" خبراً، وذلك في سياق ما يمكن الإخبار فيه عن النكرة بنكرة<sup>1</sup>، واستدلّ بقوله: «ما كان أحدٌ مثلك... وإئتما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله أو فوقه، لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى أن تُعلمه مثل هذا (...) ولا يجوز "الأحد" أن تضعه في موضع واجب»<sup>2</sup>، فاستعمال "سيبويه" مصطلح "الإخبار" للدلالة على أنه يجوز الإخبار بنفي، والإخبار واجب، فالإخبار بالنفي واجب أيضاً.

1- ينظر: خالد ميلاد: (م س)، ص: 70 وما بعدها.

2- سيبويه: الكتاب، 98/1.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

دقق "خالد ميلاد" في توجه "سيبويه" لجعل النفي غير واجب وهو تشابه "تضارع" حروف النفي لحروف الاستفهام، من حيث دلالتها على عدم ثبوت المعنى، وكيونته، وأيضا يشتركان في احتلال موضع الإفادة الذي يمكن من البناء على النكرة، فنقول: ما أحدٌ مثلك- هل أحدٌ مثلك؟...الخ.<sup>1</sup>

ورغم اشتراك النفي والاستفهام في بعض المواضع، «فهو يختلف عنه في حقيقة معناه، إذ هو واجب منفي أو حسب عبارة "سيبويه" نفي لواجب، أي إثبات لعدم وجود (...). فقد يكون بإمكاننا بطريقة الاستلزام أن نُدرج النفي ضمن الواجب من الكلام، وذلك استنادا إلى ما أورده "سيبويه" نفسه من تدقيق، واستنادا أيضا إلى حقيقة معنى الوجوب في علاقته بالاعتقاد كما وضّحناه، ولا يمكن تبعا لذلك أن يكون "للنفي" غير القيمة الوجودية [-] التي تمثل قسما من القيمة الوجودية الأعم وهي {+ أو -} وتساوي {±}».<sup>2</sup>

ومن السمات التداولية لمقولتي الإثبات والنفي أنهما مدار الفائدة في أي جملة منطوقة، وقد نصّ على هذا "عبد القاهر الجرجاني" بقوله: «...أن مدار الفائدة في الحقيقة على الإثبات والنفي»<sup>3</sup>، واختصت الجملة بهذه الفائدة دون الكلمة اسما كانت أم فعلا، ولذا وجب توفر في الإثبات "مُثَبِّتٌ" و"مُثَبِّتٌ له"، وفي النفي: "مُنْفِيٌّ" و"مُنْفِيٌّ عَنْهُ"، وهذه الشروط واجب توفرها حقيقة أم مجازا في الجملة الخبرية؛ فمن الخبر ما يكون مجازا، ولذا استهل "عبد القاهر الجرجاني" تناوله لموضوع المجاز، بتبيان الفائدة في الجملة على وجه الإثبات والنفي.<sup>4</sup>

فصل "عبد القاهر الجرجاني" في الفروقات الجوهرية لاستعمال أسلوب النفي، وأبعادها الدلالية وفقا لمقتضى حال المتكلم والسامع، «فإذا قُلْتَ: "ما فعلتُ"، كنت نفيتَ عنك

1- ينظر: خالد ميلاد: (م س)، ص: 71، 72.

2- المرجع نفسه: ص: 72.

3- الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، مطبعة المدني بجدة، ص: 423.

4- ينظر محمد التويري: علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ط1، جانفي 2001، ص: 297-302.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

فعلا لم يثبت أنه مفعول = وإذا قُلت: "ما أنا فعلت"، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول (...). ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عامًا/ كقولك: "ما قلت شعرا قط"، و"ما أكلت اليوم شيئاً"، ولم يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفاً أن تقول: "ما أنا قلت شعراً قط"<sup>1</sup>.

معنى النفي يُستعمل في الجملة الفعلية العربية، إما لإسقاط النفي على المفعول به، أو إسقاطه على الفاعل، فهذان البورتان متداولتان للنفي في الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدّي، وقد تتم عملية الإسقاط على العناصر الأخرى من المتعلقات النحوية. ورد في الديوان الفعل المتعدّي المنفي، وقوته المتضمنة في انتقائه عن الوقوع على "المفعول به" مع "الحال"، كقول الشاعر:

لن يتركوا الوطن المقدس مرتعاً للعابثين من اليسار أو اليمين<sup>2</sup>

فانتقاء "الترك" ساقط على المفعول به: "الوطن المقدس"، والحال: "مرتعاً"، لأن العلاقة بين الحال وصاحبه تتأثر بالقوة المتضمنة في الفعل الكلامي التي هي هنا: "النفي"، فالحال هي بؤرة النفي المقصودة بالانتقاء. القضية هنا منفية تستلزم إيجاباً، وهو أن هناك من يريد ترك الوطن مرتعاً للعابثين، فالفعل انتقى عن الشرفاء دون غيرهم، والشاعر على دراية بهذه الحقيقة، فالمعنى الظاهر هو مدح الشرفاء والمعنى المستلزم ذم الخائنين.

الفائدة التداولية في استعمال الأداة "لن" أنها تنفي حصول الفعل في المستقبل، وهذا مانص عليه النحاة<sup>3</sup> على عكس النفي بـ"لم" التي تفيد النفي في الماضي، واستعان الشاعر بالفعل الكلامي الذي يفيد النفي بـ"لم" في سرد حقائق ماضية، هي قضايا أو محتويات قضوية للنفي، انتقى فيها وقوع الفعل من الفاعل ووقوعه على المفعول به، وانتقاء حصول المعاني الدلالية الموجبة المتمثلة في المتعلقات الأخرى، كالحال والتّمييز والجار والمجرور

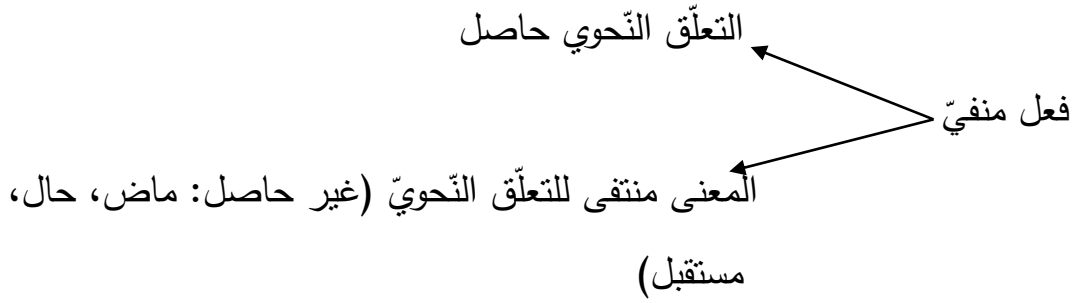
1- دلائل الإعجاز، ص: 124.

2- قصيدة "لن تضيع الجزائر"، ص: 9.

3- يرى خالد ميلاد أن "لن" بمنزلة "السين"، و"سوف" في دلالتها على اعتقاد المتكلم وجوب الحدث في زمان الاستقبال وجوباً سالباً بـ"لن" أو موجباً (بالسين وسوف)، ينظر خالد ميلاد: (م س)، ص: 79.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وغيرها، بينما المعاني النحوية ( الوظائف ) ثابتة لا تتغير لأنها من نظام اللغة وليست من معانيها، ونمثل بالمخطط التالي:



وهنا يتبين لنا أن المتكلم هو العامل الحقيقي في اختيار المعاني وتوجيهها، وما العلاقات التركيبية الناتجة إلا علاقات شكلية لا تتأثر بالإثبات والنفي.

نمثل للنفي بـ"لم" بقول الشاعر:

### لم ندر كيف نهدي لمدخل التعدد<sup>1</sup>

المفعول به: "كيف نهدي"، لم يحصل في الواقع أي تداولياً، بينما التعلق بالفعل: "لم ندر" حاصل نحوي. ولذا جاء في تعريف النحاة للمفعول به: «ما وقع عليه فعل الفاعل على وجه الإثبات والنفي».

استعمل الشاعر الفعل الكلامي الذي يفيد النفي، إما لنفي حصول قضية في المستقبل، أو لنفي حصولها في الماضي؛ وانتفاء وقوعه من الفاعل يتبعه انتفاء حصول ما يتعلق به من معان ثانوية مقيدة ومخصصة في الواقع؛ يفترض هذا النفي وجود سامع يستفهم عن احتمال وقوع الخبر من عدم وقوعه، أو سامع يُثبت وقوعه، والمتكلم يعلم عكس ذلك فينفي وقوعه.

بالنسبة للمفعول فيه" ودوره في تحقيق إنجازية النفي، أي أن يكون عنصراً محدداً للسياق الزمكاني للفعل القضوي من جهة، ومن جهة أخرى التدقيق في تحقيق الغرض التأثيري للقوة المتضمنة للقول، وهي قوة النفي، فقد استعان به الشاعر في بناء الإطار السياقي، وتوسّع في تدقيق الوضع زمانياً ومكانياً، حتى أنّ أزمة البلاد مسّت أيضاً طبقة

1 - الديوان، ص: 14.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

المتقنين، وهددوا بالموت بسبب إعلانهم لكلمة الحق في عقر دارهم، وكان للظرف الزمني دور في تحديد زمن السياق الذي حدث فيه التهديد والاتهام، وذلك في قول الشاعر:

لَمْ أَخْشَ يَوْمًا تُهْمَةً وَلَطَالَمَا نَصَبُوا فِخَاخًا عِنْدَنَا وَمَصَائِدًا<sup>1</sup>

المفعول فيه: "يومًا"، حَقَّقَ ديمومة إنجازية النقي الزمانية، فالنقي: "لَمْ أَخْشَ"، اقترن بـ"يومًا"، ليدلّ به الشاعر على تعرّضهم للتهديد مدّة دفاعهم عن الوطن، وعدم رضوخهم طيلة تلك المدّة. الغرض الحجاجي للنقي مقترنا بالزمن، فيه دلالة على قوّة الشاعر وإيصاله رسالة للأعداء بعدم الاستسلام اليوم أو غدا.

والفعل "نصبوا" معجميًا دلالاته مكانية، واحتاج إلى ظرف مكاني: "عندنا"، أتمّ معناه، وحدّد الغرض التأثيري.

ومن الأفعال التقريرية التي غرضها النقي، قول الشاعر أيضا:

لَمْ يَبْقَ عَهْدٌ لِلَّذِينَ تَبَجَّحُوا بِهِوَى الْجَزَائِرِ قَبْلَ سَاعَةِ الانفجارِ.<sup>2</sup>

الظرف الزمني "قَبْلَ"، حدّد زمن انتفاء الفعل "يبق"، وذكره مهمّ هنا من الناحية السياقية، في فترة تمّت فيها الانتخابات الرئاسية، ولا زالت البلاد تعيش أزمة الإرهاب، والظرف "قبل" مع "النقي" هنا، أراده الشاعر أن يكون فاصلا زمنيا بين فترتين، فترة الانفلات الأمني في البلاد وفترة ما بعد الانتخابات، والتي يتطلّع فيها الشاعر إلى مرحلة جديدة، يتّأس فيها البلاد رئيس ديمقراطي سينقذ البلاد من أزمتها.

ثالثا: الأفعال الكلامية الإنشائية المخصّصة بعلاقات المفعولية وأبعادها التداولية

### 1- الاستفهام:

الجملة الفعلية تأتي على وجه الخبر وتأتي على وجه الإنشاء، ومع دخول أداة الاستفهام يتحوّل الفعل من الغرض التقريري إلى الغرض الاستفهامي، وقد عرفنا سابقا أنّ الوجه الذي يرد عليه الفعل سواء أكان تقريريا أم تأكديا أم نفيا في الجملة الخبرية التي

1- الديوان، ص: 78.

2- الديوان، ص: 25.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

ينطق بها المتكلم مرتبط بتصوّر سابق في اعتقاد المخاطب يمثله أسلوب "الاستفهام" بأدواته المتنوعة، أي أنّ الفعل الخبري والهيئة التي يأتي عليها هي تحصيل حاصل للهيئة التي سبقتها، وأتى عليها الفعل في الاستفهام الذي يصدر عن المخاطب بغية معرفة الخبر من المتكلم، فينتظر منه أن ينفى أو يؤكّد أو يثبت...، وهذا حسب تحليلات النحاة وعلى رأسهم "سيبويه"، و أكد هذا "خالد ميلاد"، فإذا قال القائل: "قد فعلتُ، أو لم أفعلْ أو لمّا أفعل، فهي تضارع أدوات يستعملها السائل ليسأل بـ: "هل فعلت؟" وإذا قال القائل: "لن أفعل، أو سأفعل" فهو جواب لـ: "هل ستفعل؟".

وقد نبّه "عبد القاهر الجرجاني" إلى خطورة أسلوب الاستفهام، وكيف يمكن أن يتحوّل فيه عنصر ثانويّ كالمفعول به إلى عنصر أساسيّ هو بؤرة الحدث المنجز وعليه مدار السؤال، وغاية للاستخبار عنه بدل الفاعل، ومثّل ذلك في قوله: "هل ضربت زيدا؟" في مقام الإنكار، الذي هو فعل منجز غير مباشر، ويسقط هذا على باقي المتعلقات النحوية للفعل الكلامي، كالمفعول فيه، والحال، والجار والمجرور... الخ. وهذا ما سنبينه في هذا المقام من خلال المدونة التي بين أيدينا.

الأفعال الكلامية المتعدية التي استعملت مع أداة الاستفهام كثيرة على مستوى قصائد الديوان، وأغلبها ينتمي إلى صنف الأفعال الكلامية غير المباشرة، فالكثير منها خرج إلى معنى غير معنى الاستفهام، كالعرض، والتّحضيض، والتّوبيخ، والإنكار، والأمر، والسّخرية... الخ. ومثّل فيها المفعول به مرّة محتوى قضويّاً لإتمام الفائدة التي اقتضتها طبيعة الفعل المتعدّي، ومرّة بؤرة إنجازيّة عليها مدار الاستفهام كلّه، وفي جميع الحالات كان لابدّ من ذكره تلبية لمقتضى الحال كيف ما كان، ونمثّل للحالة الأولى بقول الشاعر:

ماذا عليك لو اتّخذت جبالها مهد الجمال إلى خيالك مشعرا؟<sup>1</sup>

غرض الاستفهام هنا: التّحضيض، وقوله:

1 - الديوان، ص: 05.

هل تنكرين جهادنا وصمودنا والذكريات الذاهبات مع القرون؟<sup>1</sup>

غرضه: التوبيخ، وقول الشاعر:

ما بالهم دفعوا الشَّبَابَ إلى الرَّدَى ومضوا لوإذا يبحثون عن الفرار.<sup>2</sup>

والنَّسْأولُ هنا بفعل متعدّد "دفعوا"، والشَّبَابُ مفعول به مثلّ محتوى قضيويًا مكوّنًا من الحمل، والغرض هنا حقيقي، لأنّ الشّاعر في حيرة من أمره، وورد الاستفهام جوابًا لفعل كلامي غرضه النَّداء، كقول الشّاعر:

مالي أراك محاصرا تتردّد؟<sup>3</sup>

ينتمي أسلوب الاستفهام إلى قسم غير الواجب، في تقسيم الكلام بحسب وقوعه من عدم وقوعه في الحقيقة أو المجاز، وجعلُ "الاستفهام" أو "الاستخبار" غير واجب، هو تقسيم "سيبويه"، يقول في تعليق له على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ (سورة الحج، الآية 63): «فعلوا ذلك بالاستفهام لأنّه كالأمر في أنّه غير واجب، وأنّه يريد به من المخاطب أمرًا لم يستقرّ عند السائل».<sup>4</sup>

وقد استقرأ "عبد الرحمن الحاج صالح" معنى الواجب عند "سيبويه"، والنّحاة الآخرين، فتوصّل إلى أنّ جزءًا كبيرًا ممّا جاء في غير الواجب سمي عندهم "بالطلب"، وقابلوا به الخبر، مستدلًّا بقول "سيبويه": «إذا كان فيه معنى الطلب».<sup>5</sup>

وعليه، فالاستفهام هو طلب يدلّ على الحصول على معلومة مفيدة يجهلها المتكلّم وهذا في الأصل، أي لما وضع له، فالغرض الأصلي للاستفهام كفعل كلامي، أي قوّته الإنجازية، هي الاستفسار، الاستخبار، الاستعلام... الخ، فهي قوة إنجازية أصلية\*، يمكن أن

1 - الديوان، ص: 08.

2 - الديوان، ص: 28.

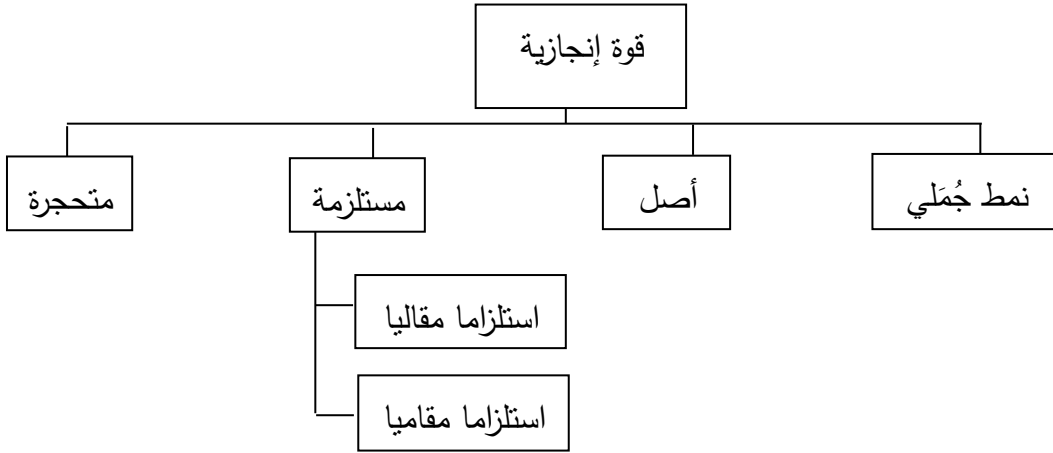
3 - الديوان، ص: 50.

4 - الكتاب، 154/1.

5 - ينظر عبد الرحمن الحاج، (م س)، ص: 165.

\* - يعود مصطلح القوة الإنجازية الأصلية إلى أحمد المتوكل في كتابه: "الخطاب وخصائص اللغة العربية"، ص 49، ويقابل لها مصطلح القوة الإنجازية المستلزمة.

تتحول في حال الاستعمال إلى قوى إنجازية مستلزمة، وقد مثل "أحمد المتوكل" لأنواع القوى الإنجازية بواسطة التشجيرة<sup>1</sup>:



ومثّل للقوتين الإنجازيتين: "الأصل" و"المستلزمة" في إطار نظرية النحو الوظيفي المعيار (1993ب/ المتوكل)، في الجهاز الواصف مثل للقوتين معا في المكوّن النحوي، ونأخذ مثالا عن الاستفهام الذي غرضه الإنكار، مثل: أو تزوّجت هندا؟ (سؤال-إنكار [تزوّجت] هندا).<sup>2</sup>

تطرق اللغويون العرب إلى قضية "المعنى الأصلي"، و"المعنى المستلزم" في الفعل الطلبي، وغيره من الأفعال، وسمّوا تلك المعاني المستلزمة التي خرجت عن أصل الوضع إلى حال الاستعمال "أغراضا"، وسبب هذا التفرّع الغرضي هو "المقام" أو "مقتضى الحال"، ونستدلّ بقرائن الأحوال للكشف عنها.

خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر إلى مقتضى الحال يقودنا إلى التدقيق في المصطلح، فالعلماء فرّقوا بين ما يسمى بـ"الاستخبار" و"الاستفهام"، لذلك نجد "السيوطي" يعرفه بقوله: «من أقسام الإنشاء الاستفهام، وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار»<sup>3</sup>، وهذا حتّى يؤكد لنا أنّ الغاية الأولى من السؤال هي: طلب الحصول على خبر مجهول، وحتى يزيل الالتباس الحاصل بين المصطلحين: "طلب الفهم" و"طلب الحصول على خبر"،

1 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 52.

2- المرجع نفسه، ص: 53.

3- السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ص: 575.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

استشهد برأي "ابن فارس" في: "فقه اللغة" القائل: «الاستخبار ماسبق أولاً ولم يفهم حقّ الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استقهما»<sup>1</sup>.

إذا، من الناحية الاستعمالية، وبالتدقيق في أحوال السامع والمتكلم، الاستخبار ليس هو الاستفهام، فالاستخبار هو الأدقّ استعمالاً في التعبير عن طلب الخبر، ثم يأتي بعده الاستفهام الذي هو: "طلب فهم الخبر"، وله أحوال أخرى عديدة، أي أغراضاً ذكرها التراثيون، يستعمل فيها أسلوب الاستفهام لغير ما وضع له، منها: الإنكار، التوبيخ، التقرير (الإقرار والاعتراف)، التعجب، العتاب، التذكير، الافتخار، التفخيم، التهويل والتخويف، التهديد والوعيد... الخ.<sup>2</sup>

هذه الأغراض أو القوى المتضمنة في الفعل الكلامي الاستفهام أريد بها التأثير في المخاطب، وحمله على تغيير موقفه، وربما محاولة إقناعه بتبني رأي ما، وهذا كله يصب في مجال الحجاج، «وعليه يمكن القول بأن هناك استفهماً حجاجياً لا يكون غرض المتكلم فيه الاستخبار، والاستفهام ولكن اتخاذ السؤال حجة»<sup>3</sup>، وفي المدونة الشعرية التي بين أيدينا يكاد أسلوب الاستفهام يخرج من معناه الأصلي إلى الأغراض الفرعية في كامل آدائه على مستوى قصائد الديوان.

ساهمت المتعلقات النحوية في تحديد الغرض الحقيقي للفعل الكلامي "الاستفهام"، وهذا ليس غائباً في الشواهد النحوية الماثورة بين اللغويين، فالمفعول به، وغيره من المتعلقات، كالحال والمفعول المطلق وغيرها يمكن أن تنصدر الجملة الاستفهامية لتحلّ موضعين اثنين وتؤدي وظيفتين اثنتين في الوقت نفسه:

1- وظيفة فعل كلامي: أي هي أدواته وآلته.

2- وظيفة نحوية كأن تشغل أحد الوظائف النحوية سابقة الذكر، ونمثل لذلك بقوله

تعالى: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُكْفِرُونَ﴾ (سورة غافر، الآية 81).

1- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر المصدر نفسه، ص: 576.

3- أمال المغامسي، (م.س)، ص: 254.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

"فأيّ" مفعول به مقدّم وجوباً: وهو في الوقت نفسه آلة الفعل الكلامي "الاستفهام"، لأنّ الكلمة "أيّ"، هي التي شغلت الوظيفتين: الوظيفة النحوية والوظيفة التداولية، المتمثلة في الاستفهام الذي قوّته المتضمّنة في القول هي التساؤل، أمّا القوة المستلزمة التي المعنى الحقيقي والخفي هي: "الإنكار" و"الوعيد".

للسّياق دور كبير في الكشف عن القوى الظاهرة والقوى الخفية التي يتمنّع بها الفعل الكلامي، إضافة إلى القرائن المقالية المساعدة، فحال المتكلم أثناء التساؤل هو استدلال على المراد الحقيقي لكلامه، وأيضاً لحال السامع وموقفه من آراء المتكلم قوّة دافعة في اختياره للأساليب المنافسة حتّى يغيّر المتكلم في موقفه أو يتأثر فيه، وهذا داخل في طبيعة بناء الخطاب، وتبادل أدوار الحاجة.

أعمق تحليل نحوي تداولي لقضية "الاستفهام" كأداء كلامي خاضع للمقام، هو تحليل "خالد ميلاد"، فقد تناوله بدءاً من "سيبويه" إلى النحاة بعده والبلاغيين والأصوليين، وه في رأيه أن الخبر ناتج عن استفهام، أي معنى يقتضيه حال المستفهم السائل، إذا «لما يفعل وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً لم يستقر عندهم»، وقضية عدم الاستقرار تعني أي عدم وجوب الخبر (الأمر المستفهم عنه) في اعتقاد المتكلم، وافتراض وجوبه (وقوعه) في اعتقاد وفي علم المخاطب، وكل هذه العلاقة الزائدة على البنية الأصلية المجردة (بنية خبرية) يُطلق عليها "خالد ميلاد" "التوتّر"، أي الانتقال من بيئة خبرية مستقرّة إلى بنية غير خبرية (استفهامية) يميّزها التوتّر (عناصر الاستفهام)<sup>1</sup> مستدلاً برأي "السيرافي" عن حروف الاستفهام من حيث أنها تدخل على الفعل الواجب لإخراجه إلى غير الواجب مثلها مثل حروف الجزاء.<sup>2</sup>

الأصل في الاستفهام أن يلي الفعل أدواته، ولكن العرب توسّعت، فابتدأت بعد الحروف بالأسماء، والأصل غير ذلك كما قال "سيبويه"<sup>3</sup>، «وكأن في هذا التوسّع دليلاً على

1- ينظر خالد ميلاد، (م س)، ص: 114

2- شرح السيرافي على هامش الكتاب، 154/1.

3- الكتاب، 153/1.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أن الطلب الذي يوقعه المتكلم في الاستفهام أضعف من الطلب الذي يكون في الأمر والنهي»<sup>1</sup>.

محتوى هذا الطلب، أو قضيته في الجملة الفعلية الخبرية هو نفسه في الجملة الاستفهامية من حيث العناصر التي تعبر عنه، وهو البنية الإسنادية الأساسية، وقد تلحقها بعض المتعلقات النحوية، لتكون أحد عناصر المحتوى القضوي، وهذا ما يتبين لنا من خلال المدونة قيد الدراسة.

مثل المفعول به محتوى قضويا في الجمل الفعلية الاستفهامية ذات الفعل المتعدّي، كقول الشاعر:

**هل تنكرين جهادنا وصمودنا      والذكريات الذاهبات مع القرون؟<sup>2</sup>**

فالمفعول به "جهادنا" هو عنصر المحتوى القضوي (إنكارا الجهاد)، فعله هو "تنكرين"، والتساؤل هنا من الناحية التداولية مركزاً حول حصول الفعل في حد ذاته أي طلب تصديق حصوله من الفاعل ووقوعه على المفعول به، وليس مركزاً على من قام بالفعل، وإلا ابتدأت الجملة باسم، كقولنا: "هل أنت التي تنكرين جهادنا"، إذ يتبين أنّ هناك فعل حصل من الذات المخاطبة دون غيرها، أي التركيز على "الفعل المتعدي"، وحرف الاستفهام "هل" في الظاهر، وضع بمعناه الحقيقي، وهو "طلب التصديق الإيجابي" دون التصوّر، ودون التصديق السلبي<sup>3</sup>، كقولنا: "هل زيدا ضربت؟" التي هي للتصديق السلبي، والمعنى المستلزم في البيت الشعريّ، هو ليس "طلب التصديق"، وإنّما "التوبيخ واللوم". فالشاعر يستنطق بلده الجزائر مخاطباً إياها متألماً متحسراً من الوضع الذي آلت إليه (المآسي)، وكأنّها لم تتحرّر من الاستعمار، ولم يقم جهاد على أرضها لتتال عزّها ومجدها، فكأنّه يطلب منها جواباً تُثبت به وقوع نكرانها لزمّن الحرية والاستقلال، وهو الجواب الذي يعيشه الشاعر نفسياً، ويحاول

1- خالد ميلاد: (م س)، ص: 116.

2- الديوان، ص: 08.

3- ابن هشام: مغني اللبيب: 473/2.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أن يثبته في نفسه، ويؤكدّه، فهو في صراع داخلي، غير مصدّق ما يجري لوطنه في تناقض بين الأمس واليوم.

وهو ما يؤكدّه قوله، أيضا:

### أفلا يروقك أن تواصل أمتي نهج الأصالة والحدّثة في يقين<sup>1</sup>

الشاعر هنا مستفهم بـ"أ"، بعدها فعل مضارع في زمن الحال، متعدّد لمفعول به هو الضمير: "كاف الخطاب"، يحيل إلى المخاطب المعني باستقبال الرّسالة المتمثّلة في الاستفهام التّقريري، فالمفعول به هنا هو: "المخاطب" المستثار المطلوب منه الإجابة عن التّساؤل، ليس حقيقة، وإنما مجازا، وهي "التقرير"<sup>2</sup>، هذا الفعل الكلامي المستلزم؛ أمّا القوّة التّأثيرية الحجاجية، فهي إيصال الشاعر مشاعر الألم، والتحرّس على خيانة أمانة الشّهداء، وفي هذا دعوة إلى ضرورة المحافظة على الوطن.

استعمال أسلوب الاستفهام المتضمّن للمفعول فيه ليس كثيرا في الديوان، ومنه قول

الشاعر:

### فكيف تُقرّمُ بعدَ غيابي وتُقصي وتهوي وتصدّم<sup>3</sup>؟

ذكر هذا البيت الشعري الاستفهامي في مقطوعة موضوعها حوار تخييلي في الحياة البرزخية، جرى بين الراحل "هواري بومدين" مع رفاقه (المجاهدين والسياسيين) الذين تركهم من بعده، ثم التحقوا به في الممات، يؤتّبهم فيه ويدينهم بسبب مساهمتهم في الانفلات والانزلاقات الخطيرة التي عرفتها البلاد، وأيضا قضية التعددية الحزبية وهو تحول سياسي حدث بعد وفاته، وقد أدى ظرف المكان دور المخصص في الفترة الزمنية التي حدثت فيها هذه التحولات: "بعد غيابي"، وهذا يستلزم أن الدولة الجزائرية في عهد هواري بومدين كانت في قمة ازدهارها بين الدول وعلى جميع الأصعدة، وقد أدى الاستفهام هنا غرضا آخر غير

1- الديوان، ص: 08.

2- التقرير هنا مقصود به "الدفع إلى الاعتراف"، من أقرّ يقرّ وأقرّ إقرارا، وذكر هذا الغرض: السيوطي في "الإتقان"، ص: 576، ودلائل الإعجاز، ص: 113.

3- الديوان، ص: 69.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الاستخبار وهو "التوبيخ"، وهو فعل كلامي غير مباشر، وساهم "المتعلق" في تحديد زمن حدوث هذا الفعل الكلامي، والمضاف إليه: "الغياب" عزّف بالظرف المبهم: "بعد"، فصار الإطار الكلامي واضحاً بيّناً، وقد مثل الظرف "بعد" هنا واصلاً بين الماضي والحاضر، والأمر نفسه في قول الشاعر:

مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ بَعْدَ طُولِ تَوَجُّعِي      وَالفِكْرُ يُقْضَى وَالْوَفَاءُ يُعَابُ؟<sup>1</sup>

خلقَ الظرفَ الزماني "بعد"، حيزاً مكانياً لحيرة الشاعر، وتحسّره واستفهامه عن عجزه عن التعبير عن الواقع المر الذي يُعانيه المثقّف في سبيل إعلاء كلمة الحقّ في ظلّ الأزمات التي تعرفها البلاد.

### 2-الأمر:

مثّلت المتعلقات النحوية مع فعل الأمر في أغلب الحالات محتوى قضوياً، كعناصر محدّدة مكمّمة مخصّصة للطلب بصيغة "الأمر"، وكثّرت هذه الأفعال في قصائد الديوان، وأغلبها كانت أفعالاً كلامية مباشرة أفادت النصّح والإرشاد والتّحذير، ومثّل المفعول به محتوى قضوياً أيضاً، والغالب على أساليب الأمر، إما فعل أمر بصيغة "افعل"، أو فعل مضارع مقرون بلام الأمر.

أغلب أفعال الأمر أفعالاً متعدية أي تطلّبت مفعولاً به، وعليه فالمخاطب (الشاعر) متوجّه للمخاطب (المتلقّي) المتعدّد والمتنوّع، بطلب حصول إيقاع أفعال الأمر هذه على مفاعيل، نذكر منها قول الشاعر:

ذُرْنِي أَحْذَرُ مِنْ يَكِيدُ لَشَعْبِهَا      وَيظنُّ أَنْ شَبَابِهَا قَدْ غُيِّرًا.<sup>2</sup>

فالمفعول به "ياء المتكلم" في الفعل "ذرني" هو جزء من محتوى قضوي، واقع عليه فعل الفاعل، ويتبيّن من استعمال الشاعر للضمير المتكلم، أنّه في موقف "التماس" تساوى فيه رتبةً مع المخاطب (ذر أنت)، إن الأغراض المتنوعة التي يخرج إليها فعل الأمر هي

1- الديوان، ص: 72.

2- الديوان، ص: 05.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

تبعاً لمقتضى أحوال السامع والمتكلم فيلجأ المتكلم إلى استعمال أفعالاً ثلاثاً مقاصده، وهذا يصبّ في المنحى التداولي، ويجمع الباحثون المحدثون أن في مثل هذه التوجيهات، ممارسة حجاجية غايتها التأثير وتغيير المواقف<sup>1</sup>، وهذا لا يتمّ إلا إذا كان "الأمر" يتمتع بسلطة التأثير القوي، وبعدّ النصّ الشعريّ نصّاً مؤثراً قوياً، مهما كانت الأساليب التي يستعملها الشاعر، وفي هذه المدوّنة التي بين أيدينا، مكانة الشاعر بدت أنه ذلك الوطني الغيور على عرض وطنه والممجد لبطولاته، فظهر الشاعر ناصحاً مرشداً محدّراً من مخاطر الوضع الذي آلت إليه الجزائر زمن العشرية السوداء، فظهر شخصية داعية إلى التكاتف والتضامن وتتمين كل الجهود الساعية لبناء الوطن، وخدمته، وتضميد جراحه، وقد احتاج إلى الاستعانة بالمتعلقات النحوية في الجملة الفعلية ليكون أكثر دقةً في تحديد قضايا الأخبار التي يصورها أو القضايا التي يطلب تحقيقها، ومنها قوله:

### غذّيه بالقيم الأصيلة إنّه يرث الفضائل منشأً وتأثراً<sup>2</sup>

فعل الأمر "غذّيه" غرضه التّصح والإرشاد، أمّا المعنى المستلزم هو المدح، جاء المفعول به ضميراً غائباً هو "الهاء"، مثل جزءاً من محتوى قضوي بالإضافة إلى الجار والمجرور ونعته "بالقيم الأصيلة"، فهذان العنصران الأخيران زادا في قوّة القوة الإنجازية التي يتمتع بها فعل الأمر "غذّيه"، وبيّنا انتقال الشاعر النفسي من أمر صريح حقيقي إلى امتداح خفيّ لشباب الأمّة.

ومن أفعال الأمر التي احتاجت إلى ذكر المتعلّق، فحدّد طبيعة قوّتها الإنجازية، وزاد فيها، قول الشاعر (أبيات متفرقة):

—بلادنا أسيرة بحرفها المستورد<sup>3</sup>

فأطلقني لسانها بضادنا المجمد

1- ذكرت الباحثة آمال المغامسي عدة باحثين تطرقوا إلى الأمر كفعل إلزامي توجيهي حجاجي، منهم: بيرلمان وتيتكا، عبد الهادي الشهري، سامية الدريدي...الخ.

2- الديوان، ص: 06.

3- الديوان، ص 14 و 15.

وأخرجي شبابها من عيشه المنكد

ووجهي طموحه نحو الفضاء الأبعد

لا تتركه عرضة لنزوة التمرد

يا إخوتي لا تعجبوا من رسم هذا المشهد

-هيا ارجعيني إلى أحضان باديتي فقد كرهت زمان العنف في بلدي<sup>1</sup>

جزائري علمينا الحب في زماني وألهمينا معاني الرشد والجد

-قم واس شعبك في الشدائد مسرعا وارفع نداءك خاشعا متضرعا

-جزائر مرّي لعهد جديد وضمي الشتات بكل نداء<sup>2</sup>

-عالج نفوس الحاقدين فإنها مسكونة وبحقدها تتعقد<sup>3</sup>

وقع المفعول به جملة "مقول القول" لفعل الأمر "قل"، كقول الشاعر:

قل للذين تنكروا وتمردوا إن الجزائر لن تضيع ولن تهون

وفي هذا النوع من الجمل يمثل المفعول به لوحده فعلا إنجازيا ثانيا إضافة إلى فعل

الأمر "قل" (أفعال إنجازية متعدة). وقد تعدد هذا النوع من الجمل على مستوى قصائد

الديوان.

لعب "المفعولُ فيه" وأفعال الأمر دورا تعالقيًا وفق ما اقتضاه الخطاب، والسياق الذي

ورد فيه، إذ استعمل الشاعر كثيرا الظرف: "نحو"، ليعبر به عن طموحه وآماله المستقبلية

من خلال توظيف أفعال أمرية يخاطب بها من توسم فيهم السير بالوطن نحو الأفضل،

فتعددت الأصوات، مرة يخاطب الجزائر في حد ذاتها، وهو خطاب لغير العاقل أي مجازي،

يحمل أفعالا كلامية غير مباشرة هي التمني. إذ يظهر الشاعر حالما آملا وطامحا نحو

مستقبل مشرق.

ومنها قول الشاعر:

1- الديوان، ص: 16، 17.

2- الديوان، ص: 30.

3- الديوان، ص: 48.

وَوَجَّهِي طَمَوْحَهُ      نَحَوَ الْفَضَاءِ الْأُبْعَدِ<sup>1</sup>

ففعلُ الأمر، "وجَّهي" يحتاج إلى ظرف مكان، والاحتياج إليه واجب، نظرا لطبيعة الفعل، حتَّى يتمّ معناه، أي أن المقام يتطلّب ذكره لما يحمله الفعل "وجّه" من معان تخص الغاية المكانية، وفي مقام آخر يخاطب الشرفاء من بني وطنه، وهو أمر حقيقي، الغرض منه، لم الشمل والعمل على التّهوض بالوطن نحو الأفضل، كقوله:

فَأَجْمِعُوا شَتَاتَهُ      وَاَمْضُوا بِهِ نَحْوَ الْغَدِ<sup>2</sup>

فمعنى المضيّ أيضا معنى مكاني لا يتم معناه في هذا المقام إلا بذكر ظرف مكاني وهو هنا "نحو"، هذا من الناحية اللسانية أما من الناحية التداولية فقد خرج في هذا البيت من معناه الأصلي إلى معنى فرعي، وهو المعنى الزماني، أي أن "نحو" هنا لم يخلق فضاء مكاني وإنما فضاء زماني، حدّده المضاف إليه الذي جاء بعده "الغد"، لأن الشاعر لم يرد بفعل الأمر "امضوا" تحقيق المضي المادي وإنما المضي المعنوي، والغرض هنا: "الحثّ وشحذُ الهمم والتشجيع وهو المعنى المستلزم".

ومن أفعال الأمر التي استعملها الشاعر في تمجيد ثورة نوفمبر، واحتاج فيها إلى إتمام المعنى باستعمال المفعول فيه (الظرف الزماني)، لغرض خلق فضاء زماني، يقف فيه على حيثيات البطولات المنجزة، قوله:

اسألوها عن شهيدٍ      حينَ أدمتُهُ الخناجر<sup>3</sup>

الخطاب موجّه إلى جماعة الذكور "القرّاء"، فعل الأمر "اسألوها"، وغرضه هنا الالتماس، أي يلتمس في "المخاطب" أن يعرف أدق التفاصيل عن حيثيات البطولات التي يشهد لها التاريخ والدنيا، وقد لعب ظرف الزمان "حين"، بؤرة المحتوى القضوي لفعل الأمر: اسألوها، لأن الوقوف (التوقف) عند كلمة "شهيد"، لا يفصل ولا يوضّح المعنى، حتى تم

1- الديوان، ص: 15.

2- الديوان، ص: 15.

3- الديوان، ص: 35.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الكلام بـ "حين" والجملة التي بعدها "أدْمَتْهُ" "الخناجر"، فهذا الفضاء الزمني لصنع الأحداث هو نقطة وصل بين الحاضر (اسألوها)، والماضي "حين".

ومن الأبيات الشعرية التي كان فيها الظرف المكاني حيّزا لتعبير الشاعر عن آماله، في مقطوعة تمجّد الجزائر، قوله:

**ضَعِي هِمَّةَ النَّشْءِ فَوْقَ النُّجُومِ      وَسِيرِي بِهِ لَلْمَدَى الْأَبْعَدِ.<sup>1</sup>**

فمن الناحية الدلالية فعل الأمر "ضعي" يناسب ظرف المكان "فوق" وتمم معناه، ومن الناحية التداولية، وسياقيا، "ضعي" هو فعل كلامي، غرضه: الأمر المجازي، والذي يأمل من خلاله الشاعر تغيير الوضع الراهن للبلاد، وتحسّن أحوال شبابه، فالشاعر، هنا طموح للعلا والغد الأفضل، وهو ما يحمله معنى المفعول فيه من فوقية وطموح عالٍ. وأيضا ظرف المكان "نحو" لعب دوراً كبيراً في التعبير عن طموحات الشاعر لتغيير البلاد نحو الأفضل والخروج من الأزمة الدّموية، ويتجلى ذلك في مدح الشاعر لبعده العزيز بوتفليقة، وتأييده في مشروع "الوئام"، وذلك في قوله:

**فَسِرْ بِالْجَزَائِرِ نَحْوَ السَّلَامِ      وَنَحْوِ التَّالِقِ وَالسُّؤْدَدِ.<sup>2</sup>**

ومن الناحية التداولية، والاستلزام التخاطبي، غرض الشاعر هو المدح، لأن البلاد كانت تعيش رهنا دمويًا سيئًا، تتنازع فيه أطراف من الناحية السياسية والأمنية، فبارك الشاعر سعي "بوتفليقة" إلى الوئام والسّلام بفعل الأمر "سِرْ"، وخرج من الأمر الحقيقي إلى غرض المدح.

أمّا فيما يخصّ "المفعول المطلق"، فقد استعمل لغرض "الأمر" في موضعين فقط، جاء في صورة: "المصدر النائب عن فعله"،\*، الأوّل: قول الشاعر:

**يا دولتي معذرةً      عن السّؤال الأوحدي.<sup>3</sup>**

1- الديوان، ص: 55.

2- الديوان، ص: 61.

\* يُقصد بالمصدر النائب عن فعله: هو مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبا، ويكون نائبا عن فعله في حصول الفائدة.

3- الديوان، ص: 14.



فالمفعول: "مَعْدِرَةٌ"، هو مفعول مطلق فعله فعل أمر محذوف، فقام مقامه، والفعل الإنجازي هنا: "الاعتذار"، وسنعود إلى هذه النقطة في الفاعل الإفصاحية.

### 3- الأفعال الإفصاحية:

الأفعال الإفصاحية في الخطاب التداولي تتصل بمفاهيم القصد التواصلي، ومقام التواصل، والقوة المتضمنة في القول، وهي نابعة من العلاقة القائمة بين قصد المتكلم ونوع التركيب الذي يختاره كي يعبر عن قصده، ويؤثر به في السامع أو يحقق نجاح العملية التواصلية معه، وقد احتاج الشاعر في مقاماته التواصلية مع المتلقي إلى استعمال هذا النوع من ضروب القول.

استعمل الشاعر "الدعاء" في مناداة لغير العاقل وهو النوع الغالب، وحمل فعلا كلاميا غير مباشر (يخاطب الوطن)، وكأن هذا الوطن إنسانا يحتاج إلى من يأخذ بيده. لم تخل قصائد الديوان من الأفعال الكلامية الإفصاحية، والتي كان غرضها إفصاح الشاعر عن حسرته أو تعجبه، ومنها قوله:

#### يَا دَوْلَتِي مَعْدِرَةٌ عَنِ السُّؤَالِ الْأَوْحَدِ.<sup>1</sup>

استعمل الشاعر هنا "المصدر النائب عن فعله"، وهو الذي ينوب عن فعل الأمر، والغرض هنا "الاعتذار"، وهو فعل كلامي إفصاحي، والمصدر هنا هو "مَعْدِرَةٌ". وهو نوع من المتعلقات المنصوبة التي تتعلّق بالفعل المحذوف وجوبا، وقد سمّاه "سيبويه": "هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي"<sup>2</sup>، وقد علّل "سيبويه" في مواضع كثيرة أن حذف الفعل راجع إلى كثرة استعمالهم إيّاه، ولعلم المخاطب أيضا. وهذا التحليل الذي يقدمه سيبويه نابع من معطيات المقام، إذ نكتفي بعنصر كلامي واحد يُنجز به الفعل الكلامي، ويكون متضمّن قوّة إنجازية تأثيرية في الوقت نفسه.

1- الديوان، ص: 14.

2- الكتاب، 349/1.

ولا ننسى هنا العلامة الإعرابية فهي مؤشّر لغوي استدلالي على وظيفة الكلمة نحويًا من جهة، ومن جهة أخرى كانت ذات صلة بالمعنى القصديّ. وهذه هي فائدة العلامة الإعرابية في اللغة العربيّة، إذ تلعب دورا في تحديد الدلالة التي هي طريق للوصول إلى المقاصد. وقد نبّه إلى هذه الفائدة خالد ميلاد في عرضه لمقال\* باحثة غربية وهي "رودিকা بوبوروزان" (*Rodica Buburuzan*)، والتي تناولت فيه التعجّب عند "سيبويه" من منظور نظرية الفعل الكلامي، وقد توصلت خلال بحثها إلى أنّ اعتناء سيبويه بالعلامات الإعرابية نابع من عمق عنايته بالمعنى القصديّ، من خلال الأبواب التي تناولها في الكتاب، ومنها أبواب ما ينتصب من المصادر على إضمار الفعل<sup>1</sup>.

استعمل الشاعر أسلوب الندبة في قوله:

وَاحِرَ قَلْبَاهُ مَنْ جَاشَتْ عَوَاطِفُهُ      وَنَفْسُهُ تَتَشَطَّى عِبْرَهُ صَهْدًا<sup>2</sup>

وهذا الفعل الكلاميّ تابع لعمل النداء في قالب إفصاحيّ يختلف في قوته المتضمنة عن النداء.

استعمل الشاعر أيضا أسلوب التعجّب، والذي كان الغرض منه إفصاح الشاعر عن إعجابه بطبيعة وطنه الجزائر، والتي تفتن القلب قبل العين، كقوله:

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمَنَاطِرَ فَوْقَهَا      سِحْرًا يُثِيرُ وَأَيَّةً تَتَجَسَّدُ  
أَعْظَمَ بِفَاتِنَةِ الزَّمَانِ وَحُسْنِهَا      كُلُّ الْأَوَاصِرِ فَوْقَهَا تَتَوَطَّدُ<sup>3</sup>

مثّل المفعول به محتوى قضويًا: "سِحْرًا"، وأيضا المفعول فيه: "فوقها"، أمّا المفعول المطلق: "سُبْحَانَ"، فهو الفعل الكلامي الإفصاحي الذي يحمل قوّة إنجازية هي "التعجّب"، غرضها التأثيري إبداء الشاعر إعجابه بطبيعة وطنه، أمّا الغرض الحجاجي فهو غرس قيمة وطنية في نفس المتلقّي، هي الإعجاب بجمال الطبيعة، التي لاتنقص قيمة عن المقدّسات

\* - عنوان المقال: التعجّب والأعمال اللغوية عند سيبويه.

1- ينظر خالد ميلاد، (م س)، ص: 41.

2- الديوان، ص: 39.

3- الديوان، ص: 47، 48.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الأخرى التي تغنى بها الشاعر ودعا إلى المحافظة عليها، كالدين والعروبة والثقافة والتاريخ... .

نلاحظ على المفعول المطلق "سبحان" والذي ينتمي إلى المصادر المنصوبة على إضمار الفعل وجوبا أي ترك إظهاره، أنّ هذا النوع من المصادر اكتسى قيمته التداولية والدلالية من وظيفته النحوية وعلامته الإعرابية أولا، فهي وظيفة نحوية طيعة ومطابقة لظروف المقام، استغنت بنفسها لأداء قوّة إنجازية التي هي التعجب. وقضية الاستغناء هي تعليل نحويّ كثيرا ما يتحدّث عنه سيبويه في مثل هذه المواضع، ومنه: «وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر»<sup>1</sup>. فألية "الاستغناء" مقصودة ومتعمّدة لاختزال الأغراض والمقاصد في كلمة واحدة، وهي ليست اعتباطية وإنّما قائمة على أسس منها العلامة الإعرابية (الوظيفة الإعرابية)، فهي قرينة على المعنى القصديّ، وأيضا أسباب تتعلّق بالعرف اللغويّ والمقام.

نشير هنا إلى أن عمل التعجب عند سيبويه يلتقي مع النظرية التداولية للفعل الكلاميّ، وهذا ما أثبتته "روديكا بويروزان"، فالتعجب يخضع لآلية الاستلزام، والمقاصد والتعامل القوليّ، والقوّة المتضمّنة في القول...<sup>2</sup>، والتحليل الذي قدّمه سيبويه ومن بعده النحاة لأساليب التعجب يبرز لنا أهميّة العناصر النحوية المكوّنة له، كالمفعول به، والمفعول المطلق، والجار والمجرور، ونمثّل لذلك وعلى الترتيب بالأمثلة التّالية: ما أجمل السّماء! - أجملّ به رجلا شجاعا! - سبحان الله! - الله درك!. الجائزة نال محمّد!... الخ

### 4- الأفعال الحكمية والإدارية:

مثّل فيها المفعول به محتوى قضويا، متضمّنا فعلا تقريريا ثانيا، كقول الشاعر:

قضى الله أن نبتلى من جديد ويشمّلنا حكمه المبرم.<sup>3</sup>

ومنها قول الشاعر:

1- الكتاب، 331/1.

2- ينظر خالد ميلاد، ص: 40-43.

3- الديوان، ص: 76.

وَيُعْلَنُ لِلخَائِنِينَ وَلِلشَّامِتِينَ بِأَنَّ الجَزَائِرَ لَا تُهْزَمُ.<sup>1</sup>

الفعل الحكمي هنا: "يعلن"، وهو فعل متعدّد، مفعوله وقع جملة، تضمّنت هي الأخرى فعلا تقريريا غرضه التأثيري الإثبات والتأكيد " أن الجزائر لاتهزم".

ومثله قول الشاعر:

مَسْخُوا الأَصَالَةَ فِي البِلَادِ وَأَعْلَنُوا أَنَّ الثَّوَابِتَ كُلَّهَا أَنْصَابُ.<sup>2</sup>

كقول الشاعر:

مَنْعُوا الكِتَابَ مِنَ الصُّدُورِ وَأَوْقَفُوا إِيْرَادَهُ يَا أَيُّهَا الكِتَابُ

5-عمل النداء:

النداء هو فعل كلامي من حيث أنه يحدث انتباها لمخاطب قد يكون مشغولا أو غير منتبه لطلب يريد المتكلم أن يلقى إليه أو يتقدّم به إليه، وعليه فهو أسلوب في صميم البحث التداولي، لأنّه لا يتحقّق إلا أثناء الأداء الفعلي للكلام، أي شرطه مثل الأساليب الإنشائية الأخرى، كالاستفهام أو الأمر والنهي، وهذا الشرط هو استدعاء المقام لمكلم ومخاطب حاضرين فعلا.

عمل النداء هو فعل كلامي أولي، كمدخل لفعل كلامي آخر يليه، لذا فغالبا ما يقترن النداء بأمر أو نهى، أي أنّ الغرض الأساسي هو إحداث قوّة تواصلية أكثر من أن يتقدم المتكلم بأمر مباشر دون مقدّمات، وهذه القوة تزيد وتوطد أكثر علاقة المتكلم بسامعه، فيشدّد انتباهه وتركيزه وتفاعله وتواصله، وقد يكون غير معني أصلا بخطاب حصل ويحصل بين متخاطبين آخرين، فتحدث عملية إقحام لمخاطب جديد، فيتعدّد المستمعون، وتتسع دائرة الخطاب.

في المدونة التي بين أيدينا، أغلب ما استعمل الشاعر أسلوب "النداء" مقترنا بالأمر،

كقول الشاعر:

1- الديوان، ص:70.

2- الديوان، ص: 71.

يا أيها الجيل المخدر كفاً عن هذا الصراع وعد لرشدك مُسرعا<sup>1</sup>

وصرح "سيبويه" بأن «المنادى مختص من بين أمته، لأمر أو نهي أو خبرك»<sup>2</sup>، أي «أن النداء يعين المخاطب المعنى بالكلام على سبيل التوكيد أو التخصيص»<sup>3</sup>، وقد توسع "سيبويه" في ذكر أحوال التخصيص بالمنادى، ومنها المنادى الموصوف إذ جاء اسما مبهما بـ "يا أيها" فيحتاج المتكلم لأن يصفه وينعته حتى يعرف إذا خاف أن لا يعرف<sup>4</sup>، كقولك: «يا زيد الطويل».

استعمل الشاعر المنادى المخصّص بالنعته كثيرا ، كقوله: «يا أيها الجيل المخدر»، «أيها النرجسي» «يا أيها الوطن المُعرّش»، «يا أيها القلم المشاكس»، «يا أيها الوطني الغيور»، «يا أيها الشرفاء الأباة»، «يا أيها العابثون اللئام»، نلاحظ أن الشاعر احتاج في أداء الفعل الكلامي النداء لتخصيص المنادى "بالوصف"، ونفسر ذلك أن الشاعر يعيش حالة نفسية مشحونة بالأحاسيس المكتظة في صدره، مختلطة بين مشاعر وطنية صادقة إيجابية كـ "المُعرّش، الأباة، الغيور... " ومشاعر سلبية ، تظهر أنه ناقد على أعداء الوطن الذين تسبّبوا في جزه إلى الأزمة المعيشية: "اللئام، العابثون... الخ".

ومن الناحية التداولية نستنتج أن للنعته دورا في تحديد المخصوص بالنداء، ويفسر المبهم في المحتوى القضوي في فعل النداء، ويجعل القارئ مركزا النظر على نقطة أراد الشاعر أن يركز نظره فيها، وهذا ساهم في نقل مشاعره بصدق، والجانب الحجاجي هنا هو جلب انتباه القارئ والتأثير فيه، ودعوته لإقامة عملية فرز موضوعية بين الشرفاء والخائنين من خلال عملية التصوير الدقيق، فالمنادى الموصوف يحدد مقاصد المتكلم اتجاه المخاطب المنادى، ويزيد في القوة الإنجازية والتأثيرية.

1- الديوان، ص: 24.

2 - سيبويه: الكتاب، 239/2.

3 - خالد ميلاد، (م س)، ص: 163.

4 - ينظر الكتاب، 195-190/2.

رابعاً: الأفعال الكلامية التقريرية والإنشائية المخصصة بالعلاقات النحوية الأخرى وأبعادها التداولية

### 1- الأفعال الكلامية وعلاقة التبعية:

التابع لغة من تَبَعَ ومعناه: «تَبَعَ الشَّيْءُ تَبَعًا وَتَبَاعًا فِي الْأَفْعَالِ وَتَبِعْتُ الشَّيْءَ تَبُوعًا: سِرْتُ فِي إِثْرِهِ (...) وَتَبِعْتُ الْقَوْمَ تَبَعًا وَتَبَاعَةً، بِالْفَتْحِ، إِذَا مَشَيْتُ خَلْفَهُمْ... وَالتَّابِعُ: التَّالِي، وَالْجَمْعُ تَبَعٌ وَتَبَاعٌ وَتَبَعَةٌ»<sup>1</sup>، أمّا اصطلاحاً عند النحويين فهو مصطلح شاع عند النحاة في القرن الرابع الهجري، أما عند النحاة المتقدمين فلا نجد "سيبويه" يذكره، ولا يخصّ التتابع كباب مستقلّ، مثلما هو الأمر عند النحاة المتأخرين، وإنّما كل تابع يفرد له باباً خاصاً به، كـ "النعت" و"المبدل" و"المعطوف"، ولا نجد مصطلح "التابع" عند "ابن جني" أيضاً، وتشير الباحثة "وداد حامد عطشان السّلامي" إلى أنّ "ابن السّراج" «ت316هـ» كان أوّل من استعمل لفظة "تابع" بمعناها الاصطلاحية النحوي، وأنّه أوّل من ابتدع هذا التقسيم في قوله: «هذه توابع الأسماء في إعرابها»<sup>2</sup>، ثمّ جاء بعده النحاة الذين زادوا المصطلح توضيحاً، كالرّماني «ت384هـ»، فهو أوّل من حدّه بمعناها النحوي في قوله: «التوابع هي الجارية على إعراب الأوّل»<sup>3</sup>، ثمّ توالى التعريفات والتصنيفات للمصطلح، كما هو الأمر عند أب حيان التوحّيدي<sup>4</sup> "الزمخشري" وتلميذه "ابن يعّيش"، حيث يعرفها الزّمخشري بقوله: «هي الأسماء التي لا يمّسّها الإعراب إلّا على سبيل التّبّع لغيرها، وهي خمسة أضرب تأكيد وصفة وبدل وعطف بيان وعطف بحرف»<sup>5</sup>، وشرح "ابن يعّيش" ذلك قائلاً: «التوابع هي

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة تبع، مج27/8.

2 - ينظر وداد حامد عطشان السّلامي: التوابع في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1428 هـ/2007م، ص:22.

3- نفسه.

4 - ينظر أيوب عطية القيسي: الاختيارات النحوية لأبي حيان في "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، دراسة وتحليل (رسالة دكتوراه مطبوعة)، دار القمة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص:385.

5- شرح المفصل، 38/3.

الثواني المساوية للأول في الإعراب بمشاركتها له في العوامل، ومعنى قولنا ثوان أي فروع...»<sup>1</sup>.

ويعرفها "ابن هشام" في (شرح قطر الندى) في باب (التوابع: يتبع ما قبله في إعرابه خمسة): «التوابع عبارة عن الكلمات التي لا يمسه الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها، وهي خمسة النعت والتأكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل»<sup>2</sup>، إلا أن ما اشتهر بين النحاة قولهم: «التابع: هو المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد وليس خبرا»<sup>3</sup>، وهو أيضا: «الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقا»<sup>4</sup> ولفظة "مطلقا"، تخرج الخبر والحال كون الخبر يأتي مرفوعا دائما والحال منصوبة. والتابع عند "المنصف عاشور" عبارة عن «طرف اسمي يكون مع متبوعه موضعا واحدا ويؤديان معنى وظيفيا واحدا حسب ما نرى، فالتابع مقترن بمتبوعه موسوم بما يُوسم به (...)، فالتوابع لها خصائص لفظية صيغية وخصائص معنوية تكون مقاييس تعريفها»<sup>5</sup>، وقد فصل "المنصف عاشور" في ذكر هذه الخصائص وفق منظور النحاة، وأدرجها "تمام حسان" ضمن "قرائن التعليق"، فوسم التبعية بأنها "قرينة معنوية عامة" يندرج تحتها قرائن معنوية فرعية، لها محددات لفظية تخضع لها لأداء وظيفتها في الجملة، كقرينة الرتبة والقرينة الإعرابية التي تتبع متبوعها فيها.<sup>6</sup>

ويعرفه "إبراهيم قلاتي"، بقوله: «التابع لفظ متأخر دائما يتقيد في نوع إعرابه بنوع الإعراب في لفظ معين متقدم عليه، بحيث لا يختلف اللاحق عن السابق في ذلك النوع... سمي تابعا لأنه يتبع متبوعه في حركات الإعراب»<sup>7</sup>.

1 - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2 - شرح قطر الندى، ص: 280.

3 - ينظر محمد محي الدين عبد الحميد، هامش شرح قطر الندى، ص: 280.

4 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1416-1996م 409/1.

5 - المنصف عاشور: ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، (م س)، ص: 555.

6- ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 204.

7- إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط2009، ص: 96.

وجد أن البلاغيين لم يتحدثوا عن التتابع في باب مستقل كالتحويين، وإنما تحدثوا عنها في مواضع متفرقة تخصّ مزايا خواصّ التراكيب، التي هي موضوع علم المعاني<sup>1</sup>، وبعدّ باب الوصل والفصل" أحد المباحث التي بين فيها البلاغيون أهميّة تحرّي مواضع التتابع في الجملة.<sup>2</sup>

وأول تابع سنسلط عليه الضوء في بعده الاستعمالي التداولي في اللغة العربية، هو "النعته".

-**النعته:** وعرفه "ابن هشام" بقوله: «التابع، المشتقّ أو المؤول به، المباين للفظ متبوعه»<sup>3</sup>، فعموما يتفق كل العلماء، نحاة وبلاغيون وأصوليون ومفسّرون، أن الصفة هي قيد يخصّص به المطلق بعد ما يكون عامّا (يحدّده)، و«التقييد فهو يعني أنّ هناك مطلقاً فيأتي المقيد ليحدّ من إطلاقه وشيوعه»<sup>4</sup>، وعند أبي "حامد الغزالي" "المعيّن" يقابل "المطلق"، وعرفهما ب: «والأول حدّه: اللفظ الذي لا يمكن أن يكون مفهومه إلّا ذلك الواحد بعينه (...). وأما المطلق فهو: الذي لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الاشتراك في معناه»<sup>5</sup>، وهذا ينطبق على الألفاظ التي تكون صفاتاً لذوات تحدّدها وتعيّنها، هذه هي الغاية الاستعمالية للنعته في العربية، فإذا استعمل لفظ مبهم غير محدّد في الكلام يمكن أن تنطبق عليه صفات أخرى مما يسبب لبساً، فيفرض المقام حينها نفسه ليفصل في المنعوت المقصود فيتّضح محتوى القضية، وبفكّ الإبهام عن الحمل والذوات المكوّنة له، وربّما يكون الفعل الكلامي غير ناجح في أداء غرضه التأثيري لعدم وضوح محدّدات الحمل (المحمول) فتضعف القوّة المتضمّنة؛ حينها نستعين بالوصف أو أيّ مخصّص فتظهر المقاصد جليّة واضحة، ويأخذ الفعل

1- قدّمت الباحثة "وداد حامد عطشان السلامي" عرضاً مفصلاً وافياً كافياً عن التتابع عند اللغويين العرب بكل توجهاتهم، فهو جدير بالاطلاع.

2- ينظر مثلاً: ركن الدين الجرجاني: الإشارات والتبهيّات في علم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1432هـ-2011م، ص: 102 وما بعدها.

3- شرح قطر الندى، ص: 280.

4- ياسين عبد الله نصيف، التقييد بالمفعولات، (م س)، ص: 16.

5- المستصفي، 94/1.



الكلامي طريقه نحو التّجّاح لمراعاته مقتضى الحال وهو ذكر "الواصف". وسنلاحظ أهمية ذلك في النماذج المدروسة.

أما الأبعاد الدلالية، فقد فصلّ النحاة في ذكرها، منها أنه يستعمل لتخصيص نكرة، مثل: "مررت برجل كاتب"، أو لتوضيح معرفة، مثل: "مررت بزيد الخياط"، أو مدح، مثل: ﴿بسم الله الرحمان الرحيم﴾، أو ذمّ، مثل: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، أو ترحمّ، أو توكيد...<sup>1</sup>، و"عبد القاهر الجرجاني" تحدّث عن غاياته الدلالية في بايين (المصادر تتفرّق بالصّلة كما تتفرّق بالصفة) و(القول في الوصل والفصل)<sup>2</sup>. مبيّنا دور الصّفة في تنويع اسم الجنس الواحد إلى أنواع مختلفة، وكلّ نوع منها شيئاً على حدة (رجل ظريف، رجل طويل، رجل قصير، رجل شاعر... الخ)، وهو ينطبق على مفهوم الأصوليين للفظ "المعيّن"، وهذا المعنى أيضاً نجده في التداولية الغربية، التي تنظر للوصف كوظيفة دلالية دورها "التعيين"<sup>\*</sup>، وكل مقام يستدعي معيّناً ما، ونمثل للأوصاف المتنوّعة على محور الاستبدال، لأنّها كما قال "الجرجاني": "يعدّ كل نوع منها شيئاً على حدة".

تطرّق "الجرجاني" أيضاً إلى ذكر الغايات الاستعمالية للوصف بالاسم الموصول "الذي"، وفائدة الجملة بعده، ومنها أنها يؤتى بها لتخصيص الجنس (رجل) بما عُرف به عند الناس، أي تعيينه بما يكون السامع على علم به من قبل.<sup>3</sup>

استعمل النّعت كثيراً في قصائد الديوان على مستوى الجملة الفعلية وتنوّعت وظائف المنعوت، فمرّة فاعلٌ، ومرّة مفعول به أو اسماً مجروراً أو مضاف إليه، كما تنوّعت صور النّعت، مرّة مفرد، ومرّة جملة، كما تنوّعت الأفعال الكلاميّة التي احتاج الشّاعر لتحقيق غرضها التّأثيري إلى استعمال النّعت، من أفعال تقريرية إثباتية تأكيدية أو منفية، وهي الغالبة، أو أفعالاً إنشائية: إمّا أمر أو استفهام أو نداء أو تعجّب أو دعاء.

1- ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 282.

2- دلائل الإعجاز، ص: 193، 199، 227.

\*- ينظر إلى الفصل الثالث من هذا البحث.

3- دلائل الإعجاز، ص: 199، 201.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

والنعت من الناحية التداولية هو إخبار أيضا لأنه يصف ويحدّد، ويعيّن أي يحيل، لذا فهو يحمل وظائف تداولية وأدوارا إخبارية يحسن الوقوف عندها.

نشير هنا إلى أنّ النعت استعمل مرة في صورة المفرد، ومرة في صورة الجملة، فالذي جاء مفردا جاء ليخصّص صفة في منوعات واحد لفعل كلامي واحد، أمّا الذي جاء في صورة الجملة فوحده يمثل فعلا كلاميا ثانويا لفعل كلامي رئيسي، وهو الذي يتصدّر الجملة الكبرى، نمثل لها ب: [فعل رئيسي + فاعل + متعلّق + نعت جملة (فعل ثانوي + فاعل + متعلّق)].

وأدّى النعت دورا كبيرا في بناء الغرض التأثيري للفعل الكلامي من جهة، وفي بناء المحتوى القضوي له من جهة أخرى، فهو جزء لا يتجزأ من المحتوى القضوي، وحدّد بدقّة متناهية خصائص الفضاءات المقامية التي تغنى بها الشاعر، ومنها المقطوعات التي تمجّد وطنه الجزائر، ويمثّل لذلك بقوله:

وَتَوَارَثَتْهَا أُمَّةٌ أَزَلِيَّةٌ      كَانَتْ لَهَا قِمَمُ البُطُولَةِ مَشْعَرًا.<sup>1</sup>  
قَدَسْتُ فِيكَ عَقِيدَتِي وَعُرُوبِي      وَشَرِبْتُ حُبَّهُمَا العَظِيمَ مُطَهَّرًا

في هذين البيتين الشعريين يعدّد الشاعر صفات للتغني بالوطن ساهمت تداوليا في الإعلام والإخبار وتوضيح الفعل الكلامي التقريري والغرض منه، "فتوارثتها": فعل تقريري مباشر يفيد الإخبار عن عظمة هذا الوطن، أمّا الفعل الكلامي غير المباشر، فيُفصِح عنه النعت "أزليّة" (المفرد)، والجملة: «كانت لها...»، والذي هو: الفخر، والإعجاب.

وكذلك الفعل "شربت" تقريري مباشر، وأضاف النعت: "العظيم" فعلا غير مباشر هو الفخر والإعجاب أيضا. أي دقق أكثر في تبيان الغرض التأثيري.

ومن الأفعال الكلامية التقريرية، أيضا قول الشاعر:

تَوَحَّدَ المَغْرِبُ العِمْلَاقُ وانصَهَرَتْ      هُنَا العُرُوبَةُ والإِسْلَامُ يَا بَرْدَى!<sup>2</sup>  
عِشْنَا أَمَازِغَ عَرَبًا فِي جَزَائِرِنَا      صِرْنَا كَيَانًا أصِيلًا وَاحِدًا أَحَدًا

1- الديوان، ص: 05.

2- الديوان، ص: 38.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

النعوت المذكورة في هذين البيتين: "العلاق" - "عربًا"، "أصيلا"، "واحدًا-أحدًا"، هي نعوت لأفعال كلامية تقريرية مباشرة، وقد ساهمت في تضمين فعل كلامي غير مباشر هو: الفخر والتعظيم، ووضّحت قصديّة الكاتب وحالاته الذهنية والقيم والمبادئ التي يعتنقها. أما استعمال النعت مع الأفعال التقريرية في مقطوعات تمجد ثورة نوفمبر، نمثل لها من الشواهد بقول الشاعر:

جُدُودُنَا مِنْ بُرُوعِ الْفَجْرِ قَدْ طَلَعُوا      وَسَافَرُوا يَحْمِلُونَ الزَّادَ وَالْمَدَدَا.<sup>1</sup>  
وَعِنْدَمَا وَصَلُوا الْأُورَاسَ ذَاتَ مَسَا      تَوَقَّفُوا وَبَنُوا أَمْجَادَنَا الْجُدْدَا

فعبارة: "بَنُوا أَمْجَادَنَا الْجُدْدَا" حدّد فيها النعت "جُدْدَا" وحُصّ المنعوت "أَمْجَادَنَا"، وهذا يساعد في تحديد الغرض التأثيري للفعل "بنوا" والذي هو في الظاهر تقريرية إثباتية، وأما المستلزم فهو الفخر والتعظيم والإعجاب. والغرض نفسه في قول الشاعر:

وَأَتَى نُوفَمْبِرٌ بَعْدَ لَيْلٍ دَامِسٍ      فَإِذَا الظَّلَامُ بِأَرْضِنَا يَتَبَدَّدُ<sup>2</sup>

فالنعت: "دَامِس"، هو نعت لظرف زمان محدد: "ليل"، وهنا خلق سياق زمني فيه تعليل للفعل الكلامي التقريرية: "أتى"، والغرض "التأثيري هنا هو: الإعجاب بثورة نوفمبر وتعظيمها. ومن الأبيات الشعرية التي خدم فيها النعت أيضا الغرض التأثيري للأفعال التقريرية، قول الشاعر:

وَنَادَى الْمُنَادِي بِصَوْتِ الْجِهَادِ      فَكَبَّرَ أُوْرَاسُنَا الْأَكْرَمُ<sup>3</sup>  
وَدَوَّى أَرْيُزُ الرِّصَاصِ الْجَمِيلِ      فَهَامَ بِهِ جَيْلُنَا الْأَعْظَمُ

في هذين البيتين، ساهمت الصفة: "الأكرم"، و"الأعظم" في تقوية الغرض التأثيري للفعلين التقريريين "كَبَّرَ-هَامَ" أي هما مؤشّر على القوّة المتضمنة في القول، وساهم في تحديد وتخصيص المحتوى القضوي، وإيضاحه للسامع، والغرض هنا هو الفخر.

1- الديوان، ص: 37.

2- الديوان، ص: 51.

3- الديوان، ص: 63.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

استعمل الشاعر النعت مع الفعل التقريبي في مقطوعات تصف زمن العشرية السوداء

ومنها قول الشاعر:

نَسَجُوا الْمَكِيدَةَ فِي الظَّلَامِ وَهَمَّشُوا      كُلَّ الرَّجَالِ الْأَوْفِيَاءِ الْخَيْرِينَ<sup>1</sup>  
قَالَتْ جَزَائِرُنَا الْوَفِيَّةُ، وَالْأَسَى      بَادٍ عَلَيْهَا: لَا تَخَفْ وَلَدِي الْأَمِينِ<sup>2</sup>

وقول الشاعر:

نَشَرُوا بِأَرْضِكَ فِتْنَةً دَمَوِيَّةً      وَاسْتَدْرَجُوكَ إِلَى الْجَرِيمَةِ بِالْوَعْدِ<sup>3</sup>

وقوله أيضا:

تَحَرَّكَ الْعَضْبُ الْمَكْبُوتُ مِنْ زَمَنِ      وَرَاحَ يَقْتُلُ فِينَا الْعَقْلَ وَالرَّشَادَ<sup>4</sup>

وقول أيضا:

مَاذَا أَحَدْتُ يَا بَيْضَاءُ عَنْ زَمْرِ      مَلْعُونَةٍ جَرَعْنَا السُّمَّ وَ النَّكَدَا<sup>5</sup>

وقوله أيضا:

وَعَدَا الْخِطَابُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِتْنَةً      تُضْرِي الْعِدَاوَةَ فِي النُّفُوسِ وَتُوقِدُ<sup>6</sup>

وقوله أيضا:

وَطَنُ الْحَضَارَةِ وَالْفَضَائِلِ قَدْ عَدَا      مَاوَى الزُّنَاةِ تَعِيَتْ فِيهِ كِلَابُ<sup>7</sup>

تَغْتَالُ فِيهِ صَحَافَةٌ مَأْجُورَةٌ      أَمْجَادَ شَعْبِي وَالْحُمَاةَ غِيَابُ

في المقطوعات السابقة، ساهم النعت في تدقيق الوضع الأمني من خلال رسم الثنائية

المضادة بين الوطن وشرفائه متمثلين في الضحية من جهة وأعداء الوطن المتسببين في جرّه

إلى الأزمة من جهة أخرى (الأوفياء الخيرين، الأمين، الوفيّة=دموية، المكبوت، ملعونة،

1- الديوان، ص: 09

2- الديوان، ص: 12.

3- الديوان، ص: 19.

4- الديوان، ص: 38.

5- الديوان، ص: 41.

6- الديوان، ص: 52.

7- الديوان، ص: 75.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

مأجورة، فتنة تضري). وساهمت هذه النعوت في إبراز القوة المتضمنة في القول التقريبي، المتمثلة في غرضين نفسيين هما: تحسُّر الشاعر وتألّمه ≠ نغمه وسخطه.

استعمل الشاعر النعت في مقطوعات ذات أفعال كلامية إنشائية، ومنها أسلوب الأمر والنهي في مقطوعة تمجّد الجزائر، موظفا المضارع المقرون بلام الأمر، في قوله:

فَلتَخْسِئِ الأَقْرَامَ عَن هَدْيَانِهَا      ولتَرْحَلِ الأَحْزَانُ عَن وَطْنِي الحزين<sup>1</sup>

ذُكِرَ النعت في المحتوى القضوي لفعل الأمر خلق ارتباطا وثيقا بينه وبين القوة المتضمنة لهذا الفعل إلا بالتلاؤم والتطابق أو بالانتقاض ومثال الانتقاض، كالبيت السابق: ولتَرْحَلِ ≠ الحزين. فيه طلب للتخلي والتخّي. قَرَّبَ النعت: "الحزين" شدة تألم الشاعر، وربطها بفعل الأمر: ولتَرْحَلِ: فيه من القوة الإنجازية المباشرة: "الأمر"، وغير المباشرة: "التمني"، ما يدلّ على عدم قدرته تحمّل الوضع.

ومن الشواهد على وظيفة التلاؤم والتطابق بين النعت، والفعل الكلامي الأمر، قول

الشاعر:

فَأفْخَرُ بسُودِدِ أُمَّةٍ عَمَلَقَةٍ      كَانَتْ لَهَا أَرْضُ البُطُولَةِ مَرَبَعًا<sup>2</sup>

فالنعت "عملاقة"، ساهم في تقوية الغرض التأثيري لفعل الأمر: "افخر" والمتضمن، معاني الفخر والإعجاب، وساهم في تحديد خصائص العناصر المكوّنة للمحتوى القضوي. وفي مقطوعة تُشيد ببيعة الوئام، يقول الشاعر:

فَلبَيْتِكَ لِبَيْتِكَ عَبْدَ العَزِيزِ      لَقَدْ فَصَلَ الشَّعْبُ فِي المَوْعِدِ<sup>3</sup>  
وَهَاكَ تَقَاسِيمَ قَلْبِي الجَرِيحِ      شُعُورًا تَدْفُقُ مِن كَبْدِي  
وَشَعْبُكَ أَنهَكَ المُرْتَشُونَ      وَأَلْقَوْهُ فِي النَّفْقِ الأَسْوَدِ  
فَسَاعِدُهُ سَاعِدُهُ حَتَّى يَقُومَ      وَيَخْرُجَ مِن بَابِهِ المَوْصِدِ  
فَصُونُوا ثَوَابِتَ شَعْبِ عَرِيْقِ      وَسِيرُوا بِهِ لِلْمَدَى الأَبْعَدِ

1- الديوان، ص: 13.

2- الديوان، ص: 24.

3- الديوان، ص: 58، 60، 61، 62.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أما فيما يتعلق بتوظيف النعت مع الفعل الكلامي النداء في قصائد الديوان، فنمثل له بقول الشاعر في مقطوعة تمجيد الجزائر:

وَطَنِي عَشِقْتُكَ ثَوْرَةَ عِمْلَاقَةَ      وَعَشِقْتُ شَعْبَكَ ثَائِرًا مُسْتَفِرًّا<sup>1</sup>  
وَطَنِي عَشِقْتُكَ فِي الْمَلَا حِمِّ قِصَّةً      صَاغَتْ رَوَائِعَهَا حُرُوفٌ نُفْمِيرًا  
لَوْلَاكَ يَا وَطَنِي الْمُقَدَّسَ لَانْتَهَى      زَمَنُ الْعَطَاءِ مِنَ الْوُجُودِ وَأُقْفَرًا

في الأبيات السابقة استعمل النداء في جملة تضمنت على النعت وقد كان الغرض من الفعل الكلامي المباشر هو "المناداة"، والفعل غير المباشر والذي أفصح عنه الفعل: عشقتك، والنعت مع منعوته، على التوالي: ثورة عملاقة-قصة صاغت روائعها... وطني المقدس، فهي مؤشرات على الإعجاب والفخر، وكلها تعكس مدى حب الشاعر لوطنه، وهذا الإعجاب والحب ممتد عبر التاريخ وعبر الماضي، دلّ عليه الفعل الماضي "عَشِقْتُكَ"، وأيضا المحتوى القضوي المتضمن أحداثا تاريخية عظيمة، كثرة نوفمبر.

ومن شواهد الفعل الكلامي "النداء" قول الشاعر:

وَطَنِي حَمَلْتُكَ فِي الْجَوَانِحِ شُغْلَةً      أَبَدِيَّةً دَائِمَةً الْحَنِينِ<sup>2</sup>  
وَرَسَمْتُ وَجْهَكَ فِي الْقَصَائِدِ صُورَةً      عَرَبِيَّةً الْإِبْدَاعِ مُشْرِقَةَ الْجَبِينِ

دائما تضيف النعوت قوة إنجازية في المعنى للفعل الكلامي، والغرض منه الفخر والإعجاب، وتبيان الشاعر لحيته لوطنه، فهي صفات يريد الشاعر أن ينقلها للمتلقى حتى يحافظ على الوطن من الفتن. فالصيغة المعجمية للفعل الكلامي تتطلب صيغة معجمية مناسبة للمعنى الذي يؤدّيه، والمقام هو الذي يفرض عملية الانتقاء التي يقوم بها المتكلم على المحور الاستبدالي للتركيب المنطوق.

استعمل الشاعر كثيرا المنادى الموصوف في صيغة: "أيها"، لأنّ المقام يتطلب التّعيين والتّعريف، وهذه الصّورة شائعة في أسلوب النداء، وعدّ "سيبويه" الاسم بعد المنادى

1- الديوان، ص 05-07.

2- الديوان، ص: 10.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

المبهم وصفا، قائلا: «وذلك قولك: "يا أيها الرجل"، و"يا أيها الرجلان"، و"يا أيها المرأتان فأي" ههنا فيما زعم الخليل، رحمه الله، كقولك: "يا هذا"، والرجل وصف له كما يكون وصفا لهذا»<sup>1</sup>، والغاية الاستعمالية لهذا الوصف هي: التفسير عند "سيبويه"، لأن ما قبله مبهم. ولم يكتب الشاعر بذكر الوصف المفسر بعد "أي"، بل احتاج لتخصيص هذا المفسر بالتعت الحقيقي ليعينه ويعرف به حسب مقتضى الحال. ومنها قول الشاعر:

مَتَى أَيُّهَا الزَّمَنُ الْجَاهِلِيُّ تَعُودُ مَسِيرَتُنَا لِلصَّوَابِ؟<sup>2</sup>

يخاطب الشاعر هنا زمن العشرية السوداء، وقد نعته بقوله "الجاهلي"، وقد ساعد على تحديد الغرض التأثيري لفعل النداء "أيها" والغرض المتضمن هو تحسر الشاعر من هذه الفترة الحرجة للبلاد، وتألّمه مما تمرّ به، ويأسه من تغيير الحال، ودلّ على ذلك جملة النداء: "الشاعر يخاطب غير العاقل في الباطن يخاطب العقلاء".

والغرض نفسه في قوله:

يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الْمَخْدَرُ كُفَّ عَن هَذَا الصَّرَاعِ وَعُدْ لِرُشْدِكَ مُسْرِعاً<sup>3</sup>

التعت: "المخدر" خصص المنادى، "الجيل" ونعته، وفي هذا دلالة على الفترة التي تشهدها البلاد، وهي فترة حرجة ومؤلمة، يسعى الشاعر من "النداء" هنا: النصح والإرشاد أي تغيير موقف المغرّر به، حتى يعودوا إلى الصواب. والبعد الحجاجي هي إقناع المخاطب بسوء صنيعه وغفلته عن الصواب (الذم). ولفت انتباهه إلى تليفق الحقائق وتزييفها، ومن ثم ضرورة التأني والتحقق والتمحيص.

وصرح الشاعر في موقف آخر أنه يسعى للتغيير بقلمه، وذلك في قوله:

يَا أَيُّهَا الْقَلَمُ الْمَشَاكِسُ فِي يَدِي لِمَ لَا تُسَجِّلُ مَا أَحْسُّ وَأَقْصِدُ؟<sup>4</sup>

1- الكتاب، 190/2.

2- الديوان، ص: 22.

3- الديوان، ص: 24.

4- الديوان، ص: 53.

ففي كلمة "المشاكيس" استدلال على حيرة يعيشها الشاعر في وصف الواقع.  
وقوله أيضا:

فِيَا أَيُّهَا الْوَطَنِيُّ الْغَيُورُ سَمِعْتِكَ تَطْلُبُ غَوْتِ النَّدِيِّ<sup>1</sup>

وفي استعمال النعت مع الأفعال الحكيمية، نجد أنّ اختيار الشاعر للكلمة المعجمية المؤدية وظيفة النعت تتناسب والكلمة المعجمية للفعل الكلامي، مما ساعد على تقوية القوة الإنجازية ووضوحها. ومنها قول الشاعر:

أَفْسَمْتُ بِالْوَطَنِ الْمَقْدَسِ فِي الْوُجُودِ      بِالتَّضْحِيَّاتِ الْعَالِيَّاتِ وَبِالشَّهِيدِ<sup>2</sup>  
بِالذِّكْرِيَّاتِ الْخَالِدَاتِ عَلَى دُرَى      كَلَّ الْجِبَالَ مِنْ الْحُدُودِ إِلَى الْحُدُودِ

النعت هنا خصص وحدد المقصود بالقسم، وفي هذا ترسيخ في ذهن المخاطب وتأكيد له بالصفة الثابتة في المقسوم به، وهي تصب دائما في قيمة تقديس الوطن، والغرض التأثيري هو تبيان الشاعر وإفصاحه عن حبه لوطنه والإشادة بالبطولات التاريخية من أجل شحذ الهمم وغرس القيم الوطنية والمحافظة عليها.

استعمل الشاعر النعت مع الدعاء، وورد في بيتين، ومنها قول الشاعر:

فَلَا قَرَّ جَفْنُ عَدُوِّ حَسُودٍ      يُرِيدُ لَنَا ذَرَّةً مِنْ شَقَاءِ.<sup>3</sup>

ومنها قوله:

قُطِعَتْ يَدٌ تَمْتَدُّ نَحْوَ جَزَائِرِي      تُؤْذِي وَتَنْهَبُ فِي الظُّرُوفِ السَّائِدَةِ.<sup>4</sup>

الدعاء هنا على من يكيد للوطن، ويترىص به، والنعوت الموجودة جاءت على شكل جمل أفعالها وصفية تقريرية، تقدّم صفات سلبية للنعوت المذموم والذي هو "المحمول" لفعل الدعاء، جاءت هذه النعوت في شكل جمل لأنّ المقام يستدعي ذلك، فالشاعر بحاجة لفضاء كلامي، يعدد ويشرح الصفات المذمومة، حتى يبرر سبب لجوءه إلى الدعاء، ويرسخ في

1- الديوان، ص: 56.

2- الديوان، ص: 19.

3- الديوان، ص: 30.

4- الديوان، ص: 80.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

ذهن المخاطب صفات أعداء الوطن وشحذ الهمم لمحاربتهم. وعليه فالبعد الحجاجي هنا فيه لفت للانتباه إلى أن أزمة الوطن سببها أياد خارجية تريد النهب والسلب.

استعمل الشاعر النعت مع الاستفهام في مواضع قليلة جدًا، ومنها قول الشاعر:

أَنَا لَمْ أَشَارِكْ فِي الْجَرِيمَةِ يَا أَخِي      فَعَلَّامَ أَخْشَى مِنْ قَصَائِدِ نَاقِدِهِ؟<sup>1</sup>  
لَمْ يَبْقَ وَقْتُ لِلْكِتَابَةِ عِنْدَنَا      فَعَلَّامَ تَبَحُّثُ عَنْ قَصَائِدِ رَاعِدِهِ؟

استعمل النعت مع الأفعال الإفصاحية، كقول الشاعر:

أَوَاهُ مِنْ زَمَنِ تَأَلَّقَ فِيهِ مَنْ      دَفَعُوا شَبَابِي لِلتَّطْرُفِ وَالْجُنُونِ!<sup>2</sup>

أما التوكيد فقد استعمل الشاعر التوكيد اللفظي فقط، وجاء في صورة: تكرار اللفظ،

وذلك في قول الشاعر:

وَلَمِّمِي لَمِّمِي أَشْتَاتَ غُرْبَتِنَا      وَضَمِّدِي فِي الْحَنَائِي الْجُرْحَ وَاتَّحِدِي<sup>3</sup>

ومنها قول الشاعر أيضا:

فَسَاعِدُهُ سَاعِدُهُ حَتَّى يَقُومَ      وَيَخْرُجَ مِنْ بَابِهِ الْمُوصَدِ<sup>4</sup>

ومنها قوله أيضا:

وَيَا أَيُّهَا الشُّرَفَاءُ الْأَبَاءُ      هَلُمُّوا هَلُمُّوا وَلَا تُحْجَمُوا!<sup>5</sup>

نلاحظ أنه في تكرار اللفظ الغرض التأثيري للفعل الكلامي يكون أكثر وقعا في نفس

المتلقي، ويعكس صدى الانطباع النفسي للشاعر من القضية. أمّا الغاية الحجاجية فهي

ترسيخ محتوى القضية في نفس المتلقي ولفت انتباهه إليها.

1- الديوان، ص: 80.

2- الديوان، ص: 12.

3- الديوان، ص: 17.

4- الديوان، ص: 60.

5- الديوان، ص: 64.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

- الاسم المعطوف: العطف في اللغة: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، وفي الاصطلاح عطف نسق، وعطف بيان<sup>1</sup>، والذي يهمننا هنا هو عطف النسق، وعرفه ابن هشام في قوله: «التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف»<sup>2</sup>.  
وقد نص عبد القاهر الجرجاني على أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب<sup>3</sup>، وعليه فإشراك حكم الثاني في حكم الأول هو مقصد من مقاصد المتكلم تبعا لمقتضى الحال.  
شاع كثيرا في الديوان الاسم المعطوف بالواو، والفائدة منها هو الجمع عند أغلب النحاة<sup>4</sup>، وقد استعمل الشاعر الاسم المعطوف مع جميع أنواع الأفعال الكلامية، وسنبداً بدراسة بعده الاستعمالي التداولي مع الفعل التقريري أولاً:

ففي مقطوعة تمجد الجزائر، يقول:

قَدَسْتُ فِيكَ عَقِيدَتِي وَعُرُوبَتِي      وَشَرِبْتُ حُبَّهُمَا الْعَظِيمَ مُطَهَّرًا<sup>5</sup>

فالاسم المعطوف "عروبتى" عطف بحرف الواو لقصد الجمع في الحكم والحدث مع المفعول به "عقيدتى"، فهما جزءا من المحتوى القضوي، وأعطى هنا فسحة زمنية كلامية للشاعر كي يسترسل في ذكر حبه لمقومات الوطن الأساسية (الدين واللغة).

وقول الشاعر أيضا:

إِنْ أَنْكُرُوا كُلَّ الشَّوَاهِدِ وَالرُّؤَى      وَتَجَاهَلُوا هَذَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينِ<sup>6</sup>  
طَعْنُوا بِلَادِي حِينَ قَالُوا تَنْتَمِي      لِللِّغَالِ وَالْوَنْدَالِ وَالنَّسَبِ الْهَجِينِ  
طَعْنُوا بِلَادِي فِي أَعَزِّ رُمُوزِهَا      وَتَجَاهَلُوا كُلَّ الثَّوَابِتِ وَالْحُصُونِ  
طَعْنُوا بِلَادِي فِي الْعَقَابِ وَرَوَّجُوا      أَنْ التَّقَدُّمَ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمَجُونِ

1 - شرح قطر الندى، ص: 293.

2 - المصدر نفسه، ص: 298.

3 - دلائل الإعجاز، ص: 222، 223.

4 - ينظر شرح قطر الندى، ص: 298، 299.

5 - الديوان، ص: 4.

6 - الديوان، ص: 11، 12.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

نلاحظ أنّ الاسم المعطوف تداولياً يعطي فسحة كلامية وفضاءً لغوياً للتوسّع والتفصيل في ذكر محتوى القضية، وهذا يتمّ على مستوى المحور التركيبي، أمّا من الناحية المعجمية، فالمعنى الدلالي للاسم المعطوف ينتمي إلى الحقل المعجمي للفعل الكلامي والمعطوف عليه معاً. وعملية الاختيار تتمّ على المحور الاستبدالي، أي أن الحقل الدلالي الذي ينتمون إليه هو واحد، ونلاحظ ذلك في كل المقطوعات التي تتشكّل منها قصائد الديوان، كالمقطوعة التالية في تمجيد الجزائر:

نُفْمِرُ حُبُّكَ مَا زَالَ فِينَا      هَوَى يَتَجَلَّى وَيَضْطَرُّ  
وَمَهْمَا كَتَبْنَا وَمَهْمَا اجْتَهَدْنَا      فَلَنْ يَنْضَبَ الْبَوْحُ وَالنَّعْمُ

ف"البوح والنعم"، اسمان متعاطفان ينتميان لحقل دلالي واحد، هو: التغني بمقدسات الوطن، مثلاً المحتوى القضوي للفعل الكلامي (المحمول).

وأيضاً في مقطوعة تصف العشرية السوداء، كقول الشاعر:

جَنَى التَّعَصُّبِ وَالْحَمَقَى عَلَيْهَا ضُحَى      وَبَدَّدَتْ فِتْنٌ أَبْنَاءَهَا بِدَادَا<sup>1</sup>  
تَحَرَّكَ الْغَضَبُ الْمَكْبُوتُ مِنْ زَمَنِ      وَرَاحَ يَقْتُلُ فِينَا الْعَقْلَ وَالرَّشَادَا  
حَتَّى تَعْفَنَ هَذَا الْجُرْحُ فِي وَطَنِي      وَكَادَ يَمْحَقُ فِينَا الصَّبْرَ وَالْجَلَادَا  
مَنْ مَرَّقُوا أُمَّتِي مَاتَتْ ضَمَائِرُهُمْ      خَانُوا الشَّهِيدَ وَخَانُوا الشَّعْبَ وَالْبِلَادَا

الاسم المعطوف مع فعل الأمر والنهي، في قول الشاعر:

جَزَائِرِي عَلَمِينَا الْحَبِّ فِي زَمَنِي      وَالْأَهْمِينَا مَعَانِي الرُّشْدِ وَالْجَلْدِ<sup>2</sup>

ففعل الأمر "الأهمينَا" وقع على المفعول به "معاني"، واحتاج للتعريف به للمضاف "الرُّشْدِ"، ولم يكتف الشاعر بذلك فتّم المعنى بكلمة "الجلْدِ" التي هي اسم معطوف على "الرُّشْدِ".

1- الديوان، ص: 38.

2- الديوان، ص: 17.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وعليه ففعل الكلام الذي غرضه "الأمر"، قد يحتاج فيه المتكلم إلى متعلقات عدّة ومنها العطف حتّى يتحقّق غرضه التّأثيري، وتعلّق الأمر في البيت السّابق بمزايا أثبت الشاعر من خلالها قُدسية حبه لوطنه الجزائر .

والأمر نفسه في قول الشاعر:

جَزَائِرِي عَلمِينَا الحُبَّ ثَانِيَةً      وَطَهَّرِينَا مِنَ الأَحْقَادِ والحَسَدِ<sup>1</sup>

"فالحسد" اسم معطوف على "الأحقاد" وهو شبه جملة متعلق بفعل الأمر "طَهَّرِينَا"، وقد اشتركا في الحكم نفسه وهو التعلّق عن طريق حرف "الجر" "مِنْ"، والشاعر في موقف التماس يلتمس من وطنه الجزائر أن تطهّر القلوب من الأحقاد والحسد، وهو فعل كلامي، يتحقّق غرضه التّأثيري بالتّعدّد في المتعلقات (الاشترار في الحكم).

استعمل الشّاعر العطف في أسلوب الاستفهام؛ العطف بالواو، ولعب الدّور نفسه كما في الأسلوب الخبري، كقوله:

هَلْ تُكْرِمِينَ جِهَادَنَا وَصُمُودَنَا      وَالدُّكْرِيَاتِ الذَّاهِبَاتِ مَعَ القُرُونِ؟<sup>2</sup>  
أَفَلَا يَرُوقُكَ أَنْ تُوَصِّلَ أُمَّتِي      نَهَجَ الأَصَالَةِ والحَدَاثَةِ فِي يَقِينِ

لعب العطف مع الفعل الكلامي النّفي دورا مهماً يتجلّى في انتفاء الحكم عن المتبوع فاستلزم انتفائه عن التّابع، وذلك في قول الشّاعر:

زَمَنَ الرَّدَاءَةَ مَا تَرَكَتْ لِأُمَّتِي      عِزَّ الجُدُودِ وَلاَ وَفَاءَ الوَارِثِينَ<sup>3</sup>

-الاستفهام والمتعلقات الأخرى:

المتعلقات النّحوية الأخرى مثلث هي الأخرى عناصر محتوى الفعل القضوي (القضية) في الاستفهام، فأنتمت المعنى، أو حدّته أو خصّصته، كالمضاف إليه والنعت والاسم المجرور في قول الشاعر:

1 - الديوان، ص: 17.

2 - الديوان، ص: 8.

3 - الديوان، ص: 9.

### لماذا تُهان رُفاة الشَّهيد ويُحرق في أرضنا العَلْم؟<sup>1</sup>

فالمضاف إليه: "الشهيد"، والاسم المجرور: "في أرضنا"، ساهما في تحديد معالم محتوى القضية المستفهم عنها، والمتعلقة بجرائم الإرهاب: "إهانة الشهداء بحرق العلم"، فهذه رموز وطنية تستدعي إهانتها الاستتكار والتنديد، وهي القوة المتضمنة في الاستفهام، أما الفعل الحجاجي فيها، فالشاعر ينقل آلامه المريرة التي يعاني منها، وفيها دعوة ضمنية إلى ضرورة التحرك لوقف المجازر، والتأثير في المجرمين حتى يتوبوا من فعلتهم. لعب الاستفهام بحرف الجر دورا كبيرا في تحديد الأغراض والمقاصد التي أراد الشاعر إيصالها للمتلقي، وخرجت كلها عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض فرعية مؤلدة منها قول الشاعر يطلب تعليلا:

### علام تُداس ثوابتُ شَعبِي بهذا الجنون وهذا العقاب؟

في هذا البيت صدر الفعل الاستفهامي بـ "اسم استفهام" هو: "ما" الواقعة مجرورا بـ "على"، وهي في الاستفهام الحقيقي تفيد "التعليل"، وعليه نقول أن القوة الإنجازية هنا أداها متعلق نحوي هو الاسم المجرور، والغرض المطلوب بهذا العنصر هو التعليل المؤدّي إلى الاستتكار، هذا المعنى المستلزم، أمّا الفعل الحجاجي، فهو إيصال رسالة إلى المتلقي لإعلامه بخطورة الوضع في البلاد.

### 2- الأفعال الكلامية وعلاقة الإضافة (النسبة):

مصطلح " قرينة الإضافة" أو "النسبة" أطلقه "تمام حسان" في كتابه: "اللغة العربية معناها ومبناها"<sup>2</sup>، «ويعنى بها إضافة اسم إلى اسم وإيصاله إليه من غير فصل، وجعل الثاني من تمام الأول فيتنزل منه منزلة التثوين، وأدرجنا هذه العلاقة ضمن العلاقات المعنوية، لأنها تعتمد على حرف إضافة مقدّر يوصل معنى ما قبله إلى ما بعده، وهذه الإضافة هي التي تفيد التعريف والتخصيص، نحو: (غلام زيد)، فلما أضيفت إلى المعرفة

1- الديوان، ص: 67.

2- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 201.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أفادت تعريف النكرة بالإضافة، أما إذا أضيفت إلى نكرة فتفيد التخصيص، نحو(غلام رجل)<sup>1</sup>، واستلهم "تمام" مصطلح "النسبة" من التراث العربي، فقد ورد لدى العلماء توضيحات لهذا المصطلح في إطار الحديث عن حروف الجرِّ ومعانيها، وهذا ما أكد عليه "تمام" في قوله: «وأما معنى الإضافة فيكفي لبيان قوّة التعلّيق فيه أنّ النّحاة لم يغفلوا النّص على أنّ المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة. غير أنّ هناك فرقا بين النسبة التي يفيدها حرف النسبة والنسبة التي تفيدها الإضافة، فالنسبة مع حرف النسبة أنّها على حدّ تعبير "الأشموني": تضيف معاني الأفعال وتنسبها إليها" وعلى حدّ تعبيرنا نحن أنّها تجعل علاقة الإسناد نسبيّة سواء أكانت هذه العلاقة بين مبتدأ وخبره أو فعل وفاعله أو غير ذلك على حين تكون النسبة في الإضافة بين المتضايقين الواقعين في نطاق الإسناد»<sup>2</sup>، ويصرّح هنا "تمام" أنّه يضيف معنى ثانيا إضافة إلى معنى "النسبة" عند "الأشموني" وهو "النسبية"، أي وظيفة "الجزئية" في المعنى الذي تضيفه حروف النسبة على العلاقة الإسناديّة، وعليه فهذا المصطلح يفيد في وصف وحصر الجانب الوظيفي أي التواصلي لحروف الجر، لأنّ المعنى لا ينحصر ولا يظهر إلّا أثناء الأداء الفعلي للكلام أي في سياق تواصلي خاص، حينها يمكن "تكميم" (من الكمية) العلاقة الإسنادية في نوع تعلّقها "بالجار والمجرور".

مصطلح "النسبية" هو مصطلح وظيفي تداولي أوسع من مصطلح "النسبة" عند "الأشموني"، وهذا ما أراد أن يبيّنه "تمام حسان" حين استرسل في ذكر معاني حروف الجر التي يلعب السياق دورا كبيرا في تحديدها (سامع ومتكلّم ومقام). فبيّن كيف نختار حرفا للدلالة على البعضية كجزء من معنى الكلّية وهكذا... .

ويعود مصطلح "الإضافة" إلى "سيبويه" في باب (هذا باب الجرّ)، حيث أطلق مصطلح "المضاف إليه" معمّا على الاسم المجرور وعلى المضاف إليه معا، وقسم الإضافة إليه إلى ثلاثة أقسام: مضاف إليه بشيء ليس باسم ولا ظرف، وهو الاسم المجرور

1- نادية رمضان النّجار: القرائن بين اللغويين والأصوليين، ص:328.

2- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:203.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

بحرف الجرّ، ومثّل له بـ: "مررت بعبد الله، وهذا لعبد الله..."، والمضاف إليه المجرور بالظرف الذي سبقه، كقولك: "من فوقك، أمام زيد، قدّام أخيك.... وغيرها من الظروف المكانية والزمانية التي ذكرها "سيبويه" وأشبهت عمل حروف الجرّ، والقسم الثالث: وهو الجرّ باسم لا يكون ظرفاً، وهو يضمّ كلّ الأسماء المختصة، كجدار وحمار ومال و... وبعض الألفاظ الشائعة، ك: بعض، وكلّ، ومثّل، واسم التفضيل: "أفعل"، كقولك: "هذا أعمل الناس" و"هذا أشدّ الناس"... الخ.<sup>1</sup>

ولتوضيح العلاقة بين التركيب الإسنادي وقرينة "النسبة"، يبيّن "سيبويه" أنّ الغاية الأساسية من وجود هذه العلاقة التركيبية بينهما هي تحقيق معنى "الإضافة"، في قوله: «وإذا قلت: "مررتُ بزَيْدٍ"، فإنّما أضفت المرور إلى زيدٍ بالباء، وكذلك: "هذا لعبد الله (...)"، وإذا قلت: "فيك خصلةٌ سوء"، فقد أضفت إليه الرّداءة بـ"في"...»<sup>2</sup>، وشرح "السيرافي" معنى الإضافة عند "سيبويه" بقوله: «معنى هذا أن حروف الجرّ تصرف الفعل الذي هي صلته إلى الاسم المجرور بها، ومعنى إضافتها الفعل ضمّها إياه و إيصاله إلى الاسم، كقولك: "رغبتُ في زيدٍ"، و "قُمتُ إلى عُمر"، فـ"في" أوصلت إلى زيد الرّغبة، و"إلى" أوصلت القيام إلى عمر...»<sup>3</sup>. ومن هذا المنطلق قسّم النحاة المحدثون الإضافة إلى نوعين: "الإضافة المباشرة" وهي الجرّ بالمضاف إليه، و"الإضافة غير المباشرة"، وهي الجرّ بالحرف<sup>4</sup>، وقد علّل "مهدي المخزومي" للإضافة بحرف الجرّ بقوله: «وإنّما استُعين بهذه الأدوات هنا لأنّ من الكلمات ما لا يضافُ أبداً، كالفعل مثلاً، فالفعل ببنائه وهيئته لا يقبل الإضافة، فإذا أُحتيج إلى إضافته عمد إلى إحدى هذه الأدوات ليتوصّل بها إلى إضافة ما لا يقبل الإضافة إلى ما بعده»<sup>5</sup>.

1- ينظر الكتاب، 486/1، 487.

2- المصدر السابق، 487/1.

3- نفسه (شرح السيرافي على الهامش).

4- ينظر المنصف عاشور (م س) ، ص: 433. وسناء حميد البياتي، (م س)، ص: 237.

5- مهدي المخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق، بيروت، 1963، ص: 182، نقلاً عن سناء حميد البياتي، (م س)، ص: 245.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

معنى "الإضافة" عند "سيبويه" هو علاقة معنوية ذو وظيفة تركيبية ودلالية وسياقية، تتم على المحور التركيبي وهي مكملة للعلاقة الإسنادية، أما من الناحية الدلالية، فالمركب الإضافي (جار ومجرور) يتم معنى الجملة الفعلية التي لا يكتفي فعلها بفاعلها في تحقيق الفائدة، فتكون إضافته كإضافة المفعول به للفعل المتعدي، كقولنا: "مررت بعمر"، وهذه القضية عالجهما علماءنا في قضية الفعل المتعدي بحرف الجرّ، أما في الجملة الاسمية، فإضافته تؤدّي وظيفة الخبر دلاليًا، فيكون المبتدأ بحاجة لهذا التركيب حتى يتم معنى الجملة، وعليه فإضافته ضرورية، أما في بعض التراكيب، فيؤدّي وظيفة تقييد فقط للمعنى بعد ما يكون عامًا، بحيث تحقّق الجملة بعنصرها المسند والمسند إليه معنى عامًا يحسن السكوت عليه بدون المركب الإضافي، كقولنا: "كرّمت كليتنا الطلبة المتفوقين". فقولنا: "كرّمت كليتنا الطلبة المتفوقين" جملة تامة المعنى، لكن ليست مقيدة زمنيًا، وبإضافة المركب الإضافي: "في نهاية السنة" تقيّد المعنى، فنقول: "كرّمت كليتنا الطلبة المتفوقين في نهاية السنة".

الملاحظ تركيبياً ودلاليًا وسياقيًا على الفرق بين الإضافة بـ"المضاف إليه" والإضافة بالمركب: "جار ومجرور"، أنّ الأول: لا يحمل وظيفة التعلّق بالمركب الإسنادي، فهو يُستعمل لغرض إخراج الاسم من حالة التّكثير إلى حالة التّعريف مهما كانت الوظيفة النحوية لهذا الاسم، لذا يُطلق عليه "التّعريف بالإضافة"، أمّا الثاني: فله وظيفة التعلّق بالمركب الإسنادي وفق مراتب؛ إمّا تعلّق ضروري لإتمام معنى ناقص، أو تعلّق غير ضروري يقيّد معنى عامًا. وعليه فإنّ تداولية المضاف إليه لاتهمنا معالجتها في هذا المقام، وسنؤجّل الحديث عنها في قضية الإحالة. وإنّما الذي يهّمنا هو تداولية تعلّق الجار والمجرور بالفعل الكلامي.

لم يطلق النّحاة مصطلح "النّسبة" و"الإضافة" فقط على حروف الجرّ، فمصطلح "التعلّق" أحد المصطلحات التي أطلقوها أيضًا، ووظيفته نحوية تركيبية بحتة لأنّه يعلّق



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الجار والمجرور بالفعل أو المسند عموماً. وهذا ما أكد عليه النحاة، إذ لا بدّ من تعلق كل من الظرف والجار والمجرور بالفعل أو ما يشبهه، فإن لم يكن موجوداً في الكلام قُدِّر.<sup>1</sup>

وفي عملية التعليق التركيبية تتحدّد معاني حروف الجرّ وفق معاني الأفعال التي تُنسب إليها، ولذا عدّ النحاة حروف الجرّ حروف معانٍ لأنّ معناها لا يتحدّد إلاّ في ارتباطها بغيرها. لذا فوظيفتها «تعليقيّة محضة وتختصر الجمل والأفعال».<sup>2</sup>

أمّا من الناحية السياقية الاستعمالية التي يقتضيها المقام، والتي تصبّ في صميم الدرس التداولي، فحروف الجرّ هي رابط تداوليّ بين الفعل الكلاميّ والاسم المجرور، وقول "سيبويه" أنّها تضيف معاني الأفعال إلى ما بعدها إشارة إلى أنّها لها دور في ربط معنى الفعل بما يليه، وقد أشرنا في نقطة سابقة إلى تناول "ديكرو" قضية الروابط من المنظور التداولي، خاصة الروابط التي تربط بين متتاليات جمليّة ربطاً فنيّاً، وعليه، فحروف الجرّ «هي أدوات تُستخدم لربط أجزاء الكلام حتى تتّضح تفاصيل المعنى لذلك لها قيمة دلالية سياقية نصّية تظهر من خلال توظيفها في النصوص فهي تحدّد الدلالات السياقية بدقّة و تبيّن معناها و مغزاها في الحديث»<sup>3</sup>، ومن الوظائف الدلالية التي يمكن أن تؤديها من الناحية النصّية:<sup>4</sup>

- 1- إحداهنّ التّرابط والتّماسك بين عناصر الجملة، فلا يمكن الاستغناء عنها، لأنّه لو حذفنا حرف الجرّ يتغيّر المعنى العام للجملة.
- 2- يضيف على السياق معاني متناهية في التّمايز.
- 3- الرّبط بين أجزاء الكلمة كي تتّضح تفاصيل المعنى ومقاصده.

1- ينظر ابن هشام: مغني اللبيب، 573/2. وابن يعيش، شرح المفصل، 74/7.

2- المنصف عاشور، (م س)، ص: 434 .

3- شادي مجاي سكر، معاني حروف الجرّ في القرآن الكريم، الخميس 9 يونيو 2011، مدونة الكلام الطيب،

[http://ardanabdillah89.blogspot.com/2014/03/blog-post\\_8895.html](http://ardanabdillah89.blogspot.com/2014/03/blog-post_8895.html)

4- نفسه.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وعليه، فمركّب الجار والمجرور وتعلّقه بالعلاقة الإسناديّة هو أحد عناصر التماسك النّصيّ الذي يقوم على «جمع الأنماط المنظّمة بواسطة القواعد النّحويّة (...)، وتمتاز المركّبات النّحويّة كلّها بالتماسك الشّديد، ويوصف هذا التماسك بأنّه مباشر وواضح»<sup>1</sup>، وفي لسانيات النّصّ توصف عمليّة تعلّق واتّصال المركّبات بالرّأس في وحدة جمليّة ما، بـ"الممرّات"، وكلّ ممرّ يمثّل حالة نحويّة يتمّ التعرّف عليها من خلال التّحليل، وهي عمليّة تشبه عمل الحاسوب في تحليل الجمل والانتقال من حالة إلى حالة، وهذا الانتقال هو ما يعرف بـ"التّبعيّة النّحويّة"، كتبعيّة الفاعل للفعل أو المخصّص للرّأس<sup>2</sup>، وتدرج قرينة النّسبة (جار ومجرور) كمركّب نحويّ ضمن هذه التبعيّة، وعليه نقول أنّ هذه القرينة باقترانها وارتباطها بالرّأس الذي هو "الفعل" في الجملة الفعلية أو "الاسم" في الجملة الاسمية تخلق لنا "علاقة تبعيّة" هي نفسها معنى "الإضافة" أو "الإيصال" عند النّحاة القدماء، ويصلح أن نمثّل لها بمخطّط التّشجير الذي جاء به تشو مسكي".

وما يدعّم فكرة وظيفة الرّبط التي تؤدّيها أحرف الجرّ هو أنّ النّحاة عدّوا هذا المركّب النّحويّ شبيه بالجملة، وأطلقوا مصطلح: "شبه الجملة"، كـ"ابن هشام" في "مغني اللّبيب"، بالإضافة إلى مركّبات الظّروف.

ولا يمكن لنا أن نكتشف قيمة حروف الجرّ الوظيفيّة الدّلاليّة النّصيّة السّياقيّة إلّا بالرجوع إلى كتب التّراث التي فصلّت كثيرا في هذا الأمر، خاصّة كتاب "سيبويه"، وكتب التّفسير، ونضيف أيضا الكتب النّحويّة المتخصّصة في دراسة حروف المعاني كلّها، كـ"كتاب الأزهية في علم الحروف" لـ"عليّ بن محمّد الهروي" (415هـ)، و"رصف المباني في شروح حروف المعاني" لـ"أحمد بن عبد النّور المالقي" (702هـ)، و"الجنبي الدّاني في حروف المعاني" لـ"حسن بن قاسم المرادي" (749هـ)، و"مغني اللّبيب" لـ"ابن هشام الأنصاري" (761هـ). وتخصّيص دراسة الحروف بمثل هذه المؤلّفات لدليل على الأهمية التي تؤدّيها

1- صلاح الدين صالح حسنين: الدّلالة والتّحو، مكتبة الآداب، د.ب، ط1، د.ت، ص:234.

2- ينظر نفسه.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

في الكلام بكثرة ورودها وتنوع استعمالاتها ودلالاتها حتى شكّلت عالماً خاصاً يحتاج إلى تعمق في الدراسة والتحليل. وحسبنا في هذا المقام أن نستدلّ بما استهلّ به "المرادي" في "الجنّي الدّاني" مؤلّفه: «فإنّه لمّا كانت مقاصدُ كلامِ العربِ على اختلافِ صنوفه، مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صُرِفَتِ الهممُ إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلّتها وتيسر الوقوف على جملتها قد كثر دورها، وبعَدَ غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيتها»<sup>1</sup>.

وتعدّ هذه الكتب تفصيل وتخصيص لما جاء عند النحويين الذين سبقوهم ك"سيبويه". الملفت للانتباه في حروف المعاني وعلى رأسها حروف الجرّ هو تنوعها السياقي، ودورها الذي بلغ أهمية كبيرة ودقيقة في أداء الوظيفة التواصلية للغة، لذا فهي تندرج ضمن المورفولوجيا الوظيفية في اللسانيات الحديثة، وعليه فالتنوع الوظيفي لها والتنوع السياقي هو في صميم البحث التداولي، لأنّ المعاني التي تؤدّيها لا تتكشف إلا أثناء الأداء الفعلي للكلام، كما أن تبادل وظائفها فيما بينها تتطلب سياقاً ما.

استقطبت الأهمية الدلالية والسياقية لحروف الجرّ اهتمام الباحثين الأكاديميين فظهرت دراسات عديدة تطبيقية ونظرية تقف عند أهميتها الاستعمالية أثناء الكلام سواء أكان كلاماً راقياً كالنص القرآني المعجز أم نصّاً شعريّاً، ولعلّ أشيعها الدراسات القرآنية التي اقتربت كثيراً من آراء المفسرين المبيّنة للحكمة الإلهية من استعمال هذه الحروف في مواضع معيّنة دون مواضع أخرى. ومن هذه الدراسات: "من أسرار حروف الجرّ في الذكر الحكيم" لمحمد الأمين الخضري، و"حروف الجرّ ومذاهب النّحاة في استعمالها" لعبد الحسين المبارك، و "أثر قرينة النسبة والتنوين في توجيه المعنى في بعض آيات القرآن الكريم" لحسين وقّاف وردينة محمد محفوض و"حروف الجرّ ومعانيها ووجوه استعمالها ومواقعها في سورة الكهف

1- الحسن بن قاسم المرادي: الجنّي الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1992م، ص: 19 (المقدمة).

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

(دراسة تحليلية لغوية ونحوية) لدوماي سلكيرناي (Domae Silkurnai)، وغيرها من الدراسات التي لا يسع المقام لذكرها.

لقرينة النسبة مفهوم آخر في إطار نظرية النظم البلاغية، وهو ما تطرقت إليه "سنا البياتي"، فالنسبة في النظم تعني انتساب شيء إلى شيء، أي تأليف كلمة مع كلمة، ولهذا التأليف أشكال، منها النسبة بالإضافة التي تكون فيها الكلمتين بمنزلة الكلمة الواحدة، فلا يجوز فصلهما، ولا يجوز تقديم الثانية منهما على الأولى، وقد اتخذت هذه العلاقة الذهنية حركة الخفض علامة لها تميزا بينها وبين العلاقات الذهنية الأخرى<sup>1</sup>. وأضافت إليها أيضا نسبة الفعل إلى حرف الجرّ التي تحدثنا عنها فيما سبق.

أشرنا في نقطة سابقة إلى قضية الرّبط التّداولي في منظور "ديكرو"، وأنّ حروف الجرّ أحد هذه الرّوابط التي تخضع للاستعمال والسيّاق، وهذا ما سنحاول تسليط الضّوء عليه في المدوّنة التي بين أيدينا، فالملاحظ أنّه من الشّائع كثيرا عدم الاستغناء عن الرّبط بين الفعل الكلامي مهما كان نوعه وبين الاسم المجرور لحاجة الشّاعر والمخاطبين بصفة عامّة لهذا النّوع من الرّبط لغرض إيصال المعاني المختزلة في العلاقة الإسنادية بما يليها من مركّبات ومتمّمات، وهذا عندما يقصر المسند إليه مع المسند في تحمّل عبئ تلك المعاني، فتتفرّع وتنبثق وتحرّر بتحرّر الأغراض المكونة في النّفس فما يكون من معطيات النّظم إلّا الاستسلام والاستجابة لتلك المتطلّبات.

نحكم على علاقة تعلق الفعل بالاسم المجرور أنها إحدى العلاقات التي مهمتها تقييد المعاني بعد ما تكون مطلقة أو عامّة، وفي مقابل ذلك أيضا هناك علاقة أخرى خفية لها علاقة وطيدة بالسيّاق، وهي علاقة تحرير المعاني المختزلة في العلاقة الإسنادية والمرتبطة ارتباطا مباشرا بأغراض الفعل الكلامي، أي أنّها محتملة لكلّ تلك الأغراض.

المعاني متعدّدة بتعدّد نوع الحرف المستعمل لتعلق الفعل بالاسم المجرور، وهذا هو الشّائع وضعا واستعمالا لحروف الجرّ، وهذا ما نلاحظه من خلال قصائد الديوان، فقد

1- سنا حميد البياتي: قواعد النّحو العربي في ضوء نظرية النّظم، (م س)، ص: 235-237.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

استعمل الشاعر أغلب حروف الجرّ، كـ"إلى"، و"الباء"، و"على"، و"من"، و"في"، و"واللام"، والملاحظ أنّها استعملت بمعانيها الوضعية دون أن تخرج إلى معاني أخرى اقتضاها السياق، أي لم يستعمل حرف بمعنى حرف آخر لأغراض بلاغية أو تداولية كتلك التي رصدها علماءنا في النصوص الراقية خاصة النصّ القرآني، فالمشهود لعلماء التفسير والنحو هو تلك الملاحظات القيّمة حول إحلال حرف جرّ معنى حرف جرّ آخر لأداء معانٍ أكثر بلاغة وتأثيراً في المتلقين، وأشهر ملاحظاتهم ما يتعلّق بظاهرة "التّضمين" التي أشار إليها "ابن جنّي" في باب: "استعمال الحروف بعضها مكان بعض" بقوله: «اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعلٍ آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر»<sup>1</sup>، وضرب "ابن جنّي" أمثلة من قبيل قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نَسَائِكُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية 187)، فالأصل هو أن يُستعمل "الرفث" مع الحرفين "الباء" أو "مع"، ولكن لما كان "الرفث" بمعنى "الإفشاء" تعدّى بالحرف "إلى"، فـ"إلى" هنا حلّت محلّ "الباء" لغرض التوسّع، وهي الفائدة من التّضمين في العربية. وذكر "الزمخشري" في "الكشاف" الغرض منه وهو «إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ»<sup>2</sup>. وهو نفسه التوسّع.

استعمل الشاعر في مدوّنته حروف الجرّ بمعانيها الحقيقية كثيراً، ولم يمل إلى ظاهرة "التّضمين"، وهذا يدلّ على بساطة أسلوبه وعدم التكلّف في الخروج عن المألوف، إلا أنّ في ذلك الاستعمال دواعٍ سياقية تلبيةً لإتمام المعنى المختلج في صدره من جهة ومن جهة أخرى إغناء المحتوى القضوي والإحالي للفعل الكلامي، فكانت تعدية الأفعال واحتياجها للوصل بحروف الجرّ إلى الاسم المجرور لغرض تنمّة المعنى، وتقرير الحقائق تفصيلاً لا إجمالاً وتعييناً وتقيداً لا إطلاقاً، ونمّثل لذلك بقول الشاعر:

1- الخصائص، 205/2.

2- أبو القاسم جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ-2009م، ص: 618. (تفسير سورة الكهف).

وَعَدَا الْخِطَابُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِتْنَةً	تُضْرِي الْعِدَاوَةَ فِي النُّفُوسِ وَتَوَقِدُ <sup>1</sup>
فَقَتَلَ الْجِنَاةُ هَوَى الْقُلُوبِ بِحَقْدِهِمْ	فَمَا التَّعَصَّبُ وَاسْتُعْلَلَ الْمَشْهُدُ
وَتَطَوَّرَتْ لُغَةُ الْخِطَابِ فَأَنْجَبَتْ	لُغَةَ الْحَدِيدِ وَضَاعَ مَنَا الْمَقْوَدُ
وَتَبُوحُ سِرَّتَا يَا عَزِيزُ بِحِلْمِهَا	وَبِصَفْحِهَا صَفْحًا شَرِيفًا يُخَمِّدُ

نلاحظ حروف الجرّ المستعملة: "على، في، من، الباء"، وردت هذه الحروف بمعانيها الحقيقية، وهي على التوالي: "الاستعلاء، والظرفية المكانية، الابتداء وبيان الجنس، الإصاق"، أمّا الاسم المجرور فقد أدى دور المحتوى القضويّ للفعل الكلاميّ التقريريّ من خلال ربط معاني الفعل وإيصالها بهذا المتعلق. وعليه فأهمّ المعاني التداولية التي يحتاجها الفعل الكلاميّ لإيصال معناه للاسم المجرور، أو تحقيق الفائدة في المحتوى القضويّ لإفادة السامع معلومة، هي:

- 1- بيان الظرفية المكانية أو الزمانية لوقوع الفعل مع الحرف: "في".
- 2- إصاق الحدث بالاسم أو الاستعانة به لوقوع الحدث مع حرف: "الباء".
- 3- تبيان منزلة الاستعلاء المكانيّ لحدوث الفعل مع: "على".
- 4- تبيان ابتداء الوقوع مع الحرف "من".
- 5- تبيان الغاية المكانية أو الزمانية لحدوث الفعل مع: "إلى".
- 6- تبيان الاختصاص والعلة من القيام بالحدث مع " اللام".

نستطيع أن نقول أن هذه المعاني هي أغراض ومقاصد يلجأ إليها المتكلم لإتمام مقاصده المرتبطة بإنشاء أيّ فعل كلامي، وهي متغيرة بتغيّر الوضعية التخاطبية والمقاصد التي يمكن أن تنطوي عليها، فبيان الظرفية المكانية أو الزمانية هو قصد، وبيان حدوث الفعل استعلاءً في نقطة مكانية في فضاء ما هو قصد، وتبيان علة وقوع الحدث هو قصد أيضاً، هذه المقاصد وغيرها حتى وإن عبّر عنها في قالب لغويّ محافظ على قواعده

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الوضعية، فالعبرة هنا أنّ هذا القالب خرج من نظام الوضع إلى نظام الاستعمال الحقيقي، مادام الأمر مرتبطاً بمقاصد المتكلم الرامية إلى استعمال هذا القالب في وضعية تخاطبية ما. وهنا نرجع إلى كلام "سيبويه" ومن جاء بعده من النحاة وتفصيلهم في أمر المعاني التي تتطوي عليها حروف الجرّ، ونخصّ بالذكر عبارة: "إيصال أو إضافة معاني الأفعال"، فالأمر الذي يشير إليه "سيبويه" هو "مقاصد المتكلم" وحاجته لإنشاء أفعال لا يمكن تبليغ مقاصدها إلاّ بهذه الحروف، لذا فمعاني حروف الجرّ من المنظور التداولي لا يمكن أن نوقئها حقّها إن حصرنا فائدتها في الجانب النحويّ الوضعيّ البحت كما هو مبسوط في كتب النحو، لأنّها تأتي لغرض أداء مهمّة أكبر وهي إنشاء مقاصد تخاطبية لا يمكن أن تتمّ بالعلاقة الإسنادية وحدها، فمدار "الإفادّة" في الجملة هو عليها. وهي متفرّدة بسمات تركيبية خاصّة تميّزها عن باقي السمات التي نلاحظها في العلاقات المعنوية الأخرى القائمة بينها وبين الفعل.

وضّح الدكتور "محمد أمين الخصري" الوظيفة المعنوية لحروف الجرّ واللّطائف التي تعرض للنّظم بسببها، مستدلاً بأراء القدامى أصحاب المعاجم وعلماء التّفسير، مع كثير من الإسهاب في شرح التّغيّرات الدّلالية للألفاظ اسماً كان أم فعلاً إذا ما تعلّقت بهذه الحروف، وفي هذا يقول: «وحسبنا أن نعلم كيف يغيّر الحرف معنى ما تعلّق به، ويُقلّب دلالته إلى التّقيض منها، حتّى يصير للفظ الواحد -فعلاً كان أم اسماً- أكثر من معنى حسب الحرف الواصل له. فهذا الفعل "رغب" يتعدّى بالي، وفي، وعن، والباء، ومع كلّ حرف يتعدّى به تتجدّد له دلالة غير دلالته مع الحرف الآخر»<sup>1</sup>، واستشهد بقول "الراغب الأصفهاني" في الشّرح المعجمي للفظ "الرغبة" التي يتغيّر معناها بتغيّر الحرف الذي تعلّقت به، فنقول: "رغب الشيء، إذا اتّسع، ورغب فيه ورغبتُ إليه يقتضي الحرّص عليه، ورغب عنه اقتضى

1- محمد أمين الخصري: من أسرار حروف الجرّ في الذّكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409هـ-1989م، ص: 7 (المقدّمة).

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

سرف الرّغبة عنه، والرّهد فيه، وفسّر "الرّمخشري" قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (سورة التّوبة، الآية 120)، بمعنى الضّنّ والبخل.<sup>1</sup>

أكّد "عبد الجبار تومة" أيضا، على أنّ "الفعل" المتعدّي بحرف الجرّ يتلوّن بمعان خاصّة ناتجة عن التلوّنات الخاصّة بهذه الحروف وهي المعاني التي تنطوي عليها، منتقدا مصطلح "حروف الجرّ"؛ إذ يرى أنّه لا ينمّ عن معناها ووظيفتها الحقيقيّة في الكلام، فمصطلح "الجرّ" هو مصطلح إعرابي لا غير، لذا فمصطلح "الإضافة" التراثي هو الأقرب إلى وظيفتها، واستحسن أيضا مصطلح "حروف النّسبة" الذي استحدثه "تمام حسّان". ونوّه بالدقّة المتناهية لهذه الأدوات التي تعتمد على الإيجاز في الاستعمال بدل الحشو مستندلا في ذلك برأي "برجشتراسر" الذي ضرب أمثلة عن ذلك، منها قولك: "كساه عن العري" أي: كسّاه فلم يُبقه عاريا.<sup>2</sup>

-**تداوليّة علاقة فعل الأمر بحروف الجرّ:** ما يلاحظ على قصائد الديوان هو شيوّع استعمال الشّاعر للفعل الكلامي "غير التّقريبي" مع حروف الجرّ كثيرا، خاصّة "فعل الأمر" الذي تعلق تعلّقا أساسيا بحروف الجرّ المتنوّعة حتّى بدت العلاقة المعنويّة بينه وبين الاسم المجرور كعلاقة عمدة لا فضلة، أي أنّ إيصال "معانيه" أو بالأحرى إنشاء قوّته الإنجازيّة وإظهار المقاصد والأغراض المشحونة فيه لا يمكن أن يتمّ إلاّ بهذه العلاقة. فتنوّعت المعاني والقوى الفعليّة الحجاجيّة التّأثيريّة التي أظهرتها علاقة النّسبة.

طبيعة التّجربة الشعريّة والشّعورية والسيّاقات المتنوّعة المصاحبة لإنجاز هذه القصائد أثرت كثيرا في كفيّة سيرورة البناء اللّغوي لهذه القصائد، فأنّ يشيع الأسلوب الإنشائيّ الذي رأسه فعل الأمر، وتختصّ تفرّعاته المتنوّعة بذلك التعدّد والتنوّع في استعمال حروف الجرّ، فذلك راجع إلى تنوّع مواقف المتكلّم التي تتمثّل في النّصح والإرشاد لبني وطنه، والهيّام بحبّ وطنه، فتمثّل "الجزائر" وكأنّها كائن يعقل ويخطّب، وأيضا مواقف الرّدع والرّجر

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر عبد الجبار تومة: التّعدية والتّضمين في الأفعال في العربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص: 25 وما بعدها.



لخائني الوطن والمترصدين له جعلت الشاعر يلجأ لاستعمال فعل الأمر المشحون بهذه القوى الإنجازية والتي احتاج لإظهارها إلى استعمال حروف الجرّ.

نمثل لما سبق من الكلام بمختارات شعريّة من قصائد الديوان، منها:

وَزُوْدِينَا بِقَدْرٍ مِنْ تَسَامُحِنَا	فَمَجْدُ يَعْرَبَ يَا بَيْضَاءُ فِي بَدْدِ! <sup>1</sup>
جَزَائِرِي عَلْمِينَا الْحُبِّ ثَانِيَةً	وَطَهْرِينَا مِنَ الْأَحْقَادِ وَالْحَسَدِ
قُمْ وَاسِ شَعْبِكَ فِي الشَّدَائِدِ مُسْرِعَا	وَارْفَعْ نِدَاءَكَ خَاشِعًا مُتَضَرِّعًا <sup>2</sup>
وَذَرِ التَّعَصُّبَ وَالتَّرَدَّدَ جَانِبًا	وَاصْدَعْ بِرَأْيِكَ فَالْجِدَارُ تَصَدَّعَا
افْخَرِ بِسُوْدِدِ أُمَّةٍ عَمَلًا	كَانَتْ لَهَا أَرْضُ الْبُطُولَةِ مَرْبَعَا
كَفُّوا عَنِ الْعَمَلِ الْمُلْتَخِ بِالْدَمَا	وَخُذُوا نَوْفَمْبَرَ وَالثَّوَابَتِ مَرْجَعَا

نلاحظ في عبارة "قم واس شعبك في الشدائد"، أنّ حرف الجرّ "في" حدّد الظرفيّة الزمانيّة المطلوب تحقّق الفعل الكلامي فيها، وفي هذا تخصيص حسب ما يتطلّبه الموقف الخطابى. وعبارات أخرى ك: "طهرينا من..."، و"زودينا بقدر..."، و"اصدع برأيك"، و"افخر ب..."، و"كفّوا عن..."، كلّ حرف من هذه الحروف ساهم مساهمة خاصّة في تقييد المعاني والمقاصد التي يتضمّنها الفعل الكلامي، واعتمد عليها أساسا في أداء الشاعر لنصائحه من خلال ربطها بفعل الأمر القاصر عن إتمام معناه بدونها ومجرورها.

الفعل الكلامي "فعل الأمر" وتعلّقه بالحروف هو ظاهرة شائعة أيضا في اللغات الأجنبيّة، فالأمثلة التي ذكرها علماء التداوليّة ك"أوستين" و"سيرل" وغيرهم كثير، في قضية التمثيل لفعل الأمر أغلبها متعلّقة بالحرف الموصّل للاسم المجرور، وعليه نستنتج أنّ هذا النوع من الأفعال يحتاج في الغالب لكي تتحقّق إنجازيته إلى الاستعانة في ذلك بالحرف الذي هو ربط بين الفعل والمفعول غير المباشر.

1- الديوان، ص: 17.

2- الديوان، ص: 23.

فعل القسم هو الآخر فعل لا تتحقق إنجازيته إلا بتعلقه بحرف الجرّ " الباء"، ومنها قول الشاعر: "أقسمت بالوطن المقدس"، و "أقسمت بالأمل المبرعم"، فتحقق إنجازيته مرتبط بـ "المقسوم به" الذي هو اسم مجرور متعلق به. والغرض التداولي الحجاجي هنا هو التعظيم، فأراد الشاعر أن يؤثر في المتلقي من خلال نقل مشاعر التعظيم والتقدير لما يقسم به. وقد ساعده هذا الفعل الكلامي كثيرا.

ما يلاحظ على نوع الصيغة الصرفية للاسم المجرور عموما في قصائد الديوان أنه جاء جامدا ومشتقا، وصفة الاشتقاق تحمل في طياتها هي الأخرى حدثا إضافيا للحدث الرئيسي الذي يؤديه الفعل الكلامي، ونتمل لذلك بقول الشاعر:

وقد جندوا للقضاء عليها جيوش الظلام ونسل الذباب<sup>1</sup>

فالاسم المجرور: "للقضاء" المتصل باللام المفيدة للتعليل أو "السببية" يدل على وصف حدث غرضه إنجاز فعل كلامي للمستقبل، فاجتمع هنا: "جند" ومعنى "علل" الذي اختصرته اللام، و"قضى". فهذه ثلاث معانٍ إنجازية اختصرت في التعلق بحرف الجرّ، ولو أضفنا القصدية من استعمال شبه الجملة: "عليها"، لتحصّلنا على معنى رابعا وهو إبراز الكيفية المكانية (نوع) التي تتم بها الأحداث السابقة، وهي الاستعلاء.

تعدّد المعاني نلاحظه أيضا في قول الشاعر: "واستدرجوك إلى الجريمة بالوعود"، فمعنى: استدرج وهو حدث، ومعنى: انتهاء الغاية للقيام بحدث آخر عبر سيرورة زمنية أو مكانية، وهو ما تكفّلت "إلى" بأدائه كقصد وغرض، والمعنى الثالث: "حدث الجريمة"، ومعنى "المصاحبة" الذي أدته "الباء" فهو غرض مقصود من المتكلم أيضا، ومعنى رابع وهو: حدث الوعد.

وعليه، فخلاصة هذا المبحث أنّ أدوات الإضافة جاءت لتضيف مقاصد وأغراض مرتبطة بالفعل الكلامي في مقامات معينة، وهذا النوع من التركيبات يساهم في إفادة السامع

ما يحتاجه من خلال تكميم الخبر بالاسم الذي يلي أحد هذه الحروف. أي تقييد معلومة عامة مرتبطة بالحدث والعمل على تخصيص مقاصد المتكلم منها.

خامساً: البعد التداولي لظاهرة الحذف وأثرها على علاقة المتعلقات النحوية بالفعل

### الكلامي

#### 1- تحديد طبيعة ظاهرة الحذف نحويًا:

مقولة الحذف من التحوّلات التي تصيب الدوال ومصطلح "الحذف": هو صفة لمن يقوم بفعل الحذف وهو المتكلم وليس صفة للدال<sup>1</sup>، فالمتكلم يلجأ أثناء كلامه إلى الاستغناء عن بعض العناصر اللغوية عمدة كانت أم فضلة، وهو يصيب جميع أنواع المباني الصرفية، كما يصيب أيضا جملا برمتها. «والظاهر أنّ هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في الأحداث الكلامية المنطوقة أكثر من المكتوبة»<sup>2</sup>، وليس أمر الحذف أمرا ملقى على عواهنه؛ إذ لا يقوم له مقام في اللغة دون سابق دليل يهتدي به السامع إلى العنصر المحذوف من جهة، ويجعل الحذف أمرا مستساغا من جهة أخرى، أو يقوم مقام هذا الفراغ الوظيفي.

فالدليل أو القرينة أو السياق-حسب التسميات المختلفة للدارسين- شرط لا بد منه، ومتى كان غيابه في الكلام وجب العدول عن الحذف إلى الذكر، ولذا جعل "ابن هشام" القرينة شرطا ضروريا في التعرف على العنصر المحذوف، والدليل عنده إما حالي أو مقالي، ويجوز عنده حذف الفضلة بلا دليل<sup>3</sup>، ونمثّل للقرينة الحالية بقوله تعالى: ﴿مَادَا أَنْزَلْنَا رَبُّكُمْ، قَالُوا: خَيْرًا﴾ (سورة النحل، الآية: 30)، ففي عبارة (خيرا) يتبادر إلى أذهاننا أن هناك اجتزاء لفعل تقديره: أنزل خيرا، والمعول عليه في تقدير هذا الفعل، هو وجود قرينة لفظية أو مقالية، وقد تسمع صوت سهم أصاب القرطاس فنقول: "القرطاس والله" أي "أصاب القرطاس" والقرينة هنا الحالية.

1- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، (م. س)، ص: 216.

2- مهدي أسعد عرار: ظاهرة اللبس في العربية، جدل التواصل والتواصل، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2003، ص: 147.

3- ينظر مغني اللبيب، 760/2-762.

ولأهمية الدليل امتنع حذف الموصوف في نحو: "رأيت رجلاً أبيض" خلاف نحو: "رأيت رجلاً كاتباً".<sup>1</sup>

فبـ"القرينة" نستغني عن عناصر لا طائل من ذكرها على مستوى البنية السطحية، وبالقرينة نتعرف على موضع العنصر المحذوف في البنية العميقة أو المقدرّة، فهي إذا تسبق الحذف وحضور العنصر المحذوف سابق لغيابه في الحركة الذهنية للمتكلم.<sup>2</sup>

وفي هذا المجال يقول "سيبويه" في باب حذف المبتدأ: «وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: "عبدُ الله ورّبي"، كأنك قلت: "ذاك عبدُ الله" أو هذا "عبدُ الله"»، فأنظر إلى تلك الدقّة في تقدير العنصر المحذوف وتحديد موضعه، وذلك حتى تتوافق العلاقات الداخلية بين عناصر التركيب الظاهر مع القواعد اللغوية المجسّدة والمكونة في التركيب الباطن، أو بعبارة أخرى تقدير العنصر المحذوف يكون تبعاً للصحة النحوية والدلالية التي تظهر في التركيب الظاهر.

وفي علاقة العنصر المحذوف سواء أكان اسماً أم فعلاً أم حرفاً ومهما كانت وظيفته النحوية في العبارة ففي علاقته بدلالة التراكيب يبيّن سيبويه في مواضع كثيرة أن كثرة استعمال<sup>3</sup> وتداول بعض التراكيب حتّى صار معناها معلوماً لدى المخاطب أدّى إلى حذف عناصر يمكن الاستغناء عنها دون أن يؤثر ذلك سلباً على سلامة التراكيب.<sup>4</sup> ويكفي أن

1- ابن هشام: (م.س)، 693/2.

2- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص: 216.

3- "سيبويه" هو صاحب نظرية "الحذف لكثرة الاستعمال"؛ إذ فسّر أنواعاً شتى من الحذف في الصيغ والتراكيب. وللاستزادة ينظر طاهر سليمان حمودة في كتابه: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ص: 38. وما يؤكد ذلك قول سيبويه في الكتاب، 130/2: «وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير».

4- لقد حدد سعيد حسن بحيري مجموعة عناصر يجب مراعاتها في قضية الحذف حتى تتشكل في مجموعها حدثاً كلامياً وهي:

- عناصر التركيب الذي يقع فيه الحذف، والعلاقة بين العنصر المحذوف والعناصر القائمة تركيبياً ودلالياً.

- قدرة المخاطب على إدراك العنصر المحذوف.

- قصد المتكلم من الحذف.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

تبقى معلومة الأثر في العناصر الموجودة في الظاهر، والغرض الذي بيّنه "سيبويه" من لجوء العرب إلى الحذف هو توسّعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار.<sup>1</sup>

"ابن جنّي" هو الآخر لم يكتف بتحليل ظاهرة الحذف من خلال العناصر غير اللغوية فقط، وإنّما اعتمد على التفسير والتأويل بتقدير العناصر المحذوفة مراعيًا في ذلك استقامة الكلام نحوياً ودلاليًا، وإثر ذلك نجده يقول في الخصائص في باب "في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى":

«هذا الموضع كثيرا ما يستهوي من يضعف نظره إلى أن يقوده إلى إفساد الصنعة، وذلك كقولهم في تفسير قولنا: (أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ) معناه (الْحَقُّ أَهْلَكَ قَبْلَ اللَّيْلِ)، فربّما دعا ذلك من لا دُرية له إلى أن يقول (أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ) فيجرّه، وإنّما تقديره: (الْحَقُّ أَهْلَكَ وَسَابِقِ اللَّيْلِ)».<sup>2</sup>

أما "عبد القاهر الجرجاني"، فنجده يولي أهمية كبيرة للمعنى من خلال التعمّق في دراسة الأبعاد الاستعمالية لتراكيب اللغة العربية. ووقفه عند تحليل ظاهرة الحذف أحد الشواهد على ذلك، وإذا كان "سيبويه" و"ابن جنّي" قد تعاملوا في تفسير هذه الظاهرة مع لغة الحديث العادية في أغلب الأحيان، فإنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد تعامل مع اللغة الرّاقية؛ لغة النّص القرآني والنّص الشعريّ، فجاء منحاها منحى جماليا، تمثّل في الكشف عن بعض أسرار النّظم ومواطن الجمال مستعينا بوسائل لغويّة وغير لغويّة.

يؤكد حسن البحيري أنّ الوقوف على دقائق ظاهرة الحذف من أجل إبراز قيمتها، يتطلّب قدرة خاصة لدى المفسر؛ إذ ليس الهدف من درس مسائل هذه الظاهرة في رأي "الجرجاني" هو وصفها أو الإحساس بها فحسب، بل تحليلها لتحديد أسباب العدول عن

---

=-الموقف الكلامي الذي يجيز صحة التركيب الواقع فيه الحذف أو عدم صحته. ينظر إلى: سعيد حسن عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1989، ص: 227.

1- طاهر سليمان حمودة: (م.س)، ص: 102، 103.

2- ابن جنّي الخصائص، 279/1، 280.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

الذّكر إلى الحذف، والتّمييز بين الأغراض المختلفة التي تجعل المتكلم يُؤثر استخدام أبنية الحذف في أشكال الخطاب المختلفة.<sup>1</sup>

وفي حديثه عن غرض المتكلم بيّن العلاقة الوطيدة بين الصياغة اللغوية المختارة على المستوى الاستعمالي (مستوى البنية السطحية) وبيّن الدلالة النفسية الكامنة في نفسه أو ذهنه.<sup>2</sup>

لقد أدرك القدماء - وإن تحدّثنا عن بعضهم فقط- أهمية الحذف ولم يفهم أن يدرسوه دراسة جادة ومن عدّة جوانب، فالعرب كانت تميل إليه كثيرا في كلامها حتى صار الإيجاز والاختصار سمة مميزة في العربية، وفي صدّد هذا يقول ابن جنّي: «واعلم أن العرب-مع ما ذكرناه- إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملاها».<sup>3</sup>

وميلها (أي العرب) إلى الإيجاز لم يظهر في مستوى الفصحى العادي فقط، وإنّما في المستوى الرّاقى أيضا كلغة القرآن الكريم، والشعر العربي.

وكان من الطبيعي أن تبقى العربية محافظة على هذه السمة على مرّ العصور، فالظاهرة لم تغب عن لغة العصر الحديث بشعرها ونثرها، في مستواها العادي أو الرّاقى، ويبقى الشعر النموذج الأمثل في إبراز قيمة اللجوء إليه، إذ مال الشعراء إلى استعمالها ميلا ملفتا للانتباه، فهو يبيّن أنّ اهتمامهم به يوازي اهتمام الأولين في لغتهم لغاية لا يدركها إلا من له ملكة في تذوق أساليب الفن الرّاقى، فالحذف هو وسيلة إيحائية تجذب القارئ إلى تتبع المعاني المكنونة في النفس من جهة، ومن جهة أخرى يجد فيها الشعراء مسلكا للهروب من قيود اللغة وقوانينها. فهو إذا ظاهرة لغوية تقتضيها الضرورة الشعرية.

1- سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ط، ص: 226.

2- نفسه.

3- ابن جنّي: الخصائص، 1/83.

وعن أهميته في القصيدة الحديثة يقول أحد الباحثين: «إن الإيحاء الذي يهدف إليه بناء القصيدة الحديثة يتطلب من الشاعر ألا يصرح بكل شيء، بل إنه يلجأ أحيانا إلى إسقاط بعض عناصر البناء اللغوي مما يثري الإيحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى لتأويل هذه الجوانب المضمرة»<sup>1</sup>، ويضيف قائلا: «وكان طبيعياً في الشعر الحديث، وبعد أن أصبح لأسلوب الحذف و الإضمار فلسفته الجمالية وغاياته الفنية في الاتجاهات الشعرية والنقدية الحديثة، أن يحتل أسلوب الحذف و الإضمار دورها البارز بين أدوات الإيحاء الشعرية في القصيدة العربية الحديثة، بحيث لا تكاد قصيدة حديثة تخلو من استخدام هذا الأسلوب على نحو أو آخر»<sup>2</sup>.

وهي الملاحظات نفسها التي نسجلها من خلال اطلاعنا على كثير من قصائد الشعر الحديث والمعاصر، وكذا الاطلاع على بعض البحوث الأكاديمية. وديوان "أغنية للوطن في زمن الفجيرة" نموذج عن حسن استغلال صاحبه لأسلوب الحذف في مواطنه المطلوبة، وقد طغى بنسبة كبيرة على مستوى قصائد الديوان.

## 2- ظاهرة الحذف كفعل تداولي حجاجي:

الحذف ظاهرة تداولية من حيث أنه يخضع لأحوال المقام بكل من المتكلم والسامع، فالتكلم له قصد من اللجوء إلى الحذف، وللسامع دور في القيام بعملية استدلالية لمعرفة هذا القصد، والاستدلال إما مقالي أو لغوي، أو مقامي يستنبط من المحيط الخارجي، وهذا لا يختلف عما أسماه القدماء "القرينة" التي هي في الأصل استدلال بلغة التداوليين.

ما دام لأسلوب الحذف آليات استدلالية، فله غايات حجاجية، فهو «يفسح المجال للمتلقى للتأويل، الذي يتيح له استنتاج الحجة والافتناع بها ذاتيا، كما أنه نوع من الإيجاز، والإيجاز يقدم المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة، لتكون أسرع نفاذا إلى السمع، وأعلق

1- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الشباب، القاهرة، 1997، ص:61.

2- المرجع نفسه، ص:63.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

بالذاكرة، وأحسن موقعا في القلوب»<sup>1</sup>، وأشار صابر الحباشة إلى ضآلة العناية بمبحث الحذف في الأنحاء الغربية التقليدية، بل حتى النظريات اللسانية الشكلية، منوها برأي "محمد الشاوش" في اعتبار الحذف ظاهرة سياقية، أي خاضعة للمقام<sup>2</sup>، وهذا ما لا تأخذه الدراسات الشكلية بعين الاعتبار.

تبقى النظرية العربية التراثية، وبتزكية المحدثين لها، أفضل نظرية في الاهتمام بمقامات التواصل للظاهرة اللغوية، و"الحذف" من أهمها وأجلها، وعليه، فهو ظاهرة تتمتع بكل المعطيات التي تجعلها حقا خصبا للممارسة التداولية، من حيث نظرية أفعال الكلام وعلاقتها بالحذف، القصديّة، الاستلزام الحواري الإحالة والإشاريات، وفي ممارسة هذه الآليات على ظاهرة "الحذف"، سنجد أنفسنا بالضرورة نستخدم آليات الاستدلال التداولي للتبحر في الأبعاد التأويلية والحجاجية.

وربما هناك من يخلط بين "الإضمار" و"الحذف" إلا أنهما منفصلان تمام الانفصال، حتى عند الغربيين، فالإضمار نال حظه من الدراسة عند الغربيين، وكمثال على ذلك "الاستلزام الحواري، والاقتضاء، و"قرائس" فضل البدء في تناولهما من خلال "نظرية المحادثة".

أما في الدرس اللساني الحديث، فللباحث المغربي: "بنعيسى عسو أزيبيط" قدم السبق في الدراسة العلمية المعمّقة والشاملة لموضوع "الإضمار" في كتابه: "الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الإضماري-من التجريد إلى التوليد، وهو على ثلاثة أجزاء: حيث تناول في الجزء الأول: "طبيعة المعنى المضمّر"، وركز في الجزء الثاني: على مستويات

1- أمل يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية-، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 1437هـ-2016م، ص: 230.

2- ينظر صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 88.

هذه الفكرة مقتبسة من "محمد الشاوش في كتابه: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية".



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، وفي الجزء الثالث: تعرّض لـ "توليد المعاني المضمرّة وفق أنحائها التنجيزية الملائمة"<sup>1</sup>.

الحقول الدلالية للمضمر وفق دراسة "أزاييط" هي: «الإضمار العام-الإضمار العرضي-الإضمار الاستنباطي: (الكناية، الاقتضاء، التضمين، تجاهل المعارف، مفهوم المخالفة، الملازمة الذهنية) -الإضمار المطلق: (المؤوّل، المتشابه، المشترك، العام، المجمل) -الإضمار الإدماجي: (اللفّ، الإدماج، الاحتباك، الاحتمال)، -الإضمار الضيق: (التعريض، أسلوب الحكيم، التلميح، التورية، الإيحاء، الإيهام، الالتفات، التساهل، التسامح، الخروج عن مقتضى الظاهر) -الإضمار الاصطناعي: (التلبيس، اللّغز، الغرابة (أو المشترك))»<sup>2</sup>.

نلاحظ أنه لا وجود لمفهوم الحذف عند تناول "أزاييط" لموضوع "الإضمار" الذي هو أقرب إلى مفهوم "الضمني" في الدراسات اللسانية الغربية، «ولعلنا نقف على أهميّة مفهوم الضمني، إذا ما عرفنا أنه أحد مفاهيم ثلاثة متجاورة: (الضمني L'implicite والمقتضى Le Présupposé والمضمر Le Sous-entendu)، وهي تمثّل ثالوثاً رئيسياً عند تحليل الدلالة»<sup>3</sup>.

وبعض النظريات النحوية المعاصرة تضيف مصطلح "الحجب" Occulif، ويؤدي معنى الحذف<sup>4</sup>.

الأسباب والدواعي التي ذكرها الترائيون للعدول من الذكر إلى الحذف كلها تصب في إطار اللغة الاستعمالي، أي التداولي، كالاختصار والإيجاز، والاحتراز عن العبث بظهوره،

1- ينظر بنعيسى عسو أزاييط: في الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، مقدمة الجزء الأول، ص: 12، 13.

2- المرجع نفسه، ص: 13.

3- صابر الحباشة، (م س)، ص: 92.

4- نفسه.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

والتنبيه على ضيق الوقت كما في التحذير والإغراء والتخفيف في الكلام... الخ<sup>1</sup>، فهذه كلها مقاصد تنبئ عن حرص العرب على أداء اللغة أحسن أداء، ومتى كان هناك تشويش على الرسالة الكلامية، وجب العدول من الحذف إلى الذكر، ولا يتم هذا إلا في التَّحَقُّق السِّيَاقِي.

تحدّث "عبد الرحمن الحاج صالح" عن ظاهرة الحذف في ظلّ ما أسماه "الاقتصاد" والذي يقابل عنده "الزيادة" لغرض "البيان"<sup>2</sup>، فالحذف إذا يقابل الزيادة، ويستلزم هذا تقابل غايتها بالترتيب: "الاقتصاد" في مقابل "البيان"، ويقصد هنا بالزيادة أنه في حال «عدم توفر القرائن اللفظية مع عدم استقرار المخاطب على ما يبلغه من الأخبار، فكلّ هذا يحمل المتكلم لا على الامتناع من الإضمار فقط، بل على زيادة اللفظ»<sup>3</sup>.

تناول "الحاج صالح" ظاهرة الحذف في ظلّ ثنائية "الوضع والاستعمال"، وهما الثنائيتان اللتان يركز عليهما التخاطب، ويشكّلان معا نظرية لغوية عربية أصيلة، ولعلّ تفسير ظاهرة الاقتصاد والتخفيف اللغوية تفسيراً علمياً نابع من هذه النظرية.

ف"عبد الرحمن الحاج صالح"، يرى أنّ الظاهرة لا ترجع إلى الاستعمال وحده أو يتفرّد بها، بل أيضاً موجودة في وضع اللغة، بقوله: «ويكون هذا بكثرة الاستعمال حتّى يصير مطّرداً»<sup>4</sup>، فاللجوء إلى الحذف في الحيز النسبي لكثرة الاستعمال هو اطراد، ممّا جعل مواضع الإيجاز في الكلام لهذا السبب نابع من وضع اللغة، وليس خاضعاً لأحوال المقام، ونذكر هنا مثل حذف الفعل وجوباً في قول العرب "سمعا وطاعة"، "أهلاً وسهلاً"... الخ، فهنا لا يجوز إظهار الفعل.

---

1- ينظر الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، (م س) ص: 39. والسيوطي: (م س)، ص: 534. وعبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، باب الحذف. والإمام يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، مراجعة وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ-1995م، ص: 246. ومحمّد محمّد أبو موسى: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1427هـ-2006م، ص: 153.

2 - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص: 64.

3 - المرجع نفسه، ص: 68.

4 - المرجع نفسه، ص: 65.

توسّع في شرح ظاهرة الحذف عند "سيبويه" ذاكرا شواهد كثيرة للظاهرة في ظلّ ما أسماه صاحب الكتاب "الحذف لكثرة الاستعمال" وكيف صارت عرفا لغويًا عند العرب.<sup>1</sup> ترى "عزة شبل محمد" أن ما قُدّم عن ظاهرة الحذف في النظريّة التّراثيّة، أقرب ما يكون للنظرية في دراسته، من حيث التصنيف لأنواع، ومستوى الأغراض التي تعد جزءًا لا يتجزأ من عملية فهم النص وتفسيره، بل هي جزء من عملية تفاعل النص مع طرفي الإنتاج، والتلقي (المنتج والمتلقي)<sup>2</sup>، وحددت ثلاث زوايا يخدم فيها الحذف لسانيات النص، وهما قصد المتكلم، ودور المتلقي، والأعراف التركيبية للغة، ويمكن أن نقول أن هذه الزوايا هي نقاط اشتراك أيضا مع التداولية، من حيث أنّ مقاصد المتكلم من وراء الحذف هي أفعال كلامية غير مباشرة، والمتلقي له مساهمة في تأويلها من خلال عملية الاستدلال إمّا من العرف التركيبي للغة، أو أحوال الخطاب.

### 3- تداولية حذف المتعلقات في الديوان:

للقوف على المظاهر التداولية الشعرية لظاهرة الحذف، حريّ بنا أن نستقرأ الأسباب التي دفعت بالشاعر إلى اللجوء إلى ظاهرة الحذف، وسنخصّص ذلك للمتعلقات النحوية، إذ في حذفها أثر كبير في التأثير على موقف القارئ، وهنا تستوقفنا الأبعاد الحجاجية أيضا.

أ- **حذف المفاعيل:** لم يملّ الشاعر إلى الحذف كثيرا من حيث المساس بكلّ عناصر الجملة، إذ أنّ أسلوبه بسيط، سهل، كلّ التراكيب واضحة، وهذا عكس ما نجده في الشعر العربي القديم الذي يميل فيه الشعراء إلى أسلوب الحذف بشكل ملفت للانتباه، وبأسلوب جذاب، يصوّر لك الموقف وكأنك تعيشه.

وأكثر الظواهر التي مسّها الحذف في المدونة، هو حذف المفعول به، وكان غرض الشاعر من حذفه هو: عدم الحاجة إليه، أي إلى ذكره، لأنّ المعنى قائم على ذكر الفعل فقط، ومن أمثله ذلك قوله:

1- ينظر، المرجع السابق، ص: 65-67.

2- عزة شبل محمد، (م. س)، ص: 117.

وَمَا تَشْكَاكَ يَوْمًا فِي أَصَالَتِهِ وَلَا تَنْكُرَ لِلتَّارِيخِ وَانْتَقَدَا<sup>1</sup>

فالفعل "انتقد" فعل متعدّد إلى مفعول به غير مذكور، أي محذوف، ويفهم من سياق الكلام، أي نستدلّ عليه، بالقرينة اللغوية ولا تنكّر للتاريخ، وتقدير الكلام: "انتقده"، يعود الضمير على "التاريخ"، والحذف عنه، لجأ إليه الشاعر لغرض الإيجاز من جهة ومن جهة أخرى الحاجة الشعرية المتمثلة في تحقيق الوزن والقافية.

ومن أمثلة حذف المفعول، الصورة التي تكاد تغطي على أبيات قصيدة: "بيعة الوئام الوطني"، وهي الصورة نفسها التي تحدّث عنها "عبد القاهر الجرجاني"، عندما استرسل في ذكر الأغراض في ذكر الأفعال المتعدّية، وأقسامها ومنها قسم: "حذف المفعول لإثبات معنى الفعل، لا غير". وفي ذلك يقول: «فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها الفاعلين، من غير أن يتعرّضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك، كان الفعل المتعدّي كغير المتعدّي مثلاً (...). ومثال ذلك قول الناس: "فلان يحلّ ويعقد، ويأمر وينهي، ويضّر وينفع (...). المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى نفسه في نفسه للشيء على الإطلاق، وعلى الجملة»<sup>2</sup>.

وهذا النوع من الحذف في المفعول به، أطلق عليه النحاة القدامى، الحذف اقتصاراً<sup>3</sup>، وهو لا يحتاج إلى دليل يدلّ عليه في رأي "ابن هشام"، لأن الغرض هو مجرد إيقاع الفاعل للفعل، فلا يذكر المفعول ولا ينوي<sup>4</sup>.

ونمّثل له من الديوان بقول الشاعر:

إني أراه على الصُّخُورِ مبرِّعاً  
تتلو روائع فنّها ونبوغها  
وعلى جسور للحضارة تشهد<sup>5</sup>  
للغابرين على الوجودِ وتسردُ

1- الديوان، ص: 38.

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 154.

3- ابن يعيش: المفصل، 39/2.

4- ينظر مغني اللبيب، م/768، 769. وينظر محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص: 341.

5- الديوان، ص: 44.

تُرْوِي عِطَاءً، كَمْ تَأَلَّقَ نَجْمُهُ      وَسَبَى عَقُولَ الْعَالَمِينَ فَقَلَدُوا  
وَعَدَا شُمُوعًا كَالنُّجُومِ عَلَى الثَّرَى      تَهَبُ الْإِنَارَةَ لِلْحَيَاةِ وَتُرْشِدُ

استعمل الشاعر كثيرا هذه الصورة في حذف المفعول به، مقتصرًا الذكر على الفعل والفاعل فقط، مكتفياً بإيقاع المعنى على الفعل، ويظهر ذلك في الأفعال: تشهد، تسرد، قلدوا، ترشد، فهي أفعال متعدية، إلا أن ذكر مفاعليها استغني عنها، فكان المعنى أكثر إيقاعا في نفس المتلقي، نستطيع أن نقول هنا أن الحذف فعل تداولي شعري، ذو أبعاد حجاجية، يتمثل الفعل التداولي في حذف المفعول به، لأن السياق لا يتطلب ذكره، وأما الفعل الحجاجي فهو التأثير في المتلقي من خلال تثبيت المعنى في نفسه، وإصاقه في ذهنه، كما نستشف أنه بحذفه «يحقق الشمول والعموم، ويفضي في بعض المواضع إلى تحقيق المبالغة، مع مراعاة الإيقاع بين العبارات، حيث إن التأثير في الأذن من شأنه أن يشد عقل المتلقي، ويقنعه، وهذه غاية حجاجية يرمي إليها الكلام الذي حذف مفعوله»<sup>1</sup>. والشاعر هنا في مقام تعداد المنجزات العظيمة للحضارة الإسلامية في الجزائر، كان الأحرى أن يحيل إليها المفعول في الواقع، إلا أنها أكبر وأعظم من أن تمثل في كلمات ووظائف نحوية، فارتأى الشاعر أن يترك تعدادها لخيال القارئ، فحذفت من بناء الكلمات لكن لم تحذف من بناء الخيالات والاستطلاعات. وهذه غاية تداولية، أن يلجأ الشاعر إلى "الحذف" كوسيلة استدلالية لبناء الإيحاءات للدوال في الواقع.

فلو ذكرنا مفعولات الأفعال التي تحدث عنها الشاعر على سبيل المثال: تشهد ذلك، تسرد ذلك، فقلدوا ذلك العطاء، ترشدها، نلاحظ أن درجة التأثير في المتلقي تفنر، والحجة للإقناع وتغيير المواقف تضعف، ويقل الإيحاء كوسيلة تعبيرية بعيدة التأويل.

أما فيما يخص حذف المفاعيل الأخرى فلاحظنا خلوقصائد الديوان من تفنن الشاعر في أسلوب الحذف، فغاب التعدد في المواضع بالنسبة للمتعلقات النحوية في الجملة الفعلية، فلا نجد أثرا لحذف بقية المفاعيل.

1- أمال يوسف المغامسي: (م.س)، ص: 235.

ب- حذف عامل المفاعيل: لجأ الشاعر إلى حذف الفعل الكلامي مع فاعله خاصة بعد العطف، فأسلوب العطف أحد أساليب الاقتصاد اللغوي، لأنه يختصر تكرار الكلام، فيكون استدلالاً لغوياً على إضمار بعض عناصره، فنوجز بدل الإطناب المؤدي إلى الملل، وإلى نفور السامع من المتكلم، مما قد يؤدي إلى التشويش على الرسالة الكلامية، فتغيب الفائدة المرجوة، ويقل التأثير في المتلقي.

من أمثلة الحذف بعد الواو العاطفة، حذف عامل المفعول به، وشبه الجملة من الجار والمجرور، كقول الشاعر:

تتكرّوا لأصلهم وللكتاب المنجد<sup>1</sup>

وتقدير المحذوف: وتتكرّوا للكتاب المنجد.

ومنها قول الشاعر أيضاً:

أقسمت بالوطن المقدّس في الوجود بالتّضحياتِ الغالياتِ وبالشّهيد.<sup>2</sup>

وتقدير المحذوف: "أقسمت بالتّضحياتِ، وأقسمت بالشّهيد".

وقوله أيضاً:

وتلعن فيه حروف الضياءِ ومن علموه بدونِ اغتراب.<sup>3</sup>

وتقدير المحذوف: "وتلعن فيه من علموه".

الملاحظ على مواضع الحذف سالف الذكر والمتعلقة بحذف العامل، أنّ الغاية التداولية هي الاختصار والإيجاز، ولا شكّ في أنّ ظروف المقام فرضت ذلك، لأنّ هناك القرائن الدالة من جهة، ومن جهة أخرى، تحقيق الاقتصاد اللغوي حتى لا ينفر السامع من طول الكلام.

من خلال كل ما سبق، فيما يتعلّق بتداولية الحذف، نخرُجُ بنتيجة وهي أنّ الحذف يكون إمّا اقتصاراً أو اختصاراً، لدواعي تداولية، تتمثّل في النوع الأوّل، إذا كان المتحدّث

1- الديوان، ص: 14.

2- الديوان، ص: 19.

3- الديوان، ص: 21.

قاصدا اقتصار المعنى على الفعل فقط، أما الثاني فإنه يُحذف إذا دلّ عليه دليل، فالواجب حذفه أولى.

سادسا: تداولية التقديم والتأخير وأثرها على علاقة المتعلقات النحوية بالفعل

### الكلامي

#### 1-التعريف بالظاهرة نحويًا:

كلما اقترب القارئ من العربية أكثر يجدها تفيض جمالا وتبوح بعجائبها التي لا تتقضي فهي دائما في تدفق وعطاء بتراكيبها المشحونة بأنواع المعاني والدلالات الناتجة عن سمة الحراك والحركية التي تتميز بها، وتنقلها من مستوى إلى آخر.<sup>1</sup>

تحمل ظاهرة الترتيب وسياقاتها المختلفة من اللطائف اللغوية والأبعاد النفسية ما يُعظم فضلها ويكثر مزيته، مما جعلها تبلغ منزلة عالية في النظم العربي وتقال حضوتها في الاستعمال اللغوي، لأن -حسب البلاغيين- في تقديم المقدم فضل عناية، ويُعد غاية لا يدركها إلا من له ملكة على إدراك خواص التراكيب أو المتكلم الذي فرضت عليه مقامات الكلام وظروفه اللجوء إلى هذا الأسلوب.

إن سمة الحركية التي يتميز بها أسلوب الترتيب هي سمة طبعت بالسبق المعاني المكنونة في النفس والخاطر قبل المفردة واللفظ في التركيب الظاهر، فالمعاني كما أشار إلى ذلك "عبد القاهر الجرجاني" مرتبة في النفس قبل ترتيبها في الكلام، وفي التقديم والتأخير طلب للتعبير عن تلك المعاني، والمواقف الحياتية اليومية مليئة بما يوجب التقديم لأهمية المعاني المختلجة في الصدور، كقول الشاعر أبي القاسم الشابي:

ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل

وعن حقيقة هذا التركيب في بنائه النحوي، نجد أنه نال حظوة عالية في الدرس اللغوي لا تقل أهمية عما يماثله من التراكيب التي هي من خواص الكلام، ففي الدرس

1- ينظر كريم خلدون: الجملة الشرطية في الربع الأول من القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، مذكرة ماجستير، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي، خنشلة، 2005-2006، ص: 44.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

النحوي ورد الحديث عنه في مواضع متفرقة، كتقديم الفاعل على المفعول والمبتدأ على الخبر... الخ، أما البلاغيون فقد تناولوه بالإجمال ضمن مباحث علم المعاني في مبحث التقديم والتأخير.

إنّه لا يمكن الحديث عن حقيقة هذا البناء الخاصّ والمتميّز دون الحديث عن الأصل الثابت في ترتيب عناصر الجملة العربية، ففي الجملة الفعلية نبدأ بالفعل ثم الفاعل فإن كان متعدّيًا فإنه يلي الفاعل متعلقات الفعل. وفي الجملة الاسمية نبدأ بالمبتدأ ثم يليه ذكر الخبر، وقد لاحظ النحاة (اللغويون بصفة عامّة) أنّ الجملة العربية لا حتميّة في ترتيب عناصرها، وبالتالي قد تخرج عن بنائها المعهود لأغراض معنويّة؛ فيتقدّم ما حقّه التأخير، ويتأخّر ما حقّه التقدّم، كتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل أو تقدّمه على الفاعل فقط، وتقدّم المبتدأ على الخبر أو بعض المتممات والمتعلقات على الفعل أو الخبر.

فمسار التحويل بالتقديم والتأخير هو مسار أفقي أي يصيب العناصر اللغويّة في حركة أفقيّة، فتنتقل من موضعها الأصلي إلى موضعها الطارئ<sup>1</sup>، هذا الانتقال «لا يرد اعتبارًا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع فني أو بعد نفسي»<sup>2</sup>.

لقد أدرك القدماء كُنْهَ هذه الحقائق؛ «فمسألة التقديم والتأخير عندهم تقوم على مبدأ أساسي كبير هو الاهتمام بموضوع القول الأساسي، ففي كل جملة عربية يدور المعنى حول فكرة محدّدة أو شخص معيّن، أو غرض مقصود يتوجّه إليه الكلام، ويسبق إليه الاهتمام»<sup>3</sup>. والذي كان له فضل السبق في الإبانة عن أهم غرض من أغراض هذا التركيب، ومحاولة الكشف عن علاقاته الداخلية بشيء غير متوسع فيه هو "سيبويه"، ويظهر ذلك

1- محمّد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، (م س)، ص: 235.

2- ابن عبد الله شعيب أحمد: بحوث منهجية في علوم اللغة العربية، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع EDIK، 2004، ص: 285.

3- عودة خليل أبو عودة: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان-الأردن، ط1، 1411هـ-1991م، ص: 648.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

للعيان في كم من موضع، وكما برّر للعرب لجوءها إلى الحذف ففي التقديم والتأخير تبرير أيضا؛ يقول في أحد المواضع: «وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيْدًا، فعبدُ الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت (ضرب) به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن قَدِّمْتَ المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضرب زيدًا عبدُ الله، لأنك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدّمًا، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّل منه، وإن كان مؤخرًا في اللفظ، فمن كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّمًا، وهو عربي جيد كثيرٌ، كأنهم [ إنّما ] يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهمّانهم و يعينانهم»<sup>1</sup>. ولفظنا "الاهتمام والعناية" شيئان معنويان يعكسان أثر مكنونات النفس البشرية في نسج التركيب المادّي.

وهذا هو شأن البلاغي لأنّه يحاول البحث والكشف عن كيفية تعامل الجمل مع النفس عواطف وأخيلة، ونزعات... الخ.<sup>2</sup>

تحدّث "ابن جنّي" عن التقديم والتأخير من حيث الضوابط التي تحكم ما يجوز تقديمه وما لا يجوز، ذلك أنه رأى بتتبع كلام العرب أنّ هذا التركيب لا يتمّ دون ضوابط وقسمه إلى قسمين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر يسهّله الاضطرار، الأوّل كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصب أخرى، كضربَ زيدًا عمْرُو، وزيدًا ضربَ عمْرُو<sup>3</sup>، وقد ذكر صورًا كثيرة تخص الموضوع كتقديم الظرف والاستثناء والحال، وتقديم خبر المبتدأ، وخبر كان وأخواتها على أسمائها، وذكر بعض الرتب النحوية التي لا يجوز تقديم عناصرها. يقول في أهميّة التّقديم: «إنّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، ك (ضربَ زيدٌ عمْرًا)، فإذا عناهم ذكرُ المفعول قدّموه على الفاعل، فقالوا: ضربَ عمرا زيدٌ، فإن ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل الناصب، فقالوا: عمرا ضرب زيد... الخ»<sup>4</sup>.

1- سيبويه: الكتاب، 34/2.

2- منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988، ص: 189.

3- ابن جنّي: الخصائص، 260/2.

4- ابن جنّي: المحتسب، ص: 64.

## 2- التقديم والتأخير فعل تداولي حجاجي:

التقديم والتأخير مثله مثل التراكيب البلاغية الخاصة في أدائها رسالة خاصة يتوجه بها المتكلم إلى السّامع، وفق ما يقتضيه المقام، وعليه فهو أداء كلامي في صميم البحث التداولي، يمكن أن يستدل بصورة المتنوعة على الأبعاد الحجاجية التي ترمي إليها. «إن الحديث عن التقديم والتأخير وما إلى ذلك من مظاهر بلاغية في التركيب هو حديث في صميم الحجاج، وهو المعنى الذي قامت عليه نظرية الحجاج عند "بيرلمان"، و"تيتكا"، حين طابقا بين البلاغة، فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج بل إنها لتنتهي إلى بنيته الخاصة».<sup>1</sup>

التقديم والتأخير كظاهرة تداولية تحمل مقاصد يسعى من خلالها المتكلم إلى التأثير في العالم الخارجي، ومن ثم تحقيق فعلٍ كلامي، لن يتحقق إن لم يعدل عن التركيب المألوف إلى تركيب غير مألوف، إذا فظاهرة التقديم والتأخير هي استدلال لغوي على موقف المتكلم من المحيط الخارجي، ورغبته في تغيير موقف السّامع، أو التأثير من خلال نقله من حالة إلى حالة، وهذا يتطلب مهارة خاصة، ومعرفة حاذقة بمواطن استعمال هذه الظاهرة، فمتى تحققت تلك المعرفة نجح المتكلم في تحقيق القوة المتضمنة في القول، وإلا وُسم عمله بـ "المخفق" على حد تعبير "أوستين" و "سيرل"، فالعمل اللغويّ عندهما يخضع لمقياس النّجاح والفشل.

إذا فظاهرة التقديم والتأخير قضية تداولية مهمّة «كونها ارتبطت بمقصديّة المتكلم والغرض الذي يريد أن يوصله للمتلقّي أو السّامع، ومن ثم فأنت سوف تتحرف عن التركيب المألوف المعروف في النمط الجملي بغية غرض معيّن، كأن تقدّم الخبر عن المبتدأ، فهو انحراف أو تحويل نحويّ وفي الوقت نفسه له مقصد من ورائه يريد المتكلم أن يصل إليه، ولا غرو في ذلك فهذا هو المبتغى الذي تسعى التداولية لتحقيقه»<sup>2</sup>، كالإقناع والتأثير، ولتحقيق

1- أمال المغامسي: (م. س)، ص: 218 (الهامش).

2- فاتح مرزوق: قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي (التقديم والتأخير أنموذجا)، مجلة المقرّي، مخبر الدراسات اللغوية والنظرية، جامعة المسيلة، ع1، ديسمبر 2017، ص: 77.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

هذه الغاية، يلجأ المتكلم إلى استغلال الإمكانيات اللغوية التي تكفل له إيصال قصده وتحقيق مراده، ولذلك فإن استعمال اللغة «له مرتكزات لا تتفق دائماً مع المعايير الافتراضية، فللمتكلم من الأغراض ما لا يتفق مع المحافظة على القواعد، تلك هي الأغراض التي تدعو إلى الخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخّص في معايير الإجراء بوسائل: كالنقل، والحذف، والزيادة، ومخالفة القاعدة، والتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية، والتقديم والتأخير، والإيماءات الجسمية، والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال»<sup>1</sup>، والتقديم والتأخير ظاهرة من هذه الظواهر، «ويستخدم لتحقيق مقاصد حاجية تؤثر في تقنين استخدام اللغة المتواضع عليها بين المرسل والمرسل إليه، فيعمد المرسل إلى تبديل مواقع العناصر اللغوية المكوّنة للجملة، وللخطاب كلّ بوصفه استجابة تداولية للعناصر السياقية الداخلية أو الخارجية ولعناصر المقام»<sup>2</sup>.

اتّفق اللغويون العرب القدامى على أن "أهمية المقدّم والعناية به" هي الغاية الأساسية من ظاهرة التقديم والتأخير<sup>3</sup>، وبتسليط الضوء من الناحية التداولية الحاجية نجد أن السامع تحيط به أحوال، وتعتريه حالات ذهنية تستدعي اللجوء إلى هذه الظاهرة، وتتراوح هذه الحالات بين القوّة والضعف، فإمّا، بمراعاتها، يحافظ المتكلم على الترتيب الأصلي للعناصر اللغوية، أو يوسّطها، أو يجعلها في الصدارة، فهناك فرق بين:

(1) نال محمد الجائزة (2) نال الجائزة محمد (3) الجائزة نال محمد.

فالمثال 1، نعلم به السامع معلومة جديدة يجهلها.

والمثال 2، نقوله لسامع يعلم أن محمداً سينال شيئاً، ولا يعرفه أو يحدده، أما المثال

3: فنقوله لسامع يعرف أن محمداً سينال الجائزة، لكن متردّد في الحكم النهائي، فنؤكّد له.

نبّه "عبد القاهر الجرجاني" إلى خطورة الاكتفاء بقولنا أن «العناية بالمقدّم» هي الغاية

من التقديم، وأيضاً خطورة عدم سعينا إلى التعمّق في خبايا المسألة، وغيرها من المسائل

1- روبرت دي بوجراند: (م. س)، ص: 4.

2- أمال المغامسي: (م. س)، ص: 219.

3- ينظر مثلاً: الكتاب، م/68. والسيرافي: شرح الكتاب، (م س)، ج1/23-264.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

البلاغية، خاصة إذا تعلّق الأمر بالنص القرآني، لأنّ نظمه هو نظم معجز، وعلل في مسألة التقديم والتأخير، أنّه من الخطأ تقسيمه إلى مفيد، إذا كان التقديم لغرض العناية، وغير مفيد، إذا كان توسعة من الشاعر تحقيقاً لوزن أو شعر<sup>1</sup>، وراح يتوسّع في ذكر مختلف الوجوه والفروق لهذه الظاهرة الخاضعة لمقتضيات أحوالها خبراً وإنشاء<sup>2</sup>.

لم يركّز "عبد القاهر الجرجاني" على قضية تقديم المتعلقات على الفعل، إلا ذكره الفائدة من تقديم المفعول به على الفعل في أسلوب النفي، وذكر الأغراض والمعاني التي يخرج إليها الاستفهام في تقديم المفعول على الفعل<sup>3</sup>.

في التقديم والتأخير، تظهر أهمية الحركة الإعرابية في الكشف عن المعاني، خاصة بين الفاعل والمفعول به، فالحركة تعطينا الحرية في تقديم ما نرغب تقديمه، وتأخير ما نرغب تأخيره، وهي بهذا استدلال على تعيين مواقع الكلمات، وأشار إلى هذا الأمر "ابن الورّاق" في "علل النحو" قائلاً: «فإن قال قائل: فهلاً اقتصروا على أن يكون الفاعل مقدّماً على المفعول، واستغنوا عن الإعراب؟ قيل له: لو فعلوا هذا لضاق الكلام عليهم، وفي كلامهم الشعر الموزون، ولا بدّ أن يقع فيه تقديم وتأخير لينتظم وزنه، فجعلوا للفاعل علامة يُعرف بها أين وقع وكذلك المفعول»<sup>4</sup>.

وقد كان العرب حرصين على تبيين مواطن قد يلتبس فيها المعنى على السّامع، وفي هذا تنبيه على مراعاة أحواله، ومراعاة فهمه للرسالة الكلامية وتحقيق الفصاحة، التي هي متكوّنة من مكوّنين: الملكة اللسانية والملكة التبليغية، وعلم التداول موضوعه هو استعمال الملكة التبليغية، فمن بلاغة العرب أنه إذا حُفِيت العلامة الإعرابية، وغابت، كفاصل في تحديد مواقع الكلمات، وجب احتفاظ كل عنصر لغوي برتبته الأصلية، والمثال المشهور المتداول في كتب النحو: "ضرب عيسى موسى".

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 108-110.

2- ينظر المصدر نفسه، ص: 110 وما بعدها.

3- ينظر المصدر نفسه، ص: 121-126.

4- أبو الحسن بن الورّاق: علل النحو، تح: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2013، ص: 378.

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

من أبعاد استعمال التقديم والتأخير تحقيق مقصد "التخصيص أو الاختصاص"، ونمّثل له بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 5)، ففي تقديم المفعول به هنا هو "تخصيص" العبودية والاستعانة لله وحده لا شريك له، ولن يتحقّق هذا المقصد بقولنا: «إيّاك نعبد و نستعين» فالأمر هنا مختلف، لأنّ التّخصيص هنا هو تخصّيص العبوديّة، أمّا الاستعانة فليست مخصّصة.<sup>1</sup>

والتّخصيص كما عرفنا سابقا هو "فعل كلامي"، إذا تعلّق الأمر باستعمال الفعل المتعدّي للمفعول به أي التّخصيص بالتّعدية، فيكون المفعول به من المخصّصات أما الأمر في التقديم والتأخير فمختلف، لأنّ التقديم هو فعل كلامي، وتخصيص المقدم بتقديمه هو القوّة المتضمّنة في القول، وقد يخرج إلى غرض آخر، أي فعل كلامي غير مباشر وهو التأكيد، أي تأكيد إثبات وقوع الشيء فإذا قلنا: "الجائزة نال محمّد"، أو "التفاحة أكل الولد"، قصدنا التخصيص مع التأكيد، وفق ما يقتضيه المقام.

ولنظرية النحو الوظيفي رؤية خاصة لهذه الظاهرة، واصطلاحات خاصة مستحدثة تتماشى والطارئ على الجملة، فالعنصر المخصّص بالتقديم، اصطلاح "أحمد المتوكل" على تسميته "بالبؤرة" وتعريفها في النحو الوظيفي، بأنّها المكوّن «الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة»<sup>2</sup>، وقسمت اعتبارا للمقام إلى نوعين:<sup>3</sup>

أ- بؤرة الجديد: وهي الوظيفة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب.

ب- بؤرة المقابلة: هي الوظيفة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكرها.

1- فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1429هـ-2008م، ص: 44.

2- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1405هـ-1985م، ص: 28.

3- المرجع نفسه، ص: 28، 29.

نشير هنا إلى أن وظيفة البؤرة أعم بكثير من وظيفة التقديم والتأخير، هذه الخيرة التي تمثل صورة من صورها فقط.

ونمثل لوظيفة البؤرة في صورة التقديم والتأخير بـ:

أ- البارحة عاد زيد من السفر.

ب- في الكلية، قام الطلبة بمسيرات حاشدة.

استعمل الشاعر "محمد بن رقطان"، ظاهرة التقديم والتأخير، بل مال إليها كثيرا، وهذه ميزة النص الشعري، فالوزن والقافية لا يستقيمان في كثير من الأحيان، إلا إذا كان هناك انحراف عن الترتيب المعتاد لعناصر الجملة، ومعنى هذا أن الظواهر اللغوية تخدم الوزن والقافية، أي أن المحافظة على النظام الموسيقي للقصيدة قائم على الاختيار اللغوي للألفاظ والتراكيب، ولذا لن نذهب بعيدا في اعتبار ظاهرة التقديم والتأخير خاضعة للمقام أو السياق فقط في بناء النص الشعري، وأن مختلف صورها هي مراعاة لاعتبارات تخص السامع، أو مقاصد تخص المتكلم فقط.

إن المحافظة على الترتيب العادي لعناصر الجملة، يراعيه الشاعر من جانب المحافظة أيضا على النظام الموسيقي، وهذا لا يمنع من وجود مواقف، ومقامات تجعل الشاعر وتدفعه للتقديم والتأخير لغرض الاهتمام بالمقدم والعناية به، ففي هذا تبادل للأدوار، دور تحقيق الوزن والقافية، ودور مراعاة اعتبارات السامع وقصدية المتكلم، وفي المدونة التي بين أيدينا، تعددت الصور في انحراف العناصر عن ترتيبها الأصلي، وسنحاول تبين غاية الشاعر من ذلك، والدوافع السياقية لتلك الانحرافات.

### 3- تداولية تقديم المتعلقات النحوية في المدونة:

أ- تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور: يتعلّق شبه الجملة بالفعل وشبهه، وله في ذلك فوائد كثيرة، وتعظّم فوائده أكثر إذا ما تقدّم سواء على الفاعل أو المفعول أو الفعل،

## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

ودواعي تقديمه هي دواعٍ بلاغية يتطلّبها المقام، وتشير قرينة المعنى إليها، وقد تعرّض لها المفسّرون والمعربون والبلاغيون من خلال مؤلّفاتهم وأهمها<sup>1</sup>:

1- إفادة تقييد المعنى كما في ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة التغابن،

الآية: 01] فَيَدَّ معنى التسبيح بالجار والمجرور.

2- زيادة استحضار الشيء عند السّامع، من ذلك: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ

أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [سورة ياسين، الآية: 71].

3- التنبية على قبح الشيء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،

وَبِصَدَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾. [سورة النساء، الآية 160].

4- الاهتمام به والتشويق إليه.

5- غرابة الشيء.

6- توافق رؤوس الآي في القرآن الكريم (وتوافق الوزن والقافية في الشعر).

7- إفادة معنى من المعاني.

نلاحظ أنّ الأبعاد الدلالية لتقديم شبه الجملة مستقاة من الواقع اللغوي، أي أنّها أبعاد

استعمالية خاضعة لمقتضى الحال.

شاع كثيرا في قصائد الديوان تقديم شبه الجملة على المفعول به، وذلك لأهمية المقدم

والعناية به من جهة، ومن جهة أخرى للمحافظة على الوزن الموسيقي، ومنها قول الشاعر:

مَادَا عَلَيْكَ لَوْ اتَّخَذْتَ جِبَالَهَا      مَهْدَ الْجَمَالِ إِلَى خِيَالِكَ مَشْعُرًا؟<sup>2</sup>

والغرض من تقديم شبه الجملة "إلى خيالك" على المفعول به الثاني: "مشعرا"، هو

زيادة استحضار الشيء في ذهن المخاطب، وتأكيد في ذهنه، وهو هنا فعل كلامي، قوّته

المتضمّنة هي "التأكيد". وبُعدّه الحجاجي إثبات جمال الوطن ونقل إعجابه به إلى القارئ

حتى يترسّخ في ذهنه.

1- سوزان محمّد فؤاد: شبه الجملة، دراسة تركيبية تحليلية مع التّطبيق على القرآن الكريم، دار غريب فهمي، القاهرة،

2003، ص: 44-47.

2- الديوان، ص: 05.

يقول الشاعر أيضا:

وطني عشقتك في الملاحم قصة صاغت روائعها حروف نوفمبر<sup>1</sup>.

في هذا التقديم والتأخير تعلق الفعل الكلامي "عشقتك" بشبه الجملة من الجار والمجرور سابق لتعلقه بالتمييز "قصة" وبتقديم شبه الجملة "في الملاحم"، تبين أن قصد الشاعر هنا المدح والإعجاب والتغني بالملاحم، فخصّ شبه الجملة: "في الملاحم" بالتقديم على التمييز "قصة" لغرض العناية والاهتمام، وهذا فعل كلامي غرضه المباشر: التأكيد وغرضه غير المباشر (المعنى المستلزم) هو المدح، والبعد الحجاجي هو تعظيم ثورة نوفمبر في نفوس المتلقين.

تقدم "شبه الجملة" أيضا على الفعل والفاعل معا لغرض التخصيص والتأكيد، كقول الشاعر:

من أرض مكة جاء أول فاتح فتمازج الشعبان في نسق مبین<sup>2</sup>

نلاحظ أن شبه الجملة "من أرض مكة" مقدم جوازا على الفعل والفاعل: "جاء أول فاتح"، وغرض الشاعر هو الاهتمام بأمر المقدم، لأنه في موقف ردّ بالحجة والبرهان على الذين شكّوا في أصالة الشعب الجزائري، فلجأ إلى أسلوب التقديم والتأخير تخصيصا للحقيقة التاريخية وتأكيدا لها، وهي المعلومة البؤرة المعلن عنها في شبه الجملة المقدم تماشيا مع مقتضى الحال، وعليه ففي هذه الصورة التركيبية تحقق فعل كلامي هو "التخصيص" وغرضه "التأكيد"، وهي القوة المتضمنة في القول، أي تأكيد أصالة الشعب الجزائري، وقد حمل هذا الفعل التداولي في ثناياه فعلا حجاجيا وهو دحض وطعن الرأي المشكك في هوية وانتماء الشعب الجزائري إلى العروبة والإسلام، مستندا إلى الحقيقة التاريخية في قالب لغوي خاص فرضته ظروف المقام والموقف الحجاجي. وليس هدف الشاعر الرد فقط، وإنما أيضا التأثير في نفوس المتلقين من بني وطنه حتى لايجرفهم التيار المعادي لوطنيتهم وهويتهم،

1- الديوان، ص: 07.

2- الديوان، ص: 11.



## الفصل الثاني ————— تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

وينساقوا وراء الأخبار الكاذبة التي يهدفون من ورائها التشتيت والتفريق. وقد ذكرها الشاعر في بيت سابق لهذا البيت في قوله:

**طَعَنُوا فِي بِلَادِي حِينَ قَالُوا تَنْتَمِي لِلْغَالِ وَالْوِنْدَالِ وَالنَّسَبِ الْهَجِينِ**

والملاحظ في هذا المقام أن الشاعر لجأ إلى التقديم والتأخير لغاية بلاغية تداولية حجاجية، وليس لغرض سطحي وهو المحافظة على الوزن والقافية فقط، وهذا ينبأ عن قدرة الشاعر الإبداعية والجمالية.

هناك مواعظ أخرى تقدّم فيها شبه الجملة على المتعلقات النحوية الأخرى تلبية لمتطلبات المقام من جهة، ومن جهة أخرى المحافظة على الوزن والقافية، وقد حملت في مجملها فعلا كلامياً هو التخصيص والذي غرض التأكيد، ومنها قول الشاعر:

**وطني حملتك في الجوانح شُعلةً أبديةً الأشواق دائمةً الحنين<sup>1</sup>**

**ورسمت وجهك في القوائد صورةً عربيةً الإبداع مشرقةً الجبين**

تقدّم شبه الجملة على التمييز: "شعلة، صورة"، لبيّن الشاعر أهميّة المكانة التي يحظى بها الوطن عنده: "في الجوانح، في القوائد".

تقدّم شبه الجملة على الحال، في قوله:

**صَعَبٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى الْوَطْنَ الَّذِي شِدْنَاهُ يَوْمًا بِالْذَّمِّاءِ مُرَوَّعًا<sup>2</sup>**

في هذا البيت لجأ الشاعر إلى التقديم والتأخير محافظة على الوزن، لأن التفعيلة التي شغلها الحال المؤخّر: "مروّعا" تحقّق توازن القافية والرّوي معاً.

ب- صور أخرى للتقديم والتأخير: هناك صور أخرى لم تشع كثيرا مثلما شاع تقديم شبه الجملة على المتعلقات وغيرها، ومن هذه الصور تقديم المفعول به على الفاعل في قول الشاعر:

**ونهلْتُ شعري من ملاحمك التي صاغت روائعها الذمّاء مدى القرون<sup>3</sup>.**

1- الديوان، ص: 10.

2- الديوان، ص: 24.

3- الديوان، ص: 10.

قصد الشاعر بتقديم المفعول به: "روائع" العناية بأمر المقدم، لأنه في موقف التغني بالملاحم الوطنيّة، والمفعول به المقدم هنا يزيد في ذهن المتلقّي استحضار صور هذه الملاحم.

### ملاحظة:

الملاحظ على قصائد الديوان أنّ الشاعر لجأ في الغالب إلى المحافظة على الترتيب الأصلي للعناصر النحويّة، والمواضع التي لجأ فيها إلى أساليب التقديم كتقديم شبه الجملة من الجار والمجرور، في غالبها كان إما لغرض بلاغيّ أو لغرض المحافظة على الوزن والقافية. ولعلّ في شيوع أسلوب المحافظة على الترتيب الأصلي هو أنّ الشاعر يتمتع بقدرة وموهبة على التحكّم في الوزن الموسيقي للبحور الشعريّة دون أن يلجأ إلى الأساليب الانحرافية التي كثيرا ما يلجأ إليها الشعراء قصد إقامة الوزن والإيقاع الموسيقي. وهي الحقيقة التي أعلن عليها "السيرافي" في شرحه للكتاب بقوله: «واكتسبوا بتقديمه ضرباً من التوسّع في الكلام، لأنّ في كلامهم الشعر المفقّي والكلام المُسجّع، وربما اتفق أن يكون السجع في الفاعل فيؤخّرونه».<sup>1</sup>

هناك قصائد يكاد يكون فيها التقديم والتأخير نادرا، كقصيدة: "واجه عدوك" \*، فاعلب الأبيات حوظ فيها على الترتيب الأصلي، واكتفي فيها على حسن اختيار الألفاظ الموحية والملائمة لموضوع القصيدة، ومنها الألفاظ التي شغلت الوظيفة النحويّة للمتعلقات النحويّة مؤلّفةً بذلك حقلا معجمياً ومعجماً لغويّاً ساهم في الحفاظ على وحدة الموضوع وأداء المعاني على أكمل وجه، ومنها قول الشاعر:

واجه عدوك بالمقلاع والحجر      فأنت وحدك لا تخشى من الخطر<sup>2</sup>  
تلك البطولات في أعراف أمتنا      فيا فلسطين خوضي الحرب واستعري  
فحرمة المسجد الأقصى قد انتهكت      وأمّتي ورحاب القدس في خطر

1- السيرافي: شرح كتاب سيبويه، (م س)، ج 1/263.

\*- "واجه عدوك" قصيدة موجّهة للشعب الفلسطيني.

2- الديوان، ص: 85، 86، 87، 92.



خلاصة:

هذا الفصل، نخرج بخلاصة، وهي أن في العلاقات المعنوية التي تربط الفعل الكلامي بالمتعلقات النحوية مظاهر تداولية عدّة، سواء أكانت علاقة التّعدية بفروعها، أم علاقة التّبعية، أم علاقة النسبة، فهذه العلاقات هي علاقات مكّملة لتحقيق إنجازية الفعل الكلامي المتمثلة في القوى المتضمّنة في القول والقوى التّأثيرية، إنّ هذه العلاقات تُنشأ الفعل القضوي أي عبارة عن أحد مكّونات المحتويات القضوية الضّرورية في عملية إلقاء القول. ولا يتمّ تحقيق الغرض والقصد إلّا بها، كما هو الحال مع الفعل المتعدّي إلى مفعول أو الفعل المتعدّي بحرف الجرّ خبرا وإنشاء.

هذه العلاقات قد تؤدّي دور الفعل الكلامي في حدّ ذاته، كالمفعول المطلق المصدر النائب عن فعله، أو جملة مفعولي ظنّ وأخواتها المتصدّرة بأداة تأكيد فتكون القوة الإنجازية هي التأكيد.

ظاهرتا الحذف والتقديم والتأخير من الظواهر التّداولية التي تعتري الفعل الكلامي في علاقته بالمتعلقات النحوية، فقد يحذف الفعل مع فاعله، ويبقى المفعول مؤدّيا وحده جملة إلقاء القول، وقد تُحذف المتعلقات في حدّ ذاتها لأغراض تداولية بلاغية، كما أنّ هذه المتعلقات قد تتقدّم على الفعل أو على الفاعل لأغراض تداولية حجاجية خاضعة للمقام أيضا. وقد كانت هذه الظواهر حاضرة في النصوص الشعريّة التي عالجنها.

# الفصل الثالث

تداولية الإحالة بالمتعلقات النحوية في الديوان

**أولاً:** مفهوم الإحالة في النظريات التداولية

**ثانياً:** المتعلقات النحوية المعرّفة والإحالة التداولية في المدونة (التعريف)

**ثالثاً:** الإحالة التداولية بالمتعلقات النحوية المنكرة (التنكير)

**رابعاً:** الإحالة بالمتعلقات النحوية في ضوء نظرية الفضاءات الذهنية

### أولاً: مفهوم الإحالة في النظريات التداولية

طُرحت قضية الإحالة قديماً في إطار الحديث عن العلامة اللغوية، والعناصر التي تتكوّن منها: الدال والمدلول والمرجع، فإذا كان الدال هو سلسلة الأصوات التي تكوّن العلامة والمدلول هو المعنى أو المفهوم، فإنّ المرجع هو الشيء أو الذات التي تحيل إليها العلامة في الخارج (الواقع)<sup>1</sup>، واستعمل مفهومها في الدراسات اللسانية الحديثة استعمالاً خاصاً من حيث وظيفتها في بناء النصوص وإقامة دلالتها، ففي نظر "هاليداي" و"رقية حسن" «أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها»<sup>2</sup>، فمن هذا المنظور نفهم أنّ الإحالة قضية دلالية، ولقد وسّع العلماء في تحليل وظيفتها على المستوى الدلالي خاصّة علماء لسانيات النصّ\*، ومن الإشكاليات التي بقيت مطروحة هو قصور الوظيفة اللسانية للإحالة في تأويل الخطابات التي تُجهل سياقاتها ومقامات إنتاجها، فيحدث اللبس بالاكْتفاء بوظيفتها اللسانية، أو بقصور الوصف غير الواضح للعنصر المحيل، وهنا تتدخّل ضرورة ربط العناصر المحيلة بالسياقات الحقيقية أو المحتملة صحّتها، وهذه مهمّة ووظيفة الإحالة التداولية، فما هو مفهوم الإحالة التداولية؟ وما هي إجراءاتها التأويلية في الخطاب؟

#### 1- تعريف الإحالة لغة:

الإحالة في اللغة من أحال يُحيل، وأصله (حوّل)، وقد ذكرت معاجم اللغة ومنها "لسان العرب" معان كثيرة تحملها مشتقات هذا الجذر، منها: الحوّل أي السّنة بأسرها، وحال عليه الحوّل والحوّل وحوّلاً: أتى عليه الحوّل، وأحالت الدائرُ وأحوّلتِ وحالت وحيل بها: أتى عليها أحوال (سينون)، وأحال الله عليه الحوّل إحالةً، ومنها الاستحالة: بمعنى الاعوجاج: قوسٌ مُستحالة بها اعوجاج، والحوّل: الحيلة والقوّة، ورجل حوّل، أي بصير بتحويل الأمور،

1- ينظر إلى صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، توزيع مكتبة الآداب، ط1، د.ت، ص: 192.

2- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ص: الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص: 16.

\* نذكر منهم: "فاندايك"، "ديسلر"، "دي بوجراند"، "هاليداي، رقية حسن"، "سعيد حسن بحيري".

والمُحال من الكلام ما عدّل به عن وجهه، وكلام مستحيل أي مُحال، وأحلتُ الكلام إحالة إذا أفسدته، وحولَ حالَ، أيضا بمعنى التحوّل أي التّنقّل من موضع إلى موضع آخر...<sup>1</sup>. وعليه يمكن، أن نقول أنّ أقرب معنى لمصطلح "الإحالة" هو التّحويل والتّحوّل، أي الانتقال إلى معاني الأمور ومن وموضع إلى موضع آخر.

## 2- مفهوم الإحالة في النحو الوظيفي:

ظاهرة الإحالة من الظواهر الخطابية التي تقاسم تناولها مفهومها وأدوات تعبير الفكران الفلسفي واللّغوي قديمهما وحديثهما كما هو معلوم، ويمكن أن تحدّد الإحالة طبقا للتّعريف العام التالي: «الإحالة علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيّل أو في خطاب سابق/لاحق»<sup>2</sup>، وقد حدّد "أحمد المتوكّل" طبيعة المحال عليه، فيكون إمّا واقعة أو قضية أو فعلا خطابيا أو نصّا كاملا<sup>3</sup>، وتختلف وظائف العناصر اللغوية في شغلها لهذه الأنواع كالمسند والمسند إليه والتمّمات من متمم إلى آخر، فالمفعول المطلق قد يحيل إلى فعل كلاميٍّ أمريٍّ، كقولنا: "صبرا"، في موقف المواساة، والمفعول به قد يحيل إلى نصّ بكامله كجملة "مقول القول"، وقد يجتمع أكثر من متعلّقين في طرح قضية، كقولنا: "زرت جدّتي في يوم حارّ".

ومن منظور النحو الوظيفي، يعدّ "سيمون ديك" الإحالة فعلا تداوليا لأنّه يربط بين أربعة عناصر: الخطاب وما يحيل عليه حضورا أو ذكرا والمتخاطبين والمخزون الذهني الذي يعتقد المتكلّم توافره لدى المخاطب إبان التّخاطب<sup>4</sup>. وهنا يتدخّل القصد في انتقاء العناصر التي من شأنها التّأثير في المخاطب من خلال عمليّة الإحالة المتضمّنة لأفعال كلامية ضمنية.

1- ينظر لسان العرب، مادة (حول)، مج11/184 وما بعدها. وأيضا: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ-2004م، مادة (حال)، ص: 208 وما بعدها.

2- أحمد المتوكّل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010. ص:37.

3- المرجع نفسه، ص: 74.

4- المرجع نفسه، ص: 78.

وعلى أساس مخزون المخاطب الذهني المفترض، يميّز "ديك" بين إحالتين: "إحالة بناء" و "إحالة تعيين"؛ النوع الأول يتحقّق حين يُقصد حمل المخاطب على تمثيل ذات غير متوافرة لديه، ويتحقّق النوع الثاني حين يكون المقصود بها حمل المخاطب على التعرّف على ذات يتضمّنها مخزونه الذهني، ويمثّل أحمد المتوكّل بالمثالين التاليين على التوالي:

1- زارني رجل 2- زارني من زارك أمس.

فإحالة البناء يقصد بها أن يكون العنصر المحيل نكرة، وفي هذا الموقف الخطابي يستدعي الأمر من المخاطب الاستفسار والاستفهام، كأن يقول: "ومن تقصد؟" أو "من يكون؟"، ومن ثم إدماجه لاستكمال بناء عملية التّخاطب.

وإحالة التّعيين، يكون فيها العنصر المحيل معرّفًا معرفة غير كاملة أو موصوفًا وصفا محدّدًا يحتاج للتّعيين التّام، وبإمكان المخاطب تعيينه لأنه حاضر في ذهنه من قبل، وقد قال "أحمد المتوكّل" عن الإحالتين: «فعل تداولي يربط بين الخطاب والمتخاطبين والمحال عليه»<sup>1</sup>.

أما من حيث المحال عليه نفسه فإن "ديك" يقترح ثلاث ثنائيات، هي ثنائية المعرّف/المنكر، وثنائية العام/الخاص وثنائية المقيّد/المطلق، وهي الثنائيات نفسها حدّدها (هنخفلد وماكنزي 2008) في نحو الخطاب الوظيفي، وأكّد "أحمد المتوكّل" أن جعل كلا النّحوين الإحالة فعلاً تداولياً يتفق مع طرح اللّغويين العرب القدامى خاصة البلاغيين وعلماء الأصول، فقد اهتمّوا بالعلاقة القائمة بين العبارة وما تحيل عليه وبينها وبين وضع التّخاير القائم بين المشاركين في عملية التّخاطب، فقد قسّموا السّمات الإحالية إلى معرّف/منكر، مطلق/مقيّد، عام/خاص.<sup>2</sup>

ومن الأمثلة التي يضربها المتوكّل لتوضيح هذه الأنواع من الإحالة إجرائياً ما يأتي وعلى التّوالي:

1- المرجع السابق، ص: 79.

2- المرجع نفسه، ص: 78، 79.



أ) 1- قرأت كتابا هذا الأسبوع 2- قرأت كتاب سيوييه هذا الأسبوع.

ب) 1- تريد هند أن تتزوج فتى مغربيا (فيها معنى الإطلاق ومعنى التقييد).

ج) 1- رأيت طفلا يلعب في الحديقة. 2- ليس إحساس الطفل كإحساس البالغ.

والمقولات اللغوية التي عدّها النحاة فعلا تداوليا هي خمس مقولات: الاسم المشترك والاسم العلم واسم الإشارة و الضمير والموصول. فهذه العناصر اللغوية وبإجماع اللسانيين تؤدي وظيفة الإحالة في الخطاب، وتربط العنصر بالمرجع الذي يحيل عليه (وظيفة التعيين).

ستنتج من كلّ ما سبق، أنّ مفهوم الإحالة وتقسيماتها في نظرية النحو الوظيفي له علاقة وطيدة بمفهوم الإحالة وإجراءاتها التطبيقية في التراث اللغوي العربي.

### 3- مفهوم الإحالة في النظريات التداولية الغربية:

أ- عند جون سيرل: طُرحت قضية الإحالة كقضية تداولية، مع "جون سيرل"، في عرضه لنظرية الأفعال الكلامية، فالعنصر المحيل هو جزء من المحتوى القضوي، وذلك أننا عندما نتكلم لغة ما، نكون بصدد الإقبال على تصرف معين خاضع لقواعد محدّدة، وعليه فالممارس للغة طبيعية معينة يحقق أفعالا لغوية مختلفة، كما يحقق فعلي الإحالة والحمل.<sup>1</sup>

والتعيين عند "سيرل"، شرط من شروط نجاح عملية الإحالة - والتي هي في نظره فعل تداولي - إضافة إلى شرط "الوجود"، والذي يعني أن يوجد شيء واحد ووحيد ينطبق عليه إلقاء المتكلم للعبارة<sup>2</sup>، أي شيئا واحدا يقصده وينطبق عليه الوصف، ويعرف التعيين بقوله: «أن يكون السامع قادرا على تعيين الشيء بالانطلاق من إلقاء المتكلم للعبارة، وأقصد بالتعيين هنا أنه ينبغي أن يزول كل شك أو لبس بخصوص الشيء المتحدّث عنه على وجه الدقة».<sup>3</sup>

1- جون سيرل: الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط1، 2015، صفحات متفرقة.  
2- المرجع نفسه، ص:146.  
3- المرجع نفسه، ص:150.

فصل "سيرل" كثيرا بالأمثلة التوضيحية العناصر التي يمكن أن تكون محيلة والتي لا يمكن أن تكون محيلة، ومن هذه العناصر ما هو متفق عليه بين الفلاسفة واللغويين، كأسماء الأعلام والاسم المعرف والضماير بأنواعها، والألقاب وأسماء الإشارة، ومنها التي أطلق عليها مصطلح "الأوصاف المفردة المعرّفة"، ويعني بها "الاسم المعرفة"، وهي في نظره لا تؤدّي وظيفة "الإحالة" دائما، ووضّح ذلك بأمثلة، مثل: "تركني حبة في المقلّي"، "فعلت ذلك لأجله"، فكلمة "المقلّي" و"لأجله" لا تستعملان للإحالة. بينما في المثالين "تركني في المبنى" و"فعلت ذلك لأجل أخيه" تؤدّيان الإحالة. ويعطي سيرل تعليلا واضحا ومقنعا للتفريق بين الذي يصلح للإحالة والذي لا يصلح، وذلك أن الاسم الوصف المفرد في الزوج الأول من الأمثلة لا يصلح أن يفرد شيئا أو ذات ويعينهما، على عكس الزوج الثاني من الأمثلة، ومن الدلائل على الوظيفة الإحالية، أن يصلحا لجواب لمن؟ أو لأي شيء فعلت ذلك؟ أو في ماذا تركتني؟ والقابلية للتصرف أيضا أحد الدلائل.

**ب- الإحالة في نظرية الفضاءات الذهنية والعوالم الممكنة: للإحالة مظاهر أخرى**  
ذكرها اللسانيون، غير تلك التي أحصيناها سابقا، كالوصف المحدد وغير المحدد، وتعدّ نظريتا العوالم الممكنة والفضاءات الذهنية نظريتان في الإحالة التداولية التي تميّزت بالتوسّع في الإجراءات الإحالية، متّخذة منحى مجازي استعاري.  
وينطلق جل اللسانيين من وظيفة التّعيين كوظيفة إحالية ذات بعدين: إمّا حقيقيّ أو مجازي.

لقد ذكر اللساني "ميلنر" (Milner) أن وظيفة اللّغة الأساسيّة، إمّا هي التّعيين، وأنّ دراسة هذه الوظيفة التّعينية هي أحد أغراض اللّسانيات المركزيّة، في معناها الدقيق (الصوتية والتركييب وعلم الدلالة)، ونظر إلى موضوع الإحالة على أساس أنّها علاقة بين اللّغة والواقع، (علاقة الكلمات بالعالم الخارجي) وعليه، وحسب رأي غودمان (Goodman)، فإنّ الإحالة اللّغوية تهدف إلى تحديد المرجع في العالم الخارجي، ويشترط أن يكون هذا

المرجع مستعملاً في الواقع، لأنّ الإحالة تتعلّق باللّغة مستعملة لا خارج نطاق الاستعمال، وللتعبير الإشارية دور كبير في جلاء خاصية الإحالة.<sup>1</sup>

وفي نظرية الفضاءات الذهنية، يستعمل " فوكونيي " مصطلح الوظيفة التداولية بدلا من الوظيفة الإحالية، وهذه الوظيفة في نظره تسمح بالمرور، من فضاء إلى آخر، ويتم هذا عن طريق عملية التّعيين، وهي تعني «إذا كان هناك العنصران (في المعنى الأعم) أ و ب مترابطين من خلال دالة تداولية  $R(ب=أ)$ ، فإن وصف "أ" يمكن أن يفيد موافقه "ب"»<sup>2</sup>، ويسمّى "أ" قادح الإحالة و"ب" هو هدف الإحالة و "ر" هو الرّابط، ومن الأمثلة التي تذكر في هذا الإطار<sup>3</sup>:

1- غادرت عجة "الجانبون" دون تسديد الحساب.

2- جورج صاند على الرف الثالث بدءا من الأسفل.

حيث تدلّ عجة الجانبون على الزبون الذي طلب أكلة عجة الجانبون، ويدل جورج صاند على الكتب لا على مؤلّفها.

فعجّة الجانبون هي قادح الإحالة، والزّيون هو الهدف، وجورج صاند هو القادح والكتب هي الهدف، وليس المؤلّف.

ففي المثالين السّابقين، التّحليل اللساني غير كاف لتحديد المرجع، لذا وجب اللّجوء إلى التّحليل التّداولي، المتمثّل في الإحالة، وهذا يعدّ تأويلا تداوليّا، لأنّه من غير الممكن أن نقف في تحديد المعنى عند حدود المستوى السّطحيّ فقط، ووجب اللّجوء إلى الموقف الخطابي الحيّ، الذي هو المقام بعناصره المخاطب والمخاطب والمكان والظّروف المحيطة بهما، ففي المثال الأوّل، الحادثة حدثت في المطعم، ومن عادة "النادل" \* أن يكون جاھلا

1- جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص: 159.

2- المرجع نفسه، ص: 162.

3- المرجع نفسه، ص: 161.

\*- النادل هو خادم الضيافة في المطعم.

لاسم صاحب الوجبة، فيقول كناية: "غادر طبق الأرز ولم يسدّد الحساب"، إذا فتبعنا لظروف الخطاب يظهر لنا أن الطّبق يحيل إلى صاحبه الذي طلبه، وهذا دليل غير لغويّ للتّعرف على من ترك تسديد الحساب.

والمثال الثّاني يبدو أكثر وضوحاً، فالدّلالة العقليّة تمنع إيراد المعنى الحقيقي، لأنّ الذي يوضع ويرتّب على الرّفوف هو الكتب في حدّ ذاتها، وليس من ألفها شخصياً، فيصبح اللّجوء إلى التّأويل التّداولي باعتماد وظيفة الإحالة وجوباً هنا حتّى يفكّ اللبس.

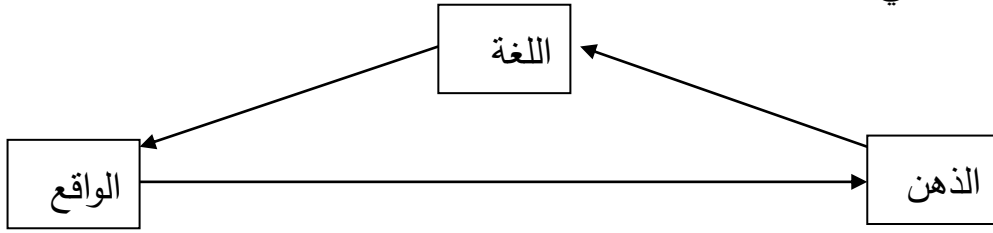
في نظريّة الفضاءات الذهنيّة، تتشكّل الفضاءات من خلال مجموعة من العناصر تربط بينها علاقات في بنية ما، وفي الأمثلة السّابقة، العبارتان وما تحيل إليه تشكّل بنية أي فضاء، في المثال الأوّل هو: عدم تسديد الحساب، ويحمل سؤالين يستدعيان بناء فضاء ذهني لدى المتكلّم والسّامع: من؟ وماذا؟ وفي المثال الثّاني: مكان الكتب التي ألفها المؤلّف، والسؤال المحرّك لبناء الفضاء هو: أين؟

وسمّي "فوكونيي" التّعابير اللّغوية التي تبني فضاء بـ "العناصر البانية للفضاء"، من قبيل: "في تصور أو في اعتقاد، أو وفقاً..."، وأدوات الشرط، و"يمكن الافتراض، على الأرجح"، أو "على صورة كذا...، في فيلم كذا...، في الرواية... الخ".

أمّا العناصر اللّغوية التي يتكوّن منها الفضاء وتتحقّق بها الإحالة، فهي المركّبات الاسميّة تعريفاً وتكريراً فيها يطبّق مبدأ التّعيين في الفضاءات، وأسماء الإشارة، والضّمائر... وقد أشار الأزهر الرّزّاد إلى أهميّة العبارة اللّغوية التّواصلية في نظرية الأفضية الذهنيّة، فهي نظريّة تسعى لدراسة العلاقة الموجودة بين اللّغة والعرفنة فـ «يكون فيها الكشف عن الاتّصال ما بين النّحو والتّجربة في جميع المستويات، وما يكون به بناء الواقع والتّجربة والتعبير عنهما عند الإنسان باعتماد العبارة اللّغويّة»<sup>1</sup>. وعليه فاللّغة نقطة وصل بين الدّهن

1- الأزهر الرّزّاد: نظريات لسانيّة عرفنيّة، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، دب، دط، دت، ص: 198.

والواقع، وما يقدمه أيضا الواقع من معطيات مقامية وسياقات متنوعة، نمثل لهذه الثلاثية بالمخطط التالي:



الأدوار والقيم صفتان للتعيين الإحالي التداولي في نظرية الأفضية: مثل "فوكونيي"

للمركبات الاسمية المعرفة حسب الخاصية التي قد تحملها ب:<sup>1</sup>

خ(د) خاصة دور خ(دق) خاصة قيمة دور.

والعلاقة بين دور ما وقيمته هي دالة تداولية أي رابطا، وهو الذي يربط بين القادح والهدف (بيننا هذا في أمثلة سابقة)، وتتميز الروابط التي تربط بين الأدوار وقيمها بأنها منفتحة، ويقصد بالانفتاح هنا "التأويل التداولي" المحتمل، مثل:

1- جورج صاند على الرف الأيسر، وهو مجلد أو

2- جورج صاند على الرف الأيسر، وسترى أنها تكتب في غاية الإتقان.

نلاحظ هنا أن تفسير الإحالة مختلف في الجملتين، وتنطبق أيضا صفة الدور على أوقات وأماكن ومقامات وسياقات... الخ.

-الإحالة في نظرية العوالم الممكنة: تُطرح في هذه النظرية، قضية الإحالة والأسماء الأعلام فيما يسمى بـ "العوالم الممكنة"، والعالم الممكن هو عالم يمثل مقاما مخالفا للواقع، أي عالما مفترضا وضمن شروط وصفية حددها مؤسسها "ميل" و "كريبك" (Kripke-Mill)، وفي هذه النظرية، فإن قضية ما صادقة في عالمنا تكون صادقة بالضرورة إن كانت صادقة في العوالم الممكنة كلها، وإن قضية ما صادقة في عالمنا تكون صادقة على نحو غير ضروري إن كانت صادقة في بعض العوالم وكاذبة في عوالم أخرى، وأخيرا فإن قضية كاذبة في عالمنا تكون كاذبة بالضرورة إن كانت كاذبة في العوالم الممكنة كلها.

1- ينظر جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 170-172.

وقد طبقت هذه الاستلزمات وقضايا الصدق والكذب على الأسماء الأعلام، ثم أسماء الأنواع الطبيعية والظواهر الطبيعية والجواهر.

إن إجراءات الإحالة التداولية متعددة بتعدد النظريات اللسانية وحتى الفلسفية، ولا يتسع المقام هنا لسردها كاملة، وفي اكتفائنا بالمذكور أعلاه رغبة في التركيز فقط على المستجدات، فكما هو معروف لـ "بنفينيست" وعلماء لسانيات النص أطروحات وشروحات حول الموضوع. أما ما هو متفق عليه في تحديد إجراءات الإحالة هو التعابير اللغوية التي تؤدي هذه الوظيفة، كالأسماء الأعلام، والمعرفة، وأسماء الإشارة، والضمائر، أسماء الزمان والمكان المعلومة، وكلّ التعابير اللغوية التي تساهم في خلق فضاءات وسياقات ومقامات وبإمكانها أن تحيل إلى المراجع، وتفكّ لبس المعنى.

هناك علاقة تربط بين الجانب النحوي والعناصر اللغوية التي تصلح للإحالة، فالوظائف الإعرابية للكلمات سواء أكانت عناصر أساسية أم متممات دائما ترد في صيغة مبناها على إحدى الصيغ التي حددها اللسانيون للإحالة؛ فنجد "المفعول به" مثلا يأتي نكرة ويأتي معرفة، كالتعريف بأل أو الضمائر، أو الإضافة، كما يرد اسم موصول، أو اسم إشارة، أو اسم زمان أو مكان معلومين، والأمر نفسه ينطبق على باقي المتعلقات.

في المدونة الشعرية التي بين أيدينا، وردت المتعلقات النحوية جلّها في شكل صيغ قابلة للإحالة، وهذا أمر ضروري نابع من طبيعة اللغة قبل أن يدخل في اختيارات الشاعر، فالذوات التي ذكرت في قصائد الديوان في أغلبها تحيل إلى مراجع حقيقية في الواقع، وهذا تتناسب مع طبيعة الموضوعات المتناولة لأنها موضوعات تتعلق بتاريخ الوطن ووقائع هذا التاريخ، وأيضا الواقع الحي المعاش حاضرا وما تضمنه من أحداث.

ثانياً: المتعلقات النحوية المعرفة والإحالة التداولية في المدونة (التعريف)

### 1- ظاهرة التعريف بين النحو والتداولية:

ظاهرة التعريف والتكثير يصطلح عليها بظاهرة التعيين في النحو العربي، التي هي أحد شروط "الإفادة" في الجملة العربية ويبدو أنّ مصطلحي "التعريف" و"التعيين" يتقاربان في المعنى، لأنّهما يحدّدان الدال في الواقع، ولذا جاء في تعريف المعرفة: «تخصيص الشيء وتعيينه»<sup>1</sup>، أي مدرك كنهه، ومعلومة حدوده وماهيته لدى السامع، كقولنا: "دخل أستاذ النحو، فوقف له الطلاب وقفة إجلال". فالكلمات: أستاذ النحو، الطلاب، وقفة إجلال، هي محدّدة ومعينة ماهيتها وكنهها، ومعلومة لدى السامع، وقد حدّد سيبويه أنواع المعرفة في قوله: «الأسماء التي هي أعلام خاصة، والمضاف إلى المعرفة، إذا لم ترد معنى التثوين، والألف واللام، والأسماء المبهمة، والإضمار، فأما العلامة اللازمة المختصة، فنحو: "زيد"، و"عمرو"، و"عبد الله"، وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه...»<sup>2</sup>، وهكذا يستطرد "سيبويه" في ذكر علامات المعرفة بالتدرّج، أي بدأ بالأشد تمكناً في المعرفة، أما "ابن هشام" فقد بدأ في تصنيف المعارف ب"الضمير، قائلاً: «وهو أعرف الستة»<sup>3</sup>، وهذا يدل على اختلاف النحاة حول درجات التعريف، إلا أن المتفق عليه هو أن النكرة أصل والمعرفة فرع.

وذهب النحاة مذهب "سيبويه" في جعل المعارف ستة ومنهم ابن عقيل في شرح

الألفية<sup>4</sup> ومنهم من جعلها سبعة مضيفاً المنادى المقصود بالنداء.<sup>5</sup>

أمّا النحاة المحدثون فلم يختلفوا عن القدامى في تعريف المعرفة أو تحديد أنواعها،

فاتفقوا على أنّها: «اسم يدلّ على معيّن»<sup>6</sup>، وهي أيضاً: «اسم يدلّ على معيّن، نحو: زيد،

1- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، (م س)، ص: 233.

2- الكتاب، 3/2.

3- ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 104.

4- ينظر شرح ابن عقيل، 75/1.

5- ينظر مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ص: 114.

6- ينظر إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب، ص: 434، وإلى بديع إميل يعقوب: (م س)، 329/2، ومصطفى الغلاييني: (م

س)، ص: 114.

بيروت، أنت»، وأنها تتمثل في: الضمير، العلم، اسم الإشارة، اسم الموصول-المعرّف بـ أل، المضاف إلى المعرفة، والنكرة المقصودة بالنداء.<sup>1</sup>

إذا كانت المعرفة هي ما يدلّ على معيّن، أو مخصوص، فإنّ النكرة عند النّحاة هي: «ما شاع في جنس: موجود، كرجل، أو مقدّر كشمس»<sup>2</sup>، وعرفها "ابن مالك"، بقوله: «الاسم النكرة هو الدال على معنى شائع في جنسه»<sup>3</sup>، فإذا قلنا: "رجل" ينطبق الاسم على كلّ إنسان ذكر دون تحديد من يكون، وشاع هذا التعريف عند المحدثين، فعرفوا النكرة بأنّها: «اسم دلّ على غير معيّن، كرجل وكتاب ومدينة» أو هي: «اسم يدلّ على شيء غير معيّن، بسبب شيوعه بين أفراد كثيرة من نوعه تشابهه في حقيقته، ويصدق على كل منها اسمه»<sup>4</sup>.

والنكرة أيضا: «ما تقبل الألف واللام وتؤثّر فيه التعريف، أو يقع موقع ما يقبل "أل"»<sup>5</sup>، فالألف واللام هي علامة النكرة فمتى قبل الاسم أن تدخل عليه فهو نكرة.<sup>6</sup> والملاحظ أنّ هناك من النّحاة من عزّف النكرة وحدّد علاماتها، ولم يعرفوا المعرفة مكتفين بذكر أنواعها.<sup>7</sup>

ومن الناحية الاستعمالية (التداولية) أنّ التعيين (التعريف) لا يكون إلا في حال الاستعمال، والدليل على ذلك التعيين الذي تتطلبه الضمائر، مثل: أنا، أنت، فقولنا: "أنا مجتهد" قد استعمله في متكلم معيّن<sup>8</sup>، إذا فالنكرة تفيد الشّيوخ والعموم، والمعرفة تفيد التعيين والخصوص، وفي كلتا الحالتين لهما فائدتهما الاستعمالية بحسب المقام، وهي التي قصد بها النّحاة "درجات التعريف" و"درجات التّكثير"، الخاضعة لمقياس القوّة والضعف، «فمجال

1- ينظر المراجع السابقة.

2- ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 104.

3- ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت، تح: عدنان عبد الرحمان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ- 1977م، 1/137.

4- إميل بديع يعقوب: (م س)، 2/424.

5- شرح ابن عقيل: 1/74.

6- ابن مالك: شرح عمدة الحافظ، 1/137.

7- نذكر منهم "سيبويه" وابن هشام.

8- ينظر محمد محي الدين عبد الحميد: هامش كتاب شرح قطر الندى، ص: 104.



الوسم والتخصيص يبدأ من التام في التكرير إلى الناقص فيه أي المعرفة<sup>1</sup> و«الانطلاق من النكرة أي من أول خفيف البنية يدل على أن عملية الوسم تجري بالزيادة والتنقيل من غير إجحاف يرفضه النظام اللغوي، فيتقلص بالزيادة والتغيير اللفظي المعنى الشائع في الإبهام، وينقص العام ليتوجه نحو الخاص»<sup>2</sup>.

وهذا هو نهج "سيبويه" في تفسير حقيقة التعريف والتكرير، حيث يقول: «اعلم أن النكرة أخفّ عليهم من المعرفة، وهي أشدّ تمكّناً لأنّ النكرة أول ثم يدخل عليها ما تُعرف به، فمن ثمّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة»<sup>3</sup>، وقد تعمق العلماء بعد سيبويه في التحري عن درجات التكرير، أي بدءاً بأنكر النكرات، فجعلوا كلمة "شيء" أنكر النكرات، لأنه مبهم في الأشياء كلها<sup>4</sup>، وفي ذلك يقول "المبرد": «فأنكر الأسماء قول القائل: شيء؛ لأنه مبهم في الأشياء كلّها، فإن قلت: "جسم" فهو نكرة، وهو أخص من شيء كما أن حيواناً أخص من جسم وإنسان أخص من حيوان ورجلاً أخص من إنسان»<sup>5</sup>، نلاحظ هنا أن "المبرد" بدأ من أنكر النكرات إلى أضعفها.

اختلف النحاة في معايير تحريّ درجات التكرير، كـ "ابن السراج"، و"الخضري"، و"ابن عصفور"، و"الأشموني"<sup>6</sup>، واتفقوا على أنّ التّوئين علامة فارقة بينه وبين التّعريف، من حيث قانون الإعراب، أمّا ما ذكر سابقاً فإنّه خاضع لمعايير دلالية مقامية.

يرى "المنصف عاشور" أن الاسم المعرفة ينتقل في التّخصيص والتّعيين من تام التّكرير إلى أنقصه أي إلى باب المعارف أو من أنقص التّعريف إلى تامّه<sup>7</sup>، وفي ذلك درجات، لذا حاول النحاة أن يضبطوا ذلك التّفاوت بقاعدة: «كلّما كان الشّيء أخصّ كان

1- المنصف عاشور: (م.س)، ص: 228.

2- نفسه.

3- سيبويه: الكتاب، 47/1.

4- أبو جر جيس عطية القيسي: الاختيارات النحوية لأبي حيان، دراسة وتحليل، ص: 54.

5- أبو العباس المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمية، وزارة الأوقاف، مصر، 1415هـ-1994م، 186/3.

6- ينظر أيوب القيسي: (م.س)، ص: 55، والمنصف عاشور: (م.س)، ص: 231.

7- المنصف عاشور: (م.س)، ص: 233.

أعرف»<sup>1</sup>، ولم يستندوا إلى قول "سيبويه" في ذكره لأنواع المعارف، وأعرف المعارف المتداول عندهم هو "الضمير"، لذا قال "ابن هشام": «وهو أعرف الستة، ولهذا بدأت به، وعطفت بقية المعارف عليه بثم»<sup>2</sup>.

وذهب مذهب "ابن هشام" في الترتيب بعض النحاة في جعل الضمير أولاً ثم العلم ثانياً ثم المبهم (اسم الإشارة)، ثم ما فيه الألف واللام<sup>3</sup>، ومنهم "الاستراباذي" الذي استند في تصنيف الاسم المعرفة إلى الدلالة المتحققة في سياق المتكلم والمخاطب أيضاً، والمعرفة في نظره «ما أشير به إلى خارج مختص إشارة وضعية»، وهو هنا يقصد تعيين المرجع في الواقع بحسب ما تعارف عليه، وفصل في موضوع المعرفة، وجعل لكل نوع أحكام وقيود<sup>4</sup>، وقد خالف "أبو حيان" ذلك، ذاهبا مذهب "السيرافي" في اختياره "العلم الشخصي" أعرف المعارف، ثم يليه المضمرة، ثم المبهمة، ثم ذو (أل).<sup>5</sup>

والملاحظ أنّ الخلاف في أعرف المعارف ليست فيه فائدة كثيرة، لأنّ الأحكام التي بناها النحاة عليه لا تؤثر على المعنى.<sup>6</sup>

أما المنادى المقصود بالنداء، فقد وضع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" أن التعريف فيه كالتعريف بـ"أل"، في قوله: «وذلك أنّه إذا قال: يا رجل ويا فاسق، فمعناه، كمعنى يا أيها الناس ويا أيها الرجل، وصار معرفة، لأنك أشرت إليه وقصدت قصده»<sup>7</sup>، فالحال شاهدة على التعيين.

1- أبو عطية القيسي: (م.س)، ص: 56.

2- ابن هشام: شرح قطر الندى، ص: 104.

3- ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف، ص: 101 وما بعدها، وشرح المفصل، 87/5، وشرح الرضي على الكافية، 546/2. و"الرضي" اكتفى بقوله: «وأعرفها الضمير المتكلم ثم المخاطب» وهذا في باب "أقوى المعارف".

4- شرح الكافية للاستراباذي، ج3، 335.

5- أيوب عطية القيسي، (م.س)، ص: 58.

6- نفسه.

7- الكتاب، 199/2.

أما بالنسبة للوظيفة الاستعمالية للاسم المعرفة، فقد بيّنا سابقا أنها تفيد التعيين في الواقع، أي تشير وتحيل إلى مراجع، وحدّد "سيبويه" القرائن اللغوية الدالة لأنواع المعارف التي تحدّد "عمرا" من "عبد الله" في الواقع، وكاف الخطاب في قولك "أخوك، أبوك"، فهي التي حدّدت وعيّنت. أمّا الاسم المبهم "كاسم الإشارة"، و"الاسم الموصول"، فإنّ القرينة غير لغوية أي مقامية، فقولنا: "هذا" لا يتحدّد مدلولها إلا في الاستعمال الفعلي، فيظهر المقصود بالإشارة إليه (المشار إليه) حسيا. ويفصّل "ابن يعيش" في "شرح المفصل" في ذكر قرائن ترتيب المعارف في قوله: «فمنها العلم الخاص نحو زيد وعبد الله، فهو معرفة لأنه موضوع بإزاء واحد بعينه لا يشركه فيه غيره... ومنها المضمّر... وإنّما صارت المضمّرات معارف، لأنّك لا تضمّر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود... ومن ذلك "الأسماء المبهمة"... ومعنى الإشارة للإيماء إلى حاضر... ومعنى التّعريف فيه أن يختص واحدا ليعرفه المخاطب بحاسة البصر...»<sup>1</sup>، نلاحظ هنا دقّة التّحديد في ترتيب المعارف بالاستناد إلى المقام الذي يتطلّبه كل معرّف ووضعية السامع أثناء الخطاب، وهذا يصب في صميم التأويل التداولي للإشارات.

أدى التّنوع في القرائن الدالة على المعرفة إلى تقسيمها إلى: معرفة أصلية، والتي يكون فيها الاسم معرفة بنفسه "كاسم العلم"، ومعرفة بغيره كالمضاف إليه واسم الإشارة، وغير ذلك.<sup>2</sup>

اهتم البلاغيون أيضا، بتبيان بلاغة التّعريف في باب أحوال المسند إليه والمسند، وأحصوا في ذلك أغراضا كثيرة تُبيّن أن لظاهرة التّعريف والتّكثير أحوالا مقامية يجب مراعاتها، ومن هذه الأغراض ما يتعلّق بذكر المسند إليه معرّفا بالعلمية، إمّا لإحضار له بعينه في ذهن السامع، أو لتعظيمه أو لإهانته وإما للكناية وإما في مقام إيهام أنك تستلذ

1- ابن يعيش، شرح المفصل، 86/5.

2 - أحمد عبد العظيم عبد الغني: المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1435هـ- 2014م، ص:124.

اسمه العلم أو التبرك به<sup>1</sup>، وتعمق البلاغيون في ذكر الأغراض من ذكر المسند إليه والمسند معرّفين، سواء أكان التعريف ضميراً أم اسماً موصولاً، أم اسم إشارة<sup>2</sup>، وفي التحري عن مقامات استعمالها يحمل من نقاط التقارب بين الغرض البلاغي والبعد التداولي الشيء الكثير.

حاول "صابر الحباشة" أن يقارب بين البحث البلاغي والبحث التداولي في تناولهما لظاهرة التعريف، فتوصل إلى أن<sup>3</sup>:

- الكلمات: ذات الدلالة الأصلية المنسوبة إلى من يتكلم، يسميها "عناصر مركزية الذات"، وذلك نحو: "هذا" و"ذاك"...الخ.

- العناصر المركزية يتم تعريفها ضمن أطروحة اختزالية بسيطة، يعني أن اسم الإشارة يختزل وراءه نوات تتحدّد الذات التي يدل عنها حين الاستعمال، ويمثل لذلك بمقال "رسل" (Russell) عن الوظيفة الإحالية لـ "هذا"، فالضمير "أنا" تعني: السيرة التي ينتمي إليها "هذا"، و"هناك" تعني مكاناً: "هذا"، و"الآن" تعني: "زمن هذا"...الخ.

تنتمي الضمائر في الدرس اللغوي إلى صنف الإشارات، ونخص بالذكر هنا "ضمائر المتكلم والمخاطب"، وأيضاً أسماء الإشارة التي عدّها نحاة العربية أحد درجات التعريف، وقد اتفق الدرسان العربي والغربي على أنّ معنى هذه العناصر، لا يتحدّد إلا عند الاستعمال<sup>4</sup>، وهذا ما أكّد عليه "مليّنر" (Milner) الذي يرى أن العناصر الإشارية تفتقر إلى

1 - ينظر مفتاح العلوم، ص: 180، 181 وتلخيص المفتاح للقرويني، نسخة إلكترونية للمكتبة الإلكترونية الشاملة، ص: 22، 23، ومطوّل سعد الدين التفتازاني على التلخيص للخطيب القرويني، (م س)، ص: 71 وما بعدها. وحاشية الدسوقي على مختصر سعد الدين، (م س)، ص: 495.

2- ينظر حاشية الدسوقي، ص: 487 وما بعدها. ومحمد محمد أبو موسى، (م س)، ص: 93.

3- ينظر صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 116.

4- ينظر: جاك موشر وأن ريبول "القاموس الموسوعي للتداولية"، ص: 110. وقد اتفق الفكر التداولي مع الفكر النحوي العربي في أن الضمائر وأسماء الإشارة تفيد التعيين حال الاستعمال.

الاستقلال الإحالي، بما أنها لا تستطيع تعيين مرجعها بمفردها<sup>1</sup>، أي تحتاج إلى قرائن لغوية، وسياقية حتى تؤدي وظيفة التعيين.

قضية التعريف والتذكير إذا، هي قضية تداولية، وطُرحت بقوة في قضايا الإحالة، وإشكالاتها من المنظور الغربي، فقد عالجت نظرية الفضاءات الذهنية، قضية التعريف والتذكير، مفرقة بينها بالقرائن اللغوية كأداة التعريف "أ"، وأن الأفضية، مكونة من عناصر لغوية، ترد نكرة كما ترد معرفة، ففي وضع النكرة «المركب الاسمي [الواقع نكرة] م س، في تعبير ما، يبني في فضاء ما عنصرا جديدا "ع" بحيث يكون س (ع) صحيحا في هذا الفضاء، و«إن المركب الاسمي [الواقع معرفة] أ+س، في تعبير لغوي ما، يدل على عنصر "أ" سبق بناؤه في فضاء ما ف بحيث يكون س (أ) صحيحا في هذا الفضاء»<sup>2</sup>.

أما في نظرية العوالم الممكنة، فإن "ميل" و"كريبك" ينظران إلى أن «للأسماء (اسم العلم) مرجعا وليست لها دلالة، فإننا لا نتبين فعلا كيف يمكن للمخاطب أن يسند مرجعا للاسم العلم المستعمل من قبل المتكلم، ويقدم "كريبك" أطروحة السلسلة السببية لتوضيح مسألة تعيين مراجع للأسماء، الأعلام، ووفقا له توجد، في البدء "تسمية" أولية حيث يسند اسم علم ما لشيء ما بتعيين هذا الشيء على نحو إشاري، وذلك بجارحة من الجوارح على سبيل المثال، أو على نحو وصفي، ثم يتسنى لسائر الجماعة اللسانية أن تتعلم استخدام الاسم العلم»<sup>3</sup>

من خلال كل ما سبق نخرج بنتيجة وهي أن في المعرف من الناحية التداولية قوة إحالية تعيينية إنجازية تتفاوت حسب مقاماتها، وقد أدرك القدماء طبيعة هذه القوة الإحالية التداولية، فراحوا يدققون في ذكر مراتبها؛ وملاحظاتهم لا تختلف كثيرا عن الطرح التداولي المعاصر لقضية الإحالة ومدى مطابقة المقام للصيغة التركيبية لأنواع الأسماء من حيث التعريف والتذكير.

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص:167.

3- المرجع نفسه، ص:173.

## 2- الإحالة التداولية في المعرف بـ "أل":

أ- تمهيد نحوي تداولي للمعرف بـ "أل": «اعتبرت أداة التعريف عند النحاة علامة وسابقة في الأسماء المعارف التي تنقلها من التذكير فتعيّنها لفظاً ومعنى، فهي أداة توضيح وتعيين بعد العموم، وهي في نظرهم عوض عن التثوين (...)، ويرى النحاة أن المقصود من أداة التعريف هو "تعيين الشيء بعينه دون سائر أمته"، فإدخالها على الأسماء عبارة عن عملية تنبيه وتذكير بالمسمى المعروف، وقد أجرى النحاة الأداة مجرى القرائن اللفظية الدالة على رفع اللبس بالإشارة إلى المسمى المقصود».<sup>1</sup>

فالألف واللام عند النحاة قرينة لغوية تنقل الاسم من حالة النكرة إلى حالة المعرفة مثل: رجل ← الرجل، ثوب ← الثوب، «وإنما صار معرفةً لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنك إذا قلت: "مررت برجل"، فإنما زعمت أنك إنما مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب، وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلاً قد عرفه، فنقول: "الرجل الذي من أمره كذا وكذا"؛ ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره».<sup>2</sup>

وأراد "سيبويه" من استعمال الألف واللام أن وظيفة التعيين لا تتبين إلا عند الأداء الفعلي للكلام، وهي قرينة لغوية غير كافية للتعيين وحدها إن لم يوجد مقام تتوفّر فيه عناصر الرسالة الكلامية: "متكلم، مخاطب، رسالة كلامية، سياق"، وهو الذي يفهم من كلام "سيبويه"، وتتم عملية التعيين في ذهن المتكلم وفق عامل الاختيار، أي على محور الاستبدال والتركيب كآتي: رجل ← الرجل ← الرجل الذي جاء غاضباً.

نلاحظ أن إضافة "أل" التعريف وحدها، لم يحقق تعيين الشخص المقصود تعييناً مضبوطاً، حتى أضفنا التركيب: "الذي جاء غاضباً"، وهذا التحديد تطلبه المقام.

1- المنصف عاشور: (م س)، ص: 238.

2- الكتاب، 3/2.

«إذا وردت "أل" مع الصفات فهي ضمير موصول، وليست أداة تعريف، ويرجع ذلك إلى طبيعة دلالة الصفة لا إلى "أل" نفسها»<sup>1</sup>، وذلك مثل: الضارب، أي "الذي ضرب".

وقد أجمع العلماء على أن أل تنقسم حسب معناها في الجملة إلى أقسام:

- **أل العهدية:** أو التي للعهد، «وهي التي تدخل على النكرة، فتفيدها درجة من التعريف تجهل مدلولها فردا مُعيّنا بعد أن كان مُبهما شائعا»<sup>2</sup>.
- ويكون مصحوبها معهودا عهدا ذكريا، كقولك: رأيت رجلا فسلمت على الرجل، فكلمة "الرجل" تعود على مذكور قبله (رجل)، وهي هنا في قوّة ضمير الغائب العائد والتقدير: "فسلمتُ عليه"<sup>3</sup>.

- **أل الذهنية:** أي مصحوبها معهود في الذهن، كقولك سائلا زميلك: ما أخبار الجامعة؟ فالجامعة: معهودة في ذهن كل من المتكلم والسّامع.<sup>4</sup>

- **أل الحضورية:** أي يكون مصحوبها حاضرا وقت المتكلم، حاضرة لدى المتكلم والسّامع، مثل: "سئمطر اللّيلة"، فكلمة "اللّيلة" مُعرّفة تعريفا حضوريا<sup>5</sup>، وهي في قوّة اسم الإشارة<sup>6</sup>.

- **أل الجنسية:** «وهي تعرّف الجنس وتُبهم كلّ فرد من أفراده لأنّها في قوّة "أي"، والمعنى نستشفّه من قولنا: "الحصان أسرع من الحمار"، أي: "أيّ حصان أسرع من أيّ حمار»<sup>7</sup>.

- **أل التي للحضور:** هي الواقعة بعد اسم الإشارة غالبا، نحو: الآية: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، وبعد أيّ في التّداء (يا أيّها).<sup>8</sup>

1- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 157.

2- إميل بديع يعقوب: (م.س)، ص: 181.

3- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 158.

4- إميل بديع يعقوب: (م.س)، ص: 181/1.

5- نفسه.

6- تمام حسان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص: 158.

7- نفسه.

8- إميل بديع يعقوب: ص: 182/1.

وترتيب أنواع "أل" التعريف من العام إلى الخاص يكون على التسق التالي:

التعريف بالجنسية ← العهدية ← الموصولة ← البدلية ← الضميرية ← العلمية

والاسم القابل لدخول (أل) التعريف يسمّى الاسم المشترك.

وينظر البلاغيون لأنواع "أل" التعريف، على أنها أغراض ومعان استعمالية خاضعة للسياق<sup>1</sup>، وقد تُستعمل لأغراض أخرى نفهما من سياق الكلام، كغرض التخصيص في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه، الآيات 67، 68)، والمعنى: أنت الأعلى لا هم<sup>2</sup>، أي خصّه بالعلية.

وتوسّع البلاغيون في ذكر أغراض تعريف المسند والمسند إليه وكذلك التكرير، لأنهما حالتان من أحوالهما، دون ذكر أو دراسة أغراض التعريف التي تلحق المتعلقات النحوية، وسنحاول في هذا البحث سد النقص المتعلق بحالة التعريف والتكرير كأحد أحوال المتعلقات النحوية التي غفل عن ذكرها البلاغيون إلى جانب "الحذف، والتقديم والتأخير...".

### ب- أنواع المتعلقات النحوية المعروفة بـ "أل" في الديوان:

-المفعول به: "المفعول به" تداولياً «هو ما يقع عليه فعل الفاعل»، أي يحدث به فعل تداولي كلامي، كان القصد منه وقوعه عليه، ومن الناحية المنطقية، نرى أنّ معنى الفاعلية يحيل في الواقع على الذي يمكن أن يصدر منه الفعل حقيقة، والمفعول به يحيل إلى من يقع عليه الفعل الكلامي في الواقع حقيقة، وشرط نجاح الإحالة هنا، كما ذكر "جون سيرل" الوجود والتعيين. فقول الولي: "زوجتك ابنتي"، (الكاف) وكلمة (ابنتي) وقعا مفعولين من الناحية الإعرابية، ومن الناحية المنطقية، ومن الناحية التداولية، فقد أدّى دور الإحالة إلى من وقع عليه الفعل الكلامي في الواقع حقيقة، وصارت البنت زوجة للمخاطب بموجب أنهما طرفان في عقد الزواج، وعليه فالمفعول به هنا هو جزء من القضية ولولا تعيينه النحوي

1- ينظر محمد محمد أبو موسى، (م.س)، ص: 192-210.

2- المرجع نفسه، ص: 305.



المنطقي السابق لدوره التداولي لما كان هناك فعل كلامي مُنجز (إنشاء عقد). ونشير هنا إلى اهتمام "سيرل" بالعناصر النحوية المشكّلة للمحتوى القضويّ الإحاليّ لأيّ فعل كلاميّ.

وقد ورد المفعول به بكثرة في قصائد الديوان المعنية بالدراسة، ولعب دورا كبيرا في إغناء النصوص بظاهرة الإحالة سواء معرفًا أو منكرًا.

ولا حظنا أن "الاسم المعرفة" يكون في مقام الوطنيّات وإبراز المآثر والوقائع التاريخية لأنّ الشاعر في حاجة إلى إبراز الحجّة على صدق مشاعره الوطنيّة، وجراته في مواجهة أعداء الوطن بالكلمة والحجّة، فللمعرّف خاصة بالألف واللام قوّة إنجازية في إثبات صدق المشاعر والنوايا.

ورد "المفعول به" معرفًا كثيرا في القصائد التي تتغنّى بالوطن، وفي ميل الشاعر إلى المعرّف (الوصف المحدّد) دلالة على سمة قوّة التأثير في الفعل الكلاميّ المشتغل بالوقوع على المفعول به المعرفة، وسمة التعريف في المفعول به استعملت على عدّة وجوه، ومنها المعرّف بأل الذي سنحلّل قوّته الإحالية في هذا المطلب:

أغلب ما ورد المفعول به المعرّف بالأداة ورد معرفًا بـ "أل" العهديّة، ووظيفتها التداولية هي "إحالة تعيين" على مراجع معهود ذكرها للمخاطب، أي على علم بها، فهي جزء من واقعه الذي يشترك فيه مع المتكلّم الذي تتعدّد فيه نوعيّة المراجع ثقافيًا، وتاريخيًا، ووطنياً، واجتماعيًا، وسياسيًا، ودينيًا، وقوميًا... الخ، ونلاحظ ذلك في قول الشاعر:

خأنوك يا وطن السّلام ومزّقوا	فيك الوئام فرحت تزحف للمنون! <sup>1</sup>
نسجوا المكيدة في الظلام وهمشوا	كلّ الرجال الأوفياء الخييين
نشرُوا التلوّث في العقول وشجّعوا	روح التمرد في البنات والبنيين
وأرى المثقّف في الرّبوع مهمّشًا	متشرّدًا تغتأله الأتعاب. <sup>2</sup>

1- الديوان، ص: 8، 9.

2- الديوان، ص: 75.

فـ "المفاعيل" في هذين البيتين: الوئام، المكيدة، التلوث، معرفة بـ(أل)، وهذا النوع يسمى "أل العهدية"، ومصحوبها هنا معهود "عهدا ذهنيًا" لدى كل من المتكلم والمخاطب، فهذه المفاعيل الثلاثة المعرفة تحيل إلى الواقع الذي يعيشه الوطن من خلال ما تعرّض له من مكائد ومحن، ومنه قول الشاعر:

أغرقتُ البلادَ في حقدِ دفينِ أسود<sup>1</sup>

وأغلب ما استعمل الشاعر (ال) العهدية التي مصحوبها معهود عهدا ذهنيًا، أمّا البدلية من المفعول به أو الموصولية، فكانت قليلة جدًا، وأمّا الأنواع الأخرى فلا تكاد توجد.

-المُضَاف إليه: ورد المضاف إليه مُعرِّفًا بـ "أل" كثيرًا في قصائد الديوان لحاجة الشاعر إلى ذلك، والغرض من وروده مُعرِّفًا هو تحقيق "إحالة التّعيين"، أي تحديد مراجع معروفة لدى كل من المتكلم والسّامع، فتكون "أل" في تلك المواضع مع محصوبها معهودا عهدا ذهنيًا لكل منهما، وذلك كقول الشاعر:

ماذا عليك لو اتّخذتَ جبالها      مهّدَ الجمالِ إلى خيالكِ مشعرا<sup>2</sup>  
في قِمةِ الأوراسِ يومَ تشامختُ      هممُ الرجولةِ في جلالِ نوفمبرا  
يا أيُّها الجيلُ الذي لم يدخر      نبضَ الحياةِ لكي نسودَ على الثرى!

فنلاحظ المضافات إليها: "الجمال، والأوراس، والرجولة، والحياة...تحيل إلى مراجع معروفة في الواقع هي المقصودة عند الشاعر دون غيرها، وانتماؤها الدلالي ملائم لموضوع القصيدة، وهو "التغني بالوطن".

-الاسم المجرور والنعت والمعطوف: استعمل الشاعر الاسم المجرور المُعرِّف "بال"، وأغلبها أفادت مع مصحوبها عهدا ذهنيًا، كقول الشاعر:

غذّيه بالقيمِ الأصيلةِ إنّه      يرث الفضائلِ منشأً وتأثرا<sup>3</sup>  
وغرست حبك في الفؤاد ولم أزل      أهواك دوما شامخا متجبرا

1- الديوان، ص: 15.

2- الديوان، ص: 05.

3- الديوان، ص: 5-7.

### وطني عشقتك في الملاحم قصّة صاغت روائعها حروفاً نوفمبراً

فالآلف واللام: في الكلمات: "الفؤاد"، "بالقيم"، في "الملاحم" غرضها إفادة مصحوبها العهد الذهني، لأنها تمثل حملاً معلوماً في ذهن السامع والمتكلم، كما أن استعمال الشاعر التعريف هنا أمدّ الحمول المعرفة بقوة إنجازية غرضها إثبات الشاعر اعتزازه بالقيم الوطنية، على عكس ولو جاءت نكرة، مثل: وطني عشقتك في ملاحم أو "غرست حبك في فؤاد".  
ومثل هذه القوة التعريفية التحديدية التخصصية لسماوات معلومة معروفة، يكون الاعتزاز بذكرها معرفة، قول الشاعر:

### ويعلن للخائنين والشامتين بأنّ الجزائر لا تهزم<sup>1</sup>

فاستعمال الشاعر للاسم المجرور معرفاً طلباً لتحديد وتعيين المقصود بالفعل الذي هو حكمي (يعلن)، فهو في موقف "ذم" متعلقه ومقصوده معلوم لدى المتكلم والسامع، فلو استعمله نكرة (خائنين وشامتين)، نقول أنّ الغرض من "التنكير" هو الخوف من الأعداء، ولكن الشاعر بدا شجاعاً في قول الحقيقة وتحديد المقاصد صراحة، إذا فأحد أغراض ذكر الاسم المجرور معرفة، هو التصريح دون التلميح.

أما بالنسبة للإحالة بـ"الصفة" أو "النعته"، فإننا سبق وأن تحدثنا عن الوصف المحدد وغير المحدد في الإحالة التداولية، والملاحظ على "النعته" في قصائد الديوان، ورد على الوجهين، وذلك بالنظر إلى المنعوت أي الموصوف، ولكل وصف أبعاده التداولية حسب ما ورد في الديوان، وقد شاع الوصف المحدد، وكان هو الغالب، ولذكّره محدداً غايات، وهي التعيين، وبمصطلح أحمد المتوكّل "يؤدّي وظيفة إحالة "تعيين"، أما ذكره غير محدّد، فيؤدّي وظيفة "إحالة بناء"، ونمثّل للصنف الأول بقول الشاعر:

### قدستُ فيك عقيدتي وعروبتي وشربتُ حُبهما العظيم مُطَهراً<sup>2</sup>

1- الديوان، ص: 70.

2- الديوان، ص: 07.

فكلمة العَظيم " نعتٌ محدّد لأنّ منوعته محدّد أي تمّ تعيينه وهو كلمة "حبّهما"، لأنّ الشّاعر في موقف إفصاح عن المشاعر الوطنيّة، دلّت عليه الإحالات التّعينيّة في الشّطر الأوّل: "عقيدتي"، وقصدية الشّاعر هنا "تأكيد" هذه المشاعر في نفسية المتلقّي، والتأثير فيه ليشاركه هذه الأحاسيس التي تتعلّق بقديسيّة الرّموز الوطنيّة والدينيّة، ومنها قوله أيضاً:

**عَنْ حَالِ يَغْرَبُ فِي مَنَازِلِ هَاشِمٍ فِي مَهْبِطِ الْأَضْوَاءِ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ<sup>1</sup>**

والنّعت ومنوعته هنا المحدّدين: "البلد الأمين".

ومنها قوله:

**قَالَتْ جَزَائِرُنَا الْوَفِيَّةُ وَالْأَسَى بِأَدِ عَلَيْهَا لَا تَخْفُ وَوَلَدِي الْأَمِينِ.<sup>2</sup>**

فالنّعت ومنوعته المحدين هنا هما: "جزائرننا الوفيّة" " وُلدي الأمين".

استعمل الشّاعر الوصف المَعْرِفَة (النّعت) في مواضع كثيرة، أي النّعت المَعْرِف بالآلف واللام، والغاية من ذلك نحوية أي يتبع متبوعه المتطلّب لذلك الوصف، كقول الشّاعر:

**فَاسْتَوَظَنَ الْجَهْلُ اللَّعِينُ بِمَوْطِنِي وَسَطَا اللَّصُوصَ عَلَى الْبِلَادِ فَأَفْسَدُوا<sup>3</sup>**

فالنّعت "اللّعين" تبع منوعته "الجهل" في التعريف، والغاية من ذكر النّعت المعرفة هو التخصيص والتحديد المراد من ورائه الزيادة في درجة التعريف، فلو استعمل الشّاعر كلمة "الجهل" لوحدها، لأفادت "أل" التعريف الاستغراق والشمول، أما استعماله موصوفاً، فقد خصّ التعريف أكثر أي التّحديد والتّعيين، وهنا النّعت تبع منوعته أيضاً حتى في التقارب الدلالي المعجمي فاللّعين زادت "الجهل" ذمّاً وشناعة.

استعمل الشّاعر الوصف بعد المنادى "أيّها" أو اسم الإشارة "هذا"، وجاء معرفاً بالإشارة أي محدّداً ومعيناً، ونوع الإحالة التي أدّها هنا هي إحالة تعيين أي أنّ كلاماً من

1- الديوان، ص: 08.

2- الديوان، ص: 12.

3- الديوان، ص: 49.

المتكلم والسامع لا يخلو ذهنهما من المرجع الذي تحيل إليه في الواقع، وعلى مثال ذلك يقول الشاعر:

يا أيها الجيلُ الذي لم يدخرِ      نبض الحياةِ لِكَي نَسُودَ على الثرى<sup>1</sup>

فكلمة "الجيل" هنا، هي إحالة تعيين من منظور النحو الوظيفي، وإحالة إشارية من المنظور التداولي العام، لأنها جاءت بعد "مُنَادَى"، والمُنَادَى هو إحالة إشارية يعين بها كل من المتكلم والسامع مرجعاً محدداً في الواقع، وهو هنا "جيل ثورة نوفمبر"، احتاج الشاعر لتعيينه لأنه في موقف مَدْحٍ، والمدح حالة ذهنية لا تصدقُ على مبهم. ومن نماذج هذا البيت الشعري أبيات أخرى، منها:

حَضَارَتْنَا أَيُّهَا النَّرْجِسِيُّ      يُهَدِّدُهَا فِي الْبِلَادِ الْغِيَابُ<sup>2</sup>

الشاعرُ في مَوْقِفِ دَمٍّ أو عتاب، وجب عليه تحديد العنصر الإشاري، ومفسره هنا هو النعت المعرّف بالألف واللام، وقوله أيضاً:

يا أيُّها الجيلُ الخدَّرُ كَفَّ عن      هذا الصِّراعِ وَعَدُّ لِرِشْدِكَ مُسْرِعًا!<sup>3</sup>

يَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمَعْرَشُ فِي دَمِي      مَالِي أَرَاكَ مُحَاصِرًا تَتَرَدَّدُ؟<sup>4</sup>

ذِكْرُ النعت بعد اسم الإشارة أيضاً، هو عبارة عن إحالية تدخل ضمن الإحالة الإشارية، ومنها قول الشاعر:

إِنْ أَنْكَرُوا كُلَّ الشَّوَاهِدِ وَالرُّؤْيَى      وَتَجَاهَلُوا هَذَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينُ<sup>5</sup>

ف"الكتاب"، فسّر وحدّد وعيّن اسم الإشارة "هذا"، واستطاع القارئ تحديده في الواقع، والأمر نفسه ينطبق على: "مِنْ رَسْمِ هَذَا الْمَشْهَدِ"، "تَلَعْنُ هَذَا الشَّبَابَ". "بهذا الجنون".- عَنْ هَذَا

1- الديوان، ص: 05.

2- الديوان، ص: 21.

3- الديوان، ص: 24.

4- الديوان، ص: 50.

5- الديوان، ص: 10.

الصّراع"، "هذا الجحود"، "لهذا النداء" "بهذا الفضاء"، "هذي الرُّوع"، "هذا الرّمان"، "هذا الجرح" "لهذا الحفل" "فُبَيْلَ ذاك المَوْعِدِ".

نلاحظ على هذه العبارات الإحالية المذكورة في الديوان كيف أنّ "النعته" أدى دور التحديد في الواقع، واحتاج الشاعر لهذا النوع من التراكيب لأنه في موقف عرض الحقائق حتى تصل الرسالة واضحة للقارئ، وهذه الإحالة تناسب الشعر الواقعي، لاسيما أنّ "البدلَ جَاءَ مُعْرِفًا بـ "أل"، فاجتمعت الإشارة والتعريف معا.

استعمل الشاعر "الاسم المجرور" المعرّف بـ"أل" التي أفادت الاستغراق والشمول، كقوله:

جثت العقولُ أمام روعة فنّها      حيرى تسبّح للجمال وتسجد<sup>1</sup>

فالتّعريف في الاسم المجرور "للجمال أفاد استغراق الجنس أي "الجمال أيّا كان"، ومنها قوله أيضا:

يبنى النفوس على الفضيلة والتقى      يسمو بها فوق الخلاف ويصعد<sup>2</sup>

"فالاسم المجرور: "الفضيلة" والاسم المعطوف: "التقى" أفادا الاستغراق.

استعمل الشاعر الاسم المعطوف المعرّف بالألف واللام، والمجرور، كقوله:

فلا بدّ أن يتخطى الصّعب      ويظفر بالحلم والمقصد<sup>3</sup>

وقوله:

وتعصف بالظالمين وبالخائنين      ومن أمهلتهم ولم يفهموا<sup>4</sup>

وكل تلك الأسماء المعرّفة: "المقصد"، "الخائنين" الغاية منها هي التعيين.

1- الديوان، ص: 48

2 - الديوان، ص: 51.

3 - الديوان، ص: 56.

4 - الديوان، ص: 64.

### 3- الإحالة التداولية في المعرف بالضمير:

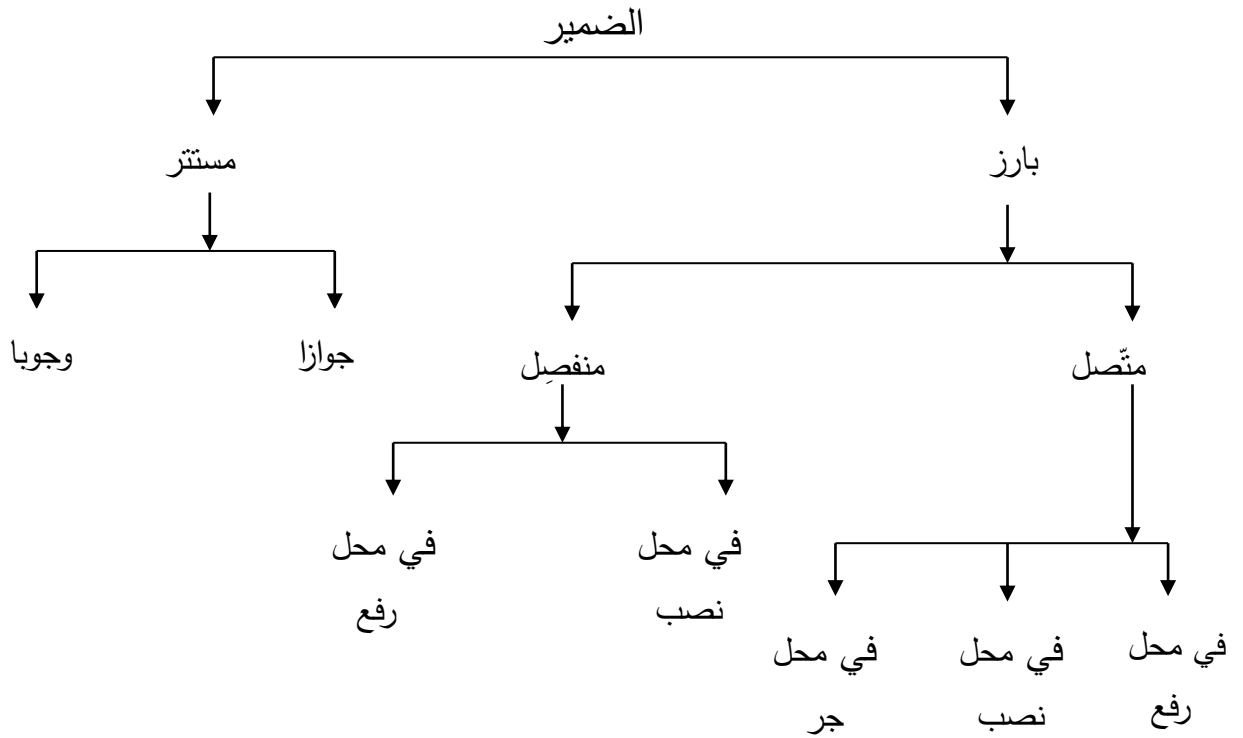
أ- الضمير بين النحو والتداولية: التعريف بالضمير أقوى درجات التعريف كما عرفنا ذلك سابقاً، وهو يخضع للاستعمال من أجل أن يتعين ويتحدد المقصود بالخطاب، وهو إما ضمير متكلم، أو مخاطب أو غائب.

ينتمي الضمير إلى الإحالة الذكورية الدالة على ذات داخل الخطاب، لكنهم حصروها في اتجاه واحد، إحالة ضمير أو اسم إشارة على مذكور سابق، وسميت عوداً، مثل: رأيت زيدا وسلمت عليه، وقد مُثل لها في نظرية النحو الوظيفي بالترسيمة التالية:<sup>1</sup>

[[رأيت زيدا]] و[[سلمت عليه]].  
 فالضمير "الهاء" يعود على زيد.

والضمير في النحو العربي: «ما يُكنى به عن متكلم أو مخاطب أو غائب، فهو قائم مقام ما يكتى به عنه، مثل: "أنا وأنت وهو"، وكالتاء من "كتبتُ وكتبتَ وكتبتِ"». <sup>2</sup>

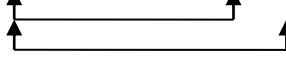
ونختصر لأنواع الضمير في المخطط الآتي:



1 - ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 87.

2 - مصطفى الغلاييني: (م.س)، ص: 89.

والضمير في العربية لا يعود على متقدّم فقط، أي يحيل إلى مرجع سبق ذكره، فالإحالة يمكن أن تقوم «بين ضمير ومركّب اسمي لاحق، وهي الإحالة التي يمكن تسميتها "الإحالة التّقدميّة" في مقابل الإحالة الرجعية، أو الإحالة الاستباقية (في مقابل الإحالة العودية)»<sup>1</sup>، وقد مثلها في نظرية النحو الوظيفي بالترسيمة.

[[بعد أن صفتت Ø شعرها] [خرجت هند إلى العمل]]  


وأدرج علماء لسانيات النص "الضمير" ضمن ما يسمى بالإحالة النصية أو الداخلية<sup>2</sup>، لأن الضمير يحيل إلى مرجع داخل النص وليس خارجه، وتسمى أيضا "الإحالة الضميرية"، والمقصود بها الضمائر الشخصية للمتكلمين والمخاطبين، أي التي تدل على شخص<sup>3</sup> وغايتها الاستعمالية من الناحية الدلالية "مؤكدات"، فهي تفيد التأكيد والاختصار في اللفظ، لإغنائها عن ذكر المشار إليه، واستحضاره في اللفظ، وهذه الغاية تشترك فيها مع الضمير صيغ لفظية أخرى، كأسماء الإشارة والموصلات والظروف<sup>4</sup>. ولا تقتصر غاية استعمال الضمير على التأكيد والاختصار، وإنما أيضا هو «أهم طرق الربط»<sup>5</sup>، لأنه كما قلنا سابقا يحيل إلى سابق أو لاحق.

وقد توسّع صبحي إبراهيم الفقي في ذكر أهمية الضمير عند علماء العربية، ودوره في التماسك اللغوي والمعنوي للنص داخليًا وخارجيًا، بدءًا من "سيبويه" حتى النحاة المتأخرين، وخلص إلى أن المرجعية سابقة أو لاحقة يمثل الضمير أحد أدواتها<sup>6</sup>، ونبّه الباحث إلى أن قضية الضمير كقضية إحالية (مرجعية) أوسع من ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، إذ

1- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 87.

2- ينظر: عزة شبل محمد، (م.س)، ص: 119، ومحمود عكاشة: (م.س)، ص: 232، وصبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السورة المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ج1، ص: 141-161.

3 - محمود عكاشة: (م.س)، ص: 232.

4 - نفسه.

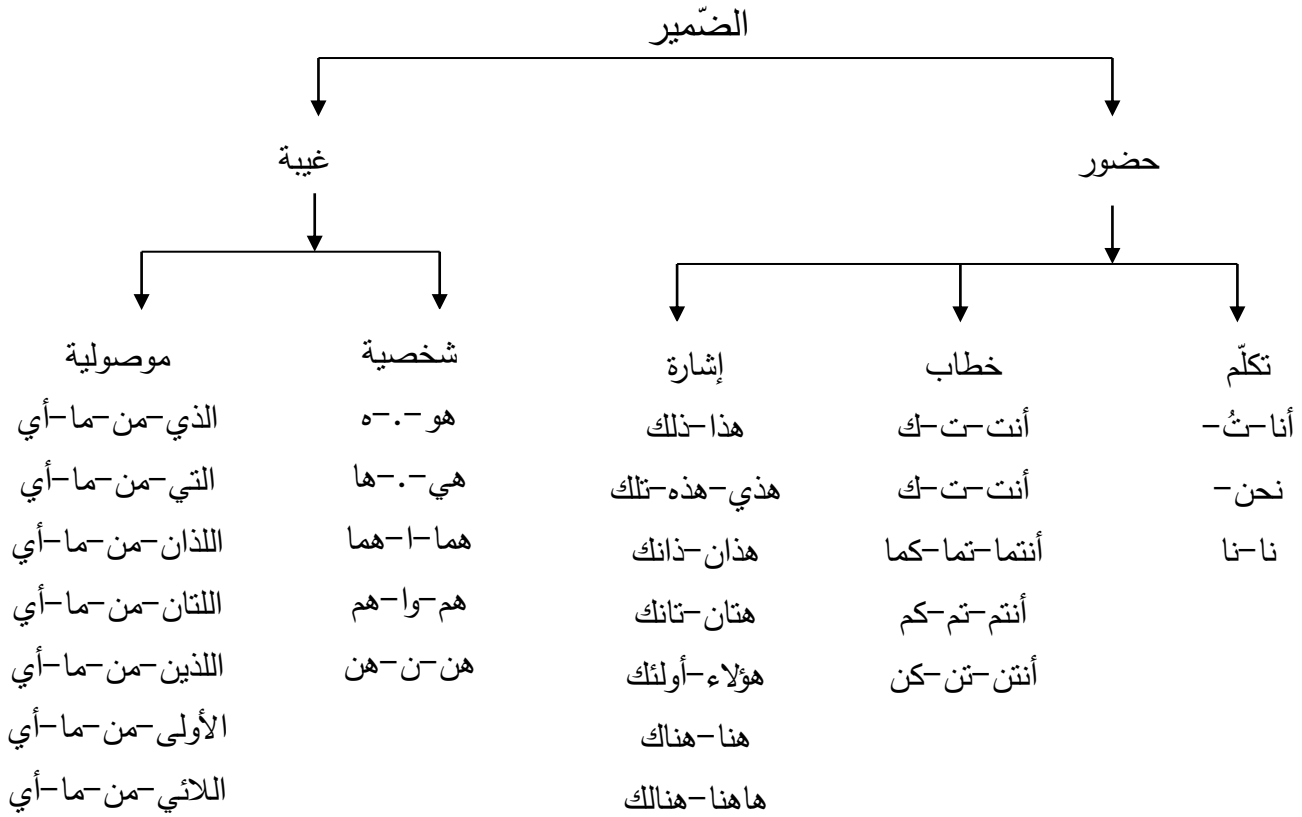
5 - المنصف عاشور، (م.س)، ص: 236.

6 - ينظر صبحي إبراهيم الفقي: (م.س)، ص: 141-158.



تشمل ضمائر الإشارة وضمائر الموصول، فهما يحملان وظيفة الضمائر نفسها من حيث الإشارة والمرجعية والربط.<sup>1</sup>

ويتفق في هذا التصنيف أغلب العلماء والباحثين<sup>2</sup>، ونمثل له بالمخطط الذي وضعه تمام حسان:<sup>3</sup>



للضمير أهمية سياقية في تحليل النصوص من خلال معرفة ما تُحيل إليه حقيقة أم مجازاً، وقد أولاه علماء التفسير القرآني كـ"الرمخشري" و"الرازي" و"ابن كثير" وغيرهم أهمية كبيرة في دراسة الخطاب القرآني في مواضع كثيرة من آي القرآن الكريم، والتي كانت جديرة بأهمية الوقوف عندها نظراً لما لعبه الضمير من دور إحالي سياقي، وقد وقفت "خلود العموش" عند هذه المواضع مستنبطة أن تفسير العلماء لها قائم على الاحتمالات الإحالية.

1- المرجع السابق، ص: 138.

2- ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، وعزة شبل محمد، (م.س)، ص: 120.

3- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 109.

فالضمير قد يحيل إلى أكثر من مُحال إليه، كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (سورة البقرة، الآية 231)، فقوله تعالى: "ليحكم"، بين "الرازي" أنها لا بد أن تستند إلى شيء تقدّم ذكره، وذكر أموراً ثلاثة محتملة كلّ واحدة تختصّ بوجه من التّرجيح في نظره؛ فأقربها إلى هذا اللفظ هو (الكتاب) ثمّ (النّبیین)، ثمّ (الله)، وهو هنا يقصد القرب المكاني في ترتيب عناصر الجملة، أما من الناحية المعنوية الحقيقية لا المجازية فالله هو الحاكم الحقيقيّ ثمّ يأتي النّبّي في الظاهر، ثمّ الكتاب مجازاً، وعليه، فهذا التعدّد الاحتمالي وجد مبرّره عند "الرازي" بفعل تلك القرائن الثلاث: نحويّة وبلاغية (مجازيّة)، ومقاميّة، وهناك مواضع أخرى، فسّر فيها العلماء إحالة الضمير مرّة إلى عنصر واحد، ومرّة إلى خطاب بأكمله، سمّتها خلود العموش: "إحالة مزدوجة" أي أنّ الضمير متعدّد الإحالات<sup>1</sup>، وتبقى هذه ميزة خاصّة في النّصّ القرآني الذي جاء ليُعمل العقول لفهم معانيه. إنّه لم يأت ليُبين عن أحكام شرعيّة فقط، وإنّما أيضاً ليُفصح عن أحكام تتعلّق ببناء الخطاب، ويُلفت انتباهنا إليها.

للضمير أيضاً في البحث التّداولي قيمة إحالية تربط النّصّ بالسياق الخارجي، وتحيل إلى أشخاص متفاعلين في الرسالة الكلامية، وقد تحدّثنا سابقاً عن قيمة الربط بين أجزاء النصّ التي يؤدّيها الضمير، فالانسجام والانساق وأجزائه مظهر تداولي للخطاب يعكس وجود عناصر الخطاب التي تعمل متكاملة متفاعلة، فالضمانر غالباً تحيل إلى المتكلم، والسامع، (ضمانر حضور للتكلم والخطاب)، وإلى من يدور حوله الخطاب (ضمانر غيبة)، مؤدّية مجتمعة وظيفية التّحديد والوصف، فالكلام حول مجهول، يحمل رسالة لا معنى لها، والخطاب إن لم يكن واضح المقاصد، واتّجاهات المقاصد والمعنيين المستهدفين للتأثير فيهم (استفهام، وعد، أمر، نهي... الخ) أيضاً محدّدين غير مجهولين، لا نعدّه خطاباً، لذا جاء

1- ينظر خلود العموش: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النّصّ والسياق، (م س)، ص: 228-238.

تعريف الجملة: «كل كلام يحسن السكوت عنده»، أي يحمل فائدة تداولية، والمقصد معين محدد.

إذا للضمائر فائدة تداولية استدلالية أكثر من أن تكون مجرد عناصر للربط، إنها تجعل الخطاب حيًا، وتصوّر المشاهد وكأنها أمامنا، لأنها انعكاس لعناصر حيّة متفاعلة متحركة، تصنع الزمان والمكان، وتبني فضاءات تعكس الواقع، فنأخذها دليلاً ومؤشراً على وجود حدث كلامي ذي مقاصد ومعالم واضحة.

في النظريات التداولية الغربية يتناولون موضوع الضمير ضمن قضية تعدد الأصوات، وموضوع "العائد"، فالذوات التي يتضمنها النص، ومنها الذوات التي تبني أحداث النص، إما ذات متكلمة أو مخاطبة، ف"بنفينيست" (Benveniste) يرى أن ضمائر الشخص في الفرنسية تتجمع في نظام تقابلي، وهي أنواع: ضمائر الشخص الأول والثاني والثالث، فالشخص الأول هو المتكلم، والشخص الثاني المخاطب، والشخص الثالث يحيل على فرد غائب من المقام، وهو يقابل الضميرين الشخصيَّين الآخرين في تعالق الحضور والغيبة<sup>1</sup>، فضمير الشخص الأول والثاني هما الدالان على طرفي التواصل حقًا، وهما ضمير شخص بينما يعتبر ضمير الشخص الثالث الدال على فرد غائب عن الأشخاص<sup>2</sup>، أما في نظرية النحو الوظيفي «يشير هنجفلد وماكنزي إلى أنه ثمة سلمية تحكم ترتيب الضمائر يمكن صوغها كالتالي: متكلم < مخاطب > غيرهما»<sup>3</sup>.

وفي النحو العربي يستعمل النحاة للتدرج في التعريف بالضمير مصطلح "أخص"، وهو نفسه في ذكر درجات المعرفة مع باقي المعارف، وفي ذلك يقول "ابن عقيل": «ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب، فإن اجتمع ضميران منصوبان أحدهما أخص من الآخر، فإن كانا متصلين وجب تقديم الأخص

1- ينظر جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 358-365.

2- نفسه.

3- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 115.

منهما، فنقول: الدرهم أعطيتكهُ وأعطيتنيهِ، بتقديم الكاف والياء على الهاء، لأنها أخص من الهاء...»<sup>1</sup>

وفي قصائد الديوان، لعب الضمير دورا كبيرا تمثل في الربط والاختصار والإحالة إلى الذات، وتنوع بين ضمير متكلم ومخاطب، وغائب، مفردا، ومثنى وجمع، ضميرا متصلا أو منفصلا، ومن الناحية الإعرابية لعبت هذه الضمائر دور المتعلقات النحوية، كالمفعول به، والاسم المجرور، والمضاف إليه، والتعت... الخ، وفيما يأتي نبدأ بالمنصوبات:

### ب- المتعلقات النحوية المعرفة بالضمير في الديوان:

-إحالة المفعول به الضمير: ورد المفعول به ضمير متكلم، وضمير مخاطب، وغائب، والشائع هو ما ورد ضمير المتخاطبين (متكلم، وسامع)، كقول الشاعر:

ذري أحذر من يكيد لشعبها      ويظن أن شبابها قد غيرا<sup>2</sup>

"فالياء" في "ذري"، ضمير متكلم وقع مفعولا به، يعود على الشاعر، وحمل هذا النوع من الضمائر في قصائد الديوان أبعادا تداولية، فبه استدللنا على قيم وطنية في النص، بيّنت أن الشاعر إنسانٌ وطنيٌّ، غيور على وطنه، يحب الخير، والنجاح والازدهار والرقي لوطنه، فضمائر المتكلم أغلبها تعود على الشاعر، لأنه يعالج قضايا وطنه وأمته، ويبين مواقفه الصريحة من هذه القضايا.

نستنتج أن الضمير الذي هو محتوى قضوي في المفعول به، يفيد أن الشاعر كذات متكلمة جزء لا يتجزأ من الوطن، أي أن ضمائر المتكلم تحيل إلى الانتماء في هذه القصائد الوطنية، فنجد الشاعر تارة معجبٌ بالوطن وجماله وتاريخه، ومرة متألم لأوضاعه، ومرة حالم بمستقبل جميل ورائع لوطنه، فالشاعر معاش للتجربة، عايش فترة الاستعمار وثورة التحرير، وعاش فترة الاستقلال، وما بعدها، وفترة العشرية السوداء، وما بعدها.

أمّا ضمير المتكلم الجمعي (نا) المتصل بالفعل والواقع مفعولا به، فاستعمله الشاعر للاستدلال على أنّ قضية الوطن تهمّ الجميع، أي أعطى لنفسه الحقّ للتّطرق بالجماعة نيابة

1- شرح ابن عقيل، 84/1.

2 - الديوان، ص: 05.

عن الشعب الجزائري في قضايا تهم كل جزائري ولا تخص موقفا ذاتيا، أو شعورا خاصا  
بالشاعر فقط، كقوله:

جزائري علمينا الحب في زمني وألهمينا معاني الرشد والجد

وزودينا بقدر من تسامحنا فمجد يعرب يا بيضاء في بدد!

فإنون" المتكلم الواقعة مفعولا به، مثلت محتوى قضويا مختصرا للدلالة على أن قيمة  
حب الوطن هي قيمة جماعية ولا تخص فردا دون آخر.

قد يحس الشاعر بألم كبير في نفسه أو أمل عظيم أو حاجة واحتياج قومي  
وطني كالأمن، والعدل فيعجز أن يعبر عن ذلك الاحتياج بضمير المتكلم المفرد فيلجأ إلى  
الضمير الجمعي، لأن القضية قضية مشتركة بين الجميع، كقوله:

جزائري علمينا الحب في زمني وألهمينا معاني الرشد والجد<sup>1</sup>

وزودينا بقدر من تسامحنا فمجد يعرب يا بيضاء في بدد!

فالنون في "علمينا" وفي "ألهمينا" وفي "زودينا" تعود على المتكلم الجمعي الذي اختار  
الشاعر النطق به تعبيرا عن احتياجات وطنية مشتركة، وهي احتياجات معنوية بحاجة  
للتشبع بها لدى أبناء هذا الوطن حتى تزول الضغائن وتُفك الأزمات ويعم الأمن والسلام  
والحب في هذا الوطن.

ورد المفعول به ضمير مخاطبة، كقول الشاعر:

فيا أيها الوطني الغيور سمعتك تطلب غوث الندي<sup>2</sup>

فالكاف في "سمعتك" هي مفعول به، وقد شاعت هذه الصورة كثيرا في قصائد

الديوان، مثل قول الشاعر:

وطني عشقتك ثورة عملاقة وعشقتُ شعبك نائرا مستنفرا<sup>3</sup>

1 - الديوان، ص: 17.

2 - الديوان، ص: 56.

3 - الديوان، ص: 06.

الذوات التي يحيل إليها ضمير الخطاب "الكاف" في القصائد، ثلاثة: الذات الأولى هي "الوطن"، فمرة يخاطبه بمشاعر الحب والإعجاب ومرة بمشاعر التحسر والأسى على ما يمرّ به من أزمات، ومرة بمشاعر الأمل وتمني زوال الألم. أما الذات الثانية، فإنه يخاطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمشاعر المدح والإعجاب والافتخار بمجهودات الإصلاح.

أما الذات الثالثة، فإنه يخاطب أبناء هذا الوطن ناصحا، ومشجعا، ومرشدا، وموجها، بما يراه يصلح حالهم، ويدفع عنهم الضغائن والنزاعات والشقاكات، وضرورة محاربة الفتن التي تؤدي بالوطن إلى الهاوية، وذات من هذه الذوات التي يخاطبها هي "ابنه" متخذا إياه نموذجا حواريا حول قضية الانتخابات، وضرورة اختيار الأصلح للبلاد، وفي هذا يقول:

ولدي أريدك أن تصوّت باختيار <sup>1</sup> للأوفياء المخلصين من الخيار!

مخاطبة الذوات الثلاثة السابقة بضمير الخطاب "الكاف" يحيل إلى أن بناء أحداث النصوص وتبادل أدوارها، يقوم بشكل أساسي على هذه الذوات، فهي إذا عناصر رئيسية، ساهمت في دفع الشاعر إلى خلق حوار وإنتاجه معها، كقوله:

يا أمة الخلود يا شعلة الضياء<sup>2</sup>

أدعوك أن تسودي في الأرض والسماء

ورد المفعول به أيضا ضميرا غائبا عائدا على عدّة نوات، لكن لم يشع كما شاعت ضمائر المتكلم والمخاطب، ومن هذه الذوات الغائبة المفرد المذكر، كقول الشاعر:

غذّيه بالقيم الأصيلة إنّه يريث الفضائل منشأ وتأثرا<sup>3</sup>

فالضمير في "غذّيه" هو مفعول به عائدا على الشباب الجزائري، والخطاب موجه "للجزائر" الوطن في صورة فعل أمر تعلق به الضمير "الهاء"، وغرض الشاعر هو خلق علاقة ارتباط عاطفية، معنوية بينهما (أي الشاب الجزائري، والوطن الجزائر) قبل تكون

1- الديوان، ص: 27.

2- الديوان، ص: 31.

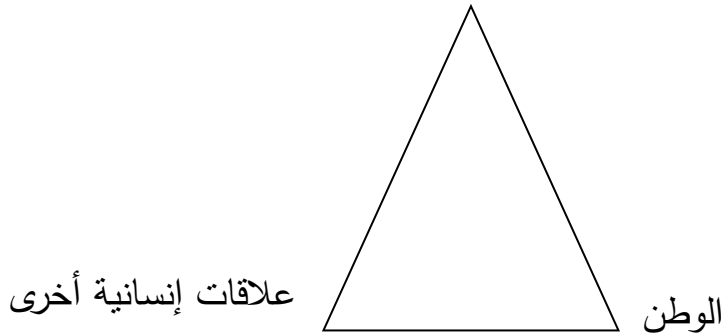
3- الديوان، ص: 06.

علاقة كلامية، وهذا يتناسب والتجربة الشعرية التي عايشها الشاعر، والتي يدور موضوعها حول الأزمة التي عاشتها الجزائر في العشرية السوداء، وعنوان القصيدة يبيّن ذلك: "الن تضيع الجزائر"، والخطاب مع الغائب هو تركيب أراد من خلاله الشاعر أن يعبر عن رغبته وموقفه من ضرورة حفاظ أبناء هذا الوطن على وطنهم بالرجوع إلى القيم الإسلامية، والعربية، أي التعبير عن رابطة الانتماء والهوية والوطنية.

إذا، المفعول به الضمير سواء المتكلم أو المخاطب أو الغائب أنجر به الشاعر ثلاثية ضمائية تحيل إلى علاقات إنسانية، وأبعاد وطنية، وغايات اجتماعية، عناصرها الفاعلة والمنتجة لها هي: المتكلم، المخاطب، الغائب، والعلاقات الناتجة هي علاقات تكاملية تمثل المجتمع الجزائري ككل، استطاع الشاعر أن يختصرها في هذه الثلاثية.

-إحالة المضاف إليه الضمير: ورد المضاف إليه ضميرا، وشاع كثيرا سواء أكان ضمير متكلم أم مخاطب أم غائب، وخلق به الشاعر حوارا قائما على ثلاثية ضمائية تحيل إلى ذوات تختصر واقع وطن بأكمله، وأحداثا حقيقية واقعية صنعتها هذه الثلاثية، واستطاع الشاعر من خلال ضمير المتكلم أن يبيّن موقفه، ويشرح علاقته بضمائر الشخص الثاني

والثالث، نمثل لها بالمخطّط الآتي



ومما ورد قول الشاعر:

فأنت وحدك لا تخشى من الخطر<sup>1</sup>

واجه عدوك بالمقلع والحجر

1- الديوان، ص: 85.

فالمضاف إليه (الكاف) في كلمة (عدوك)، جاء ضميرا للمخاطب المفرد، تحيل إلى الفرد الفلسطيني، المعني بالخطاب، واستعمل الشاعر ضمائر الغائب، كقوله:

واحرّ قلباه من جاشت عواطفه      ونفسه تتشظى عبره صهدا<sup>1</sup>

وشعبه يتردى في تناحوره      ومجدّه يتهاوى حوله بددا!

وقد ساهم ضمير الغائب في تحقيق التماسك النصّي بين الأبيات ومن ثمّ الاسترسال في ترتيب الأفكار وتحقيق التواصل المتواصل والمستمرّ بين الملقى والمتلقّي، فجعل ذلك من القارئ حاضر الذهن متابعا خطاب الشاعر في خطّ نفسيّ عاطفيّ ذهنيّ مستمرّ دون تشويش.

فالهاء المتّصلة بالأسماء في البيتين هي "مضاف إليه" تحيل إلى غائب واحد معنيّ. ونمّثل للمضاف إليه الضمير المتكلم بقول الشاعر:

قالت جزائرنا الوفية والأسى      باد عليها لا تخف ولدي الأمين<sup>2</sup>

وقوله أيضا:

هل تُكرين جهادنا وصمودنا      والذكريات الداهيات مع القرون؟<sup>3</sup>

فالضمير الجمعي للمتكلم "نا" يعبر عن الملكية الجماعية وهو يحيل إلى توحد الشعب الجزائري واشتراكه في الوطن (الوحدة الوطنية)، لذا نطق الشاعر بصوت الضمير الجمعي تعبيرا عن الانتماء، وإحالة إلى الوحدة الوطنية، فكلمة (جزائرنا) تحيل إلى علاقة اشتراك عناصرها الفاعلة والمنتجة لها هي: المتكلم، المخاطب، الغائب، والعلاقات الناتجة هي علاقات تكاملية تمثّل المجتمع الجزائري ككل، استطاع الشاعر أن يختصرها في هذه الثلاثية: "جزائرنا" و"جهادنا" و"صمودنا"، هي عناصر ومحمولات من محتويات قضوية تحيل إلى القضايا الوطنية المشتركة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالضمير الجمعي، وهنا اختار الشاعر الضمير "نا"، لأنّه في موقف مدح، و يحيل إلى شخصية الشاعر الوطنية.

1- الديوان، ص: 39.

2- الديوان، ص: 08.

3- الديوان، ص: 08.



استعمل الشاعر المضاف إليه كضمير متكلم مفرد وهو "الياء" وشاع كثيرا، كقوله:

وطني عشقتك ثورة عملاقة      وعشقت شعبك نائرا مستنفرا<sup>1</sup>  
 زمن الرداءة ما تركت لأمتي      عز الجدود ولا وفاء السوارثين!<sup>2</sup>  
 ونهلت شعري من ملاحمك التي      صاغت روائعها الدماء مدى القرون  
 هيا أرجعيني إلى أحضان باديتي      فقد كرهت زمان العنف في بلدي<sup>3</sup>  
 قدست فيه عقيدتي وعروبتي      وشربت حبهما المطهر مترعا<sup>4</sup>

ففي الأبيات السابقة، يحيل ضمير المتكلم (المضاف إليه) إلى مراجع تعبر عن انتماء الشاعر، بالكلمات: "وطني، أمتي، شعري، باديتي، بلدي، عقيدتي، عروبتي"، مضاف إلى ياء الملكية، فهي استدلال ومؤشرات على انتماء الشاعر إلى هويته الجزائرية العربية الإسلامية الأصيلة، وهذا التركيب اللغوي يتناسب ومقام إنتاج هذه النصوص الشعرية، فالشاعر محب لوطنه، وملتزم بالتعبير عن قضاياها، فمهما ساءت أحواله أو تحسنت، فالشاعر جزء من هذه الظروف، وواجب عليه التعبير عن مواقفه إزاءها.

جاء المضاف إليه أيضا، في صورة ضمير الخطاب كقول الشاعر:

هل بعد موتك في الجزائر شاعر      يغدو كمثلك في المواقف رائدا؟<sup>5</sup>  
 كل القضايا في زمانك صغتها      وجعا وحلما رافضا ومساندا  
 هبني بيانك، فالحياة مواقف      ولكم عهدتك في المواقف رائدا

كاف الخطاب هنا تحيل إلى الشاعر الوطني "محمد العيد آل خليفة"، فالشاعر في موقف تخاطب، واستعماله لضمير الخطاب "الكاف" دعا إليه مقام المدح، وقد أشرنا سابقا إلى هذه الفكرة، فالشاعر يعدد مناقب "محمد العيد آل خليفة"، في قوله: كمثلك، زمانك،

1- الديوان، ص: 06.

2- الديوان، ص: 09.

3- الديوان، ص: 16.

4- الديوان، ص: 25.

5- الديوان، ص: 77، 79.

بيانك، عهدتك"، هي مؤشرات على المدح مسندة إلى ضمير الخطاب المقصود بالمدح والمخصوص به.

المضاف إليه في صورة ضمير المخاطب، استعمله الشاعر أيضا في حوار وخطابه مع الجزائر الوطن، محاورا إيّاها وكأنّها إنسان عاقل، وهذا مؤشّر مجازي الغرض منه تأكيد الشّاعر حبه لوطنه، والهيّام به، وتقريب الحقيقة لذلك.

شاعت صورة المضاف إليه كضمير غائب، أيضا ومنها قول الشاعر:

نهلتُ شعري من ملاحمك التي صاغت روائعها الدماء مدى القرون<sup>1</sup>

وقد أدّى ضمير الغائب وظيفة الرّبط والاختصار فعاد على ما سبقه، أي أدّى وظيفة الإحالة الرجعية (العائد)، وقد شاع كثيرا.

-إحالة الاسم المجرور الضمير: استعمل الشّاعر الاسم المجرور المعرّف "بأل"

وبالضمير كثيرا في قصائد الديوان، فالمعرّف "بأل" كقول الشاعر:

قالت جزائرنا والأسى باد عليها لا تخف ولدي الأمين

فالاسم المجرور في "عليها" جاء ضميرا غائبا عائدا على كلمة الجزائر في "جزائرنا"، فأحالته قبلية رجعية أفادت الرّبط والاختصار.

وقوله أيضا:

فعرّضوا بلادنا إلى المصير المرعد

أحرقوا رموزها بكلّ حقد أسود

وقوله أيضا:

سمعتك تلعن هذا الشّباب وتجعّله مصدرا للخراب<sup>2</sup>

وتلغن فيه حروف الضياء ومن علموه بدون اغتراب

فالهاء في "فيه" اسم مجرور، وهو ضمير عائد على كلمة "الشّباب" في البيت الأوّل.

1- الديوان، ص:10.

2- الديوان، ص:21.

#### 4- الإحالة التداولية في المعرف بالإضافة:

أ- إحاطة عامة حول المعرف بالإضافة: "المضاف" جزء من مركب اسمي يوصف إما في معنى تخصيص نكرة أخرى، وإما توضيح معرفة، ويستعمل "سيبويه" مصطلح "المضاف إلى المعرفة"<sup>1</sup>، وذلك لأن المقصود من المضاف إليه هو المسمى المعين من بين قسمته وأمته<sup>2</sup>، ويرى "المنصف عاشور"<sup>3</sup> أن المضاف إلى معرفة عند النحاة يقع في آخر درجات التعريف لمجاورته سلم التنكير.<sup>3</sup>

ويرى "أحمد المتوكل" أن المركب الإضافي يقع في مستوى البنية التحتية العلاقية ضمن حالتين، أولاهما: أن يشكّل عنصر المركب الإضافي، المضاف والمضاف إليه فعلين إحاليين اثنين قائمي الذات، وثانيتها: ألاّ يشكّل هذين العنصران إلاّ فعلا إحالياً واحداً.<sup>4</sup> ففي الحالة الأولى إذا كان المضاف إليه معرفة معلومة لدى المتكلم والسامع معاً، والثانية إذا كان المضاف صفة مضافة إلى معرفة عامة غير محدّدة ولا معلومة لدى المتكلم.

#### ب- المتعلقات المعرفة بالإضافة في الديوان:

- المفعول به: جاء المفعول به أيضاً معرفاً بالإضافة، وهو الاستعمال الغالب على قصائد الديوان، والمعرف بالإضافة - كما رأينا عند "سيبويه" - يأتي في الدرجة الثانية مقامياً لتحقيق التعريف أي التعيين. ومن حيث قصائد الديوان أغلب ما ورد عليه المفعول، النوع الأوّل من إحالة المضاف، أي المضاف إلى معرفة. والفعالان الإحاليان يتمركزان في الفعل التداولي التّعيين، أي تحقّق تعيين المضاف والمضاف إليه معاً في الفضاء الذهني، ومما ورد في قصائد الديوان قول الشاعر:

1- سيبويه: الكتاب، ج2/03.

2- المنصف عاشور، ص:238.

3- نفسه، ص: 239.

4- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص:95.

ماذا عليك لو اتخذت جبالها مهد الجمال إلى خيالك مشعرا.<sup>1</sup>

فكلمة "جبالها"، الفعل الإحالي المنجز هنا هو فعل إحالي واحد، فالهاء هنا تعود على مجهول، الوطن أو القرية أو أيّ بلاد أخرى، هذا من الناحية اللغوية اللسانية البحتة، أما من الناحية التداولية وبالرجوع إلى قواعد السياق والمقام يتعين أن الشاعر يتغنى بحب وطنه الجزائر، فالشاعر إذا كانت دوافع كتابته للقصيدة معلومة، وتوقّرت ظروف إنجاز هذا الفعل التداولي للمخاطب، سهل التعيين له، وصار الوصف محدداً. و"الهاء" هنا هي قاذح الإحالة، وهي إحالة خارجية أي تعود على مرجع في الواقع وليس في النص.

ونشير هنا أن المفعول المضاف إلى الضمير ورد كثيرا في قصائد الديوان، ومن وجهة الإحالة التداولية يختلف التعريف بالمضاف إليه المعرف عن المضاف إليه الضمير، والمضاف إليه الضمير الذي يحيل إلى داخل النص، غير الضمير الذي يحيل إلى خارج النص، وأغلب ما ورد المفعول به المضاف إلى الضمير الذي يحيل إلى داخل النص (إحالة داخلية).

**المفعول به المضاف إلى الاسم المعرف يؤدي نوعا من الإحالة هي إحالة تعيين**  
حسب "سيمون ديك"، لأنّ المخاطب يستطيع تحديد الذات التي يتوقّر عليها مخزونه الذهني سابقا، أي معلومة لديه من قبل في الواقع، وكثر المفعول به على هذا الشكل، ومقام نظم الديوان استدعى ذلك، لأن استعمال المعرف يناسب سرد الوقائع الحية التي يعايشها كلاً من المخاطب والشاعر معاً، وكذا الوقائع التاريخية الحقيقية كالبطولات والإنجازات، والحوادث السياسية الحقيقية في البلاد والاجتماعية، وحقيقة الوضع الثقافي، والتغني بالشخصيات الوطنية كالشهداء والمناضلين وحكام البلاد ومنقّفيها وشعرائها...

ومن الشواهد الشعرية على ذلك، قول الشاعر:

هتكوا عفاف المسلمات ومارسوا نبح الرضيع من الوريد إلى الوريد<sup>2</sup>

1- الديوان، ص: 5.

2- الديوان، ص: 20.

وكرهتُ شدو المُبدعين وعفتهُ إن لم يكن بهوى المُبدعين مضووعاً<sup>1</sup>

فأقرأوا تاريخ شعبي فيه تصحوا الضمائر<sup>2</sup>

إلى الله أشكو هوانً بلادي وكلّ إلى ربّه يقدم<sup>3</sup>

-المفعول فيه والاسم المجرور والمعطوف والنعت: "المفعول فيه" في الخطاب يحيل إلى مكان أو زمان وقوع الحدث، وقد لعب دوراً هاماً في تحقيق العنصر الإشاري الزماني والمكاني، خاصة وأنّ الشاعر يسرد وقائع تاريخية وأحداث وطنية، وواقع معيش على جميع الأصعدة، وأيضاً الإحالة إلى عالم تخيلي بنى فيه الشاعر آماله وأحلامه المستقبلية.

ومنطلقنا في تحديد وظيفة الإحالة للمفعول فيه هو ما أصطلح النحاة على تسميته بمصطلحات عدّة "الظرف". "الوعاء" وسمّاه الكوفيون "صفات ومحالات"، ومعرفة ظروف المقام المكانية والزمانية ضروري في تحديد المعاني، ولا يمكن أن يُستعمل ظرف مُبهم، لأن ذلك سيحدث لبساً في الكلام، وتحديد هو عمل مقصود من المتكلم، وفي قصائد الديوان وردت ظروف الزمان والمكان في أغلبها معرفة بالإضافة، ومنها قول الشاعر:

في قمة الأوراس يوم تشامخت همم الرجولة في جلال نوفمبر<sup>4</sup>.

استعمل الشاعر هنا ظرف الزمان "يوم" مضافاً إلى جملة ماضوية حدّد زمن وقوع الفعل، ونوع الحدث هنا هو تاريخي يتمثل في ثورة "أول نوفمبر"، ويدخل المفعول فيه من حيث الإحالة التداولية في عنصر الإشارات، فهي عناصر متنوعة تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب (أنا /نحن/ أنت/ أنتم / انتن)، والوحدات الدالة على الزمن (الآن وغدا وأمس...الخ)، والوحدات الدالة على المكان (هنا/ هنالك)، والأزمنة الفعلية، وتشارك هذه

1- الديوان، ص: 26.

2- الديوان، ص: 36.

3- الديوان، ص: 68.

4- الديوان، ص: 05.

الوحدات في أن معناها لا يتحدّد إلا عند استعمالها انطلاقاً من نقطة ارتكاز (REPER) يجسّمها إلقاء القول.<sup>1</sup>

وقد ذهب "ديكرو" إلى أن معنى إلقاء القول يؤخذ على اعتبار أنه حدث تاريخي يحصل في زمان محدّد ومكان محدّد بواسطة شخص محدّد<sup>2</sup>. وأما حسب "ميلنر"، فإن العناصر الإشارية تقتفر إلى الاستقلال الإحالي بما أنها لا تستطيع بمفردها تعيين مرجعها وهو كذلك شأن أسماء الإشارة التي تخلو من الاستقلال الإحالي لأنها خالية من الإحالة الاحتمالية، أي ليس لها دلالة معجمية.<sup>3</sup>

إذا، من شروط نجاح العملية التّواصلية بين المتكلّم والسّامع أن يكون العنصر الإشاري عنصراً محدّداً لا لفظاً مبهماً، والألفاظ المبهمة قضية إحالية تتعلّق بالعنصر الإشاري وهو أن يخلو العنصر من دلالة ذاتية، وتتحدّد هذه الدلالة جزئياً في مقام القول.<sup>4</sup> وأغلب ما ورد المفعول فيه في قصائد الديوان ظروفًا مبهماً احتاجت إلى التعريف بالإضافة، نحو: "عند، قبل، نحو، أمام، قبيل، تحت، طوال، فوق"، وقد اكتسبت إحالتها إلى المرجع بعملية الإضافة إلى "مضاف إليه" ذي دلالة معجمية، وهذه المضافات لم تخرج في معناها الدلالي عن السياق العام الذي نظم فيه الديوان، كسرد وقائع تاريخية وطنية، أو التغمي برموز الوطن والدين ورجالته، أو الأزمة الوطنية في زمن العشرية السوداء، وهذه حقول دلالية غلبت على النصوص، فجاء واضح الإحالات، ذي قوة إحالية إنجازية، ساهمت أيضاً في تحقيق القوّة المتضمّنة في الفعل الكلامي وبعده التّأثيري... إلخ.

ونمّثل للظروف المحيلة بقول الشاعر:

رَمَيْتُمُوهَا فِي الرَّدَى قُبَيْلَ ذَاكَ الْمَوْعِدِ<sup>5</sup>

1- جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 110.

2- نفسه.

3- نفسه.

4- نفسه.

5- الديوان، ص: 15.

أضيفت "قُبَيْلَ" إلى العنصر الإشاري "ذاك"، والمضاف إلى "كلمة الموعد"، وفي هذا إحالة زمنية محددة حدّدت زمن وقوع الفعل التّقريريّ "رمينموها"، إذ كلّما تحدّد الظرف الزماني، وصار معرّفًا تبين القصد من الفعل الكلامي، وهو هنا استحضار الشّاعر لهذا الشّاهد التّاريخي الرّمزي، لغرض التّأثير في المخاطب، وهو نقطة "تحول زمنيّ خطيرة"؛ ومنها قول الشّاعر:

ومضوا نحو جبالٍ يتحدّون الجبابر

فظرف المكان "نحو" معرّف بإضافة "جبال" بغية خلق حيّز مكاني الغرض منه إحالة المتلقّي على زمن ماضي (مضوا) يتمّ من خلاله استحضار هذا الحيّز المكاني، كشاهد تاريخي على حدوث ثورة نوفمبر.

ومنها قول الشّاعر:

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمَنَازِرَ فَوْقَهَا      سَحْرًا يَثِيرُ ةَأَيَّةً تَتَجَسَّدُ<sup>1</sup>  
 أَعْظَمُ بِفَاتِنَةِ الزَّمَانِ وَحُسْنِهَا      كُلُّ الْأَوَاصِرِ فَوْقَهَا تَتَوَطَّدُ  
 جَثَّتِ الْعُقُولُ أَمَامَ رُوْعَةٍ فَنَهَا      حَيْرَى تُسَبِّحُ لِلْجَمَالِ وَتَسْجُدُ

ففي هذه الأبيات، استعمل الشّاعر ظروف المكان معرفة بالإضافة، إضافة الضمير العائد على المؤنث الغائب (هي) لوصف جماليات المكان الذي تتمتع به الجزائر، وفي هذا إحالة القارئ إلى استحضار هذا الجمال المكاني من خلال رسم الحيّز المكاني بأظرف المكان المنسوبة إلى الوطن، والهدف التّأثير في المتلقّي، وزرع التّغنيّ بجمال الوطن في نفسيته، ومن ثمّ هي دعوة للحبّ، والإعجاب والفخر، وترسيخ الوطنيّة.

شاع كثيرا تعريف المتعلقات النحوية الأخرى بالإضافة، كالاسم المجرور، والاسم المعطوف، ونمثل لتعريف الاسم المجرور بالإضافة، في قول الشّاعر:

قاداتها لم يؤدوا عن قبائلهم      ولم يهبوا إلى إنقاذ أكبادي.<sup>2</sup>

1- الديوان، ص: 47، 48.

2- الديوان، ص: 97، 99.

ولم نَعُدْ أبداً نَقْوَى على سَفِهِ      مثل الَّذِي ارتكَبُوا في حقِّ بَغْدَادِ

لم يَبْقِ في زمن التَّأْنِيثِ أَيِّ فِتْي      يَحْمِي النِّسَاءَ على أَطْلَالِ أَجْدَادِي

نلاحظ في الأبيات السابقة: "إلى إنقاذ أكبادي" "في حق بغداد"، "في زمن التأنيث"، هي أسماء مجرور معرفة بالإضافة، معيّنة ومحددة في الواقع، أي مراجعها معروفة، ومن الناحية المعجمية لاعت موضوع القصيدة المُعالج، وقد سبق وأن أشرنا إلى القوة الإنجازية الإحالية التي يتمتع بها الاسم المعرف في المقام الذي يستدعي التعريف كالوقائع التاريخية التي يصفها الشاعر هنا وهي سقوط بغداد في 2001.

وظّف الشاعر أيضاً الاسم المعطوف المعرف بالإضافة، لأنه بحاجة للتوسّع في ذكر المحمول الذي تحتاج القضايا التفصيل فيه، مثل قوله:

باق على العهد مهما اربد حاضرنَا      وساء حالي وحال الأهل والولد<sup>1</sup>

نلاحظ في الجملة "ساء حالي وحال الأهل والولد"، هي جملة احتوت على ثلاث قضايا فيها ثلاث حمولات: القضية 1- ساء حالي، 2- ساء حال الأهل، 3- ساء حال الولد، والحمولات هي: حالي- حال الأهل- حال الولد.

هذه الحمولات احتاج الشاعر لأن تكون معرفة بالإضافة، واختصر في ذكرها بحرف العطف "الواو"، وحذف الفعل التقريري: "ساء"، فالاسم "حال الأهل"، معطوف ومعرّف بالإضافة على كلمة "حالي"، فالاسم المعطوف إذا يتبع المعطوف عليه في التعريف بالإضافة، لأنّ المقام فرض إحالة التعيين أولاً، ثم التوسّع في ذكر المعينات والمحدّدات ثانياً، وعليه نستنتج أن الاستعمال اللغوي للاسم المعطوف المعرف بالإضافة أولاً راجع إلى أسباب نحوية، وهي أن المعطوف يتبع المعطوف عليه، وثانياً المقام فرض التوسّع في المعينات والمحدّدات المرتبطة بالفعل الكلامي التقريري، وهي: حمولات لا بدّ من ذكرها حتّى تظهر المقاصد.

1 - الديوان، ص: 16.



### 5- الإحالة باسم الإشارة:

أ- اسم الإشارة بين النحو والتداولية: أطلق "سيبويه" على أسماء الإشارة مصطلح "الأسماء المبهمة" وعدّها ضمن المعارف «لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشّيء دون سائر أمته»<sup>1</sup>، فتعريفها في تحديد المشار إليه، فيحصل لدى المتكلم والسّامع علم، ويتحدّد قصد، ويرتبط ذهنه سمعا وبصرا بالمرجع في الواقع (حسيّ ومجرّد) دون غيره من المراجع الأخرى التي تشترك معه في خاصيّاته، فإن كان شيئا فهو المخصوص دون غيره، وإن كان حيوانا فهو المخصوص بالإشارة دون غيره بما يتمييز عنها من ميزات، وإن كان إنسانا فهو المقصود بما يتمييز به عن غيره من البشر المحيطين به، وهنا نستعين بنظريّة "الحقول الدلالية" ومُعطياتها الاستدلالية في تحديد مرجع مسمّى دون غيره من المسمّيات التي يتمييز بها عنها بقيم خلافية إضافة إلى معطيات المقام الاستدلالية وهنا نحتاج إلى الوقوف على حيثيات القضية التي يساهم في صنعها المستمع أيضا لأنه هو المقصود والمعني بمحتوى الرسالة الكلامية. فعندما يقول المتكلم: "أعطني ذلك القلم" فالسّامع يعرف أي الأقلام خصّه المتكلم دون غيره، فكلمة "القلم" في معناها الدلالي المعجمي حدّدت القلم دون غيره من أدوات "الكتابة، ثم ننظر إلى "الحال المشاهدة"، فقد يكون "أزرقا" أو "أسودا" وهذه قيمة خلافية، أو على يمين أو يسار السّامع وهذا حسب الإشارة الحسيّة الصادرة من المتكلم. ونقيس على هذا الصفات الخلقية والخلقية الدالة على الإشارة الحسيّة للأشخاص... الخ.

«فأسماء الإشارة تدلّ على عملية التّعيين المادي الحسيّ الذي يحقّقه المتكلم بحضور المخاطب، فهي ذات دور تمييزيّ بين احتمالات الإبهام في المسمّيات، وتحقّق الإشارة دلالة التّوضيح والتّنبية بالعين أو كما يذكر النحاة بالجوارح والأعضاء، فيكون المشار إليه قريبا أو بعيدا، ويشبه اسم الإشارة من هذه الجهة الدلالية الرّبط بالضمير»<sup>2</sup>، وقد عدّ "الاستراباذي" اسم الإشارة بمثابة ضمير يرجع إلى ما قبله، ذاكرا الأغراض الدلالية باسم الإشارة حسب

1 - سيبويه، الكتاب، 3/2.

2- المنصف عاشور، (م، س)، ص: 236.

الأحوال المقامية للمشار إليه مستشهدا من القرآن والشعر، ومن تلك الأغراض: الإحالة إلى عظمة المشار إليه<sup>1</sup>، أي إحالته إحالة قبلية.

أما في اللسانيات الحديثة، وفي لسانيات النص خاصة، يُدرجون أسماء الإشارة ضمن قسم الضمائر، ويُطلقون مصطلح "ضمائر الإشارة"، كما هو الأمر عند "تمام حسّان"، وقد عدّ القرينة شرطا أساسيا لدلالاتها على معيّن ما<sup>2</sup>، فقريضة الحُضُور هي الاستدلال على تحديد المتكلم والمخاطب، المشار إليه في اسم الإشارة، أما ضمير الغائب فقرينته المرجع المتقدّم إما لفظا أو رتبة أو هما معا، وأما الموصول فقرينته جملة الصلّة.

بالنسبة لاسم الإشارة يتحدّد موقعه ضمن ضمائر الحُضُور التي تحمل دلالة الإشارة، وليست ضمائر الحضور الشخصية كـ "أنت" و"أنت".<sup>3</sup>

أما في اللسانيات التداولية، فأسماء الإشارة تُدرج ضمن مبحث "الإشارات" الذي يهتم بدراسة السياق المكاني للخطاب اللغوي، فتتبيّن القيمة الاستعمالية لهذه العناصر أثناء إلقاء القول.

وجود هذه العناصر الإشارية في اللغات الطبيعية دلالة على أن هذه اللغات وُضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه<sup>4</sup>، واقد اجتهد النحاة في تحديد مراتب التواصل بهذه العناصر الإشارية وفقا للمقام، فهناك أسماء إشارة تدلّ على القريب، وأسماء تدلّ على البعيد وأسماء تدلّ على ما يتوسّط القريب والبعيد.

تنتمي أسماء الإشارة في اللسانيات التداولية إلى الإشارات المكانية، وهي أكثر الإشارات وضوحا إضافة إلى بعض ظروف المكان كـ "هنا وهناك".<sup>5</sup>

1- الاسترابادي، 191/2-193.

2- تمام حسّان: اللّغة العربية، معناها ومبناها، ص: 110.

3- نفسه.

4- محمود أحمد نحلة، (م، س)، ص: 16.

5- المرجع نفسه، ص: 22.

أسماء الإشارة مع الضمير، قد يتبادلان دوري العائد والإشاري، ونمثل كذلك بالأمثلة التالية:<sup>1</sup>

1- جئت لرؤيتك البارحة.

2- هذا جميل، هذا جميل.

ففي هذين المثالين، الضمير: (ت)، و (ك) إشاريان، أما اسم الإشارة، فقد لعب دور العائد.

أما المثالان:

1- لقد فقد قبّعه.

2- انظر، ما أجمل هذا المكان!

فالهاء في "قبّعه" عائد، و"هذا" في المثال الثاني إشاري.

وفي اللغة العربية فصلّ النحاة في ذكر كل أسماء الإشارة، وهي: «ذا للمذكر، وذي وذه وتي وته، وتا للمؤنث، وذان وتان للمثنى، وأولاء لجمعهما، والبعيد بالكاف مجردة من اللام مطلقاً، أو مقرونة بها إلا في المثنى مطلقاً، وفي الجمع في لغة من مدّه، وفيما تقدّمته ها التنبية».<sup>2</sup>

ب- أسماء الإشارة في المدونة: في المدونة التي بين أيدينا، غلب استعمال اسم الإشارة "هذا"، وفائدته اللغوية هي "الربط"، أما فائدته التداولية، فهي الإحالة إلى المرجع المعني، ولفت الانتباه إليه، أي جعله نقطة تركيز، فيركز السامع فيه نظره، ويعمل فكره، ويرسخ في ذهنه، ومنها قول الشاعر:

إن حاصروا زمنَ التّواصلِ فوقها وتجاهلوا هذا الكتابَ المُستبين

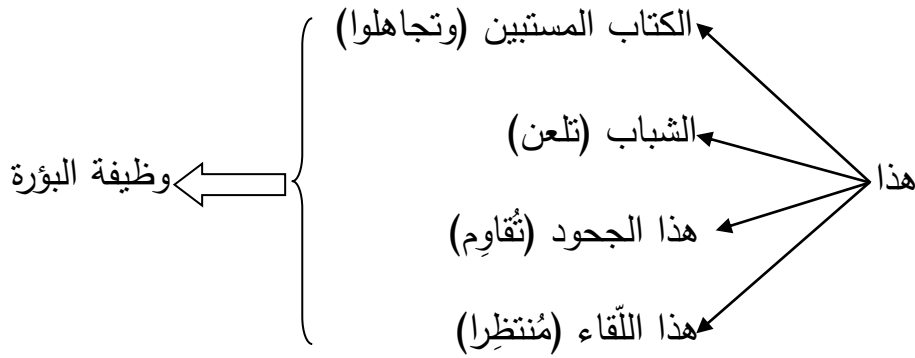
فاسم الإشارة "هذا" هو مفعول به متعلق بالفعل التقريري (تجاهلوا)، ووظيفته هنا هي ضمير إشاري، لأنّه يدلّ دلالة حضور على المشار إليه (الكتاب)، فهذه وظيفة تداولية،

1- جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي، ص: 138.

2- شرح قطر الندي، ص: 108.

والغرض الحجاجي هو تعظيم كتاب الله ودعوة ضمنية للرجوع إليه في تجاوز الأزمة والخلاف.

ونضيف وظيفة أخرى هي "وظيفة لفت الانتباه"، والدور الحسي لاسم الإشارة، وهذا الأخير يدخل في العلامة غير اللغوية، فعندما يُدرك المتكلم أن السامع قد لا تصله المقاصد كما يريد هو، فيستعين بالإشارة غير اللغوية لتحقيق مقاصده، وهذا في صميم البحث التداولي، لأن الإشارة ومعانيها لا تتحدّد إلا عند الاستعمال، لذا جعلها العلماء ضمن أنواع الدلالات والعلامات التواصليّة، ومنهم "الجاحظ" الذي ضبطها في خمسة: «اللفظ والإشارة والعقد والخط، ثم الحال التي تسمّى نصبة»، ونمثّل لمجالات اسم الإشارة الواقع مفعولا به بالمخطّط الآتي:



نلاحظ أن الحمول: "الكتاب، الشباب، الجحود، اللقاء"، أسماء معرفة بأل وسبقها اسم الإشارة "هذا"، فالتقى معرفان اثنان ليحيلا إحالة تعيين محمول قريب، وفي هذا استدلال على أن الشاعر يسرد قضايا قريبة منه، بل يعايشها وهي القضايا الوطنية، واستعمل اسم الإشارة "هذا" الدال على القرب، حتى يتبين أن هذه القضايا قريبة أيضا من المخاطب، بل هي جزء من واقعه المعاش، وعليه فكلام المتكلم والمخاطب بينهما مسافة قريبة، هي مسافة الوطنية المشتركة.

استعمل الشاعر أيضا اسم الإشارة الواقع "اسما مجرورا"، كقول الشاعر:

يا أيها الجيلُ المخدّرُ كفّ عن هذا الصّراعِ وعُدْ لرُشدِكَ مُسرِعًا!

النتيجة نفسها نستنتجها من استعمال الشاعر لاسم الإشارة مع أداة التعريف "أل" في الاسم المشار إليه، فهذا يدلّ على المسافة القريبة بين المتكلم والسماع، وتعلّق الاسم المجرور مع نعته (هذا الصّراع) بالفعل الكلامي الأمر (كفّ) فيه دلالة واضحة على معاشة كلاً من المتكلم والسماع الحدث، أي أنّ الإحالات الناتجة عن اسم الإشارة والمعرف بـ "أل" تدلّ على أنهما (المتكلم والسماع) في فضاء مكاني وزماني مشترك.

وعليه فاسم الإشارة يصنع حيّزاً مكانياً مرتبطاً بـحيّز زمني هو زمن الفعل الكلامي، هذا الحيّز المكاني فيه إحالة إلى مكونات هي حمول قضوية، يختارها المتكلم بناء على موقفه من هذه القضايا أو لتبيان علاقته بالمخاطب، ويلعب فيها اسم الإشارة وظيفة "البؤرة" "النقطة المركزية".

#### 6- الإحالة بالاسم الموصول في المدونة:

أ- الاسم الموصول بين النحو والتداولية: «الأسماء الموصولة هي المفتقرة إلى صلة وعائد»<sup>1</sup>، وعدّها النّحاة من المعارف «لأنه موضوع على أن يستعمله المتكلم به في معلوم عند المخاطب بواسطة جملة الصّلة، ومن أجل هذا تجدهم يتشربون في جملة الصّلة أن تكون معهودة للمخاطب، بخلاف الجملة التي تقع صفة للتكررة»<sup>2</sup>، وفي احتياجها لجملة الصّلة، بسبب إبهامها، فهي من المبهّمات، لذا اعتبر النّحاة صلّتها كالجاء منها لكي يتمّ الاسم في محله التركيبي.<sup>3</sup>

«ويوسم الموصول بالمعاني المقولية كالجنس والعدد، وتعتبر بنيته قائمة على أداة تعريف واسم إشارة في "الذي"، ويدلّ في "ما" و"من" على الإبهام الشّديد لغير العاقل في الأولى والعاقل في الثانية، ويتصرّف في التثنية والجمع كما في اللذان والذين»<sup>4</sup>.

1- شرح قطر الندى، ص: 111.

2- محمد محي الدين عبد الحميد، هامش كتاب شرح قطر الندى، ص: 111.

3- المنصف عاشور: (م، س)، ص: 237.

4- نفسه.

جملة الصلة هي الحاملة للفائدة والقصد، وهي مع اسمها بمثابة الاسم الواحد، فتعرّفه وتحدّده وتميّزه.

واختلف النحاة في معرفة الأسماء الموصولة، هل هي الألف واللام كما في: "الذي"، أم هي صلاتها؟، وهنا عرض "المنصف عاشور"، رأي «ابن الخشاب الذي رفض أن تكون الألف واللام للتعريف لأنّ صلاتها أي ما بعدها هو معرفها الأساسي، بل هي في نظره "زائدة لازمة...»<sup>1</sup>.

أمّا في نظرية "النحو الوظيفي"، فقد جمع "أحمد المتوكّل" بالتفصيل الخصائص التداولية، والدلالية والصرفية التركيبية للجملة الموصولة، وفيما يلي ملخص المقاربة المقترحة في النظرية:<sup>2</sup>

1- يعد ما يسميه النحاة "اسما موصولا" ضميرا كباقي الضمائر التي عرضنا لها سواء أكانت من زمرة "الذي" أو زمرة "من، ما".

2- بخلاف ما يذهب إليه النحاة، يشكل الضمير الموصول مع جملة الصلة مكونا وحدا، دليل ذلك التلاحم عدم إمكان ورود الضمير دون جملة صلة، مثل:

• قدم الذي/قدم من.

وإمكانية غيابه في سياق التّكثير من جهة ثانية:

• قابلت صديقا كان غائبا عن البلد.

3- ترد الجملة الموصولية "حرّة" ودون رأس سابق أو "مرؤوسة".

مثال:

• قدم الذي/قدم من كنا ننتظره.

• قدم الضيف الذي كنا ننتظره.

1 - المرجع السابق، ص: 668.

2 - أحمد المتوكّل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 116-118.

4- تحيل الجملة الموصولة الحرة (ضميرا وجملة صلة) على ذات في الخارج بيد أن

الجملة الموصولة المرؤوسة تحيل إحالة عود على الاسم رأسها، كما يتبين من

الترسيمة الإحالية التالية:

(...[رأس [جملة موصولة]]...).

5- في الجملة الموصولة المرؤوسة يطابق الضمير الموصول الاسم الرأس من حيث

سمات الإعراب (بالإضافة إلى سمات الجنس والعدد).

6- تصنّف الجملة الموصولة من حيث ارتباطها بالاسم الرأس صنفين كما هو معلوم:

جملة موصولة "مقيدة"، وجملة موصولة "غير مقيدة"، وتنعكس هذه الثنائية في

خصائص الضمير الموصول من وجوه أهمها ما يلي:

أ- يتصدّر الجملة الموصولة غير المقيد ضمير من إحدى الزميتين:

• قِدم الضيف، من/الذي كُنّا ننتظره.

لكنّه لا يسوغ تصدّر الجملة الموصولة المقيدة إلا بضمير زمرة "الذي".

ب- يتحتّم مطابقة الضمير الموصول للاسم الرأس من حيث إعرابه في الجملة الموصولة

المقيدة ولا يتحتّم ذلك في الجملة الموصولة غير المقيدة.

ج- يشترط في توارد الضمير مع الاسم الرأس أن يكون الاسم الرأس معرّفاً.

7- الخصائص التفسيرية للجملة الموصولة المذكورة سابقاً، أن الجملة غير المقيدة تشكل

فعلا خطابيا قائما بذاته، بينما تكون الجملة الموصولة المقيدة جزءاً من فعل

خطابي.

تطرق علماء لسانيات النص لوظيفة "الاسم الموصول" النصية، وأدرج ضمن الروابط

بين الجمل، فالاسم الموصول «من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم

نكره، والعلم به، وما يراد من المتكلم أن يعلم به، أو يضمه إلى ما سبق به»<sup>1</sup>.

1- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، ط1، 1427-

2007م، ص: 230.

لذا فقد ذكر "صابر الحباشة" غايات التعريف بالموصولية، ومنها "العدم علم المخاطب بالأحوال المختصة بالمسند إليه سوى الصلة"<sup>1</sup>، أي الفائدة التي تحملها الصلة، والتي الغرض منها الوصف التعريفي برأس الاسم الموصول وصلته.

هناك غايات أخرى توسّع فيها "صابر الحباشة" ذكرت في "شروح التلخيص"، ومنها:<sup>2</sup>

• استهجان التصريح بالاسم أو زيادة التقرير، نحول قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّذِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾. (سورة يوسف، الآية 23).

• التفخيم: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ﴾. (سورة طه، الآية 78).

وقد توصل "صابر الحباشة" إلى أن العلماء قد اعتمدوا على مقتضى القول في الاستدلال على وجود غايات للتعريف بالموصولية، وأعطى مثالا ذكره "شراح التلخيص"، وهو «إن الذي يتبع الشيطان خاسر»، فهذا يقتضي أن اتباعه مذموم، ومن لا يتبعه رابح.<sup>3</sup>

تناول "عبد القاهر الجرجاني" الغاية البلاغية للتعريف بالاسم الموصول في باب: «الذي ومجيئه لوصف المعارف بالجمل، وما تحتها من الأسرار»، مخصصا الحديث في "الذي"، وقد استعمل قوله ب: «اعلم أنك في "الذي" علما كثيرا، وأسرار جمّة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين».<sup>4</sup>

يرى "عبد القاهر الجرجاني" أن الاسم الموصول "الذي" اجْتَلِبَ ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل كما اجْتَلِبَ "ذو" ليتوصّل به إلى الوصف بأسماء الأجناس<sup>5</sup>، فجملة: "مررت بزيد الذي أبوه منطلق"، فالاسم الموصول "الذي" ميّز "زيدا" بالوصف المحدّد في "جملة الصلة" دون غيره حدّد للسامع المقصود من الكلام أو المتحدّث عليه لأنه على

1- ينظر صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 101.

2- نفسه.

3- المرجع نفسه، ص: 102.

4- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 199-201.

5- نفسه.



علم بذلك الوصف، وقد يفرض المقام أن يكون السامع غير عالم بالوصف المحدد كجملة: "هذا الذي كان عندك بالأمس".<sup>1</sup>

ويمكن أن نقيس التفسير الذي قدّمه "عبد القاهر الجرجاني" على أسماء موصولة في حالة المثنى أو الجمع أو حتى على "من" و "ما".

ب- الأسماء الموصولة في المدونة: في قصائد الديوان، شاع كثيرا التعريف بالاسم الموصول "الذي" وبعض تعريفاته في الجمع ك"الذين"، ونشير هنا أنّ "الاسم الموصول" عند الوصف به يلعب مرؤوسه (الجملة) دور "البؤرة"، لأنّ فائدة الجملة أثناء الكلام لا تتمّ إلاّ بذكره، ونمثّل لذلك بقول الشاعر:

ذري أحذر من يكيد لشعبها      ويظنّ أن شبابها قد غيرا<sup>2</sup>

فالاسم الموصول "من"، هو بؤرة الكلام، ويحيل به الشاعر إحالة عموم، لأنّه لا علم له بمن يقوم بفعل "الكيد" ضبطا، أو أنّه في موقف خائف من التصريح بالمعنى. استعمل الشاعر: الاسم الموصول "ما" في قوله:

هذي بلادي مهدّ كلّ فضيلة      أرايت ما وهبت لكلّ الجاحدين<sup>3</sup>

ف"ما" وصف بها الشاعر "وصف عموم" أي "إحالة عموم" لا خصوص، "إحالة إطلاق" لا تقييد، فالمقام يفرض ذلك، لكثرة تفاصيل الوصف (ما وهبت)، والغرض من ذلك التعظيم، والمبالغة، والتكثير.

ومن الشواهد الدالة على أنّ الشاعر لم يستعمل الاسم الموصول "الذي" للدلالة على ذات محسوسة فقط، قوله:

باق على العهد رغم الحزن والكمد      ورغم كلّ الذي أحياه من نكد<sup>4</sup>!

1- المصدر السابق، ص: 200.

2- الديوان، ص: 05.

3- الديوان، ص: 08.

4- الديوان، ص: 16.

"فالذي"، في البيت، دالة دلالة عموم على شاعر وأحاسيس ووضع وحال يعاني منها الشاعر، ولم تدل على ذات محسوسة ملموسة، فجملة الصلة "أحياء من نكد دلت على شيء معنوي هو حال الشاعر.

احتاج الشاعر أيضا لاستعمال أسماء موصولة أخرى تحيل إلى طبيعة شخصيته في الواقع، وتصف طبائعه وسجاياه التي تعبر عن الوطنية، كقوله:

**باقٍ على العهد، فاشهد أنني رجلٌ من الألى رقدوا في الحرِّ والبرد<sup>1</sup>.**

فالاسم الموصول "اللى" اسم جمع ذكور وصل به الشاعر بين كلمة رجل "النكرة" التي تعود عليه، وجملة الصلة «رقدوا في الحرِّ والبرد»، التي فسرت بوضوح الوصف المراد إيصاله للمخاطب والمتعلق بكلمة "رجل". وإضافة "من" أفادت التبعيض.

وخلاصة القول احتاج الشاعر للاسم الموصول ليحيل به إلى أوصاف واقعية، تتعلق بمواقف عايشها، أو طبائع، وسجايا وطنية تميز شخصيته، أو أوصافا تاريخية لذوات صنعوا المجد والحرية للوطن.

**ثالثا: الإحالة التداولية بالمتعلقات النحوية المنكرة (التنكير):**

### **1- التنكير بين النحو والتداولية:**

سبق وأن قلنا أن النكرة هي اسم قابل "أل" المؤثرة فيه تعريفاً، أي أن علامة النكرة هي غياب أداة التعريف (علاماته)، أو هي اسم يدل على معنى شائع في جنسه، وتدل أيضاً: «على شيء غير معين، بسبب شيوعه بين أفراد كثيرة من نوعه تشابهه في حقيقتهم ويصدق على كل منها اسمه، نحو: كتاب، عصفور».<sup>2</sup>

تطرق النحاة إلى قضية الرتبة بين التعريف والتنكير، ورأى "سيبويه" أنه لا بد من الابتداء بالمعرفة، لأنه لا يجوز الإخبار عن مجهول<sup>3</sup>، أي أن الفائدة لا تحصل لدى السامع، إلا متى أُنتمن اللبس، فيجوز حينها الابتداء بنكرة، وابتداءً من رأيه «صنع النحاة

1- الديوان، ص: 16.

2- إميل بديع يعقوب، (م، س)، 424/2.

3- ينظر سيبويه، الكتاب، 48/1.

قاعدة مشهورة مضمونها أنّ الأصل في المبتدأ (المسند إليه) أن يكون معرفة، وأنّ الأصل في الخبر (المسند) أن يكون نكرة<sup>1</sup>.

أمّا المتعلقات النحوية، فلا تخضع لشرط الرتبة بين التعريف والتكبير، لأنّها في الأصل مثلها مثل الخبر في قضية الإفادة، أي أنّها تحمل المعلومة المتعلقة بالحمل المراد الإخبار عنه، وعليه ما دامت المتعلقات النحوية رتبها التأخير سواء في الجملة الإسمية، أم الفعلية، فتأخير النكرة بغرض الإخبار بها والتوسّع في الكلام لا يدخل في شرط النّحاة: «لا يجوز الابتداء بنكرة ولا يجوز الإخبار عن مجهول»، ما عدا التّوابع تتبع متبوعها في التعريف والتكبير، فمتى كان محمولها مُعرّفا تُعرّف، ومتى كان نكرة تُتكرّر.

في أحوال المسند إليه والمسند وأحوال متعلقاتها ومتعلقات الفعل، اهتمّ البلاغيون بمبحث التّكبير للمسند إليه والمسند فقط، دون ذكر بلاغة التّكبير للمتعلقات النحوية (قيود الإسناد). وقدّموا جهداً عظيماً في بلاغة ذكر المسند والمسند إليه نكرتين في القرآن والشعر<sup>2</sup>.

ظاهرة التّكبير في التّداولية الغربية تلعب دور الإحالة التّداولية مثلها مثل المعرفة، ويطلق على العبارات الإسمية الخالية من أداة تعريف، أي "النكرة" مصطلح: "الوصف غير المحدّد"، ويكون رأسه المعجمي اسماً، مثل قطّ أسود، طاولة حمراء<sup>3</sup>، ويقابل الوصف غير المحدّد، الوصف المحدّد أي المعرفة، وكلا الوصفين قد يُستعملان تامّين أو غير تامّين، أي تامّين في الدّلالة على المرجع المراد تعيينه، فيكونان مستقلّين إحصائياً، (أي استقلال مرجعي)، وعليه، فالوصف المحدّد، في اللسانيات التّداولية ينبغي أن تتوفر فيه الشّروط التي يجب أن يستجيب لها الشّيء في العالم ليكون مرجعاً لذلك اللفظ، وأحد هذه الشّروط أن يُحيل إلى شيء وحيد دون غيره<sup>4</sup>.

1- مسعود صحراوي، (م، س)، ص: 235.

2- ينظر على سبيل المثال السكاكي: مفتاح العلوم، مباحث تعريف وتكبير المسند والمسند إليه.

3 - جاك موشلر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 140.

4 - المرجع نفسه، ص: 140، 141.

مثل: رئيس الجمهورية الجزائرية الذي انتُخب سنة 1999، أعيد انتخابه سنة 2003، فكلمة الرئيس تحيل إلى رئيس وحيد دون غيره في الجزائر، وهو "عبد العزيز بوتفليقة".

بينما في المثال: خرج الشعب منتفضا. فكلمة "الشعب" رغم أنها معرفة تعريفا تاما بـ آل، إلا أن إحالتها غير تامة، لأننا لا ندري أي شعب من الشعوب انتفض، أهو، الجزائري، أم التونسي، أم المصري، لأن كلمة "منتفضا" أُخبرت ووصفت شعبا غير مُحدّد المرجع، ومثل ذلك قولنا: "المحفظة المُباعة سيرجعها صاحبها؟"، ف"المحفظة المباعة" وصف غير تام، لأنّ المقام يفرض أنّ عدد المحافظ المباعة كثير، من خلال الشواهد السابقة، نفهم أنّ المعرفة (الوصف المحدّد)، حتّى وإن كان له استقلال مرجعيّ، فإنّ ذلك الاستقلال لا يكفي للتعرف على المرجع.

وعليه فاللّسانيات التّداوليّة جاءت لتحلّ مشاكل التّحليل اللّسانيّ البحت وتفرض ضرورة الإسناد إلى عوامل غير لسانية، يكون فيها التّحليل التّداولي ضروريا<sup>1</sup>، وهو النّظر في المقام والسّياق الذي ألقى فيه القول.

مصطلح "الوصف غير المحدّد التام" و"غير التام" أي النّكرة الدّالة على مرجع مُعيّن ومحدّد(عند النّحاة"مخصوصة")، والنّكرة الدّالة على مرجع غير معيّن، تنطبق الشروط نفسها على هذا النوع من الإحالات، أي يجب أن ننظر إلى المقام لنستطيع تحديد المرجع المعبر عنه بالوصف غير المحدّد غير التام، فقولنا: "التقيتُ بمعلمة تحبّ أكل الحلوى كثيرا" أو " تحبّ الضرب"، ففي هذا المثال من الممكن تحديد المرجع في الواقع، لأنّ المعلمة قد تكون معروفة لدى السّامع، وغيره أيضا، بينما في المثال: "التقيتُ بمعلمة ترتدي معطفا جذّابا" فالإحالة هنا غير تامة، لأنّه من المحتمل أن يكون في الواقع، معلّمت كثيرات معاطفهن جذّابة، في هذه الحالة فالتّحليل اللّساني لا يكفي، ويجب الرّجوع إلى مقتضى الحال لدى المتكلّم والسّامع معا.

1 - المرجع السابق، ص: 141.

## 2- المتعلقات النحوية المنكرة في المدونة:

في قصائد الديوان، مال الشاعر إلى اختيار معجم لغوي واضح مبتذل كثير التداول، ومحدد المراجع لسانياً وواقعياً، بما في ذلك العبارات الاسمية غير المعرفة، لأنّ الشاعر في موقف يتغنى فيه بحبّ الوطن وبجماله، وببطولاته وبشبابه، ومبادئه، وقيمه ورموزه، ومقدّساته، وكلّ الكلمات التي تتدرج ضمن هذه الحقول الدلالية مراجعها معلومة في الواقع، كقول الشاعر:

زمن الرّداءة ما تركت لأمتي      مجدًا يُصان ولا هوى ينساب<sup>1</sup>؟

فالكلمات، "مجدًا"، "هوى"، كلمات غير معرفة، ولما كانت موصوفة بوصف محدد خصّص التّكرة، وقرب درجة معرفتها إلى الأذهان، صارت في مقام المعرفة، ففهمنا أنّ حال الأمة العربيّة الإسلاميّة عموماً والجزائر خصوصاً، هو حال يُؤسف لها، ويرثى، وهذا يقتضي أنّها كانت أمة تنعم في المجد، والكرامة في زمن غير الزمن الذي يذمه الشاعر "زمن الرّداءة".

استعمل الشاعر المتعلقات النحوية غير المعرفة، وأدّت دور الخبر للعناصر الأساسية، "المسند والمسند إليه"، ونقصد بدور "الخبر" أي الكلمة الحاملة للمعلومة والفائدة، ونبين ذلك في تحليل العناصر الآتية:

أ- المفعول به: استعمل الشاعر المفعول به التّكرة، استعمالاً قليلاً، ومنها قوله:

لم أخش يوماً تُهمة      ولطالما نصّبوا فخاخاً عندنا ومصائد<sup>2</sup>

فالمفعولان: "تهمة"، و"فخاخا" وردا نكرتين، وغرض الشاعر من ذلك: "التّحقيق"، فهو في موقف الدّفاع عن الوطن بالكلمة، وإثبات شجاعته في ذلك، وكلمة "تهمة" تحيل إلى أنّ الشاعر تعرّض كثيراً للتّهديدات والاستهداف وقد ترك للقارئ حريّة البناء الدّهنيّ في أنواع

1- الديوان، ص: 72.

2- الديوان، ص: 78.

التهم التي تعرّض لها، وكذلك "الفخاخ"، ولذا فهذه الإحالة هي إحالة بناء من منظور النحو الوظيفي، تستدعي إعادة بنائها من جديد والاهتداء إليها بإعمال الذهن.

ب- المتعلقات النحوية الأخرى: المتعلقات النحوية الأخرى أيضاً، كالمضاف إليه،

والجار والمجرور وردت في صورة النكرة، أيضاً وكلّها، إحالات بناء، كقول الشاعر:

وحول بغداد في أرضٍ مجاورةٍ حلت جيوشُ بآلاتٍ وإمدادٍ<sup>1</sup>.

وهذي بوارجهم تنساب ذاهبةً نحو الخليج بأسرابٍ وأجنادٍ

فالاسم المجرور في "آلات، أسراب"، ورد نكرة، غير تامّة أي "نكرة محضة"، ليس لها مرجع محدّد تحيل إليه في الواقع، أي إحالة عموم لا خصوص، تحيل إلى مراجع مطلقة غير مقيّدة، ولعلّ غرض الشاعر ذلك هو دفع القارئ للتخيّل، وإعمال الذهن في تحديد المراجع، وربما أيضاً للدلالة على الكثرة، لأن الشاعر يصف حادثة مهولة، مرعبة، وهي سقوط بغداد، والكثرة متعلّقة بأنواع الأسلحة والمركبات التي لا تعد ولا تحصى.

الاسم المعطوف أيضاً، في البيتين ورد نكرة والغرض من ذلك هو التوسّع في الوصف والإخبار بالنكرة، فالشاعر يصف بالتفصيل الحادثة التاريخية، فاحتاج للاسم المعطوف لغرض الوصل بين المعاني المتزاحمة في ذهنه، فوجد في الاسم المعطوف سبيلاً لإخراج مكنوناته المتزاحمة.

الوصف غير المحدّد في الدرس التداوليّ يعني النعت النكرة، وإحالاته هي إحالة "بناء"، يُقصد من خلال استعمالها إعمال ذهن القارئ بناء على ما تشير إليه هذه العبارة في الواقع، وهي إحالة غير جاهزة عكس إحالة "التعيين".

ومنها قول الشاعر:

وأحرقوا رُموزها بكل حقدٍ أسودٍ<sup>2</sup>.

1- الديوان، ص: 96.

2- الديوان، ص: 14.

إحالة البناء هنا هي "حَقْدٌ أَسْوَدٌ"، وغرض الشاعر من ذكر النكرة هنا أي وصفاً غير محدد هو دعوة القارئ إلى بناء اختيارات أي صور ذهنية مختارة عن هذا الوصف لأن صورته متعددة، أي في الواقع ما يتعلّق به غير محدد، له وجوه، ومراجع متعددة. الشاعر أيضاً في موقف حزن وألم وربما عجز ذهني عن الاسترسال في التفصيل من هول ما يرى، فاكتفى بالنكرة وترك الباقي للقارئ كي يكمل.

ومنها قول الشاعر أيضاً:

أَدْعُوكِ أَنْ تَقُودِي      الوُجُودَ مِنْ جَدِيدٍ<sup>1</sup>  
لشَاطِئِ الأَمَانِ      وَعَالَمِ سَعِيدٍ

فالإحالة في قول الشاعر "عَالِمٍ سَعِيدٍ"، إحالة بناء ترك الشاعر، للمتلقى حرية اختيار مراجعه في الواقع، أي بناء إحالته، لأنه لو قال "العَالِمِ السَّعِيدِ"، سيكون لهذا العالم مرجع واحد يتفق عليه كلّ الناس، أو هو واحد عند كل البشر، بينما ذكره نكرة، يحيل إلى أن هذا العالم سعادته تصنع بوجوه مختلفة، ولكل واحدٍ هنا الحقّ في طريقة بنائه.

واستعمل الشاعر هذا المنوال كثيراً، قال:

نَشَرُوا بِأَرْضِكَ فِتْنَةً دَمَوِيَّةً      واستدرجوكِ إلى الجريمة بالوعود.<sup>2</sup>

النعته والوصف غير المحدد: "فِتْنَةً دَمَوِيَّةً". مفاد المفعول به النكرة هنا: التّهويل وتعظيم المجزرة. فهي مجازر أكبر بكثير من أن توصف وصفاً يستوعبه القارئ، ويتمثله في مشهد حيّ أمامه.

وقوله أيضاً:

وَفِيكَ تَحَقَّقَ حُلْمٌ كَبِيرٌ      تباهى به شَعْبُنَا الْمَسْلُومُ<sup>3</sup>

الموصوف مع النعت، "حُلْمٌ كَبِيرٌ"، فغرض الإحالة هنا عدم التّحديد، لأنّ ثورة نوفمبر ثورة عظيمة أكبر وأجلّ من أن تحدّد، وتعيّن، وهو حلم الانتصار والاستقلال، ترك

1- الديوان، ص: 31.

2- الديوان، ص: 19.

3- الديوان، ص: 63.

الشاعر للقارئ حرية البناء الذهني في هذا الفضاء الكبير، وحرية تحديد مراجعه في الواقع. وغرض التكرة هنا التعظيم.

#### رابعاً: الإحالة بالمتعلقات النحوية في ضوء نظرية الفضاءات الذهنية

«يتضمن مجال الفضاء شكلين وفرعين هما: شكل الفضاء أو المحلات وشكل المسارات والاتجاهات، وتمثل المحلات قطعاً من الفضاء، ومرتببة عبر الأبعاد الثلاثية بالإسناد إلى أصل معين، وبالنظر على نقطة معينة في الفضاء يمكن القول إن المحلات لا تخرج عن كونها فوق أو أمام أو خلف، وتوول الحروف الفضائية في هذا الإطار باعتبارها علاقات تتعدّد بين الأشياء والمحلات التي تقع فيها»<sup>1</sup>، إلا أن المسارات طبقاتها مرتببة، ويمكن لمسار من المسارات أن يلغي إمكان وجود مسارات في سياق متتالي.<sup>2</sup>

الفضاءات أيضاً، عبارة عن «جملة من المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء، ويتكوّن من عناصر وليس من الضروري أن تكون تلك العناصر مراجع(في المعنى السوسيري)، و قد يحدث أن يطابق فضاء ذهنيّ حالاً من حال الأشياء في الكون (مطابقة كلية أو جزئية)، فيكون التّطابق بين عنصر من عناصره وشيء في الواقع، ويكون التّطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشيء الواقعيّة، ويمكن أن يمثّل الفضاء عالماً متخيلاً، مبنياً بوجه من الوجوه، فليس من الضروري أن يكون خاضعاً للتّقييم العقليّ المنطقيّ، فيعتبر مستقيماً أو غير منطقيّ».<sup>3</sup>

تمثّل اللّغة وبما في ذلك النّصوص والخطابات المنّجّة المظهر الماديّ للفضاءات الذهنية، فاللّغة وسيلة لبناء هذه الأفضية، وعليه فالفضاء «يحدّد في الوقت نفسه بواسطة الأشكال اللّغوية التي نستخدمها في تركيب وإنتاج نصّ ما، أو بواسطة مجموعة مرتببة من

1- صالح غيلوس: التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية، تنظير وإجراء، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2017، ص:111.

2- ينظر نفسه.

3- الأزهر الزّائد: (م س)، ص: 206.



التلميحات ما وراء اللغوية»<sup>1</sup>، كالخلفيات السابقة والتنبؤات، فكل ذلك يساهم باستمرار في بناء الفضاء.

تتشكل الأفضية الذهنية «في جميع الأنشطة الرمزية لعل أبرز ممثل لها هو النشاط اللغوي، فالمتكلم إنما ينشئ ما لا نهاية له من الأفضية الذهنية في جميع الأقوال التي ينجزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشعر والرواية والمسرح ونشرات الأخبار ونشرات الأحوال الجوية ودروس الرياضيات وما إلى ذلك، وكذا الكاتب والرّسام في اللوحات أو الصور المتحركة أو الأشرطة المصورة وما إلى ذلك»<sup>2</sup>، وهذه الأفضية يكون نشوؤها «نشوءاً فورياً أثناء الكلام وتتعدّد وتتناسل كل ذلك بوجه (فوري أيّ)»<sup>3</sup>.

الفضاء الذهني هو فضاء مشترك بين المبدع والمتلقي، فهو لا يقف عند حدود الإنتاج، وإنما أيضا آليات التأويل عند المؤولين عبر الأزمنة المختلفة تساهم في بناء الفضاءات الذهنية<sup>4</sup>، وعليه يمكن أن نحكم أن خصائص الفضاء قابلة للتغير وفق التعدّد التأويلي، وإسقاطات عناصره على الواقع سياقياً، إلا أن الذي يبقى ثابتاً هو العناصر النحوية لا العناصر التأويلية، فالأولى هي الشكل والثانية هي المعنى.

المتعلقات النحوية تساهم مساهمة رئيسية في بناء الأفضية الذهنية عند المتلقين، وكذا في تشكيل عملية الإحالة السياقية للمراجع التي تعبر عنها، لا سيما المتعلقات النحوية المعبرة عن المعاني الزمانية والمكانية، كالمفعول فيه، والحروف الجارة مع معمولاتها، فهي التي تبني كما أشرنا إليه سابقاً ما يسمى بالمحلّات والمسارات، بل وتكون نقطة انطلاق لبداية بناء فضاء.

تظهر مساهمة المتعلقات النحوية، في الوظيفة الإحالية، أي أنها قد تشغل وظيفة **المُحال إليه** إذا ما كانت في صورة تدلّ على ذلك، وفي قصائد الديوان تعدّدت الفضاءات

1- غيلوس الصّالح: (م س)، ص: 112.

2- الأزهر الرّقاد: (م س)، ص: 206.

3- نفسه.

4- ينظر رحيمة شبيتر، (م.س)، ص: 272.

الذهنية، سواء أكانت واقعية أم تخيلية، ورسمت لها المتعلقات النحوية صوراً خاصة جعلتها مشحونة بالمعاني والدلالات، وأوضحت السياق العام لكتابة النص، وحددت أبعاده، ومنها:

- أ- فضاء التّغني بحب الوطن وتمجيده: وهو الفضاء الغالب على معظم القصائد.
- ب- فضاء الواقع الاجتماعي خلال العشرية السوداء: وقد سمى الشاعر هذه الفترة من خلال عنوان الديوان بـ " زمن الفجيعة "
- ج- فضاء الواقع السياسي (الخيانة الوطنية).
- د- فضاء السعي لحلول الأزمة (بيعة الوئام المدني).
- هـ- فضاء التّغني بثورة نوفمبر.
- و- فضاء تردّي الوضع الثقافي وتهميش المثقف.
- ز- فضاء تمجيد مآثر الأعلام الوطنية.

هذه أفضية عامّة مسيطرة وغالبة على الجوّ العام للديوان، إذ أنّ هناك أفضية فرعيّة لا تعدّ ولا تحصى (غير متناهية) استناداً إلى مفهوم الفضاء وأبعاده ومقوماته التي حدّدها النّظريّة التّداوليّة العرفانيّة المتخصّصة.

وللوقوف عند تداوليّة هذه الأفضية العامّة وتحليلها وفق مبادئ النّظرية الإحاليّة (المرجع والسيّاق)، وجب علينا تناول معظم المتعلقات النّحويّة وتبيان وظيفتها الإحاليّة، وما ينتج عنها من فضاءات فرعيّة؛ ونشير هنا إلى نقطة هامّة تتعلّق بـ "الحقل الدّلاليّ" لكلّ فضاء، ذلك أنّ المتعلقات النحوية التي استعملت طابقت معانيها المعجمية الحقل الدلالي لكلّ فضاء وهذه عتبة لسانية ضرورية لتحقيق القوّة الإحالية التي يقصدها الشاعر. والأفضية الدّلالية التي ذكرتها سابقاً تتلاءم والزمن الذي يحيل إليه كلّ فضاء، وكذا صيغة الفعل الكلامي من حيث الرّؤن التّداوليّة الذي يفرضه كلّ فضاء زمنيّ أو دلاليّ. ففضاء "تمجيد ثورة نوفمبر" تلائم الإحالة إلى الرّؤن الماضيّ، والقدرة الذهنيّة هنا اللّازمة لبناء هذا الفضاء، هي التذكّر، والاسترجاع، وعليه فالمراجع التي أحالت إليها العناصر اللّغويّة ستختلف عن المراجع في الأفضية الرّؤنيّة الأخرى.

ومن خلال تتبعنا لقصائد الديوان، وجدنا أن الأفضية الذهنية التي تحيل إليها الإحالة السياقية التداولية، أربع أفضية زمنية:

1-أفضية ذهنية تحيل إلى الماضي.

2-أفضية ذهنية تحيل إلى الواقع.

3-أفضية ذهنية تستشرف المستقبل.

4-أفضية ذهنية متخيلة.

وقد اعتمدت في تحديد هذه الأفضية على زمن الأحداث أولاً، فكلّ فضاء زمني له خصوصيته وأحداثه ومراجعته التي يتكوّن منها، والمتمثلة أساساً في المعنى المعجمي، وأيضاً أدوات اللغوية، والقاسم المشترك بين تلك الأفضية هو "العنصر المكاني، لأنه يتميز بالديمومة والثبات في تحديد النقاط والاتجاهات والمحلات والمسارات، ولعلّ العنصر اللغوي الذي بنى تلك الأحياز، هو "المفعول فيه"، إذ استعمل الشاعر، ظروفًا من قبيل: «تحت، أمام، نحو، يوماً، بين»، إضافة إلى الظروف المحددة، كأسماء الأماكن، مثل: الجزائر، أزقة، قريتي، المسجد، النجوم، السماء، الجبال، الليل...الخ.

الحروف الجارة المتعددة المعاني (المكانية، الزمانية، الملكية)، ساهمت هي الأخرى في بناء الأفضية وتحديد مسارات واتجاهات الأحداث، ونستطيع تقسيمها على الفضاء إلى قسمين: حروف وظيفتها "عمودية"، وأخرى وظيفتها "أفقية"، ولها وظائف علائقية تحدد مواضع ونقاط الذوات وتحركاتها.

-**المفعول فيه وزمن الفعل:** المفعول فيه هو اسم منصوب، يدل على زمان أو مكان وقوع الفعل، أي هو وعاء الحدث الكلامي، وإطاره الفضائي الذي تُبنى فيه الأحداث، وتحديد معالم هذا الإطار لا تتباين إلا بتعاقب زمن الحدث مع زمن وقوعه أو مكان وقوعه، وفي تحليل النصوص، يلعب تأويل المسارات الزمنية المكانية ومحلاتها دوراً مهماً في الوقوف على الجانب السياقي للنصوص.

فأيّ منتج أدبي يعدّ فيه «المكان عنصراً من العناصر السياقية ولا يكتسب قيمة واضحة، إلا في ضوء ارتباطه بالعناصر السياقية الأخرى، كالزمان والمتخاطبين، وموضوع التخاطب»<sup>1</sup>، وقد اهتم النقاد كثيراً بموضوع المكان والزمان معا واتفقوا على أنهما عنصرين مساهمين في تجسيم الأحداث، وتصويرها في مشاهد حية، تتبعث فيها الحياة من جديد حتى إن «الزمن ينفلت من القياس الخارجي، ولا يمكن فهمه إلا في الداخل الإنساني الذي تتداخل فيه الأزمنة بشكل رهيب يستعصي على كل قياس ومن ثمّ فالزمن الداخلي يعيد تشكيل الحياة، لأن استعادته عن طريق الذاكرة تمكّن من إعادة امتلاك هذه الحياة ذاتها التي صارت ماضوية»<sup>2</sup>.

لعبت -كما قلنا سابقاً- المتعلقات النحوية دور العنصر اللغوي الذي ساهم في تحديد معالم الفضاءات الزمانية والمكانية في قصائد الديوان، وسنبداً بتحليل الأفضية الذهنية التي يحيل فيها المفعول فيه إلى الزمان الماضي:

### 1- المتعلقات النحوية البانية للفضاء الذهني المحيل إلى الماضي: في قصائد

الديوان شاع كثيراً رجوع الشاعر إلى الوراء أي الأحداث التاريخية والماضوية في إطار زمني ومكانيّ محدّد المعالم، وضّحت ذلك التّحديد المؤشّرات اللغوية التي استعان بها الشاعر، ففي فضاء "التّعني بملامح ثورة نوفمبر"، مثّلت المتعلقات النحوية محتويات قضوية في هذا الفضاء أي حمولاً دلالية تنتمي إلى حقل دلاليّ هو جزء من هذا الفضاء، وردت معرفة ووردت نكرة، فالاسم المعرف في نظرية الأفضية الذهنية يحيل إلى مرجع معروف من قبل لدى السّامع، أما الاسم التّكرة فهو يحيل إلى مرجع جديد لم يكن معروفاً من قبل، وفي نظرية النحو الوظيفي، يقوم بدور إحالة بناء تستدعي من السّامع أعمال ذهنه ليُسقط ويجد المرجع المناسب، أو أن وروده نكرة، يكون فيها التّحديد غير منته (غير محدود). فتغوص المراجع في اللاتناهي.

1- رحيمة شيفتر، (م.س)، ص: 237.

2- إلهام علّول: جمالية النظام الزمني في الرواية الجديدة: سلطة النص وآليات إنتاج الدلالة: سيدة المقام أنموذجاً، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة-قسنطينة-، ع3/أفريل 2007، ص: 130.

سبق وأن تحدثنا أنّ العناصر التي تبني فضاء أي تحدّد معالمه، ألفاظ من قبيل: في تصوّر، في رسم، في صورة كذا... وغيرها من الألفاظ، وفي فضاء "التغني بثورة نوفمبر، هناك محددات مكانية وزمانية بنتّ صوراً من هذا الفضاء، كقول الشاعر:

في قمة الأوراس يوم تشامخت      همم الرجولة في جلال نوفمبر<sup>1</sup>  
 قد علمتنا منذ كنا صبية      أن المبادئ لا تُباع وتُشتري  
 وطني عشقتك في الملاحم قصة      صاغت روائعها حروف نوفمبر

نلاحظ أنّ الاسم المجرور بحرف الجرّ "في" الذي يفيد الظرفية صنع فضاءً ابناً لفضاء قرين هو الأحداث التاريخية التي حدثت في فضاء مكاني (في قمة الأوراس)، والوظيفة النحوية للعنصر المساهم في بناء هذا الفضاء هو "اسم مجرور" معرّف بالإضافة [اسم مجرور + أل+اسم]، أي هو شبه الجملة من الجار والمجرور المتعلّق بالفعل الماضي "تشامخت"، فالواقعة حدثت في الماضي، أي هي استرجاع ذهنيّ مقرّه الذاكرة والعناصر المكوّنة لهذا الفضاء الذهني كلّها معرّفة، لأنّ الشاعر يوجّه خطاباً لمخاطب يشاركه عملية "الاسترجاع"، أي هو على علم مسبق بالمعيّنات ذهنيّاً وواقعياً، وهذه المعيّنات هي: «قمة الأوراس، يوم تشامخت، همم الرجولة، جلال نوفمبر»، وليكون الشاعر أكثر وضوحاً في التّعيين، استعمل "اسم علم" وهو المضاف إليه "نوفمبر" الذي ساهم في التّحديد الزماني للفضاء الذهني، لأنّ ذلك يساعد على عملية الاختيار الذهنيّ من المخزون الموجود في ذهن وذاكرة المتكلّم من جهة ويستثير نشاط التذكّر في نقطة زمنية ما لدى السّامع.

يشارك في عملية الاختيار للمعيّنات قواعد أخرى، كقواعد الاختيار المعجمي، والاختيار النحويّ الصّرفي، وكذلك الاختيار الصّوتيّ بما في ذلك الوزن الشعريّ، والمتعلّقات النحوية تشغل دائماً الوظيفة النحوية التي تمثّل في المحوري الأفقي (التركيبية).

عملية الاختيار يقوم بها المتكلّم، وإذا كانا يشتركان في اللغة، وفي العلم بالمعيّنات فإن السّامع سيستحضر ذهنياً بينهما، وكلّ هذا يتمّ في أجزاء من الثانية، إذا عملينا الاختيار

والاسترجاع (التذكّر) عمليتان مهمتان في بناء الأفضية الذهنية، وهذا لا يعني أنها تتكوّن من مكونات تتعلّق بالنظام اللغويّ في جانبه الذهنيّ فقط، وإنّما أيضا يدخل فيها المكوّن النفسى، الذي يصبغ الخطاب المنطوق بألوان الانفعالات أو الحالات الذهنية. وعليه، فالأفضية الذهنية هي أفضية معقّدة في بنائها تكشف عن عملية التعقيد التي يمرّ بها إنجاز الخطاب.

الحالة الذهنية المصاحبة للفضاء لها صور شتى، قد تعبّر عن فرح أو ألم أو غضب، أو حزن، أو مدح، أو إعجاب، أو، أمل... الخ. وفي الأبيات الشعريّة السابقة غلبت على عملية الاسترجاع للفضاء الماضي (ذكرى)، حالة الإعجاب، لأنّ الشّاعر استعمل فعلا كلاميا تقريريا، نقل من خلاله مهمّة نوفمبر التاريخية مستعظما ومعجبا بهذا الإنجاز التاريخي.

الوعاء أو الإطار المكانيّ والزّمانيّ الذي تصنعه العناصر اللغويّة، ومنها المتعلقات النحويّة، كما رأينا في النماذج السابقة هو وعاء يتحكّم فيه الاسترجاع أي إعادة بناء الفضاء الذهني الماضي من جديد بمعية عناصر أخرى كالحدث أي الفعل الماضي، أيضا الأظرف الزمانية والمكانية المتعلّقة بالفعل الكلامي تحدّد لنا مكان الفضاء وزمانه، ككلمة "منذ" في الأبيات السابقة التي هي "مفعول فيه" متعلّق بالفعل الماضي "علمتنا"، وحملت دلالة الزّمن الماضي، إذا فهي من الأدوات التي تساعد على استرجاع فضاء ذهني ماض.

وفي البيت الثالث، لعب الاسم المجرور بـ "في" الدّالة على الظرفية المكانية في بناء فضاء ذهني بإطاره المكانيّ محدّد ومعين مرجعه، إضافة إلى اسم العلم "نوفمبر" الذي أفاد التعيين الزماني لهذا الفضاء.

وردت المتعلقات النحويّة في صورتها المعجميّة ألفاظا للدّالة المكانية أي "ظروفا محدّدة" \* أو "مختصة" أو "محدّدة" أي تلك التي تدلّ على مكان أو زمان معين، مثل: مسجد

\* - يتداول هذا المصطلح المحدثون ومنهم مصطفى الغلايني.

أو مغرب أو فجر... الخ، ونمّثّل لذلك بقول الشّاعر في الإشادة بثورة نوفمبر وملاحمها،  
مثل:

أجلك يا أيها المعلم	وأنت نوفمبرنا الملهّم <sup>1</sup> !
وفيك تحقّق حلم كبير	تباهي به شعبنا المسلم
فرنسا تجاهلت مهد الأسود	وأرض الجزائر كم توهم!
وها هو ذا المارد العربيّ	تجافى به ليك المظلم
فراح يدك حصون الظلام	ويغزو الحصون ويقتحم

نلاحظ أنّ الوصف المحدّد "المعلم" في البيت الأوّل، كلمته المعجميّة ذات دلالة مكانية أي ابتداء صنع فضاء مكاني بمحدّدات زمنيّة (نوفمبرنا)، وهذا الفضاء دائما هو فضاء ذهنيّ قبل أن يكون كلاميّا خطابيّا، وآلية بنائه هي "الاسترجاع" كما قلنا سابقا، لأنّ الحدث المعبر عنه (ثورة نوفمبر) حدث تاريخيّ ماضيّ.

ورد المفعول به المعرف (مهدّ الأسود-حصون الظلام، الحصون)، للدلالة المكانية، التي وقع فيها الحدث وليس فقط وقع عليها فعل الفاعل، وبالتالي فإنّ هذه الألفاظ تساهم في رسم الخارطة (الخريطة الذهنيّة) للأفضية الذهنية، فهي بمثابة معالم تحيل إلى مراجع في الواقع أو في الحادثة التاريخية.

وبالتالي نستطيع أن نقول، بالاستناد إلى معطيات نظريّة الأفضية الذهنيّة عن القوادح والأهداف، أنّ المفاعيل السّابقة هي قوادح مربوطة برابطة ذهنيّة، تجعل ما تحيل إليه في الواقع "أهدافا"، فكلمة "مهدّ الأسود" تحيل إلى أرض الجزائر التي هي موطن الرجال الأحرار الشّجعان، و"حصون الظلام" تحيل إلى مواطن العدو، الظالم (الظلام).

نشير هنا إلى أن الشاعر استعان كثيرا بحرف الجر "في" مع الاسم المجرور، سواء أكان اسما صريحا أم ضميرا، في بناء "الأفضية الخطابية" التي هي صورة عن الأفضية الذهنية المعبرة عن وقائع الثورة التحريرية، كقول الشاعر:

1 - الديوان، ص: 63، 64.

(وفيك تحقّق حلم كبير)، (ففي شعره نفحات التّجلي)، (وفي شعر "خرفي" رهافة حسّ)، (وفي عيدك الوطنيّ الجميل يعود الشّهيد ويبتسم<sup>1</sup>).

2- المتعلقات النحوية البانية للفضاء الذهنيّ المحيل إلى الحاضر: رسم الشّاعر صوراً عديدة عن واقع أليم عايشه القارئ وهو السّبب وراء نظمه هذا الديوان، وهو واقع العشريّة السّوداء، الذي هو تجربة أليمة مرّت بها الجزائر، ومرّ بها أبناؤها، ومن صورها الذّبح والتقتيل، والتّكيل، والانفجارات والاعتداء على رموز الوطن ومقدّساته، واستباحة النّساء، وأبشعها التّكيل بالأطفال الصّغار وحتى الرّضع.

واقع أليم، هُدّد فيه الصّالحون المثقّفون المنددّون والمستكبرون لهذه الجرائم، والكاشفون عن الفاسدين المسبّبين لها، والذين لا صلة لهم لا بالدّين، ولا بالوطن، بل هم خائنون عملاء لأأيادٍ خفيّة تريد أن تقود الوطن إلى الهاوية، خائنون لأمانة الشّهداء، استشهد من أجل الذود عنها واسترجاعها أكثر من مليون ونصف المليون شهيد.

يستتكر الشّاعر الجرائم البشعة التي تصدر من مرتزقة ضدّ أبناء وطنهم، ويندّد بأسباب الفرقة والفتنة، والتّصادم من أجل مصالح شخصيّة على حساب مصلحة الوطن الكبرى، وهي الأمن والاستقرار.

لقد لعبت المتعلقات النحوية دوراً لغويّاً هامّاً في إبراز تفاصيل الأفضيّة الذهنيّة التي بناها الشّاعر بفعل مواقف الألم والحسرة والحزن على حال وطنه في ظل العشريّة السّوداء، فالشّاعر عايش التجربة، وانعكس ذلك حزناً وألماً على نفسيته وعواطفه، فتوجه إلى القارئ من بني وطنه يشاركه هذه المشاعر ويدعوه إلى رداء أسباب الفتنة والفرقة، مسجلاً الحقائق الجمة عن الزمن الرديء زمن الخيانة، حتى يبقى شعره شاهداً من الشواهد على ذلك:

فأنا على زمن الخيانة شاهد      أفديك يا وطني وأرْفُضُ أن تهون<sup>2</sup>  
زمنَ الرّداءة ما تركتَ لأمتي      عزّ الجدود ولا وفاء الوارثين

1- الديوان، ص: 70.

2- الديوان، ص: 08، 09.



في الأبيات السابقة، يصرّح الشّاعر أنه أحد الشّاهدين على ما يمرّ به الوطن، وقد ارتسم ذلك في ذهنه وسيُنحت نحتاً، لأنّ الشّهادة مرتبطة بالذاكرة، ومعايشة الأحداث والوقائع الحقيقيّة، وصرّح أنّه تعرّض للتّهديد والمساومة من أجل أن يسكت، ولا يفضّحهم بالكلمة، فأبى معانداً، وفي ذلك يقول:

واستدرجوني للسكوت بمكرهم      وأبئتُ إلا أن أكونَ معانداً<sup>1</sup>  
 إنّي رفضتُ عروضهم وطروحهم      وبقيتُ أصدحُ بالمواقف صامداً  
 تأبى الرجولة أن أساند كلَّ من      داس الثّوابت والمبادئ قاصداً

ويكمّل الشاعر معاناته مخاطباً "محمد العيد آل خليفة":

هبنى بيانك فالخطوبُ تراكمت      وغدت جبالاً كالجبال شدائد<sup>2</sup>  
 إنّي أراها كالظلام تلبّدت      فوق البلاد سائداً ومكائداً  
 وأرى المخاطر بالثّوابت أهدقت      والقوم عاثوا في الرّبوع مفاصداً  
 وأنا المدافع عن أصالة أمّتي      مازلت أكتب عن جزائر خالده  
 مازلت أمشي في شوارع غربتي      يغتالني أثر الأيادي الكائده  
 يغتالني غبنُ الرموز ببلدتي      ورؤى الخيانة في العيون الحاقدة  
 أنا لم أشارك في الجريمة يا أخي      فعلام أخشى من قصائد ناقده؟!  
 يخشى الألى سفكوا الدّماء وأجرموا      وغدوا وحوشاً كالوحوش الشّارده  
 يخشى الألى نهبوا الجزائر كلّها      ولشعبها تركوا فتات المائده

في الأبيات السّابقة ساهمت المتعلّقات: "على زمن الخيانة، زمن الرداءة، بالمواقف، في الجريمة"، "علام"، "في شوارع غربتي"...، في بناء الفضاء الدّهني، أو هي العناصر البانية للفضاء الدّهني الذي يعيشه الشّاعر، والمتمثّل في سرد وتقرير الحقائق والوقائع المتعلّقة بالانفلات الأمنيّ إبّان العشريّة السّوداء، أمّا الضّمير "أنا"، و"شاهد"، فهي قوادح

1- الديوان، ص: 78.

2- الديوان، ص: 78، 80.

للدلالة على الهدف الذي هو "الشاعر"، حتى يبين أنه جزء من هذا الفضاء، أي واحد ممن مستهم الظروف القاسية.

"المفاعيل" و"الحال"، و"المعطوف"، و"الاسم المجرور" و"ظروف المكان"، و"التوكيد" و"النعوت" لعبت دور القوادح التي حملت خاصية التفصيل، والجزئيات المصورة عن طبيعة الأحداث وعملية سردها، إذ فصّلت ملامح ومعالم، ومكونات الفضاء تفصيلا كاملا، وتفصيل ذلك فيما يلي:

الثوابت والمبادئ ← العلم، الدين، اللغة، الشهداء.

الخطوب ← المجازر بأنواعها: تفجير، تنكيل، تذبيح، اغتصاب، ترويع، تهديد، اختطاف، والفتن.

كالظلام ← قمة ويشاعة المجازر.

في الربوع، في الشوارع، فوق البلاد ← حدود مكانية للأحداث.

كالوحوش الشاردة ← شخصية المجرم والإرهابي التي تعبر عن اللانسانية.

أغلب قصائد الديوان ترسم مشاهد لمرحلة العشرية السوداء، فهي المناسبة الرئيسية لنظم أغلب قصائده، واستطاع الشاعر أن ينقل ذلك العالم النفسي الذي يختلج صدره، والمفعم بمشاعر الحزن والألم، والمعجم الشعري اللغوي الذي اختاره دليل على ذلك، فألفاظ من قبيل: تنكروا، عرّضوا، حقد أسود، فريسة، عثرنا، معذرة، أحرقوا... الخ، الأجساد، اغتيال، الشهيد، فتنة دموية، الجريمة، تُسيء، يحاصرها، الجناة، تستغيث، العابثين... الخ، ألفاظ تدلّ على قمة الألم والحسرة الذي يعيشه الشاعر بداخله، وموقفه المندد، المستكبر لهذه الأوضاع.

استطاع الشاعر أن يعبر عن أفضية ذهنية تجعل القارئ يخلق فضاءات مشابهة، لأنّ الوقائع والأحداث مشتركة بينهما، فهما جزء لا يتجزأ من هذا الوطن المكلوم، وقضية الاشتراك أعمق بكثير، فهو اشتراك في الهوية والانتماء، وكلّ رموزهما ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فإن رجع إلى الوراء استرجع معه القارئ، وإن عبّر عن حال الوطن الآن استنثار

القارئ لتلك الحالات، و يجد نفسه في حالة جذب ذهنيّ بفعل العناصر اللغوية التي تحيله إلى هذا الواقع، وهي ليست عناصر غريبة تستدعي كثرة التّأويل والاستفسار وبالتالي تعدّد بناء الأفضية المحتملة في ذهنه، وإنّما هي مؤشّرات تعبّر عن مكوّنات مشتركة بين المتكلم والمتلقّي في المجتمع الواحد، وفي وجهة أخرى، إن حلم الشّاعر بمستقبل غير معلوم أخذ معه قارئه، فيستجيب حالما معه، مستعينا بالقوادح التي بنا الشّاعر بها نصوصه، فيأخذها كمشعل يهتدي به في أجواء هذا المستقبل وأرجائه، ويقف عند حدوده ومكوّناته. فيكون قد لبّى له رغبته ودعوته في إعمال الخيال والتحرّر والانطلاق دون ضياع.

ينلقّي المخاطب (المتلقّي) الصّور الشعريّة الأليمة متأثراً بمواقف الشّاعر المندّدة، لأنّ القضية تمسّ كل أبناء الوطن، وهي تجربة مرّة عايشها كلّ أبنائه، لذا فتلك الصّور الشعريّة المفعمّة بمشاعر الألم والحسرة والاستنكار، والغضب، هي انعكاس لصورة ذهنيّة نفسيّة نفسها تلك التي مرسومة في ذهن القارئ، وإنّما الشّاعر يحاول أن يحرك في القارئ الجانب الشعوريّ الوجدانيّ.

يستهل الشّاعر في رسم مشاهد قصائده بعبارات من قبيل: سجّل، أراد،... الخ، وهي تمهيد لبناء أفضية ذهنيّة يستطرد فيها الشّاعر ذكر مشاهد من القوميّة الوطنيّة التاريخيّة، وأيضا تصوير مشاهد تتعلّق بأزمة العشريّة السّوداء، ففي قصيدة "زفّرات المجد الخالد"، استهلّها بقوله: "سجّل" كإعلان لبداية فضاء، وبدأ يصوّر مشاهد تحسّر فيها على ضياع المجد الخالد للأمة العربيّة، ثمّ بدأ يفصّل في الوضع الذي آلت إليها الجزائر، مستغلاً المتعلقات النحوية في التفصيل والتّدقيق، والتّلوين اللّغويّ، كقوله:

فكيف تضعف يا أوراس دولتنا	ويستبيح حماها كل من حقدًا؟ <sup>1</sup>
جنى التعصّب والحمقى عليها ضحى	ويددت فتنّ أبنائها بـددا؟
فلا الدّعاة ولا الأحزاب قـادرة	على التّفاهم أو إصلاح ما فسدا
تحركّ الغضب المكبوت من زمن	وراح يقتلُ فينا العقل والرّشدا

فالمنادى "أوراس"، يخاطبه الشاعر تحسراً وألماً لأنه رمز من رموز الثورة التحريرية، فهو يحيل إلى العظمة والمجد والانتصار، إلا أنّ هذا المجد لم يبق على حاله، وانكسر بسبب المكائد، فالشاعر، يتخذ من الرمز "أوراس" مخاطباً مجازياً في هذا الفضاء الذهنيّ كانطلاقة للتعبير عن مشاعر الألم في الحاضر المربوطة بمشاعر الإعجاب والافتخار في الماضي.

لعب الاسم المجرور وظرف الزمان دور "المحلّات" للفضاء الذهني، كالاسم المجرور "عليها" و"ضحى"، في البيت السابق، وهي تحيل إلى مكان وزمان وقوع الحدث، وتحديد الزمان بالدقة (ضحى)، يبيّن أن الشاعر رسخت الحادثة في ذهنه، وتلك الدقة لا يعبر عنها ولا يمكن تحديدها إلا بظرف زمنيّ معلوم هو "ضحى".

المفاعيل في الأبيات السابقة، كانت عناصر من محتويات قضوية، أتمت الفائدة، وزادت التصوير دقة، ففي قوله: "بددتُ فتن أبناءها بددا"، تحيل إلى نتيجة الفتن والتعصب وأثره على أبناء الوطن وهو أثر سلبي ترك في نفس الشاعر ألماً كبيراً، والدليل هو استعمال الشاعر للمفعول المطلق لتأكيد وقوع الحدث "بددا"، أما المفعول به: أبناءها فهو محور الحدث لأنه يحيل في الواقع أي في الفضاء "القرين" إلى المستهدف الأول من وراء زرع الفتن، وذكر الشاعر كلمة "أبناء" دون غيرها، لأنه يتوجه بهذا الخطاب إلى أبناء الوطن، وهم المعنيون بالخطاب، حتى يؤثر فيهم، ويحرك في نفوسهم مشاعر الغيرة على الوطن واستقرار، ويكونون عنصراً مصلحاً بدلاً من التجاوب مع الفتن والعنصرية.

من الأفضية الذهنية الواقعية التي بناها الشاعر، صور شعرية معبرة عن جهود الوئام الوطني وبرنامج الذي اقترحه "عبد العزيز بوتفليقة"، وقد كان الشاعر من المرحبين به ومن المؤيدين، فجاءت أشعاره مادحة للمشروع وصاحبه، ومفتخرا بهذه الشخصية الوطنية ومعجبا، فبعد أن مرّ الشاعر بفضاءات ذهنية معبرة عن الافتخار بـ"ثورة نوفمبر"، ثم التحسّر والألم على الوضع الذي آلت إليه البلاد في العشرية السوداء، ها هو شاعرنا يسترجع مشاعر الفرح والأمل، والسعادة بعد تخطي الأزمة الأمنية بفضل مشروع الوئام

الوطني، يقول الشاعر مادحا ومستتهلا قصيدة "بيعة الوئام الوطني" بجملة اسمية واصفة،  
وبانية للفضاء الذهني، خبرها جملة فعلية:

كلّ الأنام إلى هواك تودّوا      وصدك سرتا في الحياة مخلدًا!

إلى قوله:

حتى تقدّم للسباق منافسٌ      وتيقنتُ أنّ المنافس أمجدٌ<sup>1</sup>  
فتحت له بعد النّجاح ذراعها      وأتت له بجلالها تتوّدّد  
أقبل يا عزيز ولا تهبب      لك في المحافل والمنابر مقعدًا!  
عشرون عاما والفصاحة ترتجي      هذا الخطاب ولم يتح لك موعد

استعمل الشاعر في هذا الفضاء الذهني مُعْجَمًا لغويًا يتناسب واعتقاداته إزاء الواقع أو الموقف الذي يعبر عنه، مثل: هواك، تودّوا، الحياة، السباق، أمجد، النّجاح، جلالها، عزيز، المحافل... الخ، واستعان بالمتعلقات النحوية كعناصر لغوية ساعدته على التفصيل في ذكر مناقب ممدوحه، فالاسم المجرور (للسباق)، أفادت فيه اللام الملكية، إذا أسند الشاعر النجاح في السباق والتقدم لممدوحه وعطف على ذلك بجملة تأكيدية، فعلها الكلامي تقريرِي يفيد التأكيد: "وتيقنتُ أنّ المنافس أمجد"، حتّى يؤثر في القارئ، ويجعله يعيش الفضاء الذهني نفسه، وهو الإعجاب بصنيع الممدوح، فالمتلقي قد يكون مترددًا، لأن الموقف مفتوح على خيارات، منها الرفض والقبول لمشروع الوئام، ولم يكتف الشاعر بالتركيب النحوي الذي يفيد التأكيد وإنما أيضا الصيغة الصرفية، "اسم التفصيل" في قوله "أمجد"، فهو اسم تفضيل يدلّ على أن هذا "الرجل" فاق أقرانه في المجد والشجاعة.

استعمل الشاعر الظرف "بعد" الذي يفيد الانتقال في المستقبل، وأدى "هنا" معنى "التحوّل" والسيرورة الزمانية، وهذا المعنى يلائم التطور الواضح في ظروف البلاد بعد النجاح الذي حققه استفتاء "الوئام"، كما أنه يحيل إلى تطور مشاعر الشاعر ومواقفه واعتقاداته النفسية إزاء الأوضاع، فبعد أن كان متألّمًا صار فرحًا مستبشرًا. واستطاع أن يجول بذهن

1- الديوان، ص: 45.

المتلقّي نفسيًا وذهنيًا عبر تلك الفضاءات المتنوّعة والمتسلسلة، وبشاركه في بناء فضاء ذهنيّ مماثل، مثلونًا بالحالات الذهنية نفسها، كيف لا؟ وهذا القارئ هو من بني وطنه عايشا التجربة معا.

استعان الشّاعر بالاسم المجرور بـ"في"، ككلمة "في المحافل"، ففي تقييد الظرفية المكانية، وهنا الشّاعر استغلّ معناها في تبيان أماكن حقّق فيها "عبد العزيز بوتفليقة" حضوره وإنجازاته ونجاحاته، وهي "المحافل والمنابر"، وهي تقييد التعظيم والتبجيل، إذ أنها تحيل إلى صدى الخطابات واللقاءات التي كانت تعقد بإشرافه، وتلقى إقبالا كبيرا، وهذا يدل على أن الشاعر واحد من المناصرين لتلك المحافل والخطب التي كان يلقيها الرئيس. دعم الشّاعر بناء الوعاء المكاني للفضاء الذهني باستعمال حروف جرّ أخرى، كاللام التي تقييد الملكية، في قوله: "لك في المحافل..."، فهنا خصّه بلام الملكية بتفوّقه بالخطب التي كان يلقيها.

### 3- المتعلقات النحوية البانية للفضاء الذهني المحيل إلى المستقبل:

رغم الألم الذي عاشه الشّاعر، فإنّه كان آملا، طموحا إلى مستقبل أفضل للبلاد، فسوّر لنا ذلك في فضاءات ذهنيّة مفعمة بمشاعر الفرح والاستبشار، والتّحليق في فضاء المستقبل الجميل الذي رسمه الشاعر، للوطن وللشباب، مستعملا قاموسا لغويًا خاصًا ملائما بطموحاته وأحلامه وآماله في التغيير نحو الأفضل، ونلاحظ ذلك في عناوين القصائد: "من مطلع الشمس، باق على العهد، هلمّوا لهذا النداء، يا أمة الخلود!، أهازيج في عيد الجزائر، لبيك يا حادي الوئام!"، ومن أمثلة المفردات المعبرة: أمة الخلود، شعلة الضياء، السماء، هتاف، غد، جديد، عالم سعيد، العلم، أجمل الصفات، خير جيل، بطولات الجزائر، المفاخر، تطلّعي، العلا، نمتطي، الصّباح الأسعد، قلعة العظماء، عهد جديد، عبر الفضاء، تجددّي، البناء... الخ.

في هذا الفضاء الذهني، نجد أن مشاعر الشاعر مشاعر منطلقة، متحررة، مناسبة انسيابا مع طموحاته وأحلامه، في فضاء رحب واسع لا حدود له لأنه ممتد في أحلام

المستقبل، وفي آمال الغد، وقد استطاع أن يخلق في نفسية القارئ، وذهنه فضاء مماثلاً، لأن مثل هذه الصور كثيراً ما تستدعي انتباه المتلقين نظراً لطبيعة النفس البشرية الحاملة بما هو أفضل، والساعية للتغيير نحو ما هو أجمل، فتكون نفسية المتلقي على استعداد للتجاوب مع مثل هذه التجارب الشعرية والمنجزات الخطابية، وتشاطر المبدع إنتاج الفضاء الذهني نفسه، وهو الفضاء الواسع الرحب المملوء طموحات وأحلام، وقد تتطلق نفسية المتلقي في عملية الإنتاج والتخيل بصورة ليس مشروطاً أن تطابق تلك الصورة التي أنتجها المبدع، لأنّ عمليّة الخلق هنا خاضعة للقدرة الخياليّة الفرديّة، ومجال التفكّر في صنع المستقبل، وكيف يكون هو مجال منطلق، متحرر، أي ليس حدثاً واقعياً، تخضع للملاحظة الجماعية والاشترك في تعايشه أو معايشته.

استعمل الشاعر فعل الأمر مخاطباً الأمة (الجزائر) حتى تتطلع إلى مستقبل أفضل، وخصّ غير العاقل بالخطاب أي "الجزائر"، لأن الشاعر في كثير من المواقف يبدو يائساً من إسماع صوته لأبناء وطنه بعدما استفحل العنف وطغت صور العصبية، والتعددية الحزبية التي دبّ في أوساطها الخلاف والتشاحن، وأدى ذلك إلى انفلات أمني غير سابق في الوطن، فكثرت مظاهر التقتيل والاغتيال وغيرها.

خصّ الشاعر في بنائه للفضاء الذهني الحالم، والمستشرف لمستقبل جميل، خصّ خطابه "الجزائر"، حتى ينفّس عن كربته من جهة ومن جهة أخرى فإن الوطن هو المخصوص بالتغيير، وهو الممثل الوحيد لكل أبنائه في جميع أزمنته وظروفه، إضافة إلى أنه متيمّ بحبّ هذا الوطن، وغيور عليه، ومخاطبة غير العاقل فيه جلب ولفت للانتباه ما قد لا تجلبه مخاطبة العاقل، في الفضاء الحالم، في الخطاب الآمل خاصة الخطاب الوطني، كثيراً ما يخاطب الشعراء أوطانهم، لأنّ هذا النوع من الخطاب يبحر فيه الشاعر في أحلامه وخیالاته، ويهيم حبا في وطنه وفي جماله، ودائماً يأمل أن يكون وطنه مزدهراً، يعمّه الأمن والسلام والجمال والحرية، لأنّ الوطن هو الأمّ الثانية التي تحتضن أبنائها.

في مناداة الوطن ومناجاته، انطلاقة لبناء أفضية كثيرة ومتنوعة متسعة اتساع هذا الوطن، متسعة على قدر آمال الشاعر وآمال كل مواطن مخلص يبحث عن التعويض الايجابي والتغيير لكل ما فات من ألم تنوعت مكونات، لذا استعمل الشاعر أسلوب النداء كثيرا، فاتحا خطابا خاصا مع المنادى "الوطن"، كقول الشاعر:

يا أمّتي توحدني	تميزي تفردني! <sup>1</sup>
تطلعي إلى العلا	تطوري تجددني
بلادنا أسيرة	بحرفها المستورد
فأطلقني لسانها	بضادنا المجدد
وأخرجي شبابها	من عيشه المنكد
ووجهي طموحه	نحو الفضاء الأبعد
نوفمبر أكرمنا	بكلّ هذا السؤدد
عودوا بنا لنهجه	لعلنا سنهتدي
ونمتطي أيّامنا	نحو الصباح الأسعد

استعمل الشاعر متتاليات من فعل الأمر للمخاطب المؤنث المفرد (يا أمّتي) حتى يرسم مشهده المعبر عن فضاء ذهني حالم أمل، ففي فعل الأمر الذي غرضه الالتماس دعوة باسم الوطن لبناء مستقبل جميل غير الواقع المرّ المعيش. وهو خطاب مجازي استعاري.

استعان في تراكيبه النحوية البسيطة بحرف الجرّ "إلى"، والظرف "نحو" المتعلقين بفعل الأمر الموجّه إلى المخاطب المؤنث المفرد، فالشاعر يحلم بأمة متغيرة لذا استعمل عناصر لغوية فيها معنى السيرورة الزمانية والمكانية والتحوّل والتغيير والتقدم، ففي قوله: "إلى العلا" فـ"إلى": معناها الأصلي: انتهاء الغاية المكانية وبإضافتها للاسم "العلا" الذي هو اسم معنوي يدلّ على الاستعلاء والفوقية، جاءت "إلى" لتخدم معاني "الاستعلاء" والرتب

1- الديوان، ص:14.



العليا التي يتمناها لوطنه، فهذه معان حاصلة في الذهن وفي النفس، ثم انطبعت لغة شعرية، وهو دليل على "الفضاء الحالم" المستعلي الذي بناه الشاعر، ف"العلا": قادح في الفضاء الابن، والازدهار والنجاح والتقدم والتطور هي أهداف لم تتحقق بعد في الواقع.

المعنى نفسه تؤدّيه الجمل: "أطلقني لسانها" و"أخرجني شبابها"، و"وجهي طموحه" فعلاقة التّعدية بين الفعل الأمر والمفعول به ويضاف إليها المعنى المعجمي في هذا المقام للطرفين، هي علاقة تؤدّي إلى حركة انتقالية ممتدّة عبر فضاء ذهني لا نهاية لها، وتلك القوادح تحيل إلى القيود الواقعية التي تكبل الوطن وتقيده وتمنعه من التحرر والانطلاق، فالشاعر يحاول أن يبني فضاء حالما عكس الفضاء الحقيقي المعاش الذي يبعث في نفسه "الأم" و"التحسر".

الظرف "تحو"، مع المضافات إليها: "الفضاء الأبعد"، "الصباح الأسعد"، أدّى معنى السيرورة الزمنية الدائمة المتصلة مع خطّ ممتدّ لا نهاية له في الفضاء الذهني الحالم الذي يرسمه الشاعر، ويترك للقارئ حرية رسم حدود ذلك "الفضاء الأبعد"، أو حدود ذلك "الصباح الأسعد"، لأنّه في الواقع لا توجد إحالة محدّدة، وإنّما هي خيارات مستقبلية متعدّدة تكون بمثابة الافتراضات التي يعيد بناءها القارئ.

نلاحظ أنّ النّعت في المضافات إليه السابقة أعطى بصمة خاصّة أو صبغة لطبيعة المستقبل الذي يتمناه الشاعر لوطنه: مثل: الأبعد، الأسعد، فالنعت: "الأبعد" خصّص الفضاء الحالم لأنّه لا حدود له، و"الأسعد" حدّدت صفة "الصباح" فهما قوادح لأهداف مثل: "الخروج من الأزمة، بناء وطن متطورّ يعمّه الأمن والسّلام، الازدهار... الخ.

في الأبيات الآتية، لعبت المتعلقات النحوية دوراً مهماً في رسم معالم ونقاط مكانية على الخطّ الممتدّ في الفضاء الحالم، فضاء الشاعر الطموح الآمل بمستقبل أفضل لبلاده، يقول:

يا أمة الخُود      يا شُعلة الضياء<sup>1</sup>

أدعوك أن تسودي	في الأرضِ والسَّماءِ
يا أمة السّلام	يا دوحَةَ الإخاء!
تألّقني وتيهي	وعانقي البقاء
وجسدي الطّموح	وحقّقي الرّجاء
أدعوك أن تقودي	الوجُودَ من جديد
لشاطئ الأمان	وعالم سعيد
فحقّقي يا أمّتي	طموحنا البعيد!
أدعوك أن تثوري	وتنفّضي الكسل
وترفعي التّحدي	بالعلمِ والعمل
فانتفّضي يا أمّتي	في السّهل والجبل
ووحّدي الصّفوف	وعالجي الخلل
تألّقني يا أمّتي	ونافسي الدّول!
وشيدي القلاع	وحقّقي الأمل

سبق وأن أشرنا أن المنادى مع أداة النداء هي عناصر مساهمة في بداية بناء فضاء ذهني (استفتاح، إعلان، انطلاق في رسم مشهد يناظر مشهد نفسي داخلي)، لأن في النداء دعوة لحوار، دعوة لعقد محادثة هي تمثيل لمشهد موازي، وبالتالي فإن في قول الشاعر: يا أمة الخلود "هو يحدّد، يعيّن، يعلن عن رسم نقطة أولى لفضائه وفي التعريف بالإضافة (الخلود، والضياء) هو وصف محدّد معلوم لدى المخاطب أيضاً، وفي تأويل لجوء الشّاعر إلى التّعريف غرضه الافتخار والتعظيم، أي أنّ التّحديد المباشر والصّريح والمقصود يعلن عن التّفاؤل والأمل واليقينيّة بتبدّل الأحوال، ودليل ذلك الكلمات المعجميّة (الخلود والضياء). استعمل الشّاعر كاف الخطاب (أدعوك) وياء الخطاب، حتى يحدّد اتّجاه الخطاب، وسيرورة معالم فضائه الحالم الذي يراها هو، فاستعان بالاسم المجرور بـ"في" الذي يفيد الظرفية المكانية، في قوله: "في الأرض والسماء"، دون أن يرسم حدودا ينتهي عندها فضاءه،

وهذا يبين أن الفضاء الحقيقي الذي يعيشه الشاعر في الواقع، هو فضاء ضيق، لا متنفس فيه عن الهموم والأحزان، فوجد في فضائه الحالم الاتساع واللامحدودية، ودعا "أمتة" أن تسلك هذا الاتجاه اللامحدود، مستعينا بفعل الأمر الموجّه إليها (المؤنث المفرد) في قوله: "عانقي البقاء"، وهنا مثل المفعول به عنصرا أساسيا في المحتوى القضوي (معانقة البقاء)، وهو تعبير مجازي أراد من خلاله الشاعر دائما، رسم فضاء حالم بلا حدود لمستقبل بلاده. علاقة النسبة أو الإضافة بالاسم المضاف إليه استغلها الشاعر في تعيين مكانة أمتة المعجّب بها، فنسب إليها: المجد والخلود والإخاء والسلام، وهي قوادح يُهتدى بها إلى أنّ هذه الأمة هي في الأصل أمة متميزة، تحددها هذه التعريفات المعجمية الايجابية وتميزها عن باقي الأمم.

استعان الشاعر بالاسم المجرور باللامّ التي تفيد الملكية (نشاطى الأمان وعالم سعيد) والأسماء المختارة هنا هي ظروف مكانية محدّدة، ساهمت في رسم مسافات ومجالات ومحلات محدّدة للمستقبل الذي يريده الشاعر لوطنه في فضائه الحالم، وخرجت اللامّ عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر، وهو إفادة انتهاء الغاية المكانية.

في الفضاء الحالم، أراد الشاعر أن يعالج، ويجد حلولا لأزمات بلاده، أي فضاء بديلا، فاستعان بالمفعول به المعرّف بالألف واللامّ، لأنّه عنصر من محتوى قضوي للفعل الكلامي المتعدّي، لأنّ الأفعال المختارة في معانيها المعجمية يوقعها الشاعر إمّا على مفعول به يفيد كشف باطن الداء، أو يوقعها على مفعول به هو العلاج للداء، فكشف الداء، وإيجاد الدواء في المنطق اللغوي هو بمفعولات (مسببات) أو نائب فاعل ولا تصحّ أن تأتي فواعل، مثل قول الشاعر:

«تنفُضي الكسل، عالجِي الخُلل، نافسي الدُول، سيدي القلاع، حقّقي الأمل»،  
ونلاحظ أنّ في التوسّع بالعناصر المكتملة للجملة الفعلية هو طلبا للتوسّع في المعنى، وطلبا للتفصيل والتدقيق والتخصيص في رسم مشاهد الفضاء الحالم.

فهذه الإحالة هي إحالة بناء من المنظور النحوي الوظيفي، المتعلقات النحوية الأخرى أيضاً، كالمضاف إليه، والجار والمجرور، وردت في صورة النكرة أيضاً وكلها إحالات بناء، كقول الشاعر:

وحول بغداد في أرضٍ مجاورةٍ      حلت جيوش بآلات وإمداد<sup>1</sup>  
وذي بوارجهم تنساب ذاهبة      نحو الخليج بأسراب وأجناد

فالاسم المجرور في "آلات، أسراب"، ورد نكرة غير تامّة أي "نكرة محضة"، ليس لها مرجع محدّد تحيل إليه الواقع، أي إحالة عموم لا خصوص، تحيل إلى مراجع مطلقة غير مقيدة، ولعلّ غرض الشاعر من ذلك هو دفع القارئ للتخيّل، وإعمال الذهن في تحديد المراجع، وربما أيضاً للدلالة على الكثرة، لأنّ الشاعر يصف حادثة مهولة، مرعبة، وهي سقوط بغداد، والكثرة متعلّقة بأنواع الأسلحة والمركبات التي لا تعدّ ولا تُحصى.

الاسم المعطوف أيضاً، في البيتين ورد نكرة والغرض من ذلك هو التوسّع في الوصف والإخبار بالنكرة، فالشاعر يصف بالتفصيل الحادثة التاريخية، فاحتاج للاسم المعطوف لغرض الوصل بين المعاني المتزاحمة في ذهنه، فوجد في الاسم المعطوف سبيلاً لإخراج مكنوناته المتزاحمة. ومن جهة أخرى التعبير عن التعدّد في المراجع التي تشترك في الحكم نفسه مع ما سبقها. ففي الاسم المعطوف إحالة عائدة أو مكملّة لما سبقها، تجعل ذهن القارئ في حالة مستمرة لتفسير المراجع المتتالية، وربطها بالواقع من خلال وظيفة تعدّد التّعيين. فكما تتناسل المعاني في ذهن المُلقّي وتتتابع بفعل علاقة التبعيّة، تتناسل معها وتتتابع التّعيينات والإحالات وتفكيك الشّفرات في ذهن المتلقّي حتّى وإن كان بينهما فاصلاً زمنياً.

ساهم التّعنت في تحديد وتخصيص مقاصد الشاعر النفسيّة، وأغراضه من بناء الفضاء الحالم، كقوله: "عالم سعيد"، من جديد، طموحنا البعيد، فكرك الأصيل، نهجك

1- الديوان، ص: 96.

الرشيد، دينك الحنيف، إرثك العتيد، موطني المفدى"، فالوصف المحدد في الكلمات السابقة، بين أكثر صورة استشراق الشاعر للمستقبل الذي يتمناه لبلاده.

في الفضاء الحالم، لعب التعت دور الوصف المحدد للمراجع والذوات التي استعملها الشاعر والتي تتلاءم دلاليًا مع موضوعات هذا النوع من الأفضية (الحقول الدلالية)، وفي مقابل ذلك هناك أفضية ذهنية مماثلة يصنعها ذهن المتلقي بفعل عملية التلقي القائمة على التفسير والتأويل، وهما عمليتان ذهنيّتان رئيسيّتان في وظيفة الإحالة. ومادام السياق العام المشترك بين الشاعر والمتلقي هو حلم التغيير وبناء عالم جديد، فإنّ القارئ لن يجد صعوبة في فكّ شفرات الأوصاف المحددة التي تميّز هذه العوالم أو الأفضية، وسيهتدي بكلّ سهولة لتعيين مراجعها ذهنيًا وربطها بالواقع.

#### 4- المتعلقات النحوية البانية للفضاء المتخيّل:

أثير جدال حول لغة التخيل، وطُرحت فرضيات من قبيل: هل هناك لغة مخصوصة بالتخيل غير تلك التي نستعملها في الخطاب العادي؟، وطرح هذا النوع من التساؤلات إمكانيّتين:

أ- إمّا أن تكون الكلمات والجمل المستعملة في الخطاب التخيليّ مختلفة (صوتيًا، وتركيبياً، ودلاليًا) عن الكلمات والجمل المستعملة في الكلام العاديّ.

ب- أو أن تكون الكلمات والجمل المستعملة في الخطاب التخيليّ مطابقة (صوتيًا، وتركيبياً، ودلاليًا) للكلمات والجمل المستعملة في الخطاب العاديّ، غير أنّ معناها مختلف (أي هناك فارقا دلاليًا).<sup>1</sup>

إلّا أنّه تبين فيما بعد أنّ التخيل ليس مشكلا لغويًا، ولا وجود للغة خاصّة بالتخيل تختلف عن اللّغة العادية، وهو يتمتّع بمظاهر تداولية، كأعمال الإحالة، والأفعال الكلامية نفسها في الخطاب العاديّ، إلّا أنّ "الأعمال المتضمّنة في القول التي توافق في الخطاب

1- القاموس الموسوعي للتداولية: ص: 460.

التخييليّ الكلماتِ والجملَ المستعملة هي أعمالٌ متضمّنة في القول لا تُتجزّ حقيقةً، وهذا الرأى هو لـ"جون سيرل"<sup>1</sup>، لأنّه ليس لها وجود لغويّ فيزيائيّ.

ناقش الدّرس اللّغويّ الغربيّ مسألة الإحالة التّداوليّة في الخطاب التّخييليّ، وطُرحت تساؤلات من قبيل: كيف يمكن أن تحدّد شروط نجاح عمل إحاليّ ما؟، وتبيّن أن الوجهة السليمة للإجابة على هذا السّؤال هو طرحها في الإطار العرفانيّ، نظرا لخصوصيّة الأشياء التّخييليّة إن لم نقل انتفاء وجودها، فإذا قلنا "شيء" "يحيل على الأشياء الموجودة في العالم، في حين أنه ما من سبب يحمل على التفكير بأن الأمر كذلك".<sup>2</sup>

في التّحليل العرفانيّ يتم تصوّر شيئا تخييليا غير موجود في الواقع، فوفّق "سبرير" و"ولسون"، أن كلمات اللغة توافق متصوّرات (مقرّها الدّهن)، تصنّف في الدّكرة تحت عناوين، تحمل معلومات منطقية وموسوعية ومعجمية، وبإسقاط ذلك على الشيء المتخيّل كأسماء "الأعلام" مثلا سيكون لها متصوّرا من النّاحية المعجميّة له خصائص تسند إليه، وتصبح معلومات مشتركة بين المؤلّف والقارئ، وهذا الاشتراك هو الذي يكون سببا في نجاح عمل الإحالة على شيء تخييليّ، لأنّ القارئ فهم خطاب التّخييل، وصار يملك معلومات تمكّنه من التّعرف على المرجع في العالم.

ونشير هنا أن عمل الإحالة في خطاب التّخييل يتمّ من النّص إلى الدّهن ومن الدّهن إلى النّص، على اعتبار أنّ لا علاقة له بالعالم الخارجي الحقيقي.

في ديوان الشّاعر، نجد أنّه لم يمل كثيرا لتوظيف الفضاء المتخيّل، فهو يميل إلى ما هو واقعيّ بأسلوب مباشر، وعبارات سهلة، ولم نرصد له نصّا متخيّلا إلا في مقطع صغير، يقول فيه:

وقد حدّثني بناتُ الخيال      وأكّد لي قولها الحلم<sup>3</sup>  
بأنّ أبا مدين في الجنان      يُدين الرفاقَ ويتهم

1- المرجع السابق، ص: 461-468.

2- المرجع نفسه، ص: 475، 476.

3- الديوان، ص: 69.

تركتُ الجزائرَ شامخةً      وأنتمُ إلى شعبها خدَمَ  
تلوذُ الشعوبُ بثورتها      وتُصغي لموقفها الأممُ  
وفي كلِّ يومٍ تُحقِّقُ حلماً      وتُعلي قلاعاً وتستلمُ  
فكيف تقزَّمُ بعد غيابي      وتقصى وتهوي وتصطدمُ

بنى الشاعر هذا النصَّ التَّخييليَّ، في فضاء غيبي هو "جنة النعيم"، ومن خصائص "الغيب" أن علمها عند الله، ومستقبل الأموات فيها علمه عند الله، تخيل الشاعر أن الراحل أبا مدين (هوارى بومدين) في الجنة وهو يجري حواراً مع من توفي بعده، وتقلد مسؤولية البلاد بعده من الرؤساء وولاة الأمور والمجاهدين منهم، يلومهم وينتهمهم أنهم قصروا في حق وطنهم حتى آل إلى الوضع الذي هو عليه، فبعدما ترك الجزائر شامخة، صارت مكلومة، ومهمشة، ومشتتة، وتراجعت للوراء بسبب الأزمات.

في الدِّراسة التَّداوليَّة ونعني الإحالة التَّداوليَّة في النص المتخيَّل، نلاحظ أن الشاعر استعان بالمتعلقات النحوية في بناء فضائه من حيث البنية المكانية المتخيَّلة، وهي الاسم المجرور بـ "في"، مع أداة التعريف التي تفيد التعيين والتحديد (في الجنان).

لفظ الجنان يحيل إلى شيء غيبي وهو موجود حقيقة بتأكيد من "النصوص القرآنية" وأيضاً "الأحاديث النبوية الشريفة" والنصوص المقدسة في الكتب السماوية الأخرى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾. (سورة البينة، الآيتين 7، 8).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» متفق عليه.<sup>1</sup>

1- الإمام النووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تع: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ-1986م، ص: 667.

وما دامت "الجنة" تنتمي إلى زمن ليس بزمن الحياة الدنيا، فأبي سرد للأحداث التي يصنعها المبدعون ويتخذون مما هو "غيبى" فضاءً مكانياً لسرد أحداثهم، فإننا نقول أن الأشياء التي تصنع هذا الفضاء، والمراجع الموجودة فيه ليس بالضرورة أن تكون متخيّلة لا وجود لها في العالم الخارجي، لأن الشخصيات التي تقوم بالأفعال والأعمال وفق مواقف معينة، هي الشخصيات نفسها التي ستحاسب ويكون جزؤها إما جنة وإما سعيراً، وهذا بدليل النص القرآني لقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 109) ، وقوله أيضاً: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَسْرِ وَلَا يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَن رَّبَّهُمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآيات 133-135)، وقوله أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 24).

وهنا نطرح تساؤلات:

هل ينطبق على النصّ التخييليّ المكوّن من مراجع حقيقيّة موجودة في العالم الخارجي إلا أن أحداثه ليست حقيقيّة الخصائص نفسها على النصّ التخييليّ المكوّن من مراجع غير حقيقيّة وأحداث غير حقيقيّة؟ هل الأحداث المتعلّقة والمنسوبة إلى الأموات في الجنة تنتمي إلى نصّ تخيليّ؟

للإجابة على الأسئلة السابقة تجدر بنا أولاً تعريف النصّ التخييلي، يعرفه الناقد "أدونيس" بقوله: «وأعني بالتخييل القوّة الرؤياويّة التي تستشفّ ما وراء الواقع، فيما تحتضن الواقع، أي القوّة التي تطلّ على الغيب وتعانقه فيما تنغرس في الحضور، تصبح القصيدة جسراً يربط بين الحاضر والمستقبل، الزّمن والأبدية، الواقع ما وراء الواقع،



الأرض والسماء»<sup>1</sup>، نلاحظ أنّ معنى التخييل عند "أدونيس" كعمل شعريّ إنسانيّ يقارب أو ينطبق على النصّ المتخيّل الذي يعطي رؤية مستقبلية للأموات في الحياة الأبدية الأخرى، ويؤكد هذا وصف القرآن الكريم لأهل الجنة والنار وحالهم بعد مماتهم وعندما يبعثون ويحاسبون، وعليه فالنص القرآني التخييلي هو أعمق بكثير من المتخيّل الشعري، لأن معنى التخييل فيه هو «تقريب الحقائق الغيبية المحجوبة والمعاني الأبدية، بتعبير أخاذ يملك على الإنسان مشاعره وحسّه "معاني ما وراء الطبيعة" والتي لا يستطيع العقل البشريّ المحدود تصوّرها ولا تصوريها، ولا يستجيش الحسّ والوجدان لها إلا إذا اشتملت على التخييل الذي يقرب الحقائق والمعاني، ويقارنها بما يعهده الناس وما يشاهدوه من مألوف محسوساتهم، فيجعلها وسيلة لذلك»<sup>2</sup>، إلا أنّ الفرق بين التخييل القرآني والتخييل الشعريّ هو معيار الصدق، فغيبيات القرآن غيبيات صادقة للمستقبل في الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، أمّا التخييل في الشعر والرواية هو تخييل كاذب غير صادق لأنّه لا يطابق أي حال من الأحوال الواقع أو المستقبل الذي بيد الله وبقدرته، إنّه مجرد محاكاة إنسانية ناتجة عن تصوّرات العقل البشري، وتتّبوات لا نحكم عليها بالصدق إلا إذا تحققت فعلاً، ومع ذلك يبقى هذا النوع من النصوص يشكّل ملاذاً للمنتج والمتلقّي لأنّه يبحر بهما في عوالم مجهولة النهاية، قيمتها الفنيّة في تصوير اللانهاية.

الاهتمام بالنصّ الشعريّ المتخيّل «شكّل لحظة متقدّمة وعلامة نضجٍ فارقة في سياق مقارباته، ولا أدلّ على ذلك من اتّجاه الخطاب البلاغيّ والتّقديّ إلى البحث في طرائق تمثّل الشاعر للعالم ونظمه، وإعادة تمثيله وتشكيله لهما-اعتماداً على حركية مخيلته-في نص شعري لا يقف عند حدود إنتاج تجربة لغوية وإدراكية جميلة وجديدة، بل يستفيد كذلك النقاد

1- أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979، ص: 138.

2- سليمان عبد الله موسى أبو عزب: التخييل بين القرآن الكريم والعهد القديم (موازنة نقدية بلاغية)، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج2، ع51، 2005، ص: 62.

إلى مخيلة متلقية ليحركها، وليؤثر فيه بما يثير فيها من إحياءات فنية وصور تخيلية<sup>1</sup>، وذلك باعتماد آليات مقارنة واستغلال جديدة عكس تلك التي كانت سائدة في الخطاب النقدي القديم، والتي تركز على الدراسة البنيوية والظواهر البلاغية البسيطة، صارت المقاربة الجديدة تركز على إبداعية الخيال في إطار العلاقات والمكونات الداخلية والخارجية، والبواعث الذاتية والموضوعية التي تشيده وتوجهه، والتي يعد فعل التخيل والذات المتخيلة مبتدأها ومنتهاها<sup>2</sup>، لذلك لا يمكن أن نتحدث من المنظور التداولي حول النص المتخيل دون أن نقيس فعل التخيل من المنظور اللغوي للفعل الكلامي الذي يصنع في النهاية فعلا متخيلا، وأيضا دون أن نتجاوز الذات المتخيلة التي تمثل حمولا وعناصر للمحتوى القضوي. ففي النهاية هناك أفعال تتجزأ أثناء إلقاء القول في النص المتخيل، وتتجزأ أيضا في الفضاء الابن الذهني للمتلقى، وتتجزأ أيضا كأفعال كلامية حقيقية إذا ما كان هدف صاحب النص توجيه رأي المتلقي وإقناعه بموقف ما من خلال المواقف المتخيلة، فيحقق فيه التأثير والإقناع.

استعمل الشاعر أفعالا كلامية تنتمي إلى الفعل التخيلي مسندة إلى ذوات واقعية حقيقية، إلا أن الإطار الزماني والمكاني أيضا متخيلان، فالشاعر يتتبا بمستقبل من نسج خياله، وهذا المستقبل علمه عند الله.

إضافة إلى الأفعال الكلامية، كقوله: "يدين الرفاق"، ويتهم، تركت الجزائر، فكيف تقزم بعد غيابي؟...، فهذه أفعال غير صادقة نظرا لعدم توافقها مع النسبة الخارجية للخطاب، فما أثبتته النصوص الشرعية أن الجنة مكان نعيم، لا هم فيه ولا غم، ولا لوم ولا عتاب، كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (سورة الحجر، الآيات 46-48)، وقوله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ

1- يوسف الإدريسي: مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين، الأصول... والامتدادات، موقع الكاتب والأكاديمي يوسف الإدريسي"، 9 أبريل 2015.

2- نفسه.

تصَحُّوا فلا تسقَموا أبداً، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرُموا أبداً، وإنَّ لكم أن تنعمُوا فلا تيأسُوا  
أبداً»<sup>1</sup>.

هناك أفعال تقريرية منسوبة إلى الماضي، والتي يقرّر فيها الشّاعر وضع البلاد في عهد "هوّاري بومدين" قبل مماته، ومنسوبة إليه قولياً، أي على لسانه، فهذه فعلاً أحداث ماضوية صادقة ووافقت النسبة الخارجية، إلا أن ما لا يوافق النسبة الخارجية هو إنسابها إلى قائلها: "هوّاري بومدين"، فلوّمه لأصدقائه الذين تركهم من بعده، تخيل الشّاعر أنه حادث في الجنة.

يمكن تفسير العمل الإحاليّ الذي تتوقّر عليه العناصر اللّغوية في النّصوص السابقة في ضوء "نظريّة الأفضية الدّهنيّة، على أنّ الفضاء "الابن" يرسم لنا صورة عن الحالات الدّهنيّة التي يعيشها الشّاعر وعكسها في شكل منطوق على لسان "هوّاري بومدين"، وهذه الحالات الدّهنية، هي تحسّر الشّاعر على المجد الضّائع بعد رحيل "هوّاري بومدين"، وحينه إلى ذلك الزّمن الجميل الذي كانت الجزائر تعيش فيه الازدهار والتّطور.

الفضاء الابن المتفرّع عن الفضاء الأب في المقطع المتخيّل الذي ذكره الشّاعر، نلاحظ أنّه متعدّد لدى المتلقّي، والسبب راجع إلى مدى توقّع قابلية المتلقّين لهذا النوع من النّصوص، فهم مختلفون حسب وجهات نظرهم، فهناك متلقّ يتقبّل فكرة الشّاعر وعلى أساسها يبني فضاءه الدّهنيّ بشخصيّاته وأحداثه، وهناك متلقّ يرفض الفكرة لأسباب شرعيّة، ومنها مخالفة الحقيقة الموجودة في المقطع لما جاءت به النّصوص الشرعيّة، أي أنّه ليس حقيقة. ومتلقّ آخر سيطعن في مصير الشّخصيات المذكورة وهو جزء الجنة بحجّة أن مصيرهم علمه عند الله، أو أنّه يمتلك دلائل دنيويّة نابعة من السياق السّياسي والدّيني لهؤلاء تثبت أنّهم لم يكونوا خالصين للوطن والدّين، فكيف نتخيّل أنّهم في الجنة أصلاً.

استعان الشّاعر بالاسم المجرور بـ "في" كما بيّننا سابقاً، (في الجنان)، وهذا ساهم في تحديد مواضع ومحلّات الفضاء الدّهنيّ، واستعان الشّاعر أيضاً بطائفة من المفردات

1- رياض الصّالحين، (م س)، ص: 670.

المعجمية التي أحالت إلى تبيان موقف الشاعر من أزمة الجزائر على لسان "بومدين" مثل "الجزائر، شامخة، الشعوب، ثورة، موقف، الأمم، حلما، غيايبي، العابثون، اللئام...الخ.  
المتعلقات النحوية المستعملة هي نفسها التي نجدها في النص الواقعي أو الحقيقي، كالمفاعيل: "المفعول به والمفعول فيه"، وأيضا الضمائر، وساهمت هذه المتعلقات لغويا الدور نفسه في بناء الفضاء الحقيقي، كوظيفة التعريف والتكثير، أي "الوصف المحدد وغير المحدد"، فالمفعول به النكرة كقول الشاعر:

وفي كل يوم يحقق حلما      وتُعلي قلاعا وتستلم.

حلما، قلاعا، وردت نكرة هذه المفاعيل لترك حرية البناء الذهني لدى المتلقي في بناء الفضاء الابن.

استعان الشاعر بالاسم المجرور بحروف أخرى غير "في" المكانية، ومنها: "الباء"، في قوله: "بثورتنا"، واللام في "لموقفها"، "إلى شعبها"، فالباء أدت معنى "الاستعانة" وهو معناها الحقيقي، واحتاج إليها الفعل "تلوذ" لإتمام معناه، والأمر نفسه في "اللام" والتي أفادت الملكية، ومعناها الحقيقي، لأن الفعل "تصغي" في العرف اللغوي يستعمل مع "الاسم المجرور باللام"، وذلك في قول الشاعر:

تلوذ الشعوب بثورتها      وتُصغي لموقفها الأمم

والجرّ بهذه الحروف ساعد على رسم مسارات أفقيّة في الفضاء الذهنيّ هو انعكاس لنقاط هذه الحروف مع أسمائها أي مواضعها في التركيب اللغوي، فالوظيفة النحوية ما هي إلا صورة منعكسة عن وظيفة ذهنيّة تمثل مواضع في الفضاء الذهنيّ، بالإضافة إلى وظيفة التّعيين التّداوليّة، وعليه فالجانب النّحويّ والتّداوليّ والمعجميّ وحتّى الصّرفيّ يكملان بعضهما البعض في تحقيق المعنى وإيجاده وبالتالي تطابق عناصر التركيب اللغويّ مع عناصر التركيب الذهنيّ، وهنا تُثبت مقولة: "عبد القاهر الجرجاني"، "المعاني قائمة في النفس أولا"، فالمعاني النّفسية هي عالم آخر يصعب الولوج إليه وتحديد سيرورة مكوناته".

خلاصة:

ختاماً، نقول أن الإحالة التداولية وإجراءاتها التطبيقية في المجال التداولي لا يمكن أداء وظيفتها السياقية إلاّ بتمام تحقّق الوظائف النحوية للعناصر المحيلة، كالمتعلقات النحوية التي تمثّل عناصر لمحتويات قضوية لا يمكن أن تتحقّق أغراضها للفعل الكلامي، كالغرض المتضمّن في القول، إلاّ بوجود هذه المتعلقات، فالمفاعيل والمجرورات والتوابع، ليست عناصر لغوية لإضافة معان جديدة فقط، أو جاءت لتتعلق بفعل كلامي مؤدية ومكملة محتواه القضوي، وإنما أيضاً جاءت لتؤدي وظيفة الإحالة سواء أكانت معرفة أم نكرة، ضمائر أو اسما صريحا، ووظيفة الإحالة لخصها "أحمد المتوكل" في وظيفتين ووظيفة "التعيين" ووظيفة "البناء" وهما وظيفتان حددتهما الطبيعة اللغوية للتعريف والتتكير، ويربط هاتين الوظيفتين بالوظائف النحوية التي تشغلها المتعلقات نجد أن الإحالة التداولية أوسع من الوظيفة النحوية، لأنها مرتبطة بالجانب السياقي للخطاب، وعليه فأهم الوظائف النحوية التي تكمل الدور السياقي للإحالة، هي ظروف المكان والزمان، والاسم المجرور بحروف الجر ذات المعاني المكانية والزمانية، ك"في"، "إلى"، "من"، أي التي تحيل إلى زمان ومكان وقوع الحدث، ثم تأتي وظيفة التّعت الواصفة والمخصّصة والمساعدة على تعيين وتحديد المراجع في الواقع، أمّا المفعول به، فلا يظهر دوره السياقي الإحاليّ إلاّ من حيث المعنى المعجميّ أي إذا كان يدلّ على ظرف محدّد زمنيّ ومكانيّ، كالمسجد، الجزائر، الأمم، الجبال، اليوم، الصّباح،... الضّحي... الخ، أو اسم علم.

أما الضّمائر فكّلها مجتمعة – بغض النّظر عن الوظيفة النّحويّة التي تشغلها – لها دور إحاليّ، فضمائر الخطاب في الديوان أحالت إلى: الشّباب، الشّعب، الجزائر، الوطن الأم، الابن، الخائنون... الخ، والأمر نفسه للضمائر الأخرى.

المتعلقات النّحويّة كانت مخصّصة ومفصّلة، وموسّعة في بيان المراجع التي تحيل إليها، فهذه المراجع مرّة يقع عليها فعل الفاعل ومرّة تضاف للتّحديد والتّعيين، ومرّة تأتي مجرورا متّصل به حرف جرّ يفيد معنى جديد، ومرّة ظرفا للإحالة الزّمكانيّة... الخ.

خاتمة

## خاتمة:

- في خاتمة هذا البحث توصلنا إلى عدّة نتائج منها:
- المتعلّقات النحوية عناصر ضرورية في بناء الجملة الشعرية، فهي مكملّة للمعاني التي لا تكفي بها العلاقة الإسنادية في تحقيق الفائدة، فتأتي لتضيف معان جديدة يكون عليها مدار الكلام في كثير من المواقف الخطابية، فتكون صورها الاستعمالية مؤشرات لغوية نستدل بها على المقاصد.
  - ديوان "أغنية للوطن في زمن الفجعة" يقوم في نسيجه الأساسي على قائمة من الأفعال الكلامية، كال تقرير والأمر، والتأكيد، والاستفهام، والإفصاح، والنداء، والدعاء... الخ، وتتوفر فيه مظاهر الإحالة التداولية، كالأسماء المعرّفة والنكرة، والإشارات، وكل تلك المظاهر التداولية تمس مسا مباشرا المتعلقات النحوية في صورها الاستعمالية الكثيرة.
  - غلبت على قصائد الديوان الأفعال المتعدية، وهي أفعال كلامية مباشرة على الغالب، لأن أسلوب الشاعر هو أسلوب مباشر واضح سهل، ومن هذه الأفعال: التقريرية التأكيدية، والتقريرية الإثباتية، وهذه الغلبة تلائم المواقف الخطابية التي غرضها وصف الحقائق ونقل الأخبار إما مؤكدة، وإما إثباتية، وإما منفية؛ إلا أن المنفية تأتي أقل من الإثباتية والتأكيدية، أما الفعل اللغوي غير المباشر، فقد كثر في الجملة الاستفهامية التي خرجت إلى معاني الاستتكار، والتوبيخ، واللوم، والتحسر، والتعجب... الخ.
  - المتعلقات النحوية هي جزء من المحتوى القضوي، فلعبت دور المكمل للمعلومة التي يحملها الفعل الكلامي المنجز. وساهمت في تحقيق القوة الإنجازية، والتأثيرية، والإحالية، فاتضحت المقاصد، وتحددت مساراتها، فبدأ الشاعر إنسانا ووطنيا، هائما بحبه ووطنه وجماله، معجبا بتاريخه وبطولاته، وبرموز، ومقدّساته، غيورا على عرض بلاده من مكائد المتربصين بها والمفسدين، متألما ألما شديدا من الوضع السيء الذي تعيشه، والمتعلق بأزمة العشرية السوداء، فنقل صور الوضع الدامي بكل تفاصيله، وبدأ أيضا محبا لشباب وطنه، غيورا عليه من السير وراء الأهواء والعصبية. غيورا

على الأوطان العربية المغتصبة. ولم تكن لتكلم اللوحات الفنية أن تصل بأدق تفاصيله ودلالاتها لولا الاستعانة بالمتعلقات النحوية، كالمفاعيل، والنعوت، والمجرورات، والظروف... الخ.

- الأفعال الإنشائية التقريرية، ضمت طائفة من الأفعال التي أنجزت موقفاً، وغيّرت مشاعر، وأثارت العاطفة، وبلغت التداوليين حملت الفعل المتضمن في القول، وأيضاً الفعل التأثيري، فالشاعر يريد أن يغيّر مواقف وقناعات على المستوى السياسي الوطني، خاصة مواقف الشباب.

- للشاعر قدرة على الانتقاء، فجاءت الأفعال التقريرية ومتعلقاتها النحوية في صورتها المعجمية منتمية إلى حقل دلالي واحد، ونمّلت لتلك الأفعال بـ: قد علمت، غرست، عشقتك، خانوك، حاصروا، نسجوا، مزقوا، يتسلّون، همشوني، تعفن، شاع، نتحدّى، قضى، أعلنها، يزحف، استدرجتني، تركوا... الخ.

- تعلقت بالفعال الكلامية وعلى رأسها المفاعيل، وشبه الجملة من الجار والمجرور، وقد شاع المفعول به على حساب المفاعيل الأخرى، ومثّل جزءاً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه من المحتوى القضوي، أي القضية التي يدور حولها الحدث الكلامي.

- المفعول به قد يرد فعلاً كلامياً إذا كان جملة اسمية أو فعلية، فتتألف الجملة المركبة من فعلين كلاميين، فعل في رأس الجملة، وهو الفعل الرئيسي، وفعل في وسط الجملة وهو الفعل الكلامي الثانوي، وهذه الوظيفة التداولية، قد تحتلّها أيضاً الصفات والأحوال، والمضافات إليها، والأخبار... الخ، ونمّلت لها بالترسيمة:

[فعل أساسي + فاعل + مفعول به/مفعولين جملة مصدرية (فعل + فاعل/أنّ وما دخلت عليه)].

- المفعول فيه شاع كثيراً من بين المفاعيل الأخرى على مستوى قصائد الديوان، وهو المحيل على الزمن أو المكان الذي أنشأ فيه الفعل الكلامي، وقد وجدنا زمنياً أنّه نقطة وصل بين الحاضر والماضي من جهة، والحاضر والمستقبل من جهة أخرى، وحدّد زمن الفعل الكلامي بعد ما يكون مُطلقاً، أي تحديد سيرورته، واتّجاهه.



- شاع كثيرا تعلق الاسم المجرور بالفعل الكلامي، خاصة فعل الأمر والقسم، وقد تبين أن في استعمال حرف جر بعينه دون حرف جر آخر مقاصد وأغراض يتطلبها الفعل الكلامي في تحقيق القوة المتضمنة والتأثيرية.
- الأحوال التركيبية للمتعلقات من حذف وتقديم وتأخير، هي أيضا فعل تداولي، وله أبعاد حجاجية، ففعل تداولي لأنّ المقام يفرض إمّا الذكر وإمّا الحذف حسب حاجة السامع، وفي الحذف إيجاز واختصار واستغناء، وأمّا التقديم والتأخير، فيؤدي غرض التخصيص، أي تخصيص الاهتمام بالعنصر المقدم، وأيضا تخصيص فائدة الخبر لغرض التأكيد على المعلومة التي يحملها، أمّا من حيث أنّ الحذف، والتقديم والتأخير هما فعلا حجاجيان، أي أنّ المتكلم (الشاعر)، يريد إقناع السامع، والتأثير فيه بتغيير موقفه، فتكون العبارة ألصقُ بذهنه، ولها قوة إنجازية على جذب انتباهه فتسيطر المعاني على مشاعره، وأحاسيسه وعواطفه، ونفسيته، وتقودها انقيادا لتلائم وتتوافق ومشاعر وعواطف وأحاسيس المتكلم، وهذا هو التأثير، وهذه العملية تشترك فيها وتتحد عناصر كلامية أخرى، كالنعت، وعطف النسق، والتوكيد... الخ، وصور بلاغية، كالبيان والبديع... الخ، والملاحظ أن الشاعر لم يمل إلى الحذف كثيرا، وبدا أسلوبه بسيطا، أمّا التقديم والتأخير فقد شاع كثيرا، خاصة تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور.
- الأفعال الكلامية الطلّبية شاعت كثيرا، والسبب في شيوعها هو الموقف الواضح للشاعر، فهو في موقف نصح وإرشاد، وعاطفة ثائرة متألمة.
- المتعلق النحوي قد يؤدي دور الفعل الكلامي، فيكون هو الحامل للقوة المتضمنة والتأثيرية في الفعل، كحالات المصدر النائب عن فعله، إما لغرض الأمر أو التعجب أو الاستفهام، وهي نادرة في الديوان، كما أنه قد يؤدي تلك الوظيفة إذا ما تقدّم لأهميته، فيشغل وظيفة البؤرة.
- جاء نصّ الشاعر غنياً بمظاهر الإحالة التداولية، كالمعرفات والنكرات، والعائدات الإشارية المتنوّعة، كأسماء الإشارة، وظروف الزمان والمكان، وأيضا العائدات غير الإشارية كالضمائر، وقد مال الشاعر إلى استعمال الاسم المعرف على حساب الاسم

النكرة، فالاسم المعرّف هو عنصر مهم في بناء النص الشعري ذي البعد السياسي الوطني التاريخي، لأنه يعبر عن وقائع حيّة وحقائق تاريخية تحتاج في سردها إلى تسمية المسمّيات بأسمائها، وضرورة تعيينها في العالم الخارجي.

- أمّا النكرات، وخاصة النّعوت، فاحتاج الشاعر إلى استعمالها في مواقف ومواضع أراد أن يجعلها غير محدّدة المراجع، وكان قصده ترك الحرية للقارئ أن يبني إحالات بنفسه، ويعيد تعيينها كيف ما شاء، وهذه الإحالة هي إحالة "بناء"، أي بناء ذهنيّ جديد خاص بالقارئ ومستقل عن مراد الشاعر. وقد توصلنا إلى أن النكرة تحمل مقاصد وأغراض خاضعة للمقام، كالتحقير والخوف، وعدم الحاجة للتعيين، ولفت الانتباه، وإعمال الذهن وإحضاره للمشاركة في التعيين... الخ.

- العائدات الإشارية، ساهمت تداولياً في لفت انتباه السامع أو القارئ، بمؤشّرين اثنين تمثّلا في المركّب الاسمي: "الإشارة + الاسم المعرّف"، فكأنّ القارئ على علم بالمُعَيّن سابقاً، فأراد الشاعر أن يعيد لفت انتباهه إلى المعلوم في ذهنه سابقاً (إحضاره)، والعائدات الإشارية الظرفية أحالت إلى أزمنة وقوع الحدث، فكانت قرينة حالية ومقالية في الوقت نفسه استدّلنا بها على زمان ومكان وقوع الفعل الكلامي، فجاء النص واضح المعالم بيّن الحدود، سواء في الخارطة الذهنية للمتكلّم والسامع أم في الخارطة الواقعية التي أحالت عليها مكوناتها وحدودها من ظروف الزمان والمكان.

- ساهمت الضمائر إحالياً في تحديد الذوات والأصوات، فضمير المتكلّم المفرد عاد على الشاعر وأراد من خلاله أن يصنع دائرة خاصة به، يعبر فيها عن مشاعره المتفرّدة في حب الوطن والتغني به وبرموزه، وضمير المتكلّم الجمعي أحال إلى ثالث، وهو الشاعر والوطن وأبناء الوطن، أريد من خلاله أن يحيل إلى تلك المسافة المشتركة والقريبة بين هذه الذوات، وهي مسافة الوطنية والهوية والانتماء، والملاحظ أن المتعلّقات النحوية الضمائية خدمت كثيراً الإحالة إلى هذه الدوائر.

- في النّصّ إحالة إشاريّة كبرى، وهي المكان الذي وقعت فيه الأحداث، وينتمي إليه الشاعر، وهو "الجزائر" كمكان رئيسي للأحداث، وتتفرّع عنها أماكن أخرى ذكرها الشاعر، والتي سماها النّحاة "الظرف المحدّد"، كمدينة قسنطينة التي بها أعلن الرئيس

بوتقليقة عن مشروع "الوئام الوطني"، ذكر الشاعر أيضا جبال الجزائر، المسجد، القرية، مدينة بسكرة، الشوارع... الخ. وكثيرا ما وقعت هذه الظروف المتصرّفة كمتعلّقات ومكمّلات.

- ذكر الشاعر نصّا تخيليا واحدا، وهو "الجنّة"، إلا أن العناصر، والشخصيات هي شخصيات وطنية واقعية كهواري بومدين، ورفاقه.

- ساهمت المتعلّقات النحوية في بناء أفضية ذهنية، فالفضاء الذهني الأول هو "فضاء الشّاعر" (القرين)، والفضاء الذهني الثاني هو فضاء المتلقّي (الابن)، أين تقع عملية التّأويل، وعليه فتعدّد المتلقّين يؤدّي إلى تعدّد الأفضية الذهنية المنتجة التي هي إعادة بناء للفضاء الأصلي، وهذا يفتح آفاق التّأويل التّدولي للنصّ الأدبي.

- العناصر الأساسية التي ساهمت في بناء الأفضية، هي ظروف الزّمان والمكان، وأيضا الصّفات، والاسم المجرور بحروف الجرّ التي تؤدي معنى الظرفية خاصة الأداة "في"، وتجلى ذلك في الوظيفة الإحالية الذهنية لهذه العناصر على مستوى جميع الأفضية: فضاء ذهني ماضوي، وفضاء ذهني حاضر، وفضاء ذهني حالم (مستقبل)، وفضاء ذهني متخيّل (غير واقعي)، وتوصّلنا إلى نتيجة أن الظروف، وما يأتي في معناها ساهمت في تحديد سيرورة الحدث الكلامي، فالماضوي منقطع، والحاضر يتوقّف أين يبدأ الفضاء الحالم أو المستقبلي، أما الفضاء الحالم فإنّ حدوده لا متناهية فالمستقبل أو الحلم هو عالم واسع، وأبعاده غير محدّدة، واحتاج كل فضاء إلى ظروف خاصة به، ومعجم لغوي خاص به.

- خدمت المتعلّقات النّحوية بناء موسيقى الشّعْر من حيث الوزن والقافية في أبيات الديوان، فاحتاج الشّاعر إمّا إلى حذفها أو ذكرها، وإمّا بتقديمها أو تأخيرها، أو إبقائها على أصلها.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

\*-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: القواميس والمعاجم

• إميل بديع يعقوب:

1. المعجم الوافي في النحو والصرف، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2011م.

• جمال الدين محمد بن مكرم (أبو الفضل ابن منظور):

2. لسان العرب، دار صادر، بيروت.

3. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ-

2004م.

• محمد سمير نجيب اللبدي:

4. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ-

1985.

• محمد إبراهيم عبادة:

5. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1،

1432هـ-2011م.

ثانياً: الكتب بالعربية

• إبراهيم خليل:

6. في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، ط1،

1427هـ-2007م.

• إبراهيم قلّاتي:

7. قصّة الإعراب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

• أحمد المتوكّل:

8. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م.
9. الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1431هـ-2010م.
- أحمد عبد العظيم عبد الغني:
10. المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1435هـ-2014م.
- إدريس مقبول:
11. الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2006.
- أدونيس:
12. مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979.
- الأزهر الزناد:
13. نظريات لسانيّة عرفنيّة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، دت.
- أبو إسحاق إبراهيم (الشيرازي):
14. شرح اللمع، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
- أمل يوسف المغامسي:
15. الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية-، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 1437هـ-2016م.
- آن ريبول، جاك موشلار:

16. القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2010.
17. أن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني، المنظّمة العربيّة للترجمة، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
- أيوب بن موسى الحسيني القريني (أبو البقاء الكفوي):
18. الكآيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، دت.
- أيوب عطية القيسي:
19. الاختيارات النحوية لأبي حيّان في "ارتشاف الضّرب من لسان العرب"، دراسة وتحليل (رسالة دكتوراه مطبوعة)، دار القمة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- بنعيسى عسو أزابيط:
20. في الخطاب اللّساني العربي، هندسة التّواصل الإضماري من التّجريد إلى التّوليد، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012.
- تمام حسان:
21. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994.
22. الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 1420هـ-2000م.
- جار الله، أبو القاسم (الزّمخشري):
23. تفسير الكشّاف، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ-2009م.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م.
- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد (ابن هشام):
25. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط2، 1429هـ-2008م.
26. شرح قطر الندى وبلّ الصدي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
- جون سيرل:
27. القصدية، بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009.
28. سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشباني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015.
- الجيلالي دلاش:
29. مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- الحسن بن القاسم (المرادي):
30. الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1992م.
- حسن طبل:
31. علم المعاني في الموروث البلاغي: تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 2004م.
- أبو الحسن محمد بن عبد الله (ابن الورّاق):



32. علل النَّحو، تح: محمود محمّد محمود نصّار، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط3، 2013.
- حسين رفعت حسين:
33. الموقعيّة في النَّحو العربي، دراسة سياقية، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010.
- حسين علي فرحان العقيلي:
34. الجملة العربية في دراسات المحدثين، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2012.
- خالد ميلاد:
35. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001.
- خديجة محمد الصافي:
36. نسخ الوظائف النحويّة في الجملة العربيّة، دار السّلام، القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م.
- خلود العموش:
37. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.
- خليفة بوجادي:
38. في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- خليل عبد الله عجينة:
39. العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه، دراسة في التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 2015.
- رحيمة شيتير:
40. تداولية النّص الشعريّ، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، دار الكتاب الحديث، القاهرة،

ط 1، 2016.

• ردة الله بن ردة:

41. دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ،

• ركن الدين محمد بن علي بن محمد (الجرجاني):

42. الإشارات والتبويضات في علم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1432هـ-  
2011م.

• روبرت دي بوجراند:

43. النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.

• ريم الهمامي:

44. الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، يناير  
2013.

• زكي نجيب محمود:

• تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط9، 1993.

• سعد الدين التفتازاني:

45. المطول على تلخيص المفتاح للقزويني، مطبعة بسنوي الحاج أفندي، القاهرة،  
مصر، جمادى الثاني، 1310هـ.

• سعودي نواري:

46. في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلة،  
الجزائر، ط1، 2009.

• سعيد حسن بحيري:

47. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيوييه: محاولة لإعادة التشكيل في ضوء  
الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1989م.

48. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ط.).
- أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (السيرافي):
49. شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008.
- سناء حميد البياتي:
50. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003م.
- سوزان محمد فؤاد:
51. شبه الجملة، دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم، دار غريب فهمي، القاهرة، 2003.
- صابر الحباشة:
52. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية-دمشق، ط1، 2011م.
- صالح غيلوس:
53. التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية، تنظير وإجراء، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2017م.
- صبحي إبراهيم الفقي:
54. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السورة المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- صلاح الدين صالح حسنين:
55. الدلالة والنحو، توزيع مكتبة الآداب، ط1.
- صلاح فضل:

56. بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 164.
- طالب سيد هاشم الطبطبائي:
57. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات، جامعة الكويت، 1994.
- طاهر سليمان حمودة:
58. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999.
- طه عبد الرحمن:
59. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.
- عبد الجبار توأمة:
60. التّعدية والتّضمين في الأفعال في العربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1994.
- عبد الرّحمان بن أبي بكر جلال الدّين (السّيوطي):
61. الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، دمشق-بيروت، ط1، 1426هـ-2008م.
- عبد الرحمن الحاج صالح:
62. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب (3)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012م.
- عبد الرحمن المطردي:
63. أساليب التّوكيد في القرآن الكريم، الدار الجماهيرية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1986م.
- عبد السّلام المسدي:

64. التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، د.ت، د.ط.
- عبد القاهر الجرجاني:
65. دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط2، 1413هـ-1992م.
66. أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، مطبعة المدني بجدة.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عقيل):
67. شرح ابن عقيل على الألفية، تح: محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1996.
- ابن عبد الله شعيب أحمد:
68. بحوث منهجية في علوم اللغة العربية، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع EDIK، 2004.
- أبو عثمان عمرو الجاحظ:
69. البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1198م، ج1.
- عزة شبل محمد:
70. علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م.
- علي أبو المكارم:
71. الجملة، الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.
- علي بن عمر بن علي الكاتب (نجم الدين القزويني):
72. الشمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.

- علي بن محمد بن علي (الشريف الحسن الجرجاني):  
73. التعريفات، مكتبة BIBLIOTHECA REGIA MONACE NSIS، مكتبة إلكترونية.
- علي بن محمد بن عيسى (أبو الحسن الأشموني):  
74. شرح الأشموني على الألفية، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1375هـ-1955م.
- علي عشري زايد:  
75. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الشباب، القاهرة، 1997.
- عمّار ناصر:  
76. اللغة والتأويل، مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الفارابي، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.
- عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه):  
77. الكتاب، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009.
- عودة خليل أبو عودة:  
78. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان-الأردن، ط1، 1411هـ-1991م.
- العياشي أدراوي:  
79. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1432هـ-2011م.
- فاضل صالح السامرائي:  
80. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1429هـ-2008م.
- فان ديك:

81. علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001.
- أبو الفتح عثمان (ابن جنّي):
82. الخصائص: تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د.ب، دط، دت.
83. سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ-1993م.
- فؤاد بوعلي:
84. الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- أبو القاسم جار الله الزمخشري:
85. الكشف، تخ: خليل مأمون شيحا، در المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ-2009م.
- كريم زكي حسام الدين:
86. أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1421هـ-2001م.
- كلاوس برينكر:
87. التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1425هـ-2005م.
- كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد (الإمام ابن الأنباري):
88. الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، 1380هـ-1961م.
- لطيف حاتم الزاملّي:
89. القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبيويه، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2014.
- ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي:

90. ماري آن بافو، جورج إيليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الرّاضي، المنظمة العربيّة للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- محمد أبو موسى:
91. محمد أبو موسى: خصائص التراكيب: دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1980م.
- محمّد النّويري:
92. علم الكلام والنّظرية البلاغية عند العرب، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، تونس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ط1، جانفي 2001.
- محمّد أمين الخُصري:
93. من أسرار حروف الجرّ في الذّكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409هـ-1989م.
- محمّد بن الحسن (الرضي الاسترأبادي):
94. شرح كافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، سلسلة نشر الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1414هـ-1993م.
- محمد بن رقطان:
95. أغنية للوطن في زمن الفجيرة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 2004.
- محمد بن سهل (أبو بكر ابن السراج):
96. الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، دب، دط، دت.
- محمّد بن عبد الرّحمان (الخطيب القزويني):
97. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.



98. تلخيص المفتاح، دط، دت، (نسخة الكترونية صادرة عن مجلس المدينة العلمية غير كاملة المعلومات).

• محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك (ابن مالك):

99. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح: عدنان عبد الرحمان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ-1977م.

• محمد بن عرفة (الدسوقي):

100. حاشية الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني لشرح التلخيص، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ط، د.ت.

• محمد بن علي الصبّان:

101. حاشية الصبّان على الأشموني، مطبعة السعادة، مصر، 1343هـ.

• محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك (ابن الناظم):

102. شرح ابن الناظم على الألفية، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.

• محمد بن محمد بن محمد (أبو حامد الغزالي):

103. المستصفي في علم الأصول، تح: حمزة حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة.

• محمد بن يزيد (أبو العباس المبرّد):

104. المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ-1994م.

• محمد خطّابي:

105. لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

• محمد خير الحلواني:

106. النحو الميسر، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1997.

107. الواضح في النحو، دار المأمون للتراث، دمشق، ط6، 1421هـ-2000م.
- محمد عبد الباسط عيد:
108. بلاغة الخطاب، قراءة في شعرية المديح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015.
- محمد عبد المطلب:
109. البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 1994.
- محمود أحمد نحلة:
110. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- محمود عكاشة:
111. تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2014.
- مسعود صحراوي:
112. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 1429هـ-2008م.
- مصطفى الغلاييني:
113. جامع الدروس العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2007.
- مصطفى حميدة:
114. نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط1، 1997.
- المنصف عاشور:
115. ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، بحث في مقولة الاسمية بين التمام والنقصان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-منوبة-، تونس، ط3، 2015.

- منير سلطان:  
116. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988.
- مهدي أسعد عرار:  
117. ظاهرة اللبس في العربية، جدل التّواصل والتّفاضل، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2003.
- مهدي المخزومي:  
118. النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ-1986م.
- موفق الدّين يعّيش بن علي (ابن يعّيش النّحوي):  
119. شرح المفصل، إدارة الطّباعة المنيرية، مصر، دب، دط، دت. (نسخة إلكترونية).
- نادية رمضان النّجار:  
120. القرائن بين اللّغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2015.
- أبو نصر الفارابي:  
121. كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، سلسلة الفكر العربي والإسلامي، ط2، 1990.
- هشام إ. عبد الله خليفة:  
122. نظرية الفعل الكلامي Speech Act بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2007.
- ياسين عبد الله نصيف:  
123. التّقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2013.
- يحي بن شرف (أبو زكريا النّووي):  
124. رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، تع: رضوان محمّد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ-1986م.

• يحيى بن حمزة (الإمام العلوي):

125. الطراز، مراجعة وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-  
لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.

• أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (السكاكي):

126. مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.

• ابن يعقوب المغربي:

127. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (شروح التلخيص)، دار الكتب العلمية،  
بيروت، لبنان، ج1.

ثالثاً: المجلات والدوريات والندوات

• أحمد المتوكل:

128. السياق موارد ومواده وأنماطه، توطئة لمكون سياقي مندمج، سلسلة التداوليات وتحليل  
الخطاب، إشراف وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحمن، دار كنوز  
المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1435هـ-2014م.

• إلهام علول:

129. جمالية النظام الزمني في الرواية الجديدة: سلطة النص وآليات إنتاج الدلالة: سيدة المقام  
أتمودجا، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة-قسنطينة-، ع3، أبريل 2007.

• حمو الحاج ذهبية:

130. من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية، في إشكالية التحوّل والتطور، سلسلة التداوليات  
وتحليل الخطاب، إشراف وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحمن، دار  
كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1435هـ-2014م.

• سليمان عبد الله موسى أبو عذب:

131. التخييل بين القرآن الكريم والعهد القديم (موازنة نقدية بلاغية)، مجلة جامعة الخليل  
للبحوث، مج2، ع51، 2005.

• سنية غربالي:

132. العلاقة بين الأعمال اللغوية والحالات الذهنية، أعمال ندوة "الدلالة النظرية والتطبيقات"، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، وحدة البحث (المصطلح الدلالي)، تونس، 2015.

• صالح خديش:

133. قضايا النفي والإثبات في العربية، مقارنة ملفوظية، أعمال ندوة النحو، 23-24 أبريل 2001، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001.

• فاتح مرزوق:

134. قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي (التقديم والتأخير أنموذجا)، مجلة المقرّي، مخبر الدراسات اللغوية والنظرية، جامعة المسيلة، ع1، ديسمبر 2017.

• المتولي محمود المتولي عوض حجاز:

135. مصطلح (الخُلف) في كتاب سيوييه، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الرابعة والثلاثون، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1435هـ-2014م، الرسالة 405.

• المنصف عاشور:

136. نظرية العامل ودراسة التركيب، أعمال ندوة "صناعة المعنى وتأويل النص" من 24 إلى 27 أبريل 1991، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992.

• هشام فتح:

137. الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي التماثل والاقتران في مشروع المتوكّل، سلسلة التداوليات وتحليل الخطاب.

رابعاً: الرسائل الجامعية

• بنعيسى إزابيط:

138. الاستفهام في لغة العرب (دراسة تداولية)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، سنة 1987-1988، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1987-1988م.

• كريم خلدون:

139. الجملة الشرطية في الربع الأول من القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، مذكرة ماجستير، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي-خنشلة، 2005-2006.

• وداد حامد عطشان السلامي:

140. التوابع في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1428هـ-2007.

خامسا: المواقع الإلكترونية

141. يوسف الإدريسي: مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين، الأصول... والامتدادات، موقع الكاتب والأكاديمي "يوسف الإدريسي"، 9 أبريل 2015.

سادسا: المراجع الأجنبية

1. Oswald Ducrot / Tzvetan Todorov :dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éditions du Seuil , 1<sup>re</sup> publication ,1972 ,Paris (Langage et action).
2. Les actes de langage, <http://psydoc-fr.broca.inserm.fr/linguistique/actes.html> (Psydoc-France).
3. Dan Sperber , Deirdre Precs Wilson:of Relevance: communication and cognition, BEHAVIORAL AND BRAIN SCIENCES , scientific journal, by Cambridge University Press , 1987, printed in the United States of America, n10,p697-754.
4. Istvan Kecskes and Jesús Romero-Trillo: Research Trends in Intercultural Pragmatics, Library of Congress, Deutsche Nationalbibliografie, Boston/Berlin, 2013.
5. James Slotta Pragmatics, October 2018, <http://www.researchgate.net/puplication/328529101-pragmatics>.

# الفهارس

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
- ثالثاً: فهرس القصائد والبحور الشعرية
- رابعاً: فهرس المحتويات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	السورة	الآية
200	05	الفاطحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
291	24	البقرة	﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا... لِلْكَافِرِينَ﴾
69	60		﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
291	109		﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا... بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
176	187		﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾
237	231		﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً... اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾
58	233		﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾
57	08		آل عمران
291	-133 135	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ... أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾	
69	71	النساء	﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾
202	160		﴿فَيُظْلَمُ مِنْ الَّذِينَ... اللَّهُ كَثِيرًا﴾
57	87	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾
57	101		﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوِكُمْ﴾
80	155	الأعراف	﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾
179	120	التوبة	﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾
293	48-46	الحجر	﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ... مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾
57	33	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
227	68-67	طه	﴿فَأَوْجَسَ فِي... لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾
137	63	الحج	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ... مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾
69	37	لقمان	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾
202	71	ياسين	﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا... أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾
63	20	سورة ص	﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾



63	23		﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾
139	81	سورة غافر	﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾
202	01	سورة التغابن	﴿ يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
63	37	النبأ	﴿ الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾
290	8-7	البيئنة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ... لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴾

### ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث النبوي
290	«قال الله تعالى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ...: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»
294-293	«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ...فَلَا تَيْأَسُوا أَبَدًا».

### ثالثا: فهرس القصائد والبحور الشعريّة

الصفحة	بحرها	القصيدة
113، 114، 127، 136، 143، 144، 157، 161، 165، 203، 229، 230، 232، 239، 240، 241، 244، 247، 248، 260، 272	الكامل	قدر الجزائر
114، 116، 133، 137، 141، 142، 159، 160، 161، 164، 165، 167، 203، 204، 228، 231، 232، 243، 244، 245، 260، 275	الكامل	لن تضيع الجزائر
117، 118، 134، 144، 146، 147، 148، 193، 229، 249، 265، 283	مجزوء الرجز	من مطلع الشمس
145، 163، 164، 166، 167، 180، 240، 244، 251، 260، 261	البسيط	باق على العهد
117، 159، 193، 247، 266	الكامل	أقسمت بالوطن

245، 232، 193، 181، 162	المتقارب	حرام عليك
،244، 232، 204، 180، 162، 160، 152، 114، 248	الكامل	قم واس شعبك
241، 135، 119	الكامل	لمن تصوّت؟
163، 145، 120	المتقارب	هلمّوا لهذا النداء
285، 284، 266، 241	مجزوء الرّجز	يا أمّة الخلود
،159، 158، 157، 149، 130، 120، 119، 117، 278، 243، 191، 166	البسيط	زفرات المجد الخالد
248، 146	مجزوء الرّمّل	أهازيج في عيد الجزائر
،162، 159، 158، 149، 145، 130، 121، 118، 280، 250، 233، 231، 191، 177	الكامل	بيعة الوئام الوطني
240، 233، 164، 163، 160، 147	المتقارب	لبيك يا حادي الوئام
،168، 164، 158، 151، 150، 142، 123، 122، 290، 289، 274، 266، 248، 233، 230	المتقارب	نوفمبرنا المعلم
264، 228، 159، 151، 143	الكامل	من أين أبدأ؟
276، 264، 244، 164، 163، 135، 122	الكامل	هبني بيانك
242، 205	البسيط	واجه عدوك
	الشّهيد	قف للشّهيد
287، 265، 250	البسيط	مناجاة لأبي تمّام

## فهرس المحتويات

شكر وعران

قائمة المختصرات

مقدمة ..... ب

### الفصل الأول

#### الإطار النظري: مفاهيم أساسية للتداولية والمتعلقات النحوية

أولاً: التداولية (الدراعية) ..... 09

1- الأصول الفكرية ..... 09

2- التداولية واللسانيات ..... 10

3- في تحديد المصطلح (الموضوع والمفهوم) ..... 11

4- البراكمايك في رأي عبد الرحمن الحاج صالح ..... 14

ثانياً: أهم مفاهيم التداولية ..... 16

1- نظرية أفعال الكلام ..... 16

2- الاستلزام الحوارى (الفاعل اللغوى غير المباشر) ..... 25

3- السياق ..... 31

4- القصدية ..... 33

5- الإشارات ..... 37

6- الافتضاء (الافتراض المسبق) ..... 38

ثالثاً: مقارنة للمفاهيم التداولية فى التراث اللغوى العربى ..... 40

1- مقارنة بوجادى خليفة ..... 43

أ- تداولية المتكلم ..... 43

ب- تداولية المخاطب ..... 45

45	ج-تداولية الخطاب
46	2-عرض مقاربات أخرى
46	أ-الخبر والإنشاء (نظرية أفعال الكلام)
56	ب-الاستلزام الحواري في الفكر اللغوي العربي
59	ج-المقام في التراث اللغوي العربي
60	د-القصدية في التراث اللغوي
61	<b>رابعاً: مفهوم الخطاب</b>
61	1-تمهيد مصطلحي
62	2-مفهوم الخطاب في الدرس الغربي
64	3-مفهوم الخطاب في الدرس العربي
66	<b>خامساً: التداولية وتطور نظريات الخطاب</b>
68	<b>سادساً: المتعلقات النحوية والتعدد المصطلحي</b>
68	1-تعريف الفصلة
68	أ-لغة
69	ب-اصطلاحاً
74	2-تعريف مصطلح المتعلقات
74	أ-لغة
74	ب-اصطلاحاً
78	<b>سابعاً: المتعلقات النحوية في ظلّ نظرية العامل والتعليق</b>
78	1-في ظلّ نظرية العامل
84	2-في ظلّ نظرية التعليق
94	<b>ثامناً: المتعلقات النحوية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة</b>
102	خلاصة

## الفصل الثاني

### تداولية العلاقة بين المتعلقات النحوية والفعل الكلامي في الديوان

أولاً: الفعل الكلامي الشعري بين الإمكانيات اللغوية والإمكانات الإبداعية.....	104
ثانياً: الأفعال الكلامية التقريرية المخصصة بعلاقات المفعولية وأبعادها التداولية في الديوان	
.....	109
1-علاقة التعدية بين النحو والتداولية.....	109
2-الأفعال التقريرية المخصصة بعلاقات المفعولية لغرض الإثبات.....	115
أ-أفعال تقريرية غرضها تمجيد الوطن.....	115
ب-أفعال تقريرية غرضها تقرير أحداث زمن العشرية السوداء.....	117
ج-أفعال تقريرية غرضها الافتخار بماضي الأجداد.....	121
د-أفعال تقريرية غرضها إعجاب الشاعر بالرموز الوطنية.....	122
هـ-أفعال تقريرية غرضها تمجيد ثورة نوفمبر.....	123
3-الأفعال التقريرية المخصصة بعلاقات المفعولية لغرض التأكيد.....	124
4-الأفعال التقريرية المخصصة لعلاقات المفعولية التي غرضها النفي.....	132
ثالثاً: الأفعال الكلامية الإنشائية المخصصة بعلاقات المفعولية وأبعادها التداولية.....	136
1-الاستفهام.....	136
2-الأمر.....	144
3-الأفعال الإفصاحية.....	149
4-الأفعال الحكيمة والإدارية.....	151
5-عمل النداء.....	152
رابعاً: الأفعال الكلامية التقريرية والإنشائية المخصصة بالعلاقات النحوية الأخرى وأبعادها	
التداولية.....	154

- 1-الأفعال الكلامية وعلاقة التبعية..... 154
- 2-الأفعال الكلامية وعلاقة الإضافة (النسبة) ..... 169
- خامسا: البعد التداولي لظاهرة الحذف وأثرها على علاقة المتعلقات النحوية بالفعل الكلامي**
- 183 .....
- 1-تحديد طبيعة ظاهرة الحذف نحوياً ..... 183
- 2-ظاهرة الحذف كفعل تداولي حاجي ..... 187
- 3-تداولية حذف المتعلقات في الديوان ..... 191
- أ-حذف المفاعيل..... 191
- ب-حذف عامل المفاعيل ..... 194
- سادسا: تداولية التقديم والتأخير وأثرها على علاقة المتعلقات النحوية بالفعل الكلامي** ..... 195
- 1-التعريف بالظاهرة نحوياً..... 195
- 2-التقديم والتأخير فعل تداولي حاجي ..... 198
- 3-تداولية تقديم المتعلقات النحوية في المدونة..... 202
- أ-تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور ..... 202
- ب-صور أخرى للتقديم والتأخير ..... 205
- خلاصة ..... 208

## الفصل الثالث

### تداولية الإحالة بالمتعلقات النحوية في الديوان

- أولاً: مفهوم الإحالة في النظريات التداولية ..... 210
- 1-تعريف الإحالة لغة..... 210
- 2-مفهوم الإحالة في النحو الوظيفي ..... 211
- 3-مفهوم الإحالة في النظريات التداولية الغربية ..... 213

- أ- عند جون سيرل ..... 213
- ب- الإحالة في نظرية الفضاءات الذهنية والعوالم الممكنة ..... 214
- ثانياً: المتعلقات النحوية المعرفة والإحالة التداولية في المدونة (التعريف) ..... 219**
- 1- ظاهرة التعريف بين النحو والتداولية ..... 219
- 2- الإحالة التداولية في المعرف بـ "أل" ..... 226
- أ- تمهيد نحوي تداولي للمعرف بـ "أل" ..... 226
- ب- أنواع المتعلقات النحوية المعرفة بـ "أل" في الديوان ..... 228
- 3- الإحالة التداولية في المعرف بالضمير ..... 235
- أ- الضمير بين النحو والتداولية ..... 235
- ب- المتعلقات النحوية المعرفة بالضمير في الديوان ..... 240
- 4- الإحالة التداولية في المعرف بالإضافة ..... 247
- أ- إحاطة عامة حول المعرف بالإضافة ..... 247
- ب- المتعلقات المعرفة بالإضافة في الديوان ..... 247
- 5- الإحالة باسم الإشارة ..... 253
- أ- اسم الإشارة بين النحو والتداولية ..... 253
- ب- أسماء الإشارة في المدونة ..... 255
- 6- الإحالة بالاسم الموصول في المدونة ..... 257
- أ- الاسم الموصول بين النحو والتداولية ..... 257
- ب- الأسماء الموصولة في المدونة ..... 261
- ثالثاً: الإحالة التداولية بالمتعلقات النحوية المنكرة (التنكير) ..... 262**
- 1- التنكير بين النحو والتداولية ..... 262
- 2- المتعلقات النحوية المنكرة في المدونة ..... 265
- أ- المفعول به ..... 265

266	ب-المتعلّقات النحوية الأخرى.....
268	رابعاً: الإحالة بالمتعلّقات النحويّة في ضوء نظرية الفضاءات الذهنيّة.....
272	1-المتعلّقات النّحوية البانية للفضاء الذهني المحيل إلى الماضي.....
276	2-المتعلّقات النّحويّة البانية للفضاء الذهنيّ المحيل إلى الحاضر.....
282	3-المتعلّقات النّحوية البانية للفضاء الذهني المحيل إلى المستقبل.....
289	4-المتعلّقات النّحويّة البانية للفضاء المتخيّل.....
297	خلاصة.....
299	خاتمة.....
305	قائمة المصادر والمراجع.....
	الفهارس
324	فهرس الآيات القرآنية.....
325	فهرس الأحاديث النبوية.....
325	فهرس القصائد والبحور الشعرية.....
327	فهرس المحتويات.....



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ملخص:

يتناول هذا البحث أهم المظاهر التداولية للمتعلقات النحوية في ديوان "أغنية للوطن في زمن الفجيرة" لمحمد بن رقطان، وقد تطرقنا فيه إلى البعد التداولي للعلاقات المعنوية التي تربط بين الفعل الكلامي ومتعلقاته التي تتعلّق به، كعلاقة التّعدية، والتّبعية، والإضافة، وأيضاً البعد التداولي لظاهرتي الحذف والتقديم والتأخير وتأثيرها على تلك العلاقات، كما تناولنا أيضاً ظاهرة الإحالة التداولية من حيث أنّها فعل تداولي له وظائف إحالية مقامية تقوم بها المتعلقات النحوية، كوظيفتي التعريف والتّكثير، وأدوارها المتعدّدة أيضاً في بناء الأفضية الذهنية للخطاب الشعري، سواء أكان فضاءً حقيقياً أم فضاءً متخيلاً.

وخلصنا إلى أنّ المتعلقات النحوية هي عناصر مهمّة في بناء الخطاب الشعري، وتظهر أهميتها في صورها الاستعمالية المتنوّعة تنوع ظروف الخطاب، وهي بذلك تساهم في تحقيق القوّة الإنجازية والإحالية للفعل الكلامي.

## Summary :

*This paper deals with the most important pragmatic aspects of grammatical supplements in the poem of "Ughnia Lilwatan Fi Zamani Alfajiea" by Mohammed ibn Raqtan, in which we dealt with the pragmatic dimension of the moral relations that link the speech act and its related supplements, such as the transitive, subordinate and additive relationship, as well as the pragmatic dimension of the two phenomena, Deletion and the Advancement and Delay, and their effect on those relationships. We have also dealt with the phenomenon of reference in pragmatics in which it is a pragmatic act, and it has referral functions performed by the syntactic supplements, such as the functions of definition and denial, and also its multiple roles in building the mental space to which the discourse refers, whether it is real or transmissible.*

*We concluded that the grammatical supplements are important elements in constructing the poetic discourse, and their importance appears in their various forms of use as the diversity of the situations of the speech, and thus they contribute in realizing the illocutionary and referral power of speech act.*